

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة زيان عاشور الجلفة

مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها



مجلة التراث مجلة دولية دورية محكمة يصدرها

مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

العدد 02 السنة 2012

ISSN: 2253-0339

الإيداع القانوني: 1934-2011

لرئيس الشرفي :

أ.د شكري علي رئيس جامعة زيان عاشور الجلفة

مدير المجلة :

د.لحشر أسعد المحاسن

رئيس التحرير :

بشيري عبد الرحمن

الهيئة العلمية

أ.د بوزيدي كمال	جامعة الجزائر	د.سناء الباروني	جامعة جندوبة تونس
أ.د بوغزالة محمد الناصر	جامعة الجزائر	د.بن داود ابراهيم	جامعة الجلفة
أ.د عبد القادر بن حرزالله	جامعة باتنة	د.حمادي نورالدين	جامعة الجلفة
أ.د سعيد فكرة	جامعة باتنة	د.فشار عطاالله	جامعة الجلفة
أ.د خير الدين سيب	جامعة تلمسان	د.عزالدين مسعود	جامعة الجلفة
أ.عبد الستار عبد الحق الحلوجي	مصر	أ.هزراشي عبد الرحمن	جامعة الجلفة
أ.د خالد الزهري	المغرب	أ.شلالى رضا	جامعة الجلفة
أ.د العوفي عبد الكريم	جامعة ام القرى	أ.درماش بن عزوز	جامعة الجلفة
أ.د عمر أنور الزبداني	قطر	أ.صدارة محمد	جامعة الجلفة
أ.د ذياب البداينة	الأردن	أ.بن حفاف اسماعيل	جامعة الجلفة
د.محمود محمد زكي	مصر	أ.معيضة عيسى	جامعة الجلفة
د.دهينة نصيرة	الجزائر	أ.شريط محمد	جامعة الجلفة

قواعد النشر في المجلة

تصدر مجلة التراث في شكل دوري ضمن الميادين التي تعنى بالبحوث و الدراسات الاجتماعية و الانسانية من كافة الأساتذة باحثي الجامعات و يشترط في الدراسات و الابحاث المراد نشرها ما يلي :

- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في أي مجلة أو جزء من كتاب أو مذكرة أو أطروحة .
- أن يلتزم الباحث بالمنهج العلمي و الموضوعية و الأصالة
- تقدم المقالات مكتوبة فيما لا يتجاوز 20 صفحة
- أن تكون الهوامش في آخر الدراسة
- أن يكون البحث مكتوبا بالآلة مع ارفاقه في شكل قرص و تكتب أسماء الباحثين و رتبهم العلمية و الجامعة التي يعملون لديها .
- تخضع الأعمال المرسلة الى المجلة للتحكيم قبل نشرها
- ترتب الموضوعات وفق اعتبارات فنية
- ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه ، و لا يمثل رأي المجلة بالضرورة
- ترسل البحوث و جميع المراسلات الخاصة بالمجلة الى مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

- **بنية المخطوط وصورته الفنية مدخل لتأسيس الكوديكولوجيا الجمالية الإسلامية**
أ. د. إدھام محمد حنش ، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن..... 05
- **جمع و توثيق مخطوطات الشعر الشعبي الجزائري الواقع والآفاق،(مقاربة منهجية)**
أ.د.شعيب مثنونيف، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان..... 15
- **جهود علماء الحديث في توثيق المخطوطات**
أ.يوسف سرطوط، جامعة الجلفة..... 25
- **فن صناعة المخطوط الفارسي**
أ.حمزة حاجي، جامعة الجزائر..... 42
- **المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت:دراسة تقييمية.**
د.مولاي احمد، جامعة وهران..... 60
- **أصول التربية و التعليم في الأندلس،من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف**
أ. بن حاج ميلود، جامعة ابن خلدون ، تيارت..... 107
- **دائرة حفظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية -بين الأمس واليوم-**
أ.أحمد فجر ، جامعة المدية..... 134
- **حماية المخطوط و فهرسته**
أ.قاسم فتيحة، مسؤولة مكتبة كلية الحقوق و العلوم السياسية جامعة زيان عاشور الجلفة.. 148
- **دور الصيانة في الإبقاء على أثرية المخطوط**
أ.فصيح خضرة،جامعة زيان عاشور الجلفة..... 159
- **مصادر علم صناعة المخطوط في التراث العربي وأهميتها**
أ.بن فتاشة علي، جامعة الجلفة..... 170
- **نوازل الشيخ أحمد يكن بن محمد المختار الجكني التيندوفي من خلال الجزء الثاني من رحلة الشيخ الولاتي الشنقيطي بتيندوف**
بريك الله حبيب الجكني التيندوفي، مركز الأرشيف الوطني الجزائري..... 178
- **رقمنة المخطوطات العربية: الطرق والأساليب.**
أ.عادل غزال،باحث إدارة المعرفة في المكتبات والمؤسسات الوثائقية..... 206

226	 أ.محمد بن مبخوت.	▪ صناعة المخطوط بالجزائر في الفترة الزيرية من خلال كتاب "عمدة الكتّاب وعدة ذوي الألباب" المؤلّف للأمير المعز بن باديس الصنهاجي،
256	 أ.علي بوشاقور، جامعة الشلف.	▪ دراسة في منهج " كشف اللثام على شواهد ابن هشام" لعبد القادر المجاوي
268	 أ.سلام أمينة ،جامعة الجلفة.	▪ مكانة المخطوطات في التراث العربي
280	 د.بن داود براهيم.أ.جمال عبد الكريم، جامعة الجلفة.	▪ البعد الحضاري التكاملي بين حاضرة تلمسان والأندلس
290	 أ.عبدالقادر زين، جامعة الجلفة.	▪ شعر خليفة التليسي ... موضوعاته وخصائصه
307	 د. محمد حجازي ، جامعة باتنة.	▪ المقاربات العَقْدِيّة في تشكيل أنماط الهوية (متابعات دلالية قِيَمِيّة)
325	 أ.شليحي الطاهر، جامعة الجلفة.	تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية
342	 د.ناهد عبد الله الموسى ،جامعة الملك فيصل الأحساء المملكة العربية السعودية.	▪ أنماط تقويم أداء المدارس الأهلية (بالمملكة العربية السعودية)
380	 أ.الكر محمد ،جامعة الجلفة.	▪ الجودة الشاملة في التعليم العالي: مبررات التبني و معوقات التطبيق

بنية المخطوط وصورته الفنية
مدخل لتأسيس الكوديكولوجيا الجمالية الإسلامية
أ . د . إدهام محمد حنش
أستاذ فن الخط وعلم المخطوطات
رئيس القسم الأكاديمي لكلية العمارة والفنون الإسلامية
جامعة العلوم الإسلامية العالمية / الأردن

■ 1. المقدمة :

تنوعت أوعية المعرفة الإنسانية بحسب موادها وخاماتها ونقوشها وأشكالها وكتابتها ومضامينها العامة الى ما صار بالإمكان تصنيفه بشكل معرفي دقيق بين كل من الآثار Antiquates والوثائق Documents والمخطوطات Manuscripts وغير ذلك من المدونات التاريخية التي صارت بذلك التصنيف مجالات دراسية لعدد من العلوم الوثائقية Diplomatic التي نذكر منها . على سبيل المثال لا الحصر . علوم الآثار Archaeology والمتاحف Museumlogy والنقوش Epigraphy والكتابات Paleography وغير ذلك من العلوم .

وقد يمكن القول بأن المخطوطات تعد من أبرز هذه الأوعية التاريخية للمعلومات وأهمها من الناحية المعرفية ؛ مما جعل اغلب . إذا لم نقل : كل . تلك العلوم الوثائقية وغيرها تعنى بدراسة المخطوطات وحفظها وفهرستها وتصنيفها و تحقيقها وتسويقها الثقافي في المكتبات والمعارض والمزادات والمتاحف وغير ذلك .

ويمكن تعريف المخطوط ؛ تعريفاً عاماً وموجزاً ؛ بأنه : كتاب لا يزال منسوخاً بخط اليد ، لم يحقق بعد ، ولم ينشر مطبوعاً بعد . والمخطوطات ؛ بوصفها أوعية معرفية ؛ يمكن تشبيهها بعملة واحدة ذات وجهين : وجهها الأول يتمثل في المواد والخامات ؛ ويمكن أن نطلق عليه : (الحامل) أو (الوعاء) . ووجهها الآخر يتمثل في النصوص والأشكال والصور ؛ ويمكن أن نطلق عليه : (المحمول) أو (المحتوى) . وقد مثل هذان الوجهان المدخل المعرفي لطبيعة تقييم المخطوطات ودراستها بصورة محددة ومباشرة ، فدراسة وعاء المخطوط هي من إختصاص علم صناعة علم صناعة الكتاب المخطوط المعروف بالكوديكولوجيا Codicology الذي يعنى ؛ بشكل رئيس ؛ بالنظر في المواد والخامات التي يتكون منها المخطوط مادياً كالرق والورق والأحبار والأمدة والأصباغ والجلود وما شاكل مما يتعلق بالكيان المادي للمخطوط . أما دراسة محتوى المخطوطات فهي من إختصاص علم تحقيق النصوص Textlogy الذي ينظر في متن الكتاب وجوانبه اللغوية والاسلوبية والدلالية لتحليل نصوص المخطوط وموضوعاته المختلفة ؛ بقصد التحضير العلمي والفني لطباعة الكتاب ونشره .

■ 2 . إشكالية البحث وموضوعه :

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين هذه الحوامل والمحمولات المكونة لـ (بنية المخطوط) ، وعلى الرغم من أن بعض الكوديكولوجيين قد مال ميلاً نسبياً إلى إضافة المنتج التقني والفني المرتبط بهذه المواد والخامات وجهاً آخر من وجوه الدراسة العلمية لوعاء المخطوط بوصفه حاملاً مادياً ؛ ليس أكثر ؛ لكل تلك المظاهر العيانية (البصرية) في المخطوط ؛ من الكتابات والخطوط والأشكال الزخرفية والتصويرية والعلامات والرموز والتلوين والتذهيب وغير ذلك ... لم يعن هؤلاء الكوديكولوجيون كثيراً بدراسة هذه الأعيان البصرية المكونة لما يمكن أن نسميه : (صورة المخطوط) بوصفها مجالاً معرفياً لدراسة قيمه الجمالية وخصائصه الفنية التي يمكن أن تمثل البعد الآخر ؛ وربما الأهم أحياناً ؛ من أبعاد (تقييم المخطوط) بوصفه أثراً تراثياً فريداً وطريفاً ونادراً في مجاله المعرفي .

2 - 1 . قيمة المخطوط :

يفيد مفهوم المخطوط العام ؛ في جانب كبير منه ؛ معنى المعرفة Knowledge الحيوي المتعلق بالهوية والثقافة مثلما يتعلق بالحدثة والحضارة ؛ على حد سواء .. مثلما أن مفهومه الدلالي الآخر هو أكثر تعلقاً موضوعياً بوعاء هذه المعرفة وصورتها المركبة من الفكر والعمل . وقد يقود هذا المفهوم العام إلى البحث في حيوية التراث وطبيعته المستقبلية القائمتين على ما يمكن أن نسميه الوجود المعرفي للمخطوطات ؛ المتحقق في التواصل الحيوي بين الذاكرة الثقافية بوصفها كنز الأصالة وسر الهوية .. وبين العقل الحضاري بوصفه القوة المعرفية الحية في الإبداع والتأثير ؛ التي تجعل من التراث الثقافي حاضراً فاعلاً في المعاصرة والوجود بين ثلاث مستويات لقيمة هذا المخطوط بوصفه الأثر التراثي الحي ؛ وهي : الطبيعة ، والتصور ، والمعرفة .. إذ أن أي تقويم أو قياس معرفي محايد في فهمه لحقيقة هذا الأثر ؛ وفي حكمه على قيمته المعرفية ؛ يدرك بأن المخطوط هو الأصل المعرفي المتوارث في تقاليد traditions فكرية وثقافية وحضارية حادثة بلا زمن ماضٍ أو حاضرٍ أو مستقبل في حياة الجماعات والشعوب .

ومن هذا المفهوم النظري ؛ يؤكد الحكم العملي على قيمة التراث المعرفية البادية في تقاليده المتنوعة الآثار والمظاهر والأشكال والنتاجات والصناعات وغير ذلك من الحوامل التي تنصدها ؛ في المكانة والدور والأثر : المخطوطات ؛ بوصفها وعاء المعرفة التراثية هذه وصورتها المركبة من الفكر والعمل .. إذ كان لأهمية المخطوطات بوصفها أحد أبرز منابع المفهوم والوجود والحيوية المعرفية للتراث الفكري العربي والإسلامي دور أساس وفاعل في ظهور هذا التراث موضوعاً بل مجالاً متميزاً في البحث العلمي الحديث من خلال فهرسة المخطوطات العربية وتحقيق نصوصها .. لتصبح معادلة القيمة التراثية في ما بين المعرفة والمخطوطات قائمة على أساس أن التراث ؛ في جانبٍ كبير منه ؛ إنما يتمثل في المخطوطات .

إن أهمية المخطوط وقيمه قد لا تتوقف عند حدود أهمية المحتوى المعرفي الذي يحمله النص في المخطوط ، والذي غالباً ما يكون تحقيقه ناشئاً عن تقدير (قيمة) تلك المعرفة التراثية المكتنزة فيه ، بل يمكن القول بأن

هناك أبعاداً أخرى لما يمكن أن نسميه : (قيمة المخطوط) . وربما تتمثل هذه الأبعاد في كل من الأهمية الأثرية للمخطوط ؛ التي قد تقوم على جوانبه التاريخية كالقدم والندرة مثلاً ، والمعرفية كالأولية والإضافة ، والفنية كالإبتكار والأصالة والجادبية ، والإقتصادية كالعرض والطلب .

إن قيمة المخطوط موضوع هام وحيوي ، ولكنه لم يأخذ نصيبه من الدراسة العلمية بعد ، إذ لا يزال هذا الموضوع بعيداً عن دراسات (الإقتصاد المعرفي) التي تعنى بالقيم الثقافية والعلمية والإقتصادية لكل ما يتعلق بالمعرفة الانسانية ؛ ومنها : المخطوطات .

2 - 2 . الإستثمار المعرفي لقيمة المخطوط :

ويمكن لإقتصاد المعرفة هذا أن يوفر الإعتبارات المناسبة والممكنة لأن تكون المخطوطات جزءاً من مشروعات إستثمارية معرفية متعلقة بالعلم والتعليم والإجتماع والثقافة والتسويق السياحي وغيرها من المجالات الإقتصادية غير التقليدية .. حيث تبرز القيمة الإستثمارية للمخطوط من كونه كتاباً فريداً في المكتبة الوطنية ، ومصدراً مهماً من مصادر المعلومات ، ومادة دراسية للبحث والتحقيق والنشر .. وكذلك من إعتبار المخطوط دالة حضارية على رقي ثقافة المجتمع وتطورها في ان تكون عنواناً مهماً من عناوين هويته البارزة المساهمة في الثقافة الإنسانية .. فضلاً عن ما يصنعه ذلك كله من جعل الكتاب مادة أساسية وهامة من مواد التسويق الثقافي والخدمات السياحية التي يمكن إستثمارها في المكتبات والمتاحف والمزادات العالمية .

ولعل من الأهمية في هذا السياق ؛ الخوض العلمي المتواضع في أمرين مهمين ورئيسيين بالنسبة لقيمة المخطوط الإستثمارية . وهذان الأمران هما :

أولاً . تقييم المخطوطات ؛ وربما : تقدير ثمنه أيضاً .

ثانياً . تحقيق المخطوطات .

وقد يمكن القول هنا بإختصار شديد بأن هناك ؛ على الأقل ؛ مدخلين أساسيين واضحين لتقييم المخطوطات وتحقيقها . وهذا المدخلان هما :

أولاً . المدخل العلمي لتقييم المخطوط : ويتضمن هذا المدخل مراعاة العلوم المعنية بدراسة وعاء المخطوط ومحتواه ؛ بصورة محددة ومباشرة : فدراسة هذا الوعاء هي من إختصاص علم صناعة المخطوط . أما دراسة محتوى المخطوط فهي من إختصاص علم تحقيق النصوص .. فضلاً عن العلوم الأخرى المساعدة في هذا المجال .

ثانياً . المدخل الجمالي لتقييم المخطوط : ويتعلق بدراسة فنون الكتاب الإسلامي التي هي ؛ بشكل عام : فن الخط Calligraphy ، وفن الزخرفة Ornamentation ، وفن الرسم Painting . المنمنمات Miniatures ، وفن التذهيب Illumination ، وفن التجليد Bookbinding ..

حيث تبرز أهمية هذا المدخل في قيمة ما يفتحه من مجال معرفي مناسب للعناية العلمية والمنهجية والمفهومية بصناعة المخطوط الفنية وقيمه الجمالية التي تعكسها (صورة المخطوط) .

2.3 . تحقيق (صورة المخطوط) :

وإذ تصبو هذه المقاربة البحثية المتواضعة إلى بسط أطروحتها النظرية القائمة إبتداءً على فرضية أن صورة المخطوط يمكن أن تؤسس لما يمكن أن نسميه : الكوديكولوجيا الجمالية .. فإنها تحاول أن تنطلق من رؤية معرفية شاملة لبنية المخطوط وصورته ، وتتبنى منهجاً آخر في تحقيق المخطوطات ؛ هو غير المنهج النصي textual الذي ربما كان العلامة أحمد زكي باشا (ت 1353 هـ / 1934 م) أول من إستخدم له كلمة (تحقيق) على أغلفة الكتب العربية المطبوعة .

لقد صارت هذه الكلمة مصطلحاً علمياً دالاً على إستخراج النصوص التراثية الكامنة في المخطوطات وتخرجها ؛ تاريخياً وعلمياً ووثائقياً ؛ بقصد نشرها في الكتب المطبوعة . ويعتمد هذا التحقيق ؛ بشكل أساس وكبير ؛ على علم النص في استكناه نص المخطوط وموضوعه ، وقد يستعين أيضاً بعدد آخر من العلوم المعنية بصناعة المخطوط ومكوناته المادية ونصوصه وصوره وأشكاله وغير ذلك .. لكنه ما يزال ضعيف العناية العلمية بـ (الصورة) التي تحتل في المخطوطات العربية والإسلامية مكانة ودوراً حيويين ؛ يوازيان ؛ من حيث الأهمية المعرفية ؛ مكانة النص ودوره فيها ، إذا لم نقل بأن الصورة تفوق ؛ أحياناً كثيرة ؛ قيمة النص المعرفية في المخطوط العربي والإسلامي .

إن التحقيق العلمي المتكامل لموضوع المخطوط لا يقف عن حدود إكتشاف المخطوط وتوثيقه وتخرج نصوصه وهيئتها للنشر العلمي فحسب ؛ بل يعمل أيضاً على الإحاطة المعرفية بكل جوانب هذا الموضوع وعناصره الأساسية والثانوية : نصوصاً ، وصوراً ، وأشكالاً ، وفنوناً ، وأساليب ، وتقنيات ، ومواد ، وكل ما يدخل في محيطه المعرفي والصناعي ، من المعارف المساعدة في الإستقراء والتوثيق والنقد والتنظير . ولعل من هذه المعارف ؛ على سبيل المثال لا الحصر : علم النص ، وعلم صناعة المخطوط ، وعلم عناصر الفن ، وعلم هندسة الأشكال Geometry ، وغير ذلك من العلوم التي تعنى بدراسة الصورة بوصفها جزءاً من بنية المخطوط وموضوعه .

■ 3 . صورة المخطوط :

3.1 . مفهوم الصورة وموضوعها :

" الصورة : كل شكل ونقش يقبله الجوهر ؛ فصورة الشيء : ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل " ¹ ، كل " جسم له صورة " ² رمزاً له أو دلالةً عليه أو تعبيراً عنه في عمليات البيان والتواصل المعرفية

¹ - التعريفات ، للشريف الجرجاني ، ص 61 .

² - الهوامل والشوامل ، للتوحيدي ص ص 47 ، 241 .

والاجتماعية والسلوكية وغيرها ، " وأعلم أن قولنا : الصورة .. إنما هي قياس وتمثيل لما نعلمه في عقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة .. بخصوصية تكون في صورة هذا ؛ لا تكون في صورة ذاك " ¹ .. ذلك لأن (**العلة الصورية**) ² هي من طبيعة الأشياء وخصائصها الماهوية في الوجود ؛ فيمكن أن تكون بذلك أصلاً أو أُسّاً معرفياً لكل علامات البيان ودلالاته وحالاته القابلة في ماهيتها أو طبيعتها للدخول في **الحالة الصورية** .. وأن المعاني لا تبدو ذات قيمة جمالية أو فنية في ذاتها ؛ " بل قيمتها في تصويرها ؛ باستخدام الخيال الذي ينقلها من المعقول إلى المحسوس " ³ من أشكال التواصل ووسائله المتمثلة في الصورة بوصفها المادة الأولى والمركزية للوجود والمعرفة والبيان .

ومن هنا ؛ تبدو الصورة في المعرفة العربية الاسلامية ذات مكانة ودور حيويين في فهم الأشياء ، وفي التعبير عنها ، وفي التواصل معها ، فهذه المعرفة تعد الصورة هي (**آلة البيان**) الوجودية والأساسية والكلية في الأشياء . وقد يجعل هذا المفهوم المعرفي الإسلامي للصورة معناها الجامع لكل من الوسيلة والرسالة معاً في آن واحد من حيث التعريف بالموجودات والأشياء .. والتعبير عن المشاعر والأفكار .. وبيان الأفعال والحركات .. ووصف الأشكال والمرسومات ، وغير ذلك مما يجعل الصورة وكأنها قلب ثقافة التواصل الإسلامية النابض بالمعنى والقصد ؛ والفهم والإفهام ؛ والوعي والتوضيح ؛ والاتصال والتواصل ⁴ .

وقد طورت ثقافة التواصل الإسلامية نظريتها الفلسفية العامة للصورة بين الوحدة والتنوع في الطبيعة والوظيفة والتصميم ؛ عبر أكثر من مجال معرفي ؛ فالصورة . من حيث هي موضوع . نجدها مبحثاً مهماً في العلوم والآداب والفنون الإسلامية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

1 . **علم المناظر** : الذي يعنى بفيزياء البصر وقوانين الإبصار وتقنياته الوظيفية ⁵ في تحديد الصورة بوصفها المحور الموضوعي thematic لهذا العلم المتعلق وظيفياً بعلم فسلحة العين الذي يسمى آلة الإدراك البصري للصورة : **الروح الباصرة** ⁶ .

2 . **علم الرسم** ¹ : الذي هو علم إنشاء الأشكال وصناعة الصور ؛ يقوم معرفياً على **هندسة الأشكال** Geometry في التصميم ؛ ومنهجياً على (**الاستحسان**) ² في تركيب ما يسميه بعض فقهاء مرسوم الخط

¹ - دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص 508 .

² - علل الموجودات أربعة هي : الفاعلية ، والآلية ، والصورية ، والتمامية . ينظر : أدب الكتاب ، للصولي ، ص 55 .

³ - يبدو أن عبد القاهر الجرجاني كان قد استعار المفهوم الحسي (البصري) للتصوير في بناء نظريته في (نظم المعاني) ؛ إذ يقول : " .. وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ ؛ وفي مواقعها ؛ ومقاديرها ؛ وكيفية مزجها لها وترتيبه إياها .. " . ينظر : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص 123 .

⁴ - ينظر : تواصلية الفن الاسلامي ، لإدهام محمد حنش .

⁵ - ينظر : علم المناظر وعلم إنعكاس الضوء ، لرشدي راشد .

⁶ - تبدأ الروح الباصرة أو القوة الباصرة ؛ في خارطة تشريح العين ؛ من الدماغ وتنفذ إلى العينين أو ما يقرب منهما بالعصب النوري الذي يتم به الإبصار . ينظر : طب العيون عند العرب والمسلمين ، لفؤاد سركين .

الخط : بسائط الأشكال الهندسية ، وذلك بالرجوع " إلى رعاية النسبة [Proportion] الطبيعية في هذه الأشكال " ³.

3 . علم الجمال الإسلامي : الذي يعنى بالتقييم النقدي لإبداعية الصورة الفنية ووظيفتها التواصلية .

4 . علم الشعرية أو النظرية النقدية الأدبية (البلاغة) حيث إن "الشعر ..جنس من التصوير" ⁴.

5 . علم الفلك : حيث " صور الكواكب " ⁵.

6 . علم الجغرافية ورسم الخرائط : حيث " صورة الأرض " و " صور الأقاليم " وغيرها ⁶.

ولعل نظرة شمولية فاحصة الى هذه الصور العديدة والمتنوعة في ماهياتها وأشكالها ومعانيها ودلالاتها ووظائفها البيانية والتواصلية تكشف عن إنها تنتمي معرفياً إلى العديد من العلوم والآداب والفنون ؛ إنتماءً متعدد الوجوه ، ويجعل منها ذات طبيعة معرفية ومفهومية خاصة : كإعتبار الصورة : آلة أو وسيلة أو أداة للبيان والتواصل ؛ كما هو حالها ؛ على سبيل المثال لا الحصر ؛ في اللغة والكتابة والشعر والمنطق وغيرها .. أو اعتبارها : فكرة أو موضوعاً أو رسالة في البيان أو التواصل المعرفي ؛ كما هو حالها ؛ على سبيل المثال لا الحصر ؛ في الفيزياء والبصريات Optics والهندسة والنقد Criticism .. أو على سبيل الاعتبارين معاً في الإبداع ؛ كما هو الحال ؛ مثلاً ؛ في مجالات الفنون Arts المختلفة .

3 . 2 . أنواع الصور:

ومن هنا ؛ تبدو طبيعة الصورة متعددة ومتنوعة بحسب طبيعتها الذهنية المجردة المدركة بالتخيل أو الواقعية المادية الشكل المحسوسة بالبصر ، وبحسب تقنيات ابداعها وصنعها في مجالات العلوم والآداب والفنون المختلفة ، وبحسب تصنيفها الوظيفي المتخصص في البيان والتواصل . ولعل من الطريف في هذا السياق : ان أبا حيان التوحيدي يذكر أكثر من خمسة عشر نوعاً من أنواع الصور ، وهو يرتبها ترتيباً هرمياً قيماً يبدأ من الأعلى بما سماها : " الصورة الإلهية : التي تجلت بالوحدة ، وثبتت بالدوام ، ودامت بالوجود " ⁷ ، وربما تكون أذناها

1 - مصطلح فني عربي إسلامي يطلق أيضاً على (علم الكتابة) أو (علم الخط) . ينظر : سراج الكتبة ، لسراج طوموم ، ص 6 . وهو يختلف عن فن الرسم : المصطلح العلمجمالي aesthetic النقدي الحديث الذي يطلق على تصوير الطبيعة والأشخاص والكائنات الأخرى .

2 - الإستحسان : مفهوم معروف في الفقه الإسلامي على أنه دليل يقدر في ذهن المجتهد على القياس ، وهو بذلك يكاد يكون أحد طرق أو آليات التشريع وإستنباط الأحكام . ينظر : الإستحسان بين النظرية والتطبيق ، لشعبان محمد اسماعيل . ولكننا نراه أيضاً مفهوماً ثقافياً إسلامياً كان شائعاً في النقد الأدبي : (إستحسان المعاني - الحيوان ، للجاحظ ، 131 / 3) .. وكذلك في النقد الفني (إستحسان الخط - الخط العربي وإشكالية المصطلح الفني ، لإدهام محمد حنش ، ص 90) .

3 - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كوبري زادة ، 91 / 1 .

4 - الحيوان ، للجاحظ ، 132 / 3 .

5 - ينظر : كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين ، لعبد الرحمن الصوفي .

6 - ينظر (علم الخرائط) في : أطلس تاريخ الإسلام ، لحسين مؤنس ، ص ص 12 ، 42 .

7 - الإمتاع والمؤانسة ، للتوحيدي ، 143 - 137 / 3 .

مرتبة في الوجود وفي المعرفة : الصورة الخطية graphic التي هي الصورة الناتجة عن الكتابة writing والرسم drawing بوصفهما المجالين المعرفيين الرئيسيين لتكوين (صورة المخطوط) .

3 . 3 . صورة المخطوط :

ويمكن تعريفها ؛ في ضوء ما تقدم ؛ بأنها تلك الصورة الجامعة لكل المظاهر العيانية (البصرية) في المخطوط من الكتابات والخطوط والأشكال الزخرفية والتصويرية والعلامات والرموز والتلوين والتذهيب وغير ذلك من المظاهر الداخلة في التصميم (الخارجي والداخلي) للكتاب المخطوط .

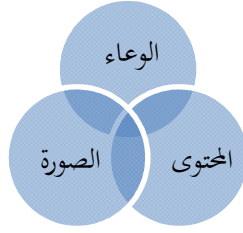
■ 4 . الكوديولوجيا الجمالية :

ربما يوجب كون الصورة عنصراً من عناصر المخطوط البنيوية والموضوعية على التحقيق العلمي الموضوعي الصحيح للمخطوطات مراعاة (صورة المخطوط) مادة علمية لا تقل أهمية معرفية عن النص ، سواء كانت هذه الصورة مادة أساسية في المخطوط ؛ مستقلة عن النص ؛ أو ثانوية في المخطوط لكونها ملحقة بالنص . وربما من الأفضل علمياً أن يعتمد هذا التحقيق منهجاً يؤلف ما بين النص و ما بين الصورة ، ويجمعهما في صعيد واحد من البحث العلمي في دراسة الموضوع العام للمخطوط وتحقيقه .

وفي كلا الحالتين ؛ لا بد لما يمكن أن نسميه: تحقيق (صورة المخطوط) من الدراسة النقدية الفنية لها في ضوء علم الجمال Aesthetics ، ذلك لأن الصورة ؛ من حيث هي موضوع subject ؛ تنتمي إلى ذلك الحقل المعرفي المتعلق بعلم الجمال وفلسفة الفن .. ولأن صورة المخطوط يمكن أن تكون موضوعاً من موضوعات الفلسفة النقدية القادرة على بيان العلاقة العضوية القوية بين صناعي المخطوط المادية codicological ، والفنية artistic بوصفهما الصناعتين اللتين تشتركان في بناء المادة المعرفية لما يمكن أن نسميه : (علم جمال المخطوط) أو (الكوديولوجيا الجمالية) .

ونقصد بهذا العلم : الدراسة النقدية الفنية لصورة المخطوط وهندسته الصناعية التي يشترك في ادارتها وفي انتاجها كل من الخبرات الجمالية والتجارب الفنية والحوامل المادية والمحمولات البصرية المكونة لصورة المخطوط الفنية ؛ والمتمثلة ؛ بشكل رئيس ؛ في كل من الكتابات الخطية والأشكال التصويرية بإعتبارها المادة المعرفية الأساس لهذا العلم الجامع لكل من علم المخطوط وعلم الجمال في العلم والعمل على الصناعة الفنية الخاصة بالمخطوط وصورته الكلية : التصميمية ، والوعائية ، والجمالية.

إن علم جمال المخطوط لا تكتفي بدراسة الأوعية الحاملة والمحتويات المحمولة في الكتاب المخطوط مادة علمية لها فحسب ، بل تضيف اليهما شكله التصميمي وصورته الفنية بعداً ثالثاً من الأبعاد المعرفية لصناعة الكتاب المخطوط الفنية :



وفيرق علم جمال المخطوط بين نوعين رئيسيين من الصور في المخطوطات الاسلامية ؛ هما :

الأولى . الصورة التصميمية : الكلية للمخطوط ، وهي تتألف من صورتين متوافقتين ، هما :

(أ) . الصورة الخارجية للكتاب المخطوط ؛ التي تتضمن الشكل الهندسي العام للمخطوط ؛ هل هو مربع أم مستطيل ؟ وما هي أبعاد هذا الشكل . وتتضمن أيضاً العناصر الفنية كالخط والزخرفة وغير ذلك مما يدخل في تكوين صورة الغلاف الخارجي للكتاب أو جلد المخطوط . ولهذه الصورة الخارجية علاقة وثيقة بالصورة التصميمية

(ب) . الصورة الداخلية لصفحات المخطوط ؛ والمتمثلة في توزيع تلك العناصر الفنية ؛ الخطية وغير الخطية ؛ في صفحات المخطوط ، وما يقتضيه ذلك التوزيع من التسطير Layout والتأطير أو الجدولة والفراغات وغير ذلك في فضاء الصفحة .

الثانية . الصورة المعرفية : الحاملة لموضوع أو الموضحة له . ويمكن تمييز الصورة المعرفية في المخطوطات العربية والاسلامية الى كلٍ مما يأتي :

(أ) . الصورة الغوية الإنشائية : المتمثلة في نصوص texts الكتابات الحاملة للألفاظ والمعاني والدلالات النثرية والشعرية وغيرها مما يدخل في صنوف أدب المعرفة المتعلق بالعلوم والآداب والفنون وغير ذلك .

(ب) . الصورة الخطية calligraphically : المتمثلة في رسوم الكتابة الفنية القائمة على الخط script بوصفه صورة الكتابة .

(ج) . الصورة الحركية : أو التشخيصية figurative ؛ المتمثلة في الرسوم التعبيرية عن الأشياء والظواهر والأفعال والأحداث والحكايات وما شابه ذلك من أعمال الرسم Painting الحكائي في المخطوطات العربية والاسلامية .

(د) . الصورة التوضيحية illustrative: ؛ المتمثلة في الرسوم المجردة لحالات الشكل Form الواحدة والمتعددة المعبرة بشكل توضيحي عن المقالات والمواد العلمية scientific : الهندسية ، والطبية ، والطبيعية ، والجغرافية ، والفلكية ، وغيرها .

■ 5 . مصادر البحث ومراجعته :

. الإستحسان بين النظرية والتطبيق ، شعبان محمد إسماعيل ، الدوحة ، دار الثقافة ، ط 1 ، 1988.

- . أطلس تاريخ الإسلام ، الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ط 1 ، 2003.
- . الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي (ت 404 هـ / 1203 م) ، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة 1944 .
- . البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ (255 هـ / 868 م) ، تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، ط 7 ، مصر ، مكتبة الخانجي ، 1418 هـ / 1998 م .
- . التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ / 1413 م) ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، 1985 .
- . تواصلية الفن الإسلامي ، الدكتور ادهام محمد حنش ، بحث مقبول للنشر في : إسلامية المعرفة (مجلة الفكر الإسلامي المعاصر) ، مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، بيروت .
- . الخط العربي وإشكالية المصطلح الفني ، الدكتور إدهام محمد حنش ، سوريا / حلب ، دار النهج ، 2007 .
- . دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ / 1078 م) ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط 2 ، 1989 .
- . سراج الكتبة ، سراج طموم ، عمان ، دار البصائر ، بلا تاريخ ، ط 2 ، مصورة عن ط بولاق 1311 هـ .
- . طب العيون عند العرب والمسلمين ، الدكتور فؤاد سركين ، فرانكفورت : معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ط 1 ، 1986 .
- . علم المناظر وعلم إنعكاس الضوء ، الدكتور رشدي راشد ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 ، 2003 .
- . كتاب الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بيروت : منشورات محمد الداية ، ط 2 ، 1969 .
- . كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين ، عبد الرحمن الصوفي (ت 376 هـ / 986 م) ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ط 1 ، 1981 م .
- . مفتاح السعادة ومصباح السيادة ؛ أحمد بن مصطفى طاش كوبري زاده (968 هـ / 1506 م) ، تحقيق : كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، د . ت .
- . الهوامل والشوامل ، أبو حيان التوحيدي (ت 404 هـ / 1203 م) ، تحقيق : أحمد أمين وأحمد صقر ، القاهرة 1951 .

جمع و توثيق مخطوطات الشعر الشعبي الجزائري الواقع والآفاق (مقاربة منهجية)

أ.د. شعيب مثنونيف

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

جامعة تلمسان

الملخص:

إن دراسة الشعر الشعبي بعد جمعه و توثيقه وتحقيقه في غاية من الصعوبة إذا علمنا أن هذا الإرث، جميعه، تتداوله الألسنة وتتناقله الأجيال من طريق الرواية والحفظ. فالبحث مازال في بداية الطريق إذا قورن بالبحث الذي تناول الأدب الرسمي أو المدرسي.

لذلك فإن عملية تحقيق وتوثيق النص لا تقل أهمية وقيمة عن عملية إنتاج وتأليف النص، إن لم تفقها أهمية وقيمة، وتكلفة وجهدا. ذلك أن محقق النص يرتاد أرضا فكرية شائكة وملغمة، إن تكن محفورة، سلفا، فهي مطمورة مع ذلك بأتربة التاريخ، تبين رسومها كالأثار الدراسة أو ما أشبه.

وهذا ما يجعل مهمة المحقق مهمة أركيولوجية بامتياز، بالمعنى الفوكوي لهذا المصطلح. إنه مطالب ببحث معرفي للنص وحفر بنيوي في طبقاته ومستوياته، وإضاءة واعية ووافية لأسئلته وكوامنه، إنه بعبارة أخرى، مطالب بإعادة إنتاج النص وتشكيله، تحقيقا وتوثيقا وتعليقا. وهي المفاهيم والنوى الأساسية التي تنطلق وتتكون منها عملية التحقيق.

ومداخلتي الموسومة بـ " جمع و توثيق مخطوطات الشعر الشعبي الجزائري الواقع والآفاق (مقاربة منهجية)، والمدرجة ضمن المحور الثاني " دراسة واقعية"، تهدف إلى تسليط الضوء عن الآليات المنهجية المتبعة في توثيق وإخراج وتحقيق الشعر الشعبي الجزائري من مظانه المخطوطة، وأبرز الإشكالات والإكراهات التي يواجهها الباحث في هذا الميدان.

أولا- آفاق الأدب الشعبي بعامة والشعر الشعبي بخاصة

بداية، أشير إلى أن الأدب الرسمي يعرف اليوم أزمة تتجلى في تعريفه و تحديده ووظيفته وتدرسه. و الأدب الشعبي يعرف مشاكل أخرى تمس كيانه و وحدته و قدرته على الإبداع، وتتعلق بتعامله مع الواقع الذي ينميه و يكون منبعا لتحولاته و استمراره.

إن أعمال الباحثين الأجانب و المستشرقين، ولا سيما الفرنسيين منهم، أعطت القارئ الغربي والعربي صورة عن الفرد الجزائري الذي يظهر و كأنه منهمك في تقاليده و طقوسه، و أنه يعيش في زمن دوري لا يعرف الزمن التاريخي أو الحدث. و أكثر هذه الأبحاث اتخذت البوادي و القرى موضوعات لأعمالها. و المناهج التي كانت تستعمل قائمة على دراسة أوجه التقارب و التشابه بين لغات و آداب جزائرية مع لغات و آداب شعوب أخرى، و خاصة أوروبا. اتخذت آداب أوروبا معيارا لها.

و على الرغم من نقص هذه الأبحاث و تشويهها في بعض الأحيان للواقع الجزائري، فإنها احتفظت بوثائق قابلة للتحليل. هذه الأعمال الضخمة الموجودة، هل نحن نحاورها و نحللها قصد تجاوزها؟

هل أعمال الباحث الجزائري، منذ الاستقلال إلى يومنا، غيرت مفهوم الأدب الشعبي؟ هل أدت إلى إخراج هذا الأدب من عالم السكوت إلى عالم الوجود؟

إن تغيير مفهوم الأدب و فنونه، كتابية كانت أم شفوية، متعلق بنظرة القارئ و المجتمع إليه.

يبدو لنا أن تاريخ الأدب الشعبي بالنسبة للأدب الجزائري العربي هو تاريخ رفض أو سوء تفاهم. وعلى الرغم من بعض الأبحاث المنجزة في الجامعات الجزائرية، يبقى مفهوم هذا الأدب غامضا. إن الأعمال المنجزة حتى الآن تأخذ جانبا معينا منه و تحلله بمناهج أكثر دقة و بمنظور جديد و سليم، ومع ذلك فإنها لم تؤد إلى إعطاء نظرة جديدة و شاملة لمفهوم الأدب، كما أنها لم تحدد مفاهيم جديدة. مثلا: كيف نفكر في مفهوم الشعب اليوم؟ هل هذا الأدب منحصر في البوادي و القرى؟ أليست هناك ثقافات متداخلة و متنوعة في المدن؟ كيف السبيل إلى تحديدها؟! هل الأدب الجزائري المكتوب، كالسير و الرحلات، خال من جوانب شفوية؟ ما علاقة الكتاب والشفوي اليوم؟ إلخ...

ستبقى الأمور غامضة، في رأينا، ما لم يلتفت إلى الأمور التالية.

- 1- جمع و تدوين فنون الأدب و تكريسها في مجموعات وطنية و جهوية.
- 2- البحث والمقارنة بين الأدب المكرس قبل و بعد مرحلة الاستقلال.
- 3- البحث في طرق التحليل و المناهج التي توظف هذا الأدب لكي لا يصبح مهمشا أو موضوع إعجاب يتأمل من بعد ولا يجرؤ على الكشف عن أسرار و خفياه.
- 4- إن مفهوم الأدب يتغير بقدر ما تتغير النظرة إليه و لن يتسنى ذلك إلا إذا مورست الجدية في تناوله.

ثانيا- إشكال التعامل مع المخطوط في توثيق الشعر الشعبي:

عني العصر الحديث بتحقيق النصوص التراثية، شعرية كانت أم نثرية، ونشرها، وكثير أعلامه ومحققوه في مطلع القرن العشرين، ولست بسبيل حصرهم أو حصر مدارسهم ومناهجهم بل تهدف غايتي، أو تكاد، في دورهم في قراءة النص، حيث تتعدد هذه القراءة إلى أن تصل إلى العشرات من المرات، وإلى تنوع المعارف ومراعاتها، كما تتنوع لتشمل جوانب عديدة من النص؛ لغوية وغير لغوية.

و خلافا لما يتبادر إلى الأذهان، فإن عملية تحقيق وتوثيق النص لا تقل أهمية وقيمة عن عملية إنتاج وتأليف النص، إن لم تفقها أهمية وقيمة، وتكلفة وجهدا. ذلك أن محقق النص يرتاد أرضا فكرية شائكة وملغمة، إن تكن محفورة، سلفا، فهي مطمورة مع ذلك بأتربة التاريخ، تبين رسومها كالأثار الدراسة أو ما

أشبه. وهذا ما يجعل مهمة المحقق مهمة أركيولوجية بامتياز، بالمعنى الفوكوي لهذا المصطلح. إنه مطالب ببحث معرّفي للنص وحفر بنيوي في طبقاته ومستوياته، وإضاءة واعية ووافية لأسئلته وكوامنه، إنه بعبارة أخرى، مطالب بإعادة إنتاج النص وتشكيله، تحقيقاً وتوثيقاً وتعليقاً. وهي المفاهيم والنوى الأساسية التي تنطلق وتتكون منها عملية التحقيق. وغير خاف، أن إعادة الإنتاج تضاهي في دقتها وكلفتها أحيانا فعل الإنتاج وتحقيق النص كما قراءته، كتابة ثانية له¹.

يمكن القول إن إخراج وتحقيق مخطوطات وكناشات الشعر الشعبي الجزائري بدأت تعرف إقبالا متزايدا من المهتمين بهذا النوع من التراث، وقد انطلقت تلك العناية على يد بعض المستعربين² وبعض الجزائريين والمغاربة³.

على أن رواد البحث والتحقيق في هذا الميدان، وإن بذلوا كل ما في وسعهم بحسن ما حصل لديهم من نسخ مخطوطة وقت التحقيق والإنجاز، فإن هناك ثغرات في أعمالهم حاول سدّها المحققون اللاحقون¹ الذين حصلوا على نسخ أخرى، وتوفرت لهم معارف جديدة لم تكن لسلفهم.

الإحالات والمصادر والمراجع:

¹ ينظر: د. عبد الوهاب محمد علي العدوان: "مقدمة تحقيق النصوص"، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع 16، 1986، ص 17.

² ومنهم: المستشرقان: الألماني هانس ستوم (hans stume)، و الفرنسي صونك (sonnek).

³ ومنهم:

- محمد مرابط صاحب "الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان".

- قاضي محمد صاحب "الكنز المكنون في الشعر الملحون".

- الجامع أحمد الستوتي ولد البشير صاحب "الكناش الضخم لشعراء جزائريين ومغاربة".

- شيوخ الطرب والآلة كالشيخ العربي بن صاري وكناشه، والشيخ عبد الكريم دالي وكناشه، و الشيخ الصادق البيجاوي وكناشه، ومحمد غفور والطاهر الفرقاني كذلك.

- الأستاذ محمد بخوشة المحقق لبعض دواوين الشعر الشعبي، و الجامع للمختارات الشعرية ومنها: ديوان المنداسي الملحون، وديوان سيدي لخضر بن خلوف، وديوان ابن مسايب، فضلا عن كتاب "الحب والمحبيب" وهو عبارة عن مختارات لشعراء من تلمسان وفاس ومكناس. - الأستاذ عبد الرحمن السقال الشاعر و الجامع أيضا، وقد اشترك مع محمد بخوشة في كتاب "نفع الأزهار ووصف الأنوار وأصوات الأطيوار ونغام الأوتار"..

- الأستاذ عبد الحميد حميدو والأستاذ عبد الرحمن المحجوب والأستاذ الحاج محمد رمضان شاوش. بالإضافة إلى الدارسين الأكاديميين وأذكر منهم: الأستاذ محمد الفاسي، صاحب "معلمة الملحون"، والأستاذ سعد الدين بن شنب والدكتور عبد القادر عزة والأستاذ عباس الجراري و الدكتور محمد بلحفاوي، رحمهم الله جميعا، و الأستاذ عبد الحميد حاجيات و الدكتور أحمد الطاهر و الأستاذ التلي بن الشيخ و الدكتور العربي دحو، و الأستاذ حفناوي أمقران و سيفي أسماء والأستاذ بن عمرو الزرهوني، و الأستاذ مراد يلس شاوش.

هكذا أعيد النظر في تحقيق شعر سيدي سعيد المنداسي²، وحقق ديوان ابن التريكي³، و
نظن أنه فصل في نسبة شعر آل ابن سهلة بتحقيق ديوان أبي مدين بن سهلة⁴، وأيضا شعر عبد الله بن
كرو⁵، وكذا شعر الشيخ الستوتي ولد البشير⁶.

بطبيعة الحال، فإن النظر إلى هذه الأعمال المحققة يمكن أن يشمل جوانب عديدة في تأصيل النص،
وخدمته ومدى تحكم المحقق في وسائل الخدمة. وكل هذه الجوانب تتطلب مؤهلات علمية صارت تبتعد شيئا
فشيئا عن قدرات الشخص الواحد، إذ يحتاج المحقق إلى معرفة التاريخ والجغرافية والانتروبولوجية واللسانيات و
اللهجات وغيرها.

وإبرازا لبعض المشاكل التي تعترض سبل المحققين لمخطوطات وكناشات الشعر الشعبي الجزائري،
وتلميحا لبعض المؤهلات التي يتطلبها النص تحقيقا علميا، وتديلا على ما يمكن أن يستفيدة المحقق من
الدراسات الحديثة، فإنني سأأخذ، بعد حين، نقطة أساسية، تتعلق بالمحقق، موضوعا للمناقشة. وهي إشكال
التعامل مع النسخ.

1 / إشكال التعامل مع النسخ المخطوطة:

و أعني بذلك ما يتعلق بتأصيل النص وإخراجه بناءً على نسخ معتمدة وأخرى مساعدة، ولكني سأجاوز
سرد الطرق التقنية المتبعة في هذا الشأن لأطرح فرضية مؤداها:

- هل الناسخ و المحقق مؤلفان؟

للإجابة عن هذا السؤال الفرض، أتعرض إلى العناصر التالية:

I- المؤلف:

¹ وهم الجيل الجديد خاصة خريجي قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان. أخص منهم بالذكر: الأساتذة: زريوح عبد
الحق، و إبراهيم شعيب، و فائزة قهواجي. والعبد الفقير إلى ربه، كاتب هذه الأسطر.
² ينظر: زريوح عبد الحق: الخصائص الفنية للشعر الشعبي عند المنداسي، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تلمسان،
1991. كما أن الباحث يشتغل على تحقيق مخطوط في شرح العقيدة لأبي راس الناصري المعسكري.
³ ديوان أحمد بن التركي: جمع و تحقيق: عبد الحق زريوح/ نشر ابن خلدون تلمسان.
⁴ حول ذلك، ينظر: شعيب مقنوني: صورة المرأة في شعر ابن سهلة: جمع و دراسة، القسم الأول و الثاني،
مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 1995.
- ديوان أبي مدين بن سهلة: جمع وتحقيق وضبط وتعليق، دار الغرب للنشر والتوزيع، طبعة ثانية مزيعة ومنقحة:
2007.
⁵ ينظر: إبراهيم شعيب: الشاعر عبد الله بن كرو بين المثالية و الواقع: قراءة تفسيرية، مخطوط رسالة ماجستير،
جامعة تلمسان، 1995.
⁶ ينظر: فائزة قهواجي: أحمد الستوتي الشاعر الشعبي: جمع و دراسة، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تلمسان،
2001.

يكتب لمخاطبة شخص معين في مقتضيات أحوال، ومن ثمة فهو يريد أن يبلغ معارف لمستمعيه ويحاول إقناعه في آن واحد، ولهذا فهو يسلك الاستراتيجية التي تحقق أهدافه بتبني تقنية أسلوبية معينة وبالكتابة في غرض رائج، وبتكييف خطابه حسب متلقيه.

II- الناسخ:

إن الذي يهمننا في السياق، هو الناسخ الذي نتساءل حوله أيكون دائما محايدا يبذل كل ما في وسعه لنقل النص الأصلي بأمانة؟! لا يزيد ولا ينقص إلا ما كان من سبق قلم نشأ عن سهو أو عدم انتباه؟! إن التفكير السليم يجعل المرء يجيب عن هذا التساؤل بالإيجاب، لأن الأمانة العلمية تقتضي ذلك، ولأن الناسخ لا يمكن أن يقبل على عمله إلا إذا كان يلي رغباته ويشبع بعض حاجات المستنسخ لهم. في هذه الحال، يطمئن المحقق والقارئ إلى أن النص هو نسخة أمينة من الأصل، وبناء عليه، فإن النسخة يمكن الاعتماد عليها في التحقيق والدراسة.

لكن الأمر ليس بهذه البساطة والنزاهة والحياد دائما، فالناسخ يقرأ نصا فيعجب به، ولكنه لا يستطيع أن يخرج للناس على ما هو عليه؛ فيحذف بعض الأشياء أو يضيف أشياء أخرى حتى يصير مستساغا مقبولا... قد يكون الناسخ معرضا يهدف إلى أن يسوء المؤلف فيصحف أو يحرف أو يضيف أو يفعلها معا لتحقيق مآربه. ربما يكون هذا الذي أشرت إليه من بين الأسباب التي تجعل فروقا مهمة بين نسخ النص الواحد¹.

III - المحقق:

إن عمل المحقق هذا يجعلني أصنّف المحققين إلى عدّة أصناف:

- 1/ محققون يثبتون ما يرونه في النسخ الأصلية والفرعية من فروق مهما كبرت أو صغرت.
 - 2/ محققون يرجحون بعض الروايات على أخرى، ويحذفون، فيما يظهر لهم، ما لا فائدة فيه.
 - 3/ محققون يضيفون إلى النص من عندهم اعتمادا على نسخ فرعية أو مراجع ثانوية.
- إن النوع الأول محايد، والصنف الثاني يبدأ في عتبة التدخل، والضرب الثالث مساهم في تأليف النص بكيفية ما.

2- في شروط عملية تحقيق مخطوطات وكناشات الشعر الشعبي وغايته:

1.2. شروط التحقيق:

¹ حول ذلك راجع: ديوان أبي مدين بن سهلة..، ص ص 54-68، وكذا عند إحالة كل مطلع قصيدة في الديوان.

أرجع إلى ما بدأت به، وأطرح سؤالاً مكملًا مفاده: إذا كانت عملية التحقيق مخفوفة بالمخاطر والمحاذير، وتقتضي تكلفة وجهدا مضاعفين، فكيف تضاعف عليها الطلب وتكاثرت من حولها الدلاء؟! أو كيف انقلب المركب الوعر إلى مطية ذلول؟!

أخشى، بداءة، أن يكون تحقيق النص من قبيل المطايا الجامعية سهلة الامتطاء، و"ملجأ الكسالى" على حد تعبير جوستاف لانسون¹.

وحتى لا نصادر على المطلوب، ونرجم هذه الرسائل بالظنة والغيب، سأحاول أن أكشف عن الاستراتيجية التي تسكن ذاكرة المحقق وتقود خطاه ومسعاها. فما هي العدة النظرية والمنهجية التي تسلك بها الباحث المحقق؟! و ما هو الجهاز المفاهيمي الذي يصطنعه و يعتمد في ارتياد هذا الأفق الصعب والمجهول، على حدّ تعبير أغلب الباحثين المحققين؟!

إن عملية التحقيق في ظاهرها القريب نسخ لمخطوط جميل يضاف بعض التعليقات البسيطة، كما يظن الكثيرون.

و الواقع، إن التحقيق يقصد به بذل عناية خاصة حتى يصح اسم صاحبه، و يثبت نسبة المؤلف إليه، و يكون متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه².

يرى البعض أن التحقيق العلمي للمخطوط يعني أن يظهر هذا المخطوط كما وضعه صاحبه قدر الإمكان، إذ ليس من واجب المحقق أن يحسن من أسلوب المؤلف، إذا ما كان مسّفاً، و لا أن يحل كلمة بدل أخرى، بدعوى أنها أصح منها، أو أوفق في مكانها، ولا أن يصحح خطأ نحوي ارتكبه المؤلف، و لا يشرح فيما رغب المؤلف أصلا بإيجازه³.

وإذا كان مؤلف المخطوط قد ادّعى قواعد الخط و الإملاء التي كانت شائعة في عصره فليس مطلوباً من المحقق مراعاتها، لأن الغاية من تحقيق المخطوط و نشره، إحياءه ليفيد منه القارئ المعاصر⁴.

2.2 غاية التحقيق

¹ جوستاف لانسون: منهج البحث في اللغة و الأدب، عن النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور، ص 409.

² ينظر: عبد السلام هارون: تحقيق النصوص و نشرها، مؤسسة الحلبي: القاهرة، 1965، ط 2، ص 39.

³ ينظر: عميرة عبد الرحمان: منهج تحقيق المخطوطات، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: قسم (إيران)، 1988، ص 38.

⁴ ينظر: د.أحمد محمد الخراط: محاضرات في تحقيق النصوص، دار المنارة للنشر و التوزيع، جدة، ط 02، 1988، ص 10.

قد يتساءل القارئ عن غاية التحقيق إلى أين تنتهي؟ و ما الحدود التي عندها تقف خطوات الناشر في تحقيق النص و نقده؟ و ما هي الأهداف المتوخاة من تحقيق النص وتظهره؟! وهل غاية المحقق أداء النص كما وضعه مؤلفه؟! أو إن وراء هذه الغاية غاية أبعد، اقتضاها تصحيح النص و توضيحه؛ بحيث يبدو العمل فيها ضربا من التجاوز على المؤلف، أو لونا من المشاركة له في عمله؟!

لا مرأ في أن أداء النص كما وضعه صاحبه مطلب أساس للتحقيق بعامة، و هو أمر متفق عليه، صرح به الباحثون حيث يكون النص و العاملون فيه¹. بل قد يكون المطلب الوحيد حين يكون النص المحقق أصلا أو مرجعا في باب، كالأهماء في الدواوين الحديثة و المعجمات اللغوية.

3- حول صفات المحقق:

ليس التحقيق أمرا هينا فيغدو نزهة المختلس، إنه عند المكابدة أشق على النفس من تصنيف كتاب جديد، و هو ما فرض على المشتغل في هذا المجال صفات لا بد من توفرها فيه ليستقيم له عمله. هذه الصفات بعضها علمي فكري و بعضها الآخر خلقي. لكن التوكيد على الجانب الخلقي لازم قبل كل شيء، لأن العمل العلمي في جوهره عمل أخلاقي.

وأبرز هذه الصفات:

3. 1/ الرغبة في التحقيق

لأن ذلك يجعل الباحث يقبل على تحقيق المخطوط بكل محبة و رغبة، فتسهل عليه الصعاب التي تواجهه، و يهون عليه السهر و التعب، سعيا وراء تفسير كلمة، أو تدقيق جملة².

3. 2/ دقة الملاحظة و الخبرة:

مما لا شك فيه، أن تحقيق مخطوط أصعب من تأليفه، و لذا فإن المحقق يحتاج إلى ملاحظة دقيقة في معرفة التصحيف و التحريف، و في تصحيح الأخطاء. كما أنه بحاجة إلى خبرة واسعة بأسماء رجال العصر وواقع الحياة في العصر الذي كتب فيه المخطوط، وكذلك بتاريخ الخط، و ظروف كتابة المخطوط إذا أمكن.

¹ ينظر: - عبد السلام هارون: تحقيق النصوص و نشرها..، ص 38.
- د. صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، دار المخطوطات، دار الكتاب الجديد: بيروت، 1970، ط5، ص 15 و ص 19 و ص 24.

² ينظر: منهج تحقيق المخطوطات، مرجع سابق، ص 12.

3. 3/ الصبر و الأناة وسعة الصدر:

إن المخطوطات؛ بسبب قدم عهدها، وتداولها بين الأيدي ملاك كثيرين، وتناوب أكثر من ناسخ عليها، قد تكون غالبا، مطموسة في بعض كلماتها وجملها، أو مهترئة ممزقة في بعض أوراقها، أو ناقصة في أولها أو آخرها، أو فقد بعض صفحاتها. وكل هذا يتطلب من المحقق، وهو ينوي أن يبعث الحياة في المخطوط شكلا ومضمونا، التحلي بالصبر والجلد وسعة الصدر، وهو يحاول أن يجد الكلمات الضائعة، أو يسعى لتفسير عبارة مغلقة، لا يجد لها أثرا في المراجع التي يلجأ إليها، وقد يمضي وراء ذلك أياما طويلة حتى يصل إلى مبتغاه أو قريبا منه ¹.

ومن مستلزمات الصبر أيضا، الأناة وطول النفس، لأن العجلة تورث السهو والخطأ، والتحقيق بحاجة إلى تدقيق وإعادة التدقيق، والمقارنة و المقابلة، حتى يشعر المحقق أنه وصل إلى الكمال، أو ما هو أقرب إليه ².

3. 4/ الأمانة:

تقتضي الأمانة في التحقيق، أن يبذل المحقق في نص المخطوط، أو يعدل فيه، أو يزيد أو ينقص من متنه، بقصد التصحيح أو التحسين، لأن نص المخطوط أمانة بين يديه أوصلها القدر إليه في غيبة مؤلفه، ولذلك عليه أن يحافظ على هذه الوديعة لأن متن الكتاب أو المخطوط حكم على المؤلف وعلى عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها وقديستها ³.

والأمانة واجبة، لأن المؤلف وحده له الحق في تعديل أو تفسير مؤلفه، وهو إن مضى عن هذه الدنيا، فقد ترك مخطوطه أمانة في أعناق الأجيال، و هو لا يرضى بأن يبدل أحد في خلاصة فكره.

و في جميع الأحوال، إذا ما استدعى الأمر أن يقوم المحقق بتعديل أو زيادة في النص، عليه أن يشير إلى ذلك، ليميز عمله عن عمل المؤلف الأصلي ⁴.

3. 5/ الدراية بفن التحقيق:

¹ ينظر: محاضرات في تحقيق النصوص، مرجع سابق، ص 20.

² ينظر: منهج تحقيق المخطوطات، مرجع سابق، ص 17.

³ ينظر: تحقيق النصوص، مرجع سابق، ص 44.

⁴ ينظر: محاضرات في تحقيق، مرجع سابق، ص 20.

لا يجوز للباحث أن يشرع في تحقيق مخطوط ما، ما لم يكن على دراية بفن تحقيق المخطوطات ومنهجية، كي يضمن إنجاز تحقيق جيد لا شائبة فيه، وكذلك يختصر الوقت والجهد، إذا ما التزم بتلك القواعد والأصول¹.

3. 6/ ثقافة المحقق:

من الضروري أن يكون المحقق على درجة عالية من الثقافة، فقد أثبتت التجارب أن المتخصصين في الدراسات التراثية، إسلامية كانت أم عربية، أم تاريخية، هم أقدر الناس على تحقيق المخطوطات، فلا بد للمحقق من أن يكون ملماً بكل جوانب الثقافة العربية الإسلامية.

و من الضروري للمحقق أن يفيد من مخطوطه ومن حياة مؤلفه، فالمخطوط يرتبط عادة بثقافة العصر، ويساعد المحقق في ذلك أمور أهمها معرفة شيوخ المؤلف، وهذا يفيد في تمثيل روح النص الموجود بين يديه. ذلك أن معرفة شيوخ المؤلف مفصل هام في مكونات العصر الثقافية؛ فكثير من الشيوخ تركوا آثارهم في ثقافة طلابهم، علماً بأن هؤلاء الطلاب قد لا يكونون قد اعتنقوا المذهب الديني أو الثقافي لأساتذتهم.

هذا، و لقد أجمل أبو حاتم بن حبان هذه الصفات بألفاظ عبارة، حين ذكر شروط الاحتجاج برواية الراوي، في مقدمة المسند الصحيح، فكان منها «الصدق في الحديث، والعقل بما يحدث، والعلم بما يحيل من معاني ما يروي»².

¹ ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات، مرجع سابق، ص 11.

² صحيح ابن حبان، ج1، نشر المكتبة السلفية: المدينة المنورة، د.ط، د.ت، ص 112.

جهود علماء الحديث في توثيق المخطوطات

أ.يوسف سرطوط

جامعة الجلفة

الملخص

يرجع الفضل الأكبر في وضع قواعد التوثيق ، والتحري ، والنقد ، لعلماء الحديث النبوي الشريف ، ومجهوداتهم وإن كانت بالدرجة الأولى منصبة على تحري الصحيح من السنة النبوية ، وتمييزها عن السقيم والموضوع - وتجلى ذلك في قرون السلف الثلاثة الأولى - فإن ثروتهم النقدية قد تضخمت لتشمل فيما بعد القرن الرابع الهجري توثيق كتب العلماء ومصنفاتهم عن طريق السماعات والقراءات والإجازات وغيرها .

وهدف هذه المداخلة بيان جهود علماء الحديث النبوي في وضع أسس وقواعد توثيق المخطوط العربي ، وإبراز فضلهم على من أتى بعدهم من مستشرقين وعلماء الغرب وصولاً إلى كبار المحققين العرب في العصر الحديث .

مقدمة : يحق لعلم الحديث النبوي أن يكون أحد وجوه العبقرية الإسلامية ، فهو أحد العلوم المبتكرة من المسلمين على غير مثال سابق ، وهذا بخلاف علوم أخرى : كالفلسفة والطب والرياضيات والفلك فقد اقتبسها المسلمون عن الإغريق والفرس والهنود ، وزادوا عليها بما تفتقت به قرائحهم .

يقول ابن حزم : " نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال ، خص الله به المسلمين دون سائر الملل ، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ، لكن لا يقربون من موسى U قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى U أكثر من ثلاثين عصراً ، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه .

وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى ... وأما أقوال الصحابة والتابعين، فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلا، ولا إلى تابع له، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص "(1).

ولقد تفانى المحدثون في ضبط هذا الفن ، والتعمق في احتمالات الخطأ والسهو والدس والتدليس والاختلاط وغيرها مما يدهش العقول ويحير الألباب ، وجعل الأمم الأخرى تقف مذهولة أمام هذا النظام المحكم الدقيق الذي لا يترك شاردة ولا واردة إلا فحصها ، ولا نقيرا ولا قطميرا إلا كاله ووزنه بميزان الذهب .

وهذا البحث يتوقف عند أحد فروع علوم الحديث ، وهو حفظ كتب العلماء وصيانة مؤلفاتهم عن التحريف والدس والتزوير ، ليتسنى نقلها كما وضعها مصنفوها بلا زيادة ولا نقص جيلا بعد جيل وقرن بعد آخر .

وللإحاطة بجوانب الموضوع المختلفة ارتأيت أن أتعرض له كالتالي :

مقدمة .

المبحث الأول : توثيق المخطوط بطرق التحمل .

المبحث الثاني : توثيق المخطوط بالسماعات والقراءات والمطالعات وأهمية ذلك .

الخاتمة .

الهوامش .

المصادر والمراجع .

فنعول وبالله التوفيق :

المبحث الأول : توثيق المخطوط بطرق التحمل

حصر العلماء طرق الأخذ للحديث وتلقيه عن الرواة بشماني طرق، توسعوا في دراستها وبيان أحكامها، نلخص أصولها فيما يلي:

1- السماع :

وهو الوسيلة التي تلقى الحديث بواسطتها رعايل المحدثين الأوائل عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثم روه بما للناس أيضا. فلا غرو أن يعتبر أعلى مراتب التلقي للحديث، و"أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين" (2) من المحدثين وغيرهم.

والعمدة في هذا القسم على سماع لفظ الشيخ. وذلك قد يكون بمجرد سرده للحديث، وقد يكون إملاء، سواء كان من حفظه أو بالقراءة من كتابه. فكل ذلك سماع عند المحدثين.

2- العرض :

سلك المحدثون هذا الطريق بعد أن انتشر التدوين، وأصبحت كتابة الحديث أمرا شائعا. ومعنى العرض عندهم:

القراءة على الشيخ من حفظ القارئ، أو من كتاب بين يديه. وهو طريق صحيحة في تلقي الحديث، والرواية به سائغة بالإجماع.

لكن اختلفوا هل هو مثل السماع في المرتبة أو دونه أو فوقه.

ويمكن أن نوفق فنقول برجحان العرض فيما إذا كان الطالب ممن يستطيع إدراك الخطأ فيما يقرأ والشيخ حافظ غاية الحفظ ، أما إذا لم يكن الأمر كذلك فالسماع أرجح.

أخرج الحافظ ابن عبد البر (3) عن مالك أنه سئل: " أفيعرض عليك الرجل أحب إليك أو تحدثه ؟ " قال: " بل يعرض إذا كان يثبت في قراءته، فرما غلط الذي يحدث أو ينسى".

وهذا يفيد أنه إذا لم يبلغ هذه المرتبة لا يفضل على السماع .

3- الإجازة :

والإجازة هي إذن المحدث للطالب أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً أو كتباً من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه ، كأن يقول له: أجزتك أو أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري، أو كتاب الإيمان من صحيح مسلم. فيروي عنه بموجب ذلك من غير أن يسمعه منه أو يقرأه عليه.

وقد أجاز الرواية بها جمهور العلماء، من أهل الحديث وغيرهم(4). وقد وجد المصنفون في هذا الفن غموضاً في الاستدلال لجواز الإجازة(5)، لكن يمكن توضيحه بالقول :

إن العلماء اعتمدوا على الإجازة بعدما دَوّن الحديث وكتب في الصحف ، وجمع في التصانيف، ونقلت تلك التصانيف والصحف عن أصحابها بالسند الموثوق ، الذي ينتهي بقراءة النسخة على المؤلف أو مقابلتها بنسخته، فأصبح من العسير على العالم كلما أتاه طالب من طلاب الحديث أن يقرئه الكتاب، فلجئوا إلى الإجازة.

فالإجازة فيها إخبار على سبيل الإجمال بهذا الكتاب أو الكتب أنه من روايته. فتتزل منزلة إخباره بكل الكتاب نظراً لوجود النسخ، فإن دولة الوراقين قد قامت بنشر الكتب بمثل ما تفعله المطابع الآن. ولهذا لا يجوز لمن حمل بالإجازة أن يروي بها إلا بعد أن يصحح نسخته على نسخة المؤلف، أو على نسخة صحيحة مقابلة على نسخة المؤلف، أو نحو ذلك مما نسخ وصحح على النسخ المقابلة المصححة.

وقد ذكروا للإجازة أنواعاً كثيرة، اعتنى القاضي عياض بها في كتاب الإلماع ، وتقصاها بما لم يسبق إليه ، وذكر لها ستة أنواع، ثم جاء ابن الصلاح ولخص كلامه وزاد عليها نوعاً فبلغت سبعة أنواع(6) ، وأعلالها: أن يميز الشيخ لشخص معين كتاباً معيناً أو كتباً معينة حال كونهما عالمين بهذا الكتاب. وهذا النوع يتحقق فيه معنى الأخبار كاملاً قوياً عالياً. لذلك قال العلماء:

"إنما تستحسن الإجازة إذا كان المميز عالماً بما يميز: والمجاز له من أهل العلم، لأنه توسع وترخيص يتأهل له أهل العلم لمسيس حاجتهم إليها"(7).

وقد قوى ذلك ابن عبد البر فقال في جامع بيان العلم وفضله: " تلخيص هذا الباب أن الإجازة لا تجوز إلا لماهر بالصناعة حاذق بها، يعرف كيف يتناولها، ويكون في شيء معين معروف لا يشكل إسناده فهذا هو الصحيح من القول في ذلك "(8).

4- المناولة:

ومعنى المناولة عند المحدثين أن يعطي الشيخ للتلميذ كتاباً أو صحيفة ليرويها عنه.

والأصل فيها ما علقه البخاري في كتاب العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لأمير السرية كتاباً، وقال: لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم" وصله البيهقي والطبراني بسند حسن، واحتج به البخاري(9) على صحة المناولة.... " وهو فقه صحيح" كما قال السهيلي(10) .

والمناولة ثلاثة أنواع :

النوع الأول : المناولة المقرونة بالإجازة مع التمكين من النسخة. وهي أعلى أنواع الإجازة على الإطلاق. مثل: أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه أو نسخة منه، وقد صححها، أو أحاديث من أحاديثه وقد انتهى وكتبها بخطه، أو كتبت عنه فعرفها، فيقول للطالب: هذه روايتي فاروها عني ويدفعها إليه، أو يقول له خذها فانسخها، وقابل بها، ثم اصرفها إلي، وقد أجزت لك أن تحدث بها عني، أو أروها عني. أو يأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ أو بجزء من حديثه فيقف عليه الشيخ ويعرفه ويحقق صحته ويميزه له. فهذا كله عند مالك وجماعة من العلماء بمنزلة السماع(11). وقال عياض: "وهي رواية صحيحة عند معظم الأئمة والمحدثين.... وهو قول كافة أهل النقل والأداء والتحقيق من أهل النظر".

النوع الثاني: المناولة المقرونة بالإجازة من غير تمكين من النسخة: وهذا لا يمتاز في ظاهره عن الإجازة، لكن المشايخ من أهل الحديث يرون له منزلة على الإجازة(12).

ووجه هذه المنزلة أن في المناولة تأكيداً لمعنى الإخبار الذي اشتملت عليه الإجازة وتقوية لأمره.

النوع الثالث: المناولة المجردة عن الإجازة.

وصورة هذا النوع : أن يناوله الكتاب ويقتصر على قوله: "هذا من حديثي أو من سمعاني". ولا يقول له أروه عني أو أجزت لك رويته عني ، أو نحو ذلك.

وهذه مناولة مختلة لا تجوز الرواية بها عند كثير من المحدثين. وذهب البعض إلى جواز الرواية بها لما سيأتي في قسم الإعلام .

5- المكاتبة :

وهي أن يكتب المحدث إلى الطالب شيئاً من حديثه ويبعثه إليه، وهي على نوعين:

النوع الأول: المكاتبة المقرونة بالإجازة.

وهي في الصحة والقوة شبيهة بالمناولة المقرونة بالإجازة.

النوع الثاني: المكاتب المجردة من الإجازة.

والصحيح المشهور بين أهل الحديث هو تجويز الرواية بها، فإنها لا تقل عن الإجازة في إفادة العلم، "وقد استمر عمل السلف فمن بعدهم من المشايخ بالحديث بقولهم: كتب إلي فلان قال: أخبرنا فلان، وأجمعوا على مقتضى هذا التحديث، وعدوه في المسند بغير خلاف يعرف في ذلك. وهو موجود في الأسانيد كثير" (3¹).

6- الإعلام :

وهو إعلام الراوي للطالب أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه من فلان. من غير أن يأذن له في روايته عنه. أي من غير أن يقول: أروه عني، أو أذنت لك في روايته. أو نحو ذلك.

وقد ذهب بعض أئمة الأصول، واختاره ابن الصلاح إلى أنه لا تجوز الرواية بذلك (4¹). لأنه يجوز أن يكون فيه خلل يمنع من روايته عنه.

وذهب كثير من المحدثين والفقهاء والأصوليين إلى جواز الرواية لما تحمله بالإعلام من غير إجازة، ورجحه الرامهرمزي، وقال عياض فيه "صحيح لا يقتضي النظر سواه، لأنه منعه أن لا يحدث بما حدثه لا لعله ولا ريبه في الحديث لا يؤثر؛ لأنه قد حدثه فهو شيء لا يرجع فيه" (5¹).

ووجه هذا: أن التحمل قد صح بالإجازة لما فيها من إخبار على سبيل الإجمال. والإعلام فيه نفس المعنى، بل هو أقوى، حيث أشار إلى الكتاب بعينه وقال: هذا سماعي من فلان.

7- الوصية:

الوصية وسيلة ضعيفة من طرق التحمل، وهي: أن يوصي المحدث لشخص أن تدفع له كتبه عند موته أو سفره.

وقد رخص بعض العلماء من السلف للموصى له أن يروي عن الموصي بموجب تلك الوصية، لأن في دفعها له نوعاً من الإذن وشبهها من العرض والمناولة، وهو قريب من الإعلام (6¹).

لكن خالف في ذلك ابن الصلاح، وباعد جدا بين الوصية وبين الإعلام، وأنكر ذلك على من قاله، وقال : "هذا بعيد، وهو إما زلة عالم أو متأول على أنه أراد الرواية على سبيل الوجادة التي يأتي شرحها"⁽¹⁷⁾.

وهو -فيما نرى- قول سديد قوي، فإن الوصية إنما تفيد تمليك النسخة فهي كالبيع، وذلك أمر آخر غير الأخبار بمضمونها.

8- الوجادة :

الوجادة⁽¹⁸⁾ هي: أن يجد المرء حديثا أو كتابا بخط شخص بإسناده. فله أن يروي عنه على سبيل الحكاية فيقول: "وجدت فلان حدثنا فلان....". وله أن يقول: قال فلان" إذا لم يكن فيه تدليس يوهم اللقي.

أما روايته بـ "حدثنا" أو "أخبرنا" أو نحو ذلك مما يدل على اتصال السند فلا يجوز إطلاقا، ولا يعلم عن أحد يقتدى به من أهل العلم فعل ذلك، ولا يعده مع المسند، أي المتصل الإسناد.

ثم اختلف أئمة الحديث والفقهاء والأصول بما وجد من الحديث بالخط المحقق لإمام، أو أصل من أصول ثقة مع اتفاقهم على منع النقل والرواية بحدثنا أو أخبرنا أو نحوهما:

فمعظم المحدثين والفقهاء من المالكية وغيرهم لا يرون العمل به. وحكي عن الشافعي جواز العمل به، وقالت به طائفة من نظار أصحابه ومن أرباب التحقيق⁽¹⁹⁾. وهذا هو الراجح الذي يدل عليه الدليل، لأننا مكلفون شرعا أن نعمل بما يثبت لدينا صحته، وإذا ثبتت صحة الكتاب الذي وجدناه وجب العمل به، لا سيما وقد أصبحت الضرورة تحت ذلك، وفي الأعصار المتأخرة، فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول، لتعذر شرط الرواية فيها".

وفي هذه المسألة طرافة يجب التنبيه إليها، وهي الفرق بين صحة الرواية وبين وجوب العمل، فلا تصح الرواية بالوجادة للكتاب أي لا يصح أن يقول: أخبرني فلان، أو حدثني أو غير ذلك لعدم وجود طريقة التحمل التي تسمح بذلك، لكن يجب العمل بمضمونه عند حصول الثقة بنسبة الكتاب إلى صاحبه، لأن ذلك هو الذي يوجب العمل ...

وقد قال بمثل ذلك من منع الرواية بالإعلام.

ومن هنا فإننا نستطيع القول بأن الدكتور صبحي الصالح قد تسامح حيث قال⁽²⁰⁾: "بل لقد أمسى المتأخرون لا يجدون حاجة للرحلة ولا لتحمل مشاقها مذ أصبح حقا لهم ولغيرهم أن يرووا كل ما يجدون

من الكتب والمخطوطات سواء ألقوا أصحابها أم لم يلقوهم"، فهذا القول بإطلاقه لم يحرر حكم الإجابة، لأن الرواية بما علمت لا تعتبر صحيحة متصلة السند إلى أصحابها. لكن يجب العمل بمضمونها إذا حصلت الثقة به، وذلك بملاحظة توفر الشروط المقررة في تحقيق المخطوطات.

المبحث الثاني : توثيق المخطوط بالسماعات والقراءات والمطالعات وأهمية ذلك

أولاً : توثيق المخطوط بالسماعات والقراءات والمطالعات

اعتنى العلماء -وأهل الحديث خاصة - بضبط مصنفاتهم ، والتحري في نقلها ، واستخدمت مجالس التحديث وسائل لهذا الضبط ؛ ببيان من قرئ الكتاب عليه أو تلقى منه ، ومن تولى ضبط ذلك المجلس ، ومن شارك فيه ، ومن تولى القراءة ، وأين كان ذلك ومتى ، وما القدر المقروء أو المسموع ، وهل شارك الجميع في هذا القدر ، وختم الكتاب ، وتبين اسم الناسخ وسنة النسخ، إلى غير ذلك مما يعد وثيقة تاريخية⁽¹⁾ .

ولا بد لنا أن نوضح بعض العبارات التي تصادفنا في المخطوط منها :

1. المسمّع أو المسمّع :

و هو الشيخ ، يُسمِعُهُ القارئ أصله الذي يرويه ليحيزه لسامعيه فهو مسمع و الغاية من إسماعه إقراره لما يسمع إما حالاً أو فعلاً فيعتدّ به بعد ذلك إجازة منه ليتحمّله عنه السامعون ، ويحق لهم روايته بعد ذلك، كما يستعمل بلفظ اسم الفاعل (المسمّع أو المسمّع) بمعنى أنّه يسمعهم حديثه، إذا كان قارئاً أو مجيزاً لهم سماعه و روايته.

2 قارئ الأصل :

و هو الذي يتولى قراءة الكتاب الذي يُراد تحمّله من الشيخ بعرضه عليه ، ويُقدّم في القراءة عادة أتقنهم ، وقد يكون من أقران الشيخ أو من تلاميذه المتقدمين ، وقد يشترك في القراءة أكثر من شخص في مجلس أو مجالس.

3 كاتب السماع :

وهو الذي يتولى تدوين ما تمّ في المجلس و قد يكون هو القارئ على الشيخ أو غيره و يدون فيه ما يلي:
1/ من سَمِعَ الأصل عليه أو قُرئ ، فيذكره بألقابه العلمية و كُنيتيه و اسمه و نسبه و قد يكون واحداً أو أكثر

- 2/ سند الشيخ المستمع للأصل المسموع منه.
- 3/ من شارك في مجلس السماع سواء كان ذلك سماعاً أو حضوراً أو إحضاراً.
- 4/ تاريخه.
- 5/ مكانه .

- 6/ قد يعقب على السماع بقولهم : صحّ ذلك و ثبت في ...
- 7/ قد يكون هذا التعقيب بخط الشيخ وتوقيعه كالشهادة.

و قد اشترط المحدثون شروطاً في كاتب السماع و هي:

- أ/ الأهلية : بأن يكون موثقاً به غير مجهول الخط.
- ب/ التحري و الدقة : ببيان السامع و المسموع منه بلفظ غير محتمل فإن كان مثبت السماع غير حاضر في جميعه لكن أثبتته معتمداً على إخبار من يثق بخبره من حاضريه فلا بأس بذلك.
- ج/ الأمانة : و ذلك بأن يكون أميناً فيما يُثبت من الأسماء فيحذر إسقاط أو إضافة اسم لغرض فاسد⁽²⁾

4/ القراءة : وقد تُثبت في حاشية أول ورقة من الكتاب التي تحمل عنوانه ، أو فوق سطر التسمية، أو على ظهر الكتاب ، أو في نهاية النص وهو الأغلب⁽³⁾ ، و ترد صيغتها (بلغ قراءة) أو (قرئت) و قد تشفع بمكان القراءة و تاريخها و قد يطلق على القراءة (العرض) ذلك أن القارئ يعرض ما يقرؤه على الشيخ كما يعرض القرآن الكريم على القارئ⁽⁴⁾.

5. المطالعة :

ويطلق عليها النظر فتعني أن يطالع عالم أو متعلّم أو قارئ في الكتاب بقصد الاستفادة منه أو المذاكرة فيه.

وتقييدها يفيد أن عالماً طالع نسخة الكتاب خارج الدرس لينقل عنها معلومات ليستعملها في بحثه أو تدريسه .

وعادة تبدأ المطالعات بالعبارات الآتية : (طالعه العبد..) أو (طالع فيه العبد..) أو (نظر فيه فلان بن فلان..) وهكذا .

وفي العادة فإنهم يضعون دوائر بين الأخبار تفصل بينها ؛ فمتى ينتهي مجلس السماع يضع طالب العلم نقطة في داخل دائرة دليلاً على السماع أو العرض أو المقابلة (25).

ثانياً : أهمية السماعات والقراءات في توثيق المخطوطات :

اهتم العلماء بالسماعات والقراءات لما لها من فوائد توثيقية قيمة تضبط الأصول وتصونها من أيدي العابثين ، ونزوات المتطفلين ، وتحيطها بسياج دقيق من الضوابط المختلفة .

فالتزامها بأصول الرواية والتحمل ، واشتراط الأخذ فيها طبقة عن طبقة ، برجال معروفين بالحديث ونقله ، لم يترك فرصة لمتحل ، أو مدع أن يدعي ما ليس له ، فكتب التراجم والتواريخ والطبقات ضبطت لنا تاريخ هؤلاء الرجال ، وأحوالهم وشيوخهم وتلامذتهم ، وولادتهم ، ووفياتهم ، ومكانتهم من العلم ، ومن حاول أن يندس بينهم انكشف حاله وظهر ، فلم يخفى عليهم .

كما قامت كتب التراجم والطبقات والتواريخ بضبط هذه السماعات والقراءات ، فعرفت المصنفات ومصنفوها ، ولم يتمكن أحد من أن يدس كتاباً متحلاً ، ومن حاول ذلك انكشف أمره ؛ فلم يستطع أحد أن ينسب كتاباً اختلقه لأحد من العلماء المتقدمين ، إلا وظهر تزويره ، وإن وضعه لم يجرؤ على التصريح باسمه ، فبقي الكتاب مبتور النسب ، مجهول الأصل ، ومن ذلك تفسير القرآن المنسوب للصحابي الجليل : عبد الله بن عباس ؓ

ومن الفوائد التي تحققها هذه السماعات والقراءات ما يلي :

01 - توثيق هذه المصادر وربط الفروع منها بالأصول ، وصيانتها وضبطها ، ومعرفة الصحيح منها والمتحل .

02 - تعد هذه السماعات والقراءات من الأدلة على عناية الأمة الإسلامية بمصادرها ، والدقة في نقلها ، وذلك نتيجة قراءة ومقابلة وضبط وتحر في النقل ، وتحقيق لوعده الله سبحانه بحفظ هذا الدين .

03 - تشتمل هذه السماعات والقراءات على فوائد علمية ثانوية ، مفيدة في معرفة رحلة العلماء وتلقيهم العلم ؛ ذلك أن كاتب السماع في أحيان كثيرة يسجل تفاصيل دقيقة عن الحاضرين في مجالس القراءة والسماع من علماء وأعيان وطلبة ، وبعض الحوارات بينهم ، مما يبين الجو العلمي السائد فيها ، ويعين على تصور الحركة العلمية في ذلك الوقت ، وفي تلك البلاد (26).

04 - هذه القيود المختلفة جعلت من الصعوبة بمكان أن يأتي شخص فيدعي سماع أصل ، أو روايته بحق الإجازة دون أن يكون في تلك السماعات ما يثبت هذا الحق ، وإذا ما أراد أن يقحم نفسه في زمريهم ، انكشف وافتضح أمره⁽²⁷⁾ .

خاتمة :

لقد كان لعلماء الحديث أكبر الفضل في الجهود التي بذلت في وضع أسس وقواعد الاحتياط ، والتثبت والتنقيب عن أحوال الرجال ، وكل ما يتصل بهم ، وعن الأحاديث وكل ما يعرض لها ، من وهم أو تصحيف ، واستطاعوا بتلك الجهود الضخمة أن يوجدوا الأساس والقاعدة الصلبة في توثيق المصنفات والمؤلفات فغدت مجهوداتهم المرجع الأصيل لمن جاء بعدهم من المحققين في التراث العربي والإسلامي من العرب والعجم والمستشرقين .

إن هذا العلم الفريد ، والذي أصبح مفخرة من مفاخر الإسلام ، اعترف بفضلله ودقته ومثاقفه النقدية - في معايير المقاييس العلمية - الأعداء قبل الأصدقاء ، واعتمد المؤرخون والباحثون المعاصرون من المستشرقين وغيرهم على قواعده في تقصي الحقائق ، ونقد الوثائق التاريخية .

لقد كانت أعمال المحدثين النقدية خير علاج لصيانة كتب العلماء : من مفسرين وفقهاء ومؤرخين وأدباء وغيرهم عبر الأجيال والعصور ، في فترة لم تعرف فيها المطابع ، وانتشار الكتب مما يحول دون العبث أو التحريف والتزوير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الهوامش :

(1) : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى : 1417 هـ ، 2 / 604 ، 605 .

(2) : الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع : عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل ، المحقق : السيد أحمد صقر ، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس ، الطبعة الأولى : 1379 هـ - 1970 م ، ص 69 .

(3) : جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى : 1414 هـ - 1994 م ، 2: 178. وانظر تفصيل كلمة مالك هذه في الإلماع : ص 74. وانظر للتوسع المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمي الفارسي ، المحقق : د. محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة : 1404 هـ ، ص 420 ، و الكفاية في علم الرواية : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ، المحقق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية - المدينة المنورة ، ص 274 وما بعدها.

(4) : انظر الإلماع : ص 89 ، و اختصار علوم الحديث : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة. ص 119.

(5) : معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، المحقق : نور الدين عتر ، دار الفكر - سوريا ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، 1406 هـ - 1986 م ، ص 135-136.

(6) : نوجزها فيما يلي:

آ- أن يجيز الشيخ لشخص معين أو أشخاص بأعيانهم كتابا يسميه أو كتباً يسميها لهم وهي جائزة عند الجمهور.

ب- الإجازة من معين في غير معين مثل أن يقول : " أجزت لك أن تروى عني ما أرويه "، وهي مما يجوزهُ الجمهور.

ج- الإجازة العامة كأن يقول، " أجزت للمسلمين أو للموجودين ".

د- الإجازة للمجهول أو بالجهول ، وهي فاسدة .

هـ- الإجازة للمعدوم كالإجازة للحمل في بطن أمه وهي غير صحيحة أيضاً.

و - إجازة ما لم يسمعه المجيز كأن يقول: " أجزت لك أن تروي عني ما سأسمعه " والصحيح بطلانها، كما نص القاضي عياض وابن الصلاح وغيرهما.

ز- إجازة المجاز مثل أن يقول: " أجزت لك إجازاتي "، وهي جائزة. انتهى ملخصا بإيجاز شديد من مقدمة ابن الصلاح : ص 134-144. وانظر التفصيل الوافي في كتاب الإلماع : ص 87-170.

(7) : مقدمة ابن الصلاح : 145، وهذا أقره المصنفون كافة.

(8) : جامع بيان العلم وفضله : 180/1 .

(9) : التدريب: ص 268 وانظر : الإلماع : ص 81.

(10) : في : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، المحقق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى : 1421هـ/ 2000م ، 59/2. وانظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة السابعة : 1323 هـ ، 217 /1 .

(11) : الإلماع : ص 79.

(12) : الإلماع : ص 83.

(13) : الإلماع : ص 86. وانظر: الكفاية : ص 345.

(14) : مقدمة ابن الصلاح : ص 156. والإلماع : ص 110.

(15) : الإلماع : ص 110. وانظر الكفاية: ص 348. والتدريب : 279 /1 - 280.

(16) : الإلماع : ص 115. وانظر فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، المحقق : علي حسين علي ، مكتبة السنة - مصر ، الطبعة الأولى : 1424هـ - 2003م ، ص 232 .

(17) : مقدمة ابن الصلاح : ص 157 .

(18) : الوجادة مصدر لـ"وجد يجد" مولد غير مسموع من العرب.

(19) : الإلماع : ص 117. وفتح المغيث: ص 235. و توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار : محمد بن إسماعيل الصنعاني، المعروف بالأمير ، المحقق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى : 1417هـ/1997م ، 348 /2 وغيرها.

(20) : في كتاب علوم الحديث ومصطلحه : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثامنة : 1411هـ ، ص 87 .

(21) : أنماط التوثيق في المخطوط العربي : د. عابد بن سليمان المشوخي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية ، 1414هـ - 1994م ، ص 82 .

(22) : مقدمة ابن الصلاح: 182 ، 183 .

(23) : أنماط التوثيق في المخطوط العربي : ص 92 .

(24) : المرجع السابق : ص 95 .

(25) : المرجع السابق : ص 96 .

(26) : تاريخ ابن معين (رواية الدوري) : أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي ، المحقق : د. أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى : 1399 - 1979م ، 510/4 .

(27) : قد يصلح مثالا لذلك : ما ادعاه أبو الحسن المقرئ من رواية كتابي : الكنى لمسلم ، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ، فغيّر السماعات عليهما ، وادعى روايتهما بمجرد تملكه للكتابين

المصادر والمراجع :

01 - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة السابعة : 1323 هـ .

02 - اختصار علوم الحديث : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة.

03 - الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع : عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل ، المحقق : السيد أحمد صقر ، دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس ، الطبعة الأولى : 1379هـ - 1970م .

04 - أنماط التوثيق في المخطوط العربي : د. عابد بن سليمان المشوخي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية ، 1414هـ - 1994م .

05 - تاريخ ابن معين (رواية الدوري) : أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي ، المحقق : د. أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى : 1399 - 1979م .

06 - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طبية للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى : 1417هـ

07 - توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار : محمد بن إسماعيل الصنعاني ، المعروف بالأمير ، المحقق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى : 1417هـ/1997م .

08 - جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى : 1414 هـ - 1994م .

09 - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، المحقق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى : 1421هـ/2000م

10 - علوم الحديث ومصطلحه : د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثامنة : 1411هـ .

11 - فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي : شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ، المحقق : علي حسين علي ، مكتبة السنة - مصر ، الطبعة الأولى : 1424هـ - 2003م .

12 - الكفاية في علم الرواية : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ، المحقق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية - المدينة المنورة

13 - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي
الفارسي ، المحقق : د. محمد عجّاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة : 1404هـ .

14 - معرفة أنواع علوم الحديث ، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو،
تقي الدين المعروف بابن الصلاح ، المحقق : نور الدين عتر ، دار الفكر - سوريا ، دار الفكر المعاصر
- بيروت ، 1406هـ - 1986م

فن صناعة المخطوط الفارسي

أ. حمزة حاجي

جامعة الجزائر

التراث الإنساني ليس ملكاً لأحد، والتقاء الحضارات وتبادل الثقافات معروف مشهور، والتأثير والتأثر بين الشعوب حتم لازم. وحضارتنا العربية الإسلامية واحدة من تلك الحضارات الإنسانية الشاخنة، وهي حضارة عريقة، ممتدة الجذور وقد جلاها وكشفها ونمّها الإسلام، حين بزغ فجره على الجزيرة العربية، ثم امتدت فتوحاته وكان من بين هذه الفتوحات فتح بلاد فارس التي امتزجت حضارتها بالحضارة الإسلامية. فالفرس أمة قديمة ذات حضارة عريقة لها سماتها المستمدة من التقاليد الدينية والاجتماعية. وقد كانت قوة من إحدى قوى العالم القديم؛ اللتان تسيطران على العالم القديم، الفرس و اليونان ثم الرومان بعد ذلك.

استمر الدور البارز لأمة الفرس بعد الإسلام في جميع المجالات: السياسية، الثقافية والاجتماعية في الدولة الإسلامية الناشئة، وعلى الرغم من خضوعها لحكم المسلمين فقد تأثر الفن الإسلامي بالفن الفارسي خاصة في نشأته الأولى.

وبالرغم من عملية ازدهار الفنون الإيرانية⁽¹⁾ في مختلف المجالات في العصر الإسلامي إلا أنه لم يصلنا من فن صناعة⁽²⁾ المخطوط الفارسي نماذج تدل على الازدهار قبل نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي، إلا أن الشواهد تشير إلى التواصل الحضاري - محاكاة - في فن صناعة المخطوط الإيراني للتقاليد الفنية المصرية؛ وذلك بحمل الفرس لواء تطوير فن صناعة المخطوط الإسلامي منذ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، على أيدي مجلدي مجمع الفنون في هراة، واستمر التطوير بتحسين الأساليب القديمة تارة واستخدام أساليب جديدة تارة أخرى في صناعة المخطوط عامة و في التجليد خاصة.

يعتمد فن تجليد المخطوطات الفارسية على مجموعة من الأدوات هذه الأدوات ساهمت مساهمة فاعلة في عملية زخرفة المخطوطات الفارسية وكل هذا وفق نمط إسلامي مطور عن الحضارة الفارسية، حيث اعتبروها امتداد لأفكارهم ومساهمة في عملية تطوير فن صناعة المخطوط الفارسي الإسلامي.

الخط الفارسي:

عرفت البدايات الأولى للهجرة النبوية الشريفة سيادة للخط الكوفي⁽³⁾ حيث كان كل مستخدم في تدوين القرآن الكريم وكافة المكاتبات الهامة أي أنه الخط الرسمي المستعمل في البلاد الإسلامية، بينما كان

الخط النسخي⁽⁴⁾ يستخدم في قضاء الحاجات و تيسيرها بين الناس أي أنه كان خطأً شعبياً و ذلك لسهولة كتابته بالمقارنة بالخط الكوفي مما أدى إلى سهولة نسخ الكتب ، لذا فقد سمي نسخي .

و قد ظهرت بالتدرج منذ القرن الرابع الهجري الموافق العاشر ميلادي ستة أنواع أخرى من الخطوط مشتقة من الخط الكوفي و الخط النسخي ، و قد عرفت هذه الخطوط باسم الأقلام الستة و هي : خط الرقاع⁽⁵⁾ ، خط التوقيع⁽⁶⁾ ، خط النسخ الجديد⁽⁷⁾ ، الخط الريحاني⁽⁸⁾ ، الخط المحقق⁽⁹⁾ و خط الثلث⁽¹⁰⁾ .

و ظل الأمر على حاله من حيث استخدام الخطوط السابقة الذكر حتى نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي و نظراً لأن هذه الخطوط السابقة لم تكن في المستوى المناسب كنتاج في متميز فقد ظهر نوع آخر جديد من الخطوط عرف باسم خط التعليق الذي يعرف بالخط الفارسي⁽¹¹⁾ ، و الذي يتميز بميل حروفه من اليمين إلى اليسار في اتجاهاتها من أعلى إلى أسفل و حروف النون مفتاح خط التعليق لأنك إن أتقنته أتقنت باقي الحروف لأن القاعدة فيه أن تأخذ أولاً بسن القلم ليتحول إلى صدره ثم لينتهي به مرة أخرى .

و قد استخدم خط التوقيع على نطاق واسع في كتابة المخطوطات الفارسية و تطور بعد ما يقرب من مرور قرن من الزمان إلى ما يعرف بالشكسته بسبب شدة ميل حروفه . و قد استخدم الإيرانيون هذا الخط في كتابة الخطابات و الفرمانات و سمي بخط "الشكسته تعليق" و قد عرف الأتراك هذا الخط عن الفرس باسم "قرمة تعليق" و هو بنفس المعنى أي الخط شديد الميل.

و على الرغم من تعدد الخطوط في إيران إلا أنها كانت تستخدم لإيضاح الجوانب الزخرفية أو إظهار القدرة الفائقة على الإبداع الفني و يمكن القول بأن هذه الخطوط قد انتشرت خارج إيران مثل خط الطغراء المعمول و خط الككزار و خط الزره و خط زلف العروس . و لكن لما كانت هذه الخطوط بلا أصول فنية تحكمها فإنها تلاشت و قل استخدامها بالتدرج.

والجدير بالذكر أن الخط النسخي و خط الثلث ما زالوا يستخدمان حتى اليوم في إيران بنفس الأسلوب الذي استخدم به منذ ألف عام و هو ما يسبب مشكلة في تأريخ المخطوطات الفارسية بالإعتماد على الخط بسبب ثبات قواعد الخطين ، و لقد لقي الخط النسخي و الأقلام مشتقة منه عناية فائقة منذ عصر السلاجقة الذين أبرزوه و جعلوا له المكانة الأولى في كتاباتهم بعد أن كانت قبلهم للخط الكوفي.

و على أية حال فإنه يمكن القول بأن أنواع الخطوط التي بقيت بإيران و استخدمت في كافة الأمور على نطاق واسع هي الخط " الكوفي ، النسخ القديم ، الريحاني ، الثلث ، النسخ الجديد ، الرقاع ، التعليق ، الشكسته تعليق ، النستعليق " .

قد شاع استخدام الخطاطون للأقلام الفارسية في البلاد الأخرى بسبب شهرة هذا النوع من الأقلام القصبية الصلبة . و قد اعتاد الخطاط المسلم على استخدام مسند " لوح صغير " للتحكم في الكتابة لإنتاج خط جيد⁽¹²⁾ .

و تميز المخطوطات الفارسية بتنوع استخدام الخطوط في ما بين المتن و الحاشية و العناوين حيث غلب استخدام الخط الكوفي الزخرفي الذي حسن ونمق وزين⁽¹³⁾ للعناوين وخط "النستعليق" و "الرقاع" للمتن بينما ساد استخدام خط "نستعليق" المائل أو الغبار لكاتبة الحواشي . و كان الفرس يكتبون بأقلام تؤخذ من المستقيمة و المستديرة نسباً مختلفة. فما كان فيه من الخطوط المستقيمة ما يوازي ما فيه من الخطوط المستديرة سمي قلم النصف، فإذا كان الذي فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمي قلم الثلث. وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمي قلم الثلثين، فعلى هذا تترتب الأقلام⁽¹⁴⁾ تتخذ من أعواد القصب الجيد الذي ينبت في بلاد فارس حول بحر قزوين و يتميز بصلابته و استقامته مع نعومة و لمعان سطحه الخارجي و هو ذو لون أبيض مشرب بصفرة استخدام في الكتابة منذ القدم و حتى الآن .

وعلى الرغم من تطور الخطوط و تنوعها في فارس إلا أن المصاحف قد كتبت بالخط النسخي المحقق فقط مع كتابة عناوين السور بالخط الكوفي أو الخط الثلث و قليلاً ما كانت تكتب المصاحب الفارسية بخط "النستعليق" أو خط الثلث أو الريحاني أو الرقعة⁽¹⁵⁾ .

زخرفة صفحات المخطوط :

اعتمدت زخرفة صفحات المخطوطات الفارسية على طرق عديدة وصل الفنان الفارسي في إتقانها إلى القمة و من أهم الطرق التي شاع استخدامها: (التذهيب ، الترصيع ، التشعير ، التحرير ، التحليل ، الرش ، المركب اللون ، القطاعي) .

سوف نتناول كل طريقة على حده :

1-الترصيع: و تستخدم في زخارف ملونة بألوان أخرى بجانب الزخارف المذهبة و تستخدم بعض المواد الأخرى في التصوير و الرسم جنباً إلى جنب ويعرف ذلك بالترصيع و فيه مواد هي الزئبق واللزورد والسبيداج و الزنجار " أكسيد النحاس " و الزعفران.⁽¹⁶⁾

و قد كان من الممكن أن يكون المرصع مذهبا ولكن لا يكون المذهب مرصعا لعلو مقام المذهب على المرصع بل وعلى المصور كذلك⁽¹⁷⁾.

2-التشعير: و هو أيضا نوع من التذهيب البسيط في زخرفته و نقوشه المتداخلة التي ربما يخيل للناظر للوهلة الأولى أنها غير منتظمة الشكل و لكن ما يلبث بالتدقيق أن يكشف العكس و يستخدم فيها ماء الذهب و ألوان أخرى و في هذه الحالة تصبح الزخرفة أقل قيمة .

3-التحرير " التلوين " : يستخدم التحرير بالنسبة لأطراف التصاوير المذهبة أو الكلمات و العبارات المكتوبة بماء الذهب أو بألوان أخرى كالسبيداج مثلا و تسمى الزخرفة المحصورة داخل ذلك التحرير زخرفة محررة . و يستخدم القلم الرفيع لعمل الخطوط الرفيعة جدا باللون الأحمر القاني .

4-التحليل "حل كاري": يتم فيها تلوين الزخارف دون تحديدها مثل رسوم الكائنات الحية ، و تستخدم كذلك في نطاق واسع في تصوير الزخارف النباتية و الزهور و الطيور و الكائنات الأسطورية مثل العنقاء و التنين ، و كان هذا النوع من الزخرفة يستخدم عادة في تزيين حواشي المخطوطات و في الرقاع و في زخرفة الصفحة الأولى و الأخيرة من المخطوطات⁽¹⁸⁾ .

5-الرش "أفشان كرى": عملية الرش تكون على نوعين ، الأول عبارة عن نقاط صغيرة تغطي وجه الصفحة بحيث تكون ذرات الذهب قريبة من بعضها البعض و يطلق على هذا النوع اسم " ذرات الغبار " أما النوع الثاني فترش فيه وجه الصفحة على الورق رشا رقيقا⁽¹⁹⁾ بلون أسود بغير ترتيب ، و عادة ما تستخدم الفضة في هذا النوع إذ يتبدل لونها إلى اللون الأسود بمرور الوقت و هذا اللون الأسود هو لون صدأ الفضة ، لأن الفضة إذا تعرضت للهواء الملوث بالغازات و بخار الماء تتشكل عليها طبقة بيضاء من أكسيد الفضة التي تتفاعل بدورها مع أيونات الكبريت ومولدة لطبقة سوداء من صدأ كبريت الفضة السوداء.

6-المركب اللون "زكانك": هذا النوع من الزخرفة قد نجد فيه استخدام لمركب مكون من بعض الألوان التي تضم الذهب مع الألوان الأخرى في بعض المخطوطات الفارسية بخلاف ما هو متبع من استخدام اللون الأسود مع الذهب⁽²⁰⁾ . كما يعتبر "زاج" أصل في صناعة بعض مواد الكتاب، من الفارسية وهو أكسيد الحديد، ويستعمل في المغرب للصبغة باسم "بارودية" والزاجات الأخرى تسمى

التوتيا زرقاء وله أنواع هي: أبيض وهو القلقنديس، أصفر وهو القلقطار، أخضر وهو القلقنت، أحمر وهو الصوري، وأجوده الأخضر المصري، ثم الأبيض⁽²¹⁾.

7-الطبع "عكاسي": تستخدم فيه نماذج من مادة مقواه ترسم عليها الزخرفة ثم يتم تفريغها من المادة المقواة و توضع فوق الصفحة المراد زخرفتها حتى تصبح الأجزاء التي نزعنا من النموذج الملونة بحسب الشكل المطلوب أما عداها فيبقى كما هو بدون تلوين ، و تتم هذه العملية في العديد من صفحات المخطوط فتصبح متشابهة في الشكل الزخرفي مع اختلاف الألوان المستخدمة في الزخرفة في كل صفحة من التي تليها ، و تتم هذه العملية بالمسح بالقماش أو الإسفنج و لا يصلح الغمس معها .

8-القطع "قطاعي": في هذا النوع من الزخرفة يتم قص الزخرفة المرسومة على الورقة و تلتصق فوق صفحات أخرى ملونة إذا كانت من ورق أبيض أو تلتصق فوق ورق أبيض إذا كانت زخرفة المقصوصة ملونة⁽²²⁾.

9-التذهيب: هو استخدام مادة الذهب في كتابة وتزيين أوائل المخطوطات وأواخرها أو جلودها أو أجزاء منها أو جمعها، ومن الممكن أن يكون الذهب المستعمل في النقوش أو زخارف الجلود على شكل ورق الذهب أو في شكل صفائح الذهب التي توضع على الأدوات (أختام) ساخنة عند الاستخدام، ويمكن أن يستخدم الذهب بعد تريسيه وبعد تعريضه للحرارة. بالإضافة إلى أنه يستخدم في الكتابة، حيث يؤخذ ورق الذهب ويفرك في إناء يحتوي على ماء وعسل وملح يوضع على نار هادئة حتى ييبس ويترك في الإناء مدة من الزمن ثم يكتب به ويطلق على هذه الطريقة "الكتابة بماء الذهب".

وفن التذهيب من فنون الكتابة التي ازدهرت ازدهارا كبيرا على مر عصور المخطوط في شتى أرجاء الدولة الإسلامية. والمصاحف كانت أولى الكتب التي نالت عناية كبير في هذا الفن ومن ثم أخذت بعض كتب علوم الدين الإسلامي و الأدب تذهب على أيدي فنانيين مجردين لهذا الفن ، والمعروف أن الخطاط (أو الناسخ) كان يتم كتابة المخطوط تاركا فيه الفراغ الذي يطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال الهندسية والنباتية المذهبة أو تنقش فيه صور ذات صلة بنصوص معينة في المخطوط وقد لا يكون لبعضها أي صلة قريبة به فيكون الغرض من رسمها تحميل المخطوط فحسب .

ومن الخطاطين من يجيد فن التذهيب مثل "محمد بن أحمد الخليل التبريزي" والذي ينسب إليه مصحف السيدة صفية (أم السلطان محمد خان) وليس غريبا أن يصيب المسلمون عامة والإيرانيون والأتراك خاصة؛ أبعد حدود التوفيق في تحلية الصفحات بالرسوم وتذهيبها فان هذه الفنون تتفق مع ميولهم واستعدادهم، زيادة على ذلك إتقانهم لفن التجليد والذي كان يستخدم الذهب في معظم زخارفه

وذلك باستخدام آلة التذهيب بعد تعريضها للحرارة ويتم بواسطتها ضغط التصميمات الزخرفية المذهبة على ظهر الأغلفة⁽²³⁾.

وصل فن التذهيب إلى درجة عظيمة من الرقي و التقدم على أيدي السلاجقة في فارس والعراق و لا سيما في المصاحف الشريفة التي تميزت بالتزيين و التذهيب بأدق الرسوم و أجملها بالألوان المتعددة الحمراء و الزرقاء و الخضراء بجانب اللون الذهبي كما أضاف المغول استخدام اللون البرتقالي للألوان السابقة بعد قضائهم على سلاجقة إيران و اتخذ اللون الأزرق الداكن مركزا تحيط به الألوان الأخرى .

وقد احتلت مهنة التذهيب المخطوطات المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مهنة الخطاطة كما لقي المذهبون عناية و اهتمام الأمراء و السلاطين باعتبارهم من أهم المشركين في صناعة المخطوط وصارت لهم مكانة رفيعة لا تقل عن مكانة الخطاطين .

وقد أخذ الفرس عن العرب طرق زخرفة مخطوطاتهم بالخط و التذهيب ، كما كان لرغبة الفرس في استخدام الألوان المتعددة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي الأثر الحاسم في تقدم فن التذهيب فيما بعد خاصة في استخدام اللونين الأزرق و الذهبي لتلوين الأرضيات و هما اللونان المفضلان عند الفرس فيما بعد في جميع العصور و لعل ذلك بسبب التأثير بالصينيين الذين كانوا يفضلون الألوان السوداء والزرقاء و حتى الذهبي وربما حتى تأثير مغول إيلخانية فارس على العادات و التقاليد الفارسية

و يمكن الحصول على لون يميل لونه إلى الأصفر أو الأخضر أو الأحمر بدرجاته المختلفة بواسطة إضافة بعض المواد الأخرى مثل إضافة الزنكار (أوكسيد النحاس) أو إضافة معدن الفضة الذي يعثر عليه نقيا أو مخلوطا بمواد أخرى فيتم استخراج الفضة منها ويستخدم الذهب في عمل ماء الذهب وذلك بعد تحويله إلى رقائق رفيعة جدا تشبه الأوراق تسمى ورق الذهب الذي يتم إذابته في عصير الليمون الصافي بدون ماء أو سكر داخل وعاء يفضل أن يكون من الخزف أو الزجاج ثم يضاف إليه الماء العذب النقي وتغسل جوانب الإناء من الداخل لضمان امتزاج الماء و شراب الليمون الممزوج بالذهب و يترك المخلوط لمدة ساعة كاملة حتى يترسب الذهب في قاع الإناء وبعد ذلك يأخذ ما بقي في الإناء و يوضع في مفتلة زجاجية ضيقة القاع مع القليل من القطن⁽²⁴⁾ "الليقة"⁽²⁵⁾ و القليل من الزعفران حتى لا يتغير لون الذهب مع القليل أيضا من ماء الصمغ المحلول ليكسبه القوام المناسب.

و يراعي بعد استخدام ماء الذهب في الزخرفة أو في الكتابة أن يصقل بآلة المصقلة بعد التأكد من تمام جفافه حتى يتم ثباته ثم تحديد الأطراف المذهبة بالخبر بعد ذلك ، كما استخدم الفنان الفارسي التذهيب بلصق أوراق الذهب فوق جلود المخطوطات مباشرة بواسطة آلات ساخنة

أنواع الورق الفارسي :

حظيت صناعة ورق المخطوطات في العصر التيموري⁽²⁶⁾ بمكانة رفيعة حيث زاد الاهتمام بعملية التأليف والنسخ الكتب والعناية بجمال ما تحويه ، فقط وجدت صناعة الورقة عناية فائقة تطورا ملحوظة لم تبلغها من قبل حيث أصبح العديد من المدن الإيرانية مركزا لهذه الصناعة و منتجة لها بوفرة و على الرغم من ذلك فان كمية الورق المنتجة لم تكن كافية لتلبية احتياجات هذه الفترة مما أدى إلى استيراد إيران لكميات كبيرة من الورق من مركز صناعتها في تركستان و الهند و آسيا الصغرى . و لما كانت معظم المخطوطات الفارسية الموجودة الآن هي نتاج فترة زمنية بدأت منذ القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي لذا فقد تعددت أنواع ورق هذه المخطوطات التي ينسب معظمها إلى المدن التي جلب منها مثل الورق الخانبليغ و الخطائي⁽²⁷⁾ و السمرقندي و الأصفهاني و البخاري و الدولت أبادي و البغدادى⁽²⁸⁾ و الكشميري و النيزي و المصري و العادل شاهي و الفستقي والفرنكي الجديد⁽²⁹⁾ .

و جدير بالذكر الإشارة إلى تعرض حواشي بعض صفحات النسخ المخطوطة إلى الضعف والتلف بعد فترة من الزمن كنتيجة حتمية لكثرة عمليات التجليد المتتالية مما يترتب عليه حدوث تمزق في أطراف هذه الصفحات و قد يكون التمزق أو القطع بدرجة كبيرة بحيث تتطلب من المجلد ضرورة عمل حاشية جديدة أو إضافة حواشي جديدة مطلوبة للصفحات .

لذا فقد نجد بعض الاختلاف في نوع الورق المستخدم في المتن و المستخدم في الحاشية بسبب عملية الترميم هذه.

تجليد المخطوطات الفارسية:

أ/التجليد: تجليد الكتب هو فن إتقان طريقة ربط وضم الأغلفة المقواة (المتينة) بواسطة شرائط وحبال إلى ملازم الكتب وذلك لحمايتها وجعلها ملائمة للاستعمال والتداول وخاصة بعد أنحل شكل الكتاب العادي المعروف محل الشكل القديم للمخطوطات والذي كان يشبه الدرج الأسطواني فعندما ينتهي عمل الناسخ والمصور والمذهب يأتي دور المجلد الذي تقع على عاتقه حماية صفحات الكتاب من التلف وإكساب الشكل الخارجي له مظهرًا يتناسب ومحتوياته.و يعتبر عمل المجلد استكمالاً لعمل الخطاط و المذهب والمصور، وكان الجميع يتعاونون تعاوناً كاملاً لإخراج المخطوطات لتبدو فيها الوحدة و الجمال

والفخامة، وكانت العناية بمظهر الكتاب الخارجي عظيمة ليتحقق جماله ومتانته. وفن التجليد من الفنون التي اهتم بها المسلمون منذ بداية عصر تدوين المخطوط وحتى نهاية العصر العثماني ، فقد عني المسلمون بهذا الفن وتفوقوا فيه تفوقا ظهر أثره في صناعة التجليد-بعد ذلك- في أوربا عصور الوسطى.

لقد أخذ العرب أساليب وطرق التجليد عن الأحباش الأقباط ومن ثم نقلوها إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي. وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي، نجد أن صناعة التجليد قد بلغت أوج عزها في إيران، إذ خرج الفنانون على الأساليب الهندسية القديمة ،أبدعوا تركيب الزخارف من المناظر الطبيعية ذات الحيوانات والطيور الحقيقية و الخرافية ووصلوا إلى الإتقان في دقة الرسم و أسلوب الصناعة.⁽³⁰⁾ و قد استخدم المجلد بعض الأدوات المستخدمة في تجليد الكتب و بعض الأدوات التي تستخدم في تزيين الجلود :

ب/ أدوات التجليد :

1-البلاطة الرخامية : لم يعتد صناع الكتب المسلمون استخدام الموائد في العمل فاستخدموا بلاطة من الرخام الجيد من اللون الأبيض أو الأسود أو أي لون آخر و أن يكون وجهها مستويا ناعما ، وهي أهم الأدوات حتى أن الاشيلي يعرفها بأنها قطب صناعة التجليد .

2-المعصرة: و هي آلة ضاغطة " مكبس " تضغط أو تزم بواسطة حبل و قد شاع استخدامها في تجليد المخطوطات في إيران و مصر و خراسان ، وقد تسمى بالملزمة أو التخت . و المعصرة عبارة عن لوحين من الخشب يزمان لبعضهما بعض بحبل يستخدم المجلدون المحدثون مسمارا لولبيا غليظا بدلا من استخدام الحبال .

3-حجر المسن : و يستخدم لسن الأدوات التي تستخدم في قطع الأوراق و تسويتها و يذكر القلقشندي أن حجر المسن نوعين الرمادي الغامق و يسمى رومي و الأخضر و هو على نوعين حجازي و قوسي و الرومي هو الافضل .

4-المقص : يجب أن يكون جيدا و متوازنا و حادا لقطع الجلد و المواد الأخرى .

5-السيف أو السكين ذا الشفرة: لقطع و تسوية صفحات المخطوطات و يكون من الحديد بطول حوالي شبر واحد و يجب أن تملأ يد السيف راحة اليد أما الشفرة فيجب أن تكون حادة جدا .

6-مسطرة الريح : و هي عبارة عن طواء خشبي يستخدم في طرد الهواء من الجلود و كذلك في تمدد و تسطح الجلود لتكسيبها الاستقامة المطلوبة و هذه المسطرة يجب أن تكون سمكية بطول شبر واحد من

خشب السنديان أو البلوط أو تكون أطرافها ذات حواف رفيعة مقارنة بسمك طولها وعرضها حتى إذا ما تم تمريرها فوق الجلد نعمته ، ويجب أن يكون مقبض المسطرة من شجر البلوط لأن شجر الابنوس و خشب البقس تفسد حوافها إذا اصطدمت بحواف الضاغطة أو المكبس كما يستخدم الطواء كذلك في الأغراض المتعددة للتجليد حيث أن طرف الطواء دائري أكثر منه مدبب ما يجعله يشبه فتاحة الخطابات و يستخدم مقبض الطواء عند إعداد ملازم المخطوط للخياطة كأداة يضغط بها فوق الأجزاء التي سوف تحاط ثم يستخدم دق الأجزاء التي تمت خياطتها .

7-القازان : و هو الوعاء الذي يستخدم في إعداد المادة اللاصقة و يسمى كذلك مجمع . الوعاء عادة يكون سميكاً ذو وزن ثقيل يبلغ عادة أربعة إلى ستة أرطال .

8-المخراز : يستخدم في ثقب الورق حتى يمكن أن تمر إبرة الخياطة خلال الثقوب يسميها القلقشندى المنفذ و ينبغي أن يكون المخراز متساوياً في الرفع أو الغلق في أعلاه و أسفله حتى لا تختلف الثقوب في الضيق و السعة عند رأس المخراز و يجب أن يكون رقيقاً لتسهيل عملية الثقب .

9-الإبرة : و هي على نوعين الأولى الإبرة الرفيعة القصيرة المضبوطة و هي التي تستخدم في خياطة الصفحات مع بعضها أما النوع الثاني فهي أغلظ و أقصر و تستخدم في عملية حك الصفحات أي شدّها وتوثيقها مع بعضها مع البعض⁽³¹⁾ .

دفتي المخطوط:

استخدم الفرس الألواح الخشبية كدفوف المخطوطات لحفظ أوراق الرق نظراً لوزنها و صلابتها سمكها المناسب للرق و كانت تتم عملية ضم هذه الدفوف الخشبية على صفحات المخطوط بواسطة رباط أو مشبك . ثم استخدم الفرس الدفوف الورقية المناسبة ، لأن الورق يقلل وزن المخطوط كما يمكن أن يتصل بصفحات المخطوط بحيث تكون الدفوف لصفحات المخطوط كيانا واحداً .

وكانت الدفوف الورقية تصنع بواسطة لصق أرفع الورق الخشن القليل الجودة ببعضها البعض شريطة أن تقل عن ثلاثة طبقات حيث تكون دفاً سميكاً ، أو تصنع بواسطة عمل دفوف سميكاً من معجون الورق " الورق " . و قليل ما كنت تستخدم من دفوف من الخشب الرقيق الخفيف الوزن . و يراعى عدم استخدام المصاحف أو كتب علم الشريعة في عمل دفوف المخطوطات

دفوف المخطوطات هي أهم الأجزاء المضافة لصفحات المخطوط في المحافظة على الصفحات و جعلها كتلة واحدة متماسكة عن طريق لصق هذه الدفوف بكعوب المخطوطات بواسطة وصلات ، و ذلك

عن طريق لصقها بصفحات تضاف إلى بداية و نهاية صفحات المخطوط حتى يتماسك المخطوط و يتصل ببعضه البعض⁽³²⁾ .

لسان المخطوط:

تتماز المخطوطات الإسلامية عامة بوجود امتداد يبرز في دفعة المخطوط السفلي و يتصل هذا الامتداد بدفعة الكتاب عن طريق رباط بنفس حجم الكتاب و هذا الامتداد الخماسي الإضلاع هو ما يسمى بلسان المخطوط . و في حالة عدم قراءة المخطوط فان اللسان يثنى تحت الجلفة العليا للمخطوط ، هذا و يعتبر أن لسان المخطوط الإسلامي ليس ابتكارا إسلاميا استنادا إلى العثور في مدينة نجع حمادي المصرية على مخطوطات و غنوسية ترجع إلى القرن الرابع الميلادي و في أحد هذه المخطوطات يوجد شريط طويل من الجلد مثبت في لسان و بذلك يمكن ضم الكتب إلى بعضه البعض و ربطه ليكتسب الحماية أثناء التنقل و السفر . و يرى "انتاجهاوزن" أن الشريط الجلدي قد استغني عنه بعد ذلك لعدم جماله ن وبالتالي فقد أصبح اللسان غير ضروري و من ثم تم الاستغناء عنه هو الآخر و أن المسلمين احتفظوا باللسان بسبب تقديسهم للقرآن الكريم على الرغم من أن اللسان قد أصبح شكلا فنيا ولا وظيفة له . و قد جعل الفنان المسلم اللسان من الجهة اليسرى بدل وجوده في الجهة اليمنى في المخطوطات القبطية ، كما جعل حجمه يبلغ ثلث الجلفة في أوله و نهايته و يتسع في السوط حتى ينطبق مركزه على مركز صفحة الجلد مكونا خطا منكسرا يمتد من ثلث سطح الصحيفة الجلدية من جهتيها إلى مركزها . و قد اهتم الفرس بزخرفة ألسنة المخطوطات كعنايتهم بالجزء الخارجي منها⁽³³⁾ .

أهم المخطوطات الفارسية:

خلق الاحتكاك ، لذي ظهر بين المسلمين و مغول فارس مجموعة من الرسوم والفنون الدقيقة والتي نالت إعجاب الشرق و الغرب لما لها من مزايا فنية ودقة وإتقان صنعة تحمل مزيجا من التأثيرات الصينية و الإسلامية ، وظهرت الزخارف الإسلامية في فن المغول ولا سيما الأرييسك، ورغم بقاء المدرسة العربية في إيران في العصر المغولي ، فقد ظهرت مدرسة جديدة ذات أسلوب و طراز متميز يجمع بين الطابع المغولي و الصيني و الإسلامي ، وعرفت باسم المدرسة المغولية؛ وأهم ما اهتمت به تصوير الحروب و الصراعات التي تظهر الفروسية و الشجاعة وحركات الكر والفر بجانب الصور الحيوانية والنباتية، فلعل من أجمل المخطوطات المصورة في المغولية "كتاب منافع الحيوان" لابن بختيشوع (المحفظة في مجموعة مورجان بنيويورك). وكذا كتاب "كليلة ودمنة" وجاء في مخطوطتين جمعتا في مرقعة للشاه طهماسب (المحفوظ في مكتبة جامعة أسطنبول) ، وضممتا الكثير من الرسوم والصور الحيوانية والنباتية في العصر المغولي⁽³⁴⁾ . والمخطوط الفارسي لرشيد الدين فضل الله الهمداني بعنوان "جامع التواريخ" ، وكتاب "غازان خان"⁽³⁵⁾ .

خصائص المخطوط الفارسي:

يعتبر فن صناعة المخطوط الفارسي فنا متكاملا بأدوات إبداعه وبلغته و مصطلحاته. كما يعتبر تجميع كل النصوص إسهام كبير في تركيز علم صناعة المخطوط الفارسي الإسلامي (المغولي، الأيلخاني)⁽³⁶⁾، (التيموري) إذ سجل تطورا صناعيا يرتبط ويتمشى وصناعة المخطوط نفسه في نفس العصر.

إن البيانات العلمية ستساعد الباحثين على معرفة ما يتصل بالورق وخصائصه المتنوعة في المخطوط الفارسي فهو يمثل خصوصية التراث الإسلامي والعربي.

امتاز التجليد الفارسي باستخدام العناصر الحيوانية الطبيعية و الخرافية و كذلك الآدمية في زخرفة الجلود وهذا ما لم ينقله الأتراك عن الفرس على الرغم من تأثرهم التام حتى أن الجلود التركيبية يطلق عليها فن التجليد الإيراني التركي ، و يرجع ذلك إلى أن الأتراك و هم سنة كانوا يكرهون تصوير ما يضاهي خلق الله .

استمدت تقاليد التجليد الفارسي و الإسلامي أصولها من التجليد القبطي مما جعلها متشابهة في الديار الإسلامية شرقا وغربا إلى حد بعيد حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي واستمر هذا التشابه بعد ذلك بسبب تأثر العالم الإسلامي بتقاليد التجليد الفارسي خاصة بعد الفتح العثماني للعالم الإسلامي حيث نقل الأتراك كل ما تعلموه من الفرس إلى هذه البلاد .

قد شاع استخدام الأحرف العربية في زخرفة الجلود و ذلك التذهيب بماء الذهب أو الرقائق الذهبية .

تمتاز جلود المصاحف الفارسية بطراز زخرفي قوامه تقسيم سطح الجلدة إلى متن و حاشية ، أما المتن فأساس زخرفته سرّة كبيرة مملوءة بالزخارف النباتية المحورة أو استخدام هذه الزخارف كأرضية للزخارف الآدمية الحيوانية الطبيعية منها و المحور ، أما الحاشية فكانت تزخرف لأجزاء من نفس أجزاء زخارف المتن .

كما أن وجود لسان للمخطوط و هي صفة عامة مميزة للجلود الإسلامية و هو مثلث الشكل معلق بالجلدة السفلى بواسطة رباط يمكن لسانه من أن يثني أسفل الجلدة العليا للمخطوط لحماية أطراف الكتابة من التلف و الثني و القذارة . و في حالة عدم القراءة يستخدم كفاصم بين ما تم قراءته و ما لم يقرأ بعد .

دعمت بعض زوايا الكتب بقطع من المعدن لحماية المجلد نفسه من التلف و المحافظة عليه عند بسطه ، خاصة الكتب كبيرة الحجم ثقيلة الوزن .

اهتم الفنان بعناية فائقة على الجلد الخارجية و باطن الغلاف واللسان و بذل في ذلك جهدا كبيرا من هنا برز ما امتاز به السلم من غيره إذ لما يهدف لإرضاء الماضي لعمل غيره بل كان يهدف إلى إشباع نفسه ، و إلا ما كان هناك داعي لهذا الجهد ففي زخرفة جزء من المخطوط غير ظاهرة للعيان⁽³⁷⁾ .

يتضح لنا أن المخطوط الفارسي له مكانة متميزة في تاريخ الفن الإسلامي لما له من بداعة و زخرفة لعل أهمها جلود المخطوطات و السجاجيد التي انتقلت إلى سائر المنتجات الفنية في العالم الإسلامي ، و قد أوضحت دراستنا هذه ما للفرس من براعة في عمل الألوان الطبيعية و كذلك الأحجام المختلفة لمخطوطات و مسمياتها .

للفرس أنواع كثيرة ومختلفة لورق المخطوطات مما كفل لهم براعة في الخط وجودة فيه ، كما تناولت الدراسة أثر الفرس في تطوير الأدوات المستخدمة في تحديد مواقع الصفحات و الأسلوب الفارسي ، يرجع للفرس الفضل في عمل جلود الكتب ذات الزخارف الطبيعية و الآدمية و الحيوانات الطبيعية و الخرافية تشبه تمام التصوير المستخدمة في تزيين هذه المخطوطات

كما استخدمت زخرفة المخطوطات الفارسية طرقا عديدة وصل الإنسان الفارسي إلى القمة في إتقانها و هذا الاتقان ساهم في نشر هذه الثقافة في العالم الإسلامي قاطبة .

على الرغم من تعدد الخطوط في إيران إلا أنها كانت تستخدم لإيضاح الجوانب الزخرفية و إظهار القدرة الفائقة على الإبداع الفني ويمكن القول بان هذه الخطوط قد انتشرت خارج إيران فقد اقتضت الضرورة إيجاد خط جديد أكثر سهولة ابتدعه الفرس يعرف باسم خط "الشكسته نستعليق"، ولا يزال هذا الخط هو المعتاد في الكتابة في إيران حتى الوقت الحاضر حيث نجده في كراسات المدارس .

الهوامش:

(1) إيران: يطلق على المنطقة الممتدة بين الخليج العربي في الجنوب و بحر قزوين في الشمال ، وبين آسيا الوسطى في الشرق وآسيا الصغرى في الغرب لفظ إيران، و أصل هذه التسمية (إيرانا فيجا) و معناها موطن الآريين ثم تطورت و صارت (إيران) و معناها (موطن أو بلاد الآريين) ، و الآري معناها نبيل أو سيد و هي تسمية تطلق على شعوب هندوأوروبية شرقية مواطنها الأصلية كانت تمتد من شمال الهند إلى الفرات حيث استقروا بها عند نهاية الألف الثاني و بداية الألف الأول قبل الميلاد.

أما لفظ (فارس) فإن الإغريق كانوا هم أول من أطلقه على الجزء الجنوبي الغربي من إيران و أصله هو (بارسا Parsa) ثم تحول عندهم إلى (برسبوليس Perspolis) ثم (برسيس Parsis) ،

و عنهم أخذ العرب هذا الإسم و تحول إلى فارس ، ففارس هي إحدى أقاليم إيران رغم أن هذا الاسم يطلق على إيران كلها . وكان الإيرانيون يطلقون على بلادهم إسم (إيران شهر) ومعنى شهر بلاد.انظر، حسنين ، عبد المنعم محمد ، الإيرانيون القدماء ، القاهرة ، 1974 ، ص. 11. سليم أحمد أمين ، دراسات في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 ، ص. 299؛ ولبر ، دونالد ، إيران ماضيها و حاضرها ، ترجمة عبد المنعم محمد حسنين ، ط.2، دار الكتاب المصري ، القاهرة 1985 ص 1 ؛ ابن البلخي ، فارس نامه ، ترجمة و تحقيق يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2001 ، ص. 21.

(2)الصناعة:هي كل ما اشتغل به الإنسان وممارسه حتى صار ملكة فيه ؛فالصناعة هي العلم المتعلق بكيفية العمل .والمملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن.ومن أسمائها الحرفة لأن الإنسان ينحرف إليها أي يميل، ولقد فرق بعضهم بينها.فقال الصناعة ما حصلت بالممارسة والتمرن فهي أحص من الحرفة التي لا تحتاج إليها،و قيل أن الصناعة ما كانت بالأعمال اليدوية حتى قيل فلان صناع اليدين بخلاف الحرفة فإنها تكون بدون ذلك. أما المهنة فهي الخدمة. فالصناعة والعلم متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر والصناعة التي أسست على مبادئ علمية اشتهرت بدقتها وفوائدها.انظر،عيسى اسكندر المعلوف،محاضرات المجمع العلمي العربي ج1،المطبعة الحديثة،دمشق،سوريا،1343هـ/1925م،ص282.

(3)الخط الكوفي:نسبة إلى الكوفة،تطور الخط الكوفي تطوراً كبيراً خلال العصر العباسي، وقد عرف الخطاطون والمزخرفون كيفية الانتقاء من الخصائص الزخرفية لهذا الضرب من الخط أحسن انتفاع، وأحاطوا بالخطوط الكوفية بنماذج رائعة عظيمة التنوع من الوريقات والزخارف النباتية. ثم دخل الخط الكوفي مرحلة جديدة وفق فيها الخطاط إلى أشكال هي الخط الكوفي البسيط، الخط الكوفي ذو المثلثات، الخط الكوفي المورق، المزهر ، المربع، المضفور.انظر،صلاح حسين العبيدي، الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية،مجلة الآفاق الثقافية والتراث،دبي، الإمارات العربية المتحدة،العدد الثالث والأربعون،1424هـ/2003م،ص89 وما بعدها.

(4)الخط النسخي:المقصود بالخط النسخي الخط المدور ،وقد سمي بعدة تسميات منها البديع،المقور، المكذور،المحقق، وللخط النسخي أقلام عديدة.انظر،العبيدي صلاح،المرجع السابق،ص93.

(5)خط الرقاع:سمي بهذا لأنه كان يكتب به في رقاع جمع رقعة وهي الورقة الصغيرة ويمتاز بدقة حروفه وهو من أسهل الخطوط وقد تولد من خط خفيف.انظر،القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،المطبعة الأميرية، القاهرة،مصر،ج2،ص477.

(6) **خط التوقيع:** أو خط الإجازة سمي بهذا الاسم؛ لأن الإجازة هي الشهادة التي تمنح للمتفوق في الخط عند بلوغه الذروة في جودة الخط، ويعد خط الإجازة من الخطوط العربية الأولى، وقد كتب به الخطاط يوسف السنجري (ت. 200هـ) واشتق من الخطين النسخ والثلث وسمي خط الإجازة بخط التوقيع؛ لأن الخلفاء كانوا يوقعون به ، وقد استخدمه بكثرة، وزير الخليفة العباسي المأمون الفضل بن سهل، فسمي في وقته بالخط الرياسي. انظر، العبيدي صلاح، المرجع السابق، ص 96.

(7) **النسخ الجديد:** وهو خط جديد ابتكره الفرس في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وهو نتاج خليط بين خط النسخ وخط التعليق وسمي خط التعليق؛ ويتميز خط التعليق بجماله ودقة امتداد حروفه، ويتميز بالوضوح، وعدم التعقيد، ويستخدم هذا الخط في شرق العالم الإسلامي، وقد بدأ يظهر فيما بعد باسم خط النستعليق، وهو الجمع بين النسخ والتعليق، ويتميز هذا النوع من الخط بطواعيته في يد الكاتب.

نفسه، ص 94-95

(8) **الخط الريحاني:** سمي بهذا الاسم نسبة إلى عبدة الريحاني وكان خطاطا في عصر المأمون وتوفي عام 219هـ، وهو يشبه الخط الديواني إلا أنه يختلف عنه بتداخل حروف في بعضها البعض بأوضاع متناسقة خاصة الألفات واللامات وتشابه حروفه حروف (قلم التوقيع الحديث) وفيه ترسم الألفات على شكل أعواد ريحان مع استخدام المرونة في باقي الحروف. انظر، الكردي محمد طاهر، تاريخ الخط العربي وآدابه، القاهرة، مصر، 1939م، ص 95 وما بعدها.

(9) **الخط المحقق:** وهو ما تحققت حروفه وأصبحت مفردة على السطر مع تجنب عدم تزاخم الحروف لذلك رسمت بعض الحروف مرسلة كالراء و الواو وما على مثيلاتها. انظر، عفيفي فوزي سالم، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، الكويت، 1980م، ص 119.

(10) **خط الثلث:** سمي بهذا الاسم لأنه يكتب بقلم يبري رأسه بعرض يسوي ثلث قطر القلم، وقد بدأ هذا النوع من الخط منذ أواخر الدولة الأموية على يد "قطبة المخرر"، وطوره من بعده الخطاط "إبراهيم الشجري" وهو من الخطوط الصعبة. انظر، القلقشندي، المصدر السابق، ج 3، ص 62؛ العبيدي صلاح، المرجع السابق، ص 93.

(11) العبيدي صلاح، المرجع السابق، ص 94.

- (12) نوار سامي محمد، فن صناعة المخطوط الفارسي، دار الوفاء لدنيا الدنيا الطبعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص22 وما بعدها.
- (13) شبوح إبراهيم، سلسلة مؤتمرات الفرقان، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، أعمال المؤتمر الثالث، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 19، 18 نوفمبر 1418هـ/1995م.
- (14) هارون عبد السلام، نوادر المخطوط، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/1991م، ج2، ص79.
- (15) نوار سامي، المرجع السابق، ص35-36.
- (16) المرجع السابق، ص42.
- (17) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص68.
- (18) نوار محمد، المرجع السابق، ص43.
- (19) شبوح إبراهيم، المرجع السابق، ص364.
- (20) نوار محمد، المرجع السابق، ص43.
- (21) شبوح إبراهيم، المرجع السابق، ص367.
- (22) نوار محمد، المرجع السابق، ص45.
- (23) النشار السيد السيد، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997، ص55-56-57.
- (24) نوار محمد، المرجع السابق، ص39-40.
- (25) الليقة: الصوفة و القطنه التي تكون في الدواة ،جمعها ألياف، سميت لأنها تحبس ما جعل فيه من السواد وتمسكه .انظر، شبوح إبراهيم، المرجع السابق، ص379.
- (26) العصر التيموري:نسبة إلى تيمور أو تيمورلنك ومعنى لنك الأعرج، وهو بالتركي الحديد ولد بقرية تسمى خواجة إيلغار، وينسب إلى المغول وجده جنكيزخان.

انظر، ابن عربشاه شهاب الدين أحمد ، عجائب المقدور في أخبار تيمور، طبعة في كلكتة، الهند، 1299هـ/1882م، ص3.03.

(27) الخطائي: نسبة إلى ممالك الخطا تعد من أعظم الممالك التركية التي تقيم في بلاد ما وراء النهر وموطنهم الأصلي نواحي (أوزكند وبلاد ساعون و كاشغر) كانوا أمة بادية يسكنون الخيام وديانتهم الجوسية استطاعوا أن يوسعوا نفوذهم على حساب الأقاليم المجاورة لهم حتى تمكنوا من بسط نفوذهم على بلاد ما وراء النهر واتسمت علاقتهم بالعداء مع كل ما حولهم مع حكام الأقاليم المجاورة . أنظر، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ /1997 م ، ج12، ص320-321.

(28) البغدادي: يعتبر الورق البغدادي من أروع أنواع الورق وهو غالي ، وكان يستخدم عادة في كتابة المصاحف و الفرمانات. انظر، القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص477.

(29) نوار محمد، المرجع السابق، ص27.

(30) النشار السيد السيد، المرجع السابق، ص64-68.

(31) نوار محمد، المرجع السابق، ص52-53.

(32) الأشيلي بكر بن إبراهيم ، التيسير في صناعة التسفير ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، اسبانيا، مج 7 ، 1960م، ص17.

(33) انتجهاوزن ريتشارد ، الفنون الزخرفية و التصوير ، ترجمة حسين مؤنس و آخرون ، الطبعة الثانية ، عالم المعرفة ، الكويت، ج1 ، 1988م، ص418.

(34) مرجونة محمد علي إبراهيم، المغول والحضارة الإسلامية (رحلة المغول من الاستكبار إلى الانصهار)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 2010م ص480.

(35) الهمداني رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ (تاريخ غازان خان) ، دراسة وترجمة : فؤاد عبد المعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 1998م، ص5.

(36) إيلخان : كلمة تركية مركبة من لفظين هما : (إيل) و (خان) . و إيل لفظ تركي بمعنى تابع ، و خان بمعنى حاكم وملك و رئيس عشيرة ، و بذلك يكون معنى إيلخان الملك التابع أي حاكم إحدى الولايات في الدولة و يتبع الخان الأعظم الذي يحكم الدولة كلها . و قد أطلق على بيت هولاكوخان إبتداء من آباخان عندما أسند إليهم حكم إيران ، ثم ألصق بحكام المغول في إيران بعد إستقلالهم عن

الدولة المغولية الأم و أطلق إسم الدولة الإيلخانية على البلاد الإيرانية التي حكموها . أنظر ، فهمي عبد السلام عبد العزيز ، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981م ، ص5.

(37)نوار محمد، المرجع السابق،ص94-95.

المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت:دراسة تقييمية.

د.مولاي امحمد

قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية
بجامعة وهران.

المستخلص:

تناولت هاته الدراسة محاولة علمية متواضعة للمساهمة في تقييم المحتوى الرقمي العربي المخطوط، حيث اقتصرت الدراسة على تقييم المحتوى الرقمي العربي المخطوط بالمواقع العربية على شبكة الانترنت،من خلال مواقع المخطوطات العربية على شبكة الانترنت من مكتبات رقمية او منتديات او مواقع تابعة للجامعاتالتي تتيح النصوص الكاملة للمخطوطات العربية أو لأجزاء منها اوفهارسها الالكترونية والكتب والمجلات العلمية التي لها علاقة بالمخطوطات العربية الاسلامية،بغرض تقييمها باستخدام شبكة تقييمالمحتوى الرقمي temesis، لأن هناك شبه غياب ملحوظ للمواقع العربية التي تهتم بالمخطوطات العربية الاسلامية على شبكة الانترنت، ونقص واضح في حجم المحتوى الرقمي العربي المخطوط مقارنة بالكنوز الهائلة من المخطوطات العربية الاسلامية المتواجدة في المنطقة العربية.

ولتحقيق اهداف هاته الدراسةاستخدمنا المنهج الوصفي التحليلي في جمع بيانات الجانب النظري، كمااستخدمنا المنهج المسحي في حصر مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على الانترنت، ثم في وصف وتحليل هذه المواقع، وفي الجانب التطبيقي تم إدراج تقنية شبكة تقييم المحتوى "temesis" والتي تمارس بشكل أوتوماتيكي حيث عند إعطائها البيانات الميدانية، تقوم هذه التقنية بالتحليل، ويكون استرجاع المعطيات بمعدل كمي عددي شامل.

وكان من ابرز ما توصلت اليه الدراسةتفاوتت مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت من حيث الرؤية، التصميم، التقنية، المحتوى، والخدمات حسب معايير تقنية تقييم المحتوى"temesis"والمؤشرات المتضمنة في هاته المعايير، كما انقسم المحتوى الرقمي العربيالمخطوط

على شبكة الانترنت إلى عدة أصناف، مواقع محتوى رقمي عربي مخطوط تعريفية وخالية من المحتوى الرقمي العربي المخطوط، ومواقع عربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط تحتوي على مخطوطات رقمية لا أكثر، وهناك مواقع للمحتوى الرقمي العربي المخطوط تحتوي على محتوى بيبليوغرافي وفهارس الكترونية للمخطوطات فقط، وبالمقابل مواقع عربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط تحتوي على محتوى رقمي عربي مخطوط، بالإضافة الى الكتب والدوريات الالكترونية وقواعد المعطيات في مجال المخطوطات.

وطرح الباحث مجموعة من التوصيات اهمها تدعيم مثل هاته المشاريع من اجل الوصول الى المكتبة الرقمية العربية للمخطوطات، يبحر فيها الباحثون العرب عبر شبكة الانترنت من المشرق الى المغرب العربي، وهو ما يساهم تنقل المخطوطات العربية افتراضيا بين مختلف ايدي الباحثين العرب وعبر العالم مع الحفاظ على نسخها الاصلية، وتحفيز الجهات المعنية في الدول العربية على دعم صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط، وذلك كخطوة نحو اثبات الحضور العربي في مجال المخطوطات على شبكة الانترنت.

الكلمات الدالة: المحتوى الرقمي، الانترنت، مواقع الويب، المخطوطات العربية، تقييم مواقع الويب، .temesis

مقدمة: الحديث عن المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت له خصوصيته المتمثلة في ان المخطوطات العربية ليست متوفرة بنفس الكمية ولا الكيفية التي تتوفر بها الكتب والدوريات والقواميس رقميا على شبكة الانترنت حيث ان المخطوطات كتبت قبل ظهور الطباعة ولهذا فان نسخها قد تكون احيانا فريدة ولا توجد لها نظائر فان فقدت يصعب تعويضها ثم انها حتى وان توفرت يمكن ان تكون غير متاحة للباحث نظرا لبعدها مكان وجودها او نظرا لحالتها المادية السيئة التي قد تزيد ان سمح بتداولها من طرف عدة باحثين كما انها يمكن ان تصيب الباحثين في حدة ذاتهم بأمراض ناتجة عن اصابات وتفاعلات البكتريا مع المخطوطات، ولهذا كله نجد ان رقمنة المخطوطات العربية او صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت امر ضروري جدا من اجل حل تذليل كل الصعاب التي تواجه الباحثين في مجال المخطوطات وحماية المخطوطات العربية من الزول في نفس الوقت، ولا ننسى ابدا اننا لما نتكلم عن المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت لا نقصد به فقط المخطوطات العربية فقط بل يشمل ذلك حتى الانتاج الفكري في مجال المخطوطات من فهارس للمخطوطات وكتب التحقيق والمجلات العلمية للمخطوطات لان هاته الانواع من الانتاج الفكري وللأسف الشديد ايضا تكاد تكون منعدمة مقارنة مع المجالات الاخرى من الانتاج الفكري العربي حيث يضطر الباحث احيانا الى التنقل داخل وطنه بل وخارج بلده عدة مرات من اجل الحصول على المعلومات الضرورية لبحثه، بالرغم من ان هناك رغبة من بعض الباحثين العرب في اعادة بعث الحياة من

جديد في التراث العربي الاسلامي ولكن الصعوبات التي تواجههم هي مشكلة الوصول الى المخطوطات الاصلية والحصول عليها.

ولعل توجه مختلف الدول العربية والغربية، وخاصة المتقدمة منها في مجال البحث العلمي، نحو الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة للاتصال، واستثمار شبكة الانترنت في إيصال رسالتها، من خلال رقمنة أرصدها من المخطوطات، للتصفح عبر مواقعها على شبكة الانترنت، هذه الأخيرة، لعبت دورا مهما، في طي المسافات، بين المستفيدين من المخطوطات، وبين ما تقتنيه هاته المراكز منها، في ظل الأهمية الكبيرة للمخطوطات، بوصفها شواهد تاريخية، وكنوزا للإبداع الفكري، على مر الزمن واجب، تقتضيه مساهمة ركب التقدم العلمي، والتكنولوجي في العالم و فرض، تلبية ضرورة مواكبة التطورات العلمية في كل حين.

وهذا هو الدافع الى تناول هاته الدراسة من أجل تقييم المحتوى الرقمي العربي في مجال المخطوطات على شبكة الانترنت من خلال المشاريع السابقة الذكر والمدمجة من طرف الملك عبدالله والشيخ محمد بن راشد آل مكتوم على شبكة الانترنت، من حيث التصميم والمحتوى الموضوعي والحداثة وإتاحة الاستخدام وما تتضمنه من صفحات وروابط بتطبيق مجموعة من معايير تقييم مواقع الويب من اجل متابعة وتحديث، وتطوير هاته المواقع، لما لذلك من أهمية كبيرة في تلبية حاجيات الرواد والمستفيدين العرب ورفع درجة الاهتمام برقمنة الإرث الثقافي والحضاري للمجتمعات العربية والاهتمام بنشره إلكترونيا، لتعزيز اتصال الحضارة العربية بالحضارات الإنسانية الأخرى، واستغلال الموجة الجديدة من البرمجيات لبناء وتعريب التطبيقات الداعمة للمحتوى العربي، إضافة إلى إثراء المحتوى العربي على الأنترنت بالبحوث الأصلية العلمية في مختلف المجالات التي لها علاقة بالمخطوطات العربية الإسلامية.

إشكالية الدراسة: تحتوي شبكة الانترنت على العديد من المواقع التي تتيح المخطوطات العربية، حيث عمدت العديد من المؤسسات في الدول العربية الى رقمنة أرصدها المخطوطة وإتاحتها للباحثين على شبكة الانترنت، كما تفاوتت هاته المواقع في تصميمها وخدماتها التي تقدمها للباحثين في مجال المخطوطات العربية، حيث نجد مواقع تتيح المخطوطات العربية بالنص الكامل، وأخرى تتيح صفحات من المخطوطات وهناك من اقتصرت على الفهارس الإلكترونية للمخطوطات فقط، وفي هاته المواقع نجد منها من تتيح الى جانب المخطوطات الكتب والمجلات العلمية المتعلقة بها، وبالمقابل هناك دول لم تعرف بعد عملية رقمنة المخطوطات رغم توفرها على كم هائل وكنوز كبيرة من المخطوطات العربية، وهناك دول قامت برقمنة المخطوطات لكنها للأسف الشديد ورغم الامكانيات البشرية والتجهيزية والمالية التي صرفت في تنفيذ هاته المشاريع الا انها لم توضع تحت تصرف الباحثين الى الان ويمكن الوقوف على هاته الاشكالية من خلال الاطلاع على المحتوى الرقمي العربي المخطوط على الانترنت، وهو ما يدعو إلى

تقييم هذا المحتوى وإتاحته في ضوء المعايير العالمية الفنية الخاصة بتصميم واستخدام مواقع الويب على شبكة الانترنت، بغرض الوصول الى محتوى رقمي عربي مخطوط على شبكة الانترنت، يليق بتلبية حاجيات الباحثين العرب في انجاز بحوثهم العلمية في مجال المخطوطات والتعريف بها، حيث أصبح بإمكان الباحثين اليوم الحصول على المخطوطات في شكلها الرقمي، حتى ولو كانت خارج بلدانهم، وهو ما يسهل عليهم توفير الكثير من الجهد في اختصار المسافات وتذليل الصعاب في انجاز البحوث العلمية التي تخدم التراث العربي الإسلامي المخطوط في مختلف الدول العربية والإسلامية. واسترجاع المخطوطات العربية الإسلامية، الموجود في مكتبات العالم، عن طريق التبادل، ويمكن من إنقاذ آلاف المخطوطات، التي طواها النسيان، وأتت عليها قرون وهي تنح تحت الأتربة، وعاديات الزمن، و يعيد لها الحياة من جديد لتؤدي وظيفتها الفكرية مما يساهم في تطوير المجتمعات العربية الإسلامية، ويعزز اتصال الحضارة العربية بالحضارات الإنسانية الأخرى.

تساؤلات الدراسة: تهدف هاته الدراسة الى الاجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

- ما هو واقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت من حيث المحتوى والإتاحة؟ هل هناك تواجد فعلي للمحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت؟
- ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية تتمثل فيما يلي:
- ما مدى إتاحة المحتوى الرقمي العربي المخطوط على المواقع العربية للمخطوطات بشبكة الانترنت؟
- هل تم تصميم مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت طبقا للمعايير الدولية لتصميم مواقع الويب؟

- هل تلي مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط حاجيات الباحثين في مجال المخطوطات العربية؟
 - ما هي الدول العربية التي تتبنى مشاريع صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط ومن يدعمها؟
- أهمية الدراسة:** تنبع أهمية هاته الدراسة من أهمية المخطوطات العربية الإسلامية ذاتها، حيث تشكل المخطوطات جزءا هاما من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية في شتى حقول المعرفة الإنسانية، فهي مؤلفات وضع فيها العلماء خلاصة أفكارهم، وتجاربهم وإبداعاتهم، والكتاب العربي المخطوط، بما يمثله من الناحية الفكرية المتطورة، هو نتاج تلك الحضارة، التي شهد العالم على عظمتها وسمو مكانتها، وبالتالي فهو يمثل جانبا هاما من الجوانب المضيئة لها، ونظرا لخصوصيات المخطوطات العربية الإسلامية، واختلافها عن أوعية المعلومات الأخرى من جهة، ونظرا لوضعية المخطوطات العربية الإسلامية، سواء في المكتبات العامة، أو الخاصة (الأهلية) من جهة أخرى، فإن حمايتها، والحفاظ عليه، يستوجب استعمال تكنولوجيا المعلومات بصفة عامة، بغرض إتاحتها للباحثين، كما تكمن أهمية هاته الدراسة في توضيح واقع المحتوى العربي المخطوط على شبكة الانترنت من حيث التصميم والمحتوى

والإتاحة بهدف تحديثها وتطويرها ومواكبتها لمواقع المحتوى الرقمي المخطوط في العالم، وذلك من خلال تقنية تقييم المحتوى "temesis" كأحدى الشبكات المتطورة في تقييم محتوى مواقع الويب، والتي من بينها مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الإنترنت كخطوة نحو تعزيز حضور المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الإنترنت، ودعم مختلف مشاريع رقمنة المخطوطات وإنشاء مواقع الويب والمنتديات والمكتبات الرقمية للمخطوطات، بالإضافة إلى تحفيز المسؤولين في الدول العربية على التكفل بمثل هاته المشاريع على غرار خادام الحرمين الشريفين الملك عبد الله حفظه الله والشيخ راشد بن محمد آل مكتوم وبالتالي إثبات الحضور العربي على شبكة الإنترنت في مجال المخطوطات، وبهذا نكون قد حافظنا على ذاكرتنا وهويتنا من الزوال وأثبتناها رقمياً في ظل مجتمع المعلومات الرقمي.

أهداف الدراسة: نحاول من خلال هاته الدراسة إلى تعريف الباحثين في مجال المخطوطات بالمواقع العربية التي تتيح المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الإنترنت والتي تشكل أهمية كبرى بالنسبة للباحثين في مجال المخطوطات، سواء تعلق الأمر بإتاحة النصوص الكاملة للمخطوطات العربية أو لأجزاء منها بالإضافة إلى مختلف الكتب والمجلات العلمية في مجال المخطوطات، كما نهدف أيضاً إلى تسليط الضوء على كيفية التعامل مع هاته المواقع وتحميل المحتوى الرقمي منها، بالإضافة إلى محاولة تقييم هاته المواقع من خلال شبكة التقييم "temesis" من حيث التصميم والمحتوى الموضوعي والحدائق وإتاحة الاستخدام وما تتضمنه من صفحات وروابط بتطبيق مجموعة من معايير تقييم مواقع الويب من أجل متابعة وتحديث، وتطوير هاته المواقع، كما نهدف هاته الدراسة إلى توضيح أهمية رقمنة المخطوطات بالدول العربية وإتاحتها على شبكة الإنترنت بغرض تشجيع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الإنترنت محلياً وعربياً ودولياً.

منهجية الدراسة: استخدمنا في هاته الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جمع بيانات الجانب النظري، كما تم إدراج تقنية من تقنيات البحث الميداني في إطار الجانب التطبيقي والمتمثلة في شبكة تقييم "temesis" والتي تمارس بشكل أوتوماتيكي حيث عند إعطائها البيانات الميدانية، تقوم هذه التقنية بالتحليل، ويكون استرجاع المعطيات بمعدل كمي عددي شامل، كما استخدمنا في هاته الدراسة المنهج المسحي في حصر مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على الإنترنت، ثم في وصف وتحليل هذه المواقع. **مجال وحدود الدراسة:** يقتصر النطاق الموضوعي في هاته الدراسة على المبادرات العربية في صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط وإنشاء مواقع أو مكتبات رقمية للمخطوطات تتيح المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الإنترنت، كما يقتصر المجال الجغرافي للدراسة على مختلف مشاريع رقمنة المخطوطات في الدول العربية وتشمل بذلك مختلف مواقع الويب التي لها علاقة بالمحتوى الرقمي العربي المخطوط سواء أكانت مكتبات رقمية للمخطوطات أو منتديات أو مدونات أو مواقع عامة أو خاصة

تابعة لمكتبات رقمية أخرى، اما بالنسبة للمجال الزمني فقد شملت الدراسة مختلف مواقع الويب العربية التي تتيح المحتوى الرقمي العربي المخطوط والمتواجدة على شبكة الانترنت بدون تحديد زمني الى غاية اكمال هاته الدراسة، اقتصرت الدراسة من الناحية الموضوعية على تقييم واقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت من خلال مواقع الويب التي لها علاقة بالمخطوطات العربية والتي تعرض للمخطوطات العربية بشكل كامل أو لأجزاء منها، سواء كانت هذه المواقع تابعة لجهات عربية أو أجنبية، وسواء كانت هذه المواقع قائمة بذاتها أو ملحقة بالمكتبات أو بالمتاحف أو حتى تابعة لأشخاص، ومن الناحية اللغوية فقد اقتصرت الدراسة على المواقع التي باللغة العربية.

مصطلحات الدراسة:

الرقمنة: الرقمنة أو التحويل الرقمي هو عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي وذلك لأجل معالجتها بواسطة الحاسب الإلكتروني، وفي سياق نظم المعلومات، وعادةً ما تشير الرقمنة إلى تحويل النصوص المطبوعة أو الصور أو المخطوطات إلى إشارات ثنائية باستخدام نوع من أجهزة المسح الضوئي التي تسمح بعرض نتيجة ذلك على شاشة الحاسوب.

الانترنت: مجموعة من الحاسبات مترابطة في شبكة أو شبكات و التي بدورها تتصل بشبكات أكبر و يتم عملية الاتصال عن طريق بروتوكول يحكمها، كما انها شبكة عالمية من الروابط بين الحواسيب تسمح للناس بالاتصال والتواصل بعضهم مع بعض واكتساب المعلومات من الشبكة الممتدة إلى جميع أرجاء الأرض والتواصل بوسائل بصرية وصوتية ونصية مكتوبة وبصورة تتجاوز حدود الزمان والمكان والكلفة وقيود المسافات وتتحدى في الوقت نفسه سيطرة الرقابة الحكومية.

مواقع الويب: هو مجموعة متعلقة ببعضها البعض من مستندات (http) و الملفات و النصوص و قواعد البيانات التي يقوم على خدمتها الكمبيوتر الخادم للويب web server وهذا الموقع قد يخدم مجالا موضوعيا واحدا أو عدة مجالات موضوعية، وهذه المجالات مرتبطة ارتباطا تشعبيا فيما بينها.

المخطوطات العربية: كل أثر علمي، أو فني، كتب بخط اليد، سواء كان رسالة، أو كتابا، أو صورة على ورق، أو ما شابه من حجارة، وألواح طينية، جلود، رق، والتي لم تنسخ في نسخ متعددة، قبل عصر الطباعة، مع اختلاف انتشارها، حسب الزمان والمكان.

تقييم مواقع الويب: هي عملية إخضاع محتوى الموقع إلى عملية تقييم وملاحظة بقصد التعرف على درجة صحة وجودة المعلومات المنشورة، وتتم هذه العملية من طرف أشخاص يكونون على معرفة واطلاع بمعايير تقييم المعلومات على مواقع الويب.

المحتوى الرقمي العربي المخطوط: مواقع الويب التي لها علاقة بالمحتوى الرقمي العربي المخطوط سواء مكتبات رقمية للمخطوطات او منتديات او مدونات او مواقع عامة او خاصة تابعة لمكتبات رقمية وغيرها.

1. تقييم مواقع الويب:

1.1. تعريف الويب: الويب أو الشبكة العنكبوتية العالمية (www)، طور من طرف الباحث (برنرلي Berners-lee) بمخابر cern في سويسرا، والويب برنامج يقوم على ترابط مختلف الوثائق المتواجدة على شبكة الانترنت، ويعتبر الويب وسيلة اتصال بين المعلومات المتوفرة على شبكة الانترنت باستخدام نظام ترابطي تشعبي **Hypertexte**¹، وتعتبر خدمة الويب الأكثر شعبية مقارنة مع باقي خدمات الانترنت الأخرى، وهذا بسبب خاصية الإعلام المتعدد (نص، صوت، وصورة)، فمتصفح الويب (المستخدم) يستطيع التنقل من نص إلى نص ومن صفحة إلى صفحة ومن رابط إلى رابط، باستخدام المتصفح من اجل استعراض محتويات المواقع، وعند الحديث عن مصطلح (الويب) يجب الإشارة إلى عدة أخرى منها.

النص المترابط: (Hypertext): يجب الإشارة إلى أن هناك عدة ترجمات إلى اللغة العربية لهذا المصطلح منها: (النص الفائق، المنهل، المتشعب) ويعني هذا المصطلح إمكانية الانتقال من صفحة إلى صفحة أخرى بالضغط على رابط معين وقد يكون هذا الرابط (كلمة، جملة أو صورة...)².

المتصفح: Browser/navigateur: هو البرنامج الذي يسمح بتصفح مواقع الويب واستظهار محتوياتها، ويسمى أحيانا بالزبون وتوجد العديد من هذه البرامج منها: **netscapeMosaic- Internet explorer.**

الموقع Site: هناك العديد من تعريفات مواقع الويب ومنها: هو مجموعة متعلقة ببعضها البعض من مستندات (http) و الملفات و النصوص و قواعد البيانات التي يقوم على خدمتها الكمبيوتر الخادم للويب **web server** وهذا الموقع قد يخدم مجالا موضوعيا واحدا أو عدة مجالات موضوعية، وهذه المجالات مرتبطة ارتباطا تشعبيا فيما بينها، ومعظم مواقع الويب لها صفحة رئيسية كنقطة بداية للوصول إلى معلوماتها وهي تعمل كقائمة لمحتويات المواقع³، ويُعرّف أيضًا بأنه عبارة عن مجموعة مترابطة من ملفات شبكة الويب العالمية (www) والتي تتضمن ملف يعمل في البداية يسمى الصفحة الرئيسية،

¹Lanzet, Bernard; Salem, Ahmed. Dictionnaire encyclopédique des sciences de l'information et de la communication. Paris : ellipses ; 1997.p 587

²Teasdale, Guy. L'hypertexte : historique et application en bibliothéconomie. Montréal : univ. Montréal ; 1995. Vol. 01, n. 01, oct. 1995. pp. 20-29.

³أسد الدين التميمي، معجم مصطلحات الانترنت الحاسوب، الأردن: دار أسامة ، 2006. ص496.

وترشدك إلى الشركات أو الأفراد إلى دخول مواقعهم عن طريق إعطائك عنوان الصفحة الرئيسية للموقع، ومن الصفحة الرئيسية نستطيع الانطلاق إلى جميع الصفحات داخل ذلك الموقع.¹

2.1. مفهوم تقييم مواقع الويب: هي عملية إخضاع محتوى الموقع إلى عملية تقييم وملاحظة بقصد التعرف على درجة صحة وجودة المعلومات المنشورة²، وتتم هذه العملية من طرف أشخاص يكونون على معرفة واطلاع بمعايير تقييم المعلومات على مواقع الويب.

3.1. الحاجة إلى تقييم مواقع الويب: أصبحت الحاجة إلى التقييم تزداد يوماً بعد يوم، إذ أن غالبية المعلومات التي أضحت تنشر على الانترنت لا تخضع لأي رقابة من طرف المراقبين وأصحاب الاختصاص وكما سبق وان ذكرنا أن حرية النشر على الانترنت هي مطلقة، إذ أن هذا الوسيط سهل على أي هاو أن ينشر عبره ما يروق له³، وعلى هذا الأساس فقد أصبحت المعلومات المنشورة على الشبكة مختلفة القيمة بسبب صعوبة التمييز بين الحسن والردئ، ثم إن أهمية وأهداف تقييم مواقع الويب في ظل الكم الهائل للمعلومات التي تحتويها شبكة الانترنت، تباينت قيمة المعلومات المحتواة في هذه الأخيرة، فهناك الجيد والسيء والحسن والردئ، وبسبب حرية النشر والتعليق أصبحت تبرز أهمية تقييم المواقع المتاحة للمستخدم لأنه يجب على الباحث أن يكون على قدر من الثقة بمصادر المعلومات التي يرجع لها في أعماله⁴، كما أن عملية التقييم تفيد المكتبي في عملية اقتناء الوثائق عن بعد، وتعطي للباحث القدرة على الفرز السريع للمعلومات أثناء عملية البحث، ويمكن للمكتبة أن توفر وقتاً معتبراً للباحث والمستخدم، وذلك بقيامها بعملية تقييم المواقع بنفسها نيابة عن الباحث، حيث يتم الجمع بين مختصين في التوثيق والتقييم وفي المواضيع المقيمة، ثم يقومون بتقييم المواقع، وخلق قائمة مرجعية للمواقع في كل موضوع، على غرار ما تقوم به مكتبة الكونغرس⁵.

4.1. معايير تقييم مواقع الويب: لكي تكون نتائج تقييم موقع معين إيجابية وحسنه ينبغي أن يكون الموقع متوفراً على مجموعة من الشروط التي هي بمثابة العناصر الأساسية التي تركز عليها عملية التقييم، عرض وتقسيم محتوى مواقع الويب وفق معايير التقييم:

¹تشيرلغول، تع. عبد المجيد بوعزة ، البحث الذكي في شبكة الانترنت، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001. ص.45.

² مود اسطفان هاشم. " منهجية ومقاييس تقييم المواقع على الشبكة العالمية العنكبوتية ". في: الإستراتيجية العربية الموحدة للمعلومات في عصر الانترنت ودراسات أخرى.

³جاسم محمد جرجيس، بهجة مكي بومعرافي، التراث العلمي والانترنت. في: المجلة العربية للمعلومات. تونس: إدارة التوثيق والمعلومات، 2001 (م.22-ع.1، 2001). ص.ص. 25.51.

⁴موقع مكتبة الكونغرس: <http://www.loc.gov>

⁵حسن بن عواد السريحي. واقع المكتبات الجامعية السعودية على شبكة الانترنت: دراسة تقييمية. في: ندوة المكتبات الرقمية الواقع وتطلعات المستقبل. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة. 2003. ص ص 185-219.

1. المحتوى: المعلومات المتاحة على الموقع، سواء جاء تفشيكلنصوص (وهو الغالب)، أو مواد سمعية أو مصورة ثابتة أو متحركة، والخدمات المتاحة على الموقع، مثل الخدمة المرجعية الرقمية أو الفهارس أو مرادف البيانات، إضافة إلى الإمكانات الأخرى مثل إمكانية البحث، ولكي تكون هناك قيمة للموقع ينبغي أن يكون محتواه حديث ومعلوماته جديدة وذلك حسب طبيعة واختصاص الموقع وعليه أن يكون تاريخ آخر تحديث ظاهر ويمكن الإشارة إلى وتيرة التحديث¹ (كل ثلاثة أشهر، كل ستة أشهر) فكلما كانت المعلومات حديثة كانت تملك خاصية الجودة إذا ما استوفت باقي الشروط، ومسألة تحديث معلومات الموقع فرضتها ظاهرة النشر السريع خاصة على الانترنت ولهذا كان لزاما مسايرة هذه الميزة لتلبية حاجيات الباحثين من جهة ومحاولة السيطرة والتحكم فيما يتم نشره، ولذلك، فإننا نقصد هنا بالمحتوى الرقمي العربي المخطوط مواقع الويب التي لها علاقة بالمحتوى الرقمي العربي المخطوط سواء أكانت مكتبات رقمية للمخطوطات أو منتديات أو مدونات أو مواقع عامة أو خاصة تابعة لمكتبات رقمية وغيرها.

2. المصدقية: إن مصداقية المعلومات من أكثر المعايير التي تحظى بالأهمية خلال عملية التقييم، والمستخدم دائما يبحث أن تكون المعلومات التي يستعملها تتسم بالصدق والدقة والمصدقية خاصة بعد أن أصبح بمقدور أي شخص أن ينشر معلومات على الانترنت دون المرور على لجنة علمية ولكي تكون معلومات الموقع تتصف بالمصدقية عليه إتباع ما يلي: أولا وقبل كل شيء ينبغي أن يكون التعريف بالموقع مفصلا² ويمكن الوصول إليه من الصفحة الأولى، فيجب أن يظهر التعريف بأهداف الموقع والهيئة الطبيعية أو المعنوية المألقة للموقع، كذلك تاريخ إنشاء الموقع ويجب إعلام المستخدم بالجمهور المستهدف وباختصاص الموقع (تربوي، حكومي، علمي،...)، ويطلب من أصحاب الموقع إنشاء وجود لجنة قراءة وإعلام المستخدم بوجودها³ وهذا ما يمنح المستخدم درجة من الثقة في معلومات الموقع وتجعله يشعر بالارتياح عند استفادته من تلك المعلومات، وهذه الثقة ليست في مصدر المعلومات بعينه وإنما الثقة في الذي يتلقى منه هذه المعلومات⁴ وبالتالي فنحن لا نتلقى من المصدر أساسا وإنما من الأشخاص الذين

¹ خالد عبد الرحمان الجبيري. تقييم مواقع المعلومات المتاحة على الانترنت. في: مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. 2000. (مج. 05. ع. 02. نوفمبر 1999 / أبريل 2000). ص. ص. 95-106.

² Collège de bios-de-boulogne. Critères d'évaluation des sources d'information d'internet. (en ligne). Disponible sur : <http://www.virtuel.collegebdeb.qc.ca/acritere.html>. consulté le: 02/03/2006.

³ حمد بن ابراهيم العمران. مصداقية المعلومات على الانترنت. (على الخط). متوفر على: <http://informatics.gov.sa/magazine/modules.php> اطلع عليه يوم: 2005/12/07.

⁴ Smith, alastair G. Testing the surf: criteria for evaluating internet information resources. (en ligne). Disponible sur: <http://info.lib.uh.edu/pr/v8/n3/smit8n3.html>. consulté le: 26/03/06.

وضعوا المعلومات على ذلك المصدر ولتفاعل أكثر بين المستخدم وأصحاب الموقع ينبغي أن تكون هناك إمكانية للاتصال بينهما، وأن يكون الرد بأسرع وقت ممكن ومضمون، هذا فيما يخص الموقع أما فيما يتعلق بالمؤلف أو المسؤول الفكري عن المقال أو المعلومة فيجب على الموقع أن يقدم حوله ما يلي: التعريف بالمؤلف بذكر اختصاصه العلمي، ومحاولة التعريف بـ "نفوذ وشهرة الكاتب"¹ وذلك بذكر عنوانه للمراسلة مع المستخدمين وإعطاء معلومات عنه خاصة بالمجالات التي يكتب فيها والمؤتمرات التي شارك فيها وأن كان يملك موقع ويب أم لا، كما يجب على الموقع توفير نسخة من سيرة المؤلف الذاتية²، وكفاءاته للتطرق للموضوع المعالج، ومن هنا تبرز أهمية التعرف على مؤلف النص ومكانته العلمية وشهرته في تخصصه لأن ذلك يجعل المستخدم يطمئن للمعلومات المنشورة، وهناك الكثير من المواقع التي تتجاهل الإشارة إلى صاحب المعلومة وهذا لا يتوافق مع مبادئ الأمانة العلمية، فما انه يصعب تقبل كتاب أو مقال في دورية من دون مؤلف كذلك لا يمكن تقبل معلومات من موقع ويب من الإشارة إلى المؤلف أو المسؤول³، وإذا كان المؤلف جماعة فيجب تحديد الجهة المسؤولة عن نشر المعلومات وتحديد المجال الذي تنتمي إليه، وبهذا الشكل يكون موقع الويب قد وثق بشكل جيد معلوماته، وقام بالإجراءات التي تمنح الموقع والمعلومات صفة المصادقية.

3. المسؤولية: من الأمور التي يجب أن يحافظ عليها الموقع دائما لكي يشعر المستخدم بأصلية ومصادقية المعلومة هي ذكر المسؤول أو المؤلف سواء كان طبيعيا أو معنويا الذي كان له دور في تأليف وجمع ومعالجة المعلومات المنشورة، كما يجب أن يظهر تعريف مفصل بصاحب الموقع (الناشر) وبأصحاب الموقع، كما يجب ذكر الهدف من نشر معلومات الموقع وهذا كله يكون في صفحة واحدة⁴، علما انه كلما كانت هناك نزاهة ومصادقية في عرضها كلما كان الموقع أكثر موضوعية ويتمتع بالطرح العلمي، لأن الأمر الذي يفقد المعلومة قيمتها هو غياب المسؤول عن تأليفها أو نشرها، ولو أن كل موقع اتبع هذه الخطوات لما وصلت مشكلة الملكية الفكرية على شبكة الانترنت إلى الحد الذي وصلت إليه اليوم، ولما بلغت إشكالية جودة المعلومات على الانترنت ما هي عليه من التعقيد.

¹Christian vandenbergen. Comment évaluer l'information trouver sur internet .in: Athena. Liège : DG TRE , 2005.(N°213,septembre 2005). PP.38-39.

²LOUISE BAZIN. ELABORATION D'UNE GRILLE DE SELECTION DES SITES WEB. In: BBF Bulletin des bibliotheques de France.paris.bbf.1999.(t.44.n°2-1999).pp.73-76.

³AUER, Nicole. Bibliography on evaluatinginternertresources. (en ligne) disponible sur: <http://refserve.lib.vt.edu/libinst/critTHINK.HTM>.consulte le: 25/05/2005.

⁴BRANDT,D.Scott. evaluating information on the internet. (en ligne). Disponible sur: <http://thorplus.lib.purdure.edu/techman/evaluate.html>. consulté le: 25/04/2005.

4. التصميم والتنظيم (المعايير الأرخونومية): إن التنظيم الجيد للمعلومات أمر ضروري وأولي، لأنه يؤثر على القدرة على الفهم في الموقع المنظم جيدا يكو سهل التصفح والتفاعل معه، ومن العوامل التي تشد الزائر، وتشعره بالرغبة في الرجوع إلى الموقع هي: جمالية الشكل، سهولة الوصول إلى الموقع وتصفح محتواه¹ والانتقال السهل من معلومة إلى أخرى، ولتحقيق هذا يجب على إدارة الموقع مراعاة ما يلي: تجنب الملفات أو الصفحات التي تتطلب برامج إضافية قد لا تتوفر لدى المستخدم، مع مراعاة التوزيع المنطقي والمتسلسل للمعلومات في كل الصفحات لتمكين المستخدم من الوصول مباشرة إلى قسم من أقسام الموقع، إضافة إلى المراقبة التقنية للموقع لتفادي الانقطاعات، وتسهيل عملية الدخول إليه، ووضع خريطة للموقع، وجداول للمواد لتوضيح طرق عرض المعلومات، مع الحرص على توزيع الروابط بشكل جيد ومراقبة فعاليتها لتكون في الخدمة دائما، إضافة إلى التفريق بين الروابط الداخلية والروابط الخارجية التي تتصل بمواقع أخرى، مع وضع أزرار الوظائف بطريقة مدروسة وظاهرة للمستخدم، مع تجنب برامج تصفح أخرى غير تلك المستعملة بكثرة مثل: Internet explorer، كما يجب أن يكون العنوان غير معقد ومركب وتفايدي استعمال الإشارات والأرقام في اسم الموقع (-)، (/)، (~) ويجب أن يكون العنوان قصير وسهل الحفظ والتذكر²، وهناك بعض المواقع التي يكون الدخول إليها مجانا، لكن هناك جزء من محتوياتها تقدمه مقابل الدفع، وهنا يجب إعلام المستخدم قبل الدخول إلى ذلك الجزء من المحتوى بأنه للبيع أو الاشتراك، كما يجب أن يكون الموقع متفاعل مع المستخدمين من خلال إمكانية الاتصال بإدارة الموقع للاستفسار أو طلب خدمة معينة، وعلى الإدارة ضمان الموقع ضمان سرية معلومات مستخدميها³، كما يجب على الموقع وضع محرك بحث داخلي للبحث في محتوياته ولتسهيل الوصول مباشرة إلى المعلومة⁴، ثم إن استخدام تكنولوجيا الإعلام المتعدد لا يكون لجلب الانتباه أو تحميل المواقع، وإنما يجب أن يخدم محتوى الموقع بطريقة صحيحة وأن تضيف طابع معرفي وإدراكي للمستخدم، وكذلك يستحسن استخدام أكثر من لغة وذلك لضمان أكبر تغطية للجمهور، مع محاولة

¹Robert bibeau, Claude deliste. Elément assurant la qualité d'un site web. (en ligne). Disponible sur: <http://concours2002.educationquebec.qc.ca/qualite2002.html>. consulté le: 23/02/2006.

²BRANDT, D.Scott. evaluating information on the internet. (en ligne). Disponible sur: <http://thorplus.lib.purdue.edu/tehman/evaluate.htm>. consulté le: 25/04/2005.

³CatrineDelevenne. Evaluatin de sites web. (en ligne) Disponible sur: <http://santemontreal.qc.ca/fr/documentation/integrale/grille.html>. consulté le: 03/10/2003.

⁴ABDOUS,M'hammed.Grille d'analyse de sites w3 du centre electronique des ressourceseducationnelles. (en ligne). disponible sur:<http://www.fse.ulaval.ca/fac/href/grille/grille.html>. consultée le :25/04/2006.

توفير قاموس ومعجم المصطلحات وقائمة الاختصارات، وذلك حتى لا يضطر المستخدم للاستعانة بأدوات أخرى من أجل الشرح والتفسير، مع وضع صفحة أو نافذة للمساعدة¹، وجعل أرشيف الموقع (مقالات سابقة، الأخبار، الإعلانات) متاحة للمستخدم مع إمكانية البحث فيها²، وتفادي الأخطاء النحوية والصرفية واحترام قواعد اللغة³، كما يجب أن تخدم الصور والجداول والمنحنيات والمخططات المحتوى⁴، مع الحرص على استعمال المصطلحات العلمية المناسبة للموضوع، مع توفير نسخة نصية خالية من الصور والمؤثرات لكي تستعمل عند الحاجة (خلل في الشبكة، بطء في التحميل، أجهزة المستخدم لا تعرض إلا النسخ النصية...) ⁵.

2. تطبيق تقنية تقييم المحتوى temesis على المواقع العربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط في شبكة الانترنت:

1.2. تقنية تقييم المحتوى "temesis": إن هذه تقنية تعتبر شبكة تقييم تطبق مباشرة على شبكة الأنترنت بصفة أوتوماتيكية، حيث اعتمدت هذه التقنية على باحثين في مجال الإعلام الآلي ينتمون إلى جامعات ومعاهد للدراسات العليا بفرنسا، وهم على التوالي:

-Elie Sloim: مدير الموقع لتقنية التقييم المطبقة، يعمل منذ 1999 على نوعية الخدمات على شبكة الأنترنت بجامعة "بوردو".

-Aurélien Levy: خبير ومسؤول بجامعة السوربون، حيث أكمل معارفه في مجال الإعلام الآلي، فعمل كمخرج ومصمم للملتيميديا لمعهد الدراسات العليا للفنون، ويعتبر من أوائل الخبراء في تقييم مواقع الويب سنة 2004.

¹Hervé basset . sélection et évaluation de sites Web scientifiques . [en ligne] Disponible sur : <http://www.uco.fr/services/biblio/cdps/grille3exploitation.html>.consulté le 30/09/2005

²HERZHAFT, Lise. Evaluer des sites internet pour les étudiants et les entreprises. [enligne] Disponible sur : <http://urfist.univlyon1.fr/eval_site.ppt>. consultée le 02/12/2005

³Alexandre Serres . Evaluation de l'information sur Internet . [en ligne] . Disponible sur : <http://www.uhb.fr/urfist/Supports/StageEvalInfo/EvalInfo_cadre.htm>.consultée le 02/12/2005

⁴Raoul Carrier . Évaluation d'un site Web . [En ligne]. Disponible sur : <http://www.qbc.clic.net/~mephisto/evaluation.html > . consultée le 25/04/2006

⁵Netscoring:critères de qualité de l'information de santé sur Internet . en ligne.Disponible sur : <http://www.chu-rouen.fr/netscoring.html>. consulté le 04/12/2005

- Laurent Denis: اشتغل كمدرس في جامعة السوربون وهو يعمل على نمط المواقع الأصلية منذ 1990.

- Michael Hoareau: هو مسؤول تقني، كان من المدجين في الجامعة الفرنسية، وعمل كمطور للنظام في فرقة "temesis".

- Fabrice Bouruy: عمل في فرقة البحث كمطور للنظام، وخاصة في النظام الداخلي للموقع، وهو الذي قام بتطوير نظام Mozilla إلى نظام Firefox، هذا من جانب الباحثين في الفرقة المكونة تقييم المحتوى "temesis"، إضافة إلى هذا اعتمدت في تقييمها لمواقع الويب على خمس معايير ممثلة في جداول على شكل أسئلة وهي كالآتي:

- الرؤية **Visibilité**: هذا المعيار اشتمل على ستة عشر سؤال يعكس بصفة متناهية الأساليب والركائز المثالية لتحقيق النوعية في الأداء.

- التصميم **Perception**: ويحتوي على عشرين سؤال تؤكد في جملتها على ضرورة التناسق بين الروابط المكونة للموقع ليظهر بشكل فعال.

- التقنية **Technique**: وهو معيار يتضمن عشرين سؤالاً أيضاً، يخص بالضرورة الجانب التقني للموقع ويؤكد فيها على إتباع هاته المسارات لتحقيق الجودة في الأداء.

- المحتوى **Contenu**: ويتضمن هذا المعيار ثلاثة وعشرين سؤالاً تجلت معظمها في كيفية تجسيد المحتوى على الموقع وذلك للاسترجاع الفعال عند تصفحه.

- الخدمات **Services**: يعتبر من المعايير الهادفة للتقنية، احتوى على ثلاثة وعشرين سؤال تنص على الكيفية التي يصمم بها الموقع وذلك لتسهيل المعالجة الفعالة وإرضاء المستعملين بخدمات نوعية عند تصفحه.

انطلاقاً من هاته المعايير تقوم فرقة البحث المكونة لموقع تقييم المحتوى "temesis" بتقييم مواقع الويب سواء كانت مؤسسات تجارية، اقتصادية، أو خدماتية وتمثل نتائج التقييم في مدرجات تكرارية، إضافة إلى معدلات حسابية عددية في جدول آخر كل معيار، وعند تطبيق كل المعايير المذكورة تقوم التقنية بالتطبيق الآني على شبكة الانترنت في جدول شامل لكل النتائج، انطلاقاً من ملئ الفراغات المقابلة للأسئلة و هاته الفراغات تحمل عبارات: نعم، لا، لا اعرف، غير مطبق.

2.2. إجراءات الدراسة الميدانية:

- **المجال المكاني**: تمثلت في المواقع العربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت، وذلك باختيار واحد وعشرين موقعا ما بين مكتبات رقمية للمخطوطات تابعة لمكتبات رقمية جامعية او وطنية ومنتديات اضافة الى مواقع خاصة بالمخطوطات العربية فقط، وتطبيق شبكة التقييم

"temesis" اتضح ان بعض هاته المواقع لا ترقى الى حجم المؤشرات التي وضعتها شبكة تقييم المحتوى "temesis" لكن رغم هذا حاولنا تقييمها باستخدام ما تتوفر عليه من معلومات مطابقة لباقي المؤشرات اخرى.

- الجانب الزمني: هو الوقت المستغرق في تقييم المحتوى الرقمي العربي المخطوط للمواقع السابقة الذكر، حيث استغرقت المدة الزمنية للتقييم منذ موافقة اللجنة العلمية الموقرة لهذا المؤتمر على ملخص الدراسة الى غاية نهاية آجال النصوص الكاملة للمؤتمر فكانت المدة شهرا كاملا تقريبا.

- أدوات جمع بيانات الدراسة الميدانية: استخدمنا في هاته الدراسة الميدانية شبكة تقييم المحتوى "temesis" من أجل التقييم حيث هو موقع يهتم بتقييم مواقع الويب بواسطة مواصفات وتقنيات يعتمدها في الحصول على النتائج مباشرة عند إعطائه المعطيات الخاصة بالموقع التي تم تجميعها.

- أسلوب جمع بيانات الدراسة الميدانية: وذلك بالدخول إلى مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط العربية على شبكة الانترنت، كل موقع على حدى ثم البدء في عملية التقييم بواسطة تقنية تقييم المحتوى "temesis" والتي تتوفر على معايير يتم من خلالها اكتشاف نوعية الموقع وجودته، والخدمات المعروضة عليه، حيث تعتبر تقنية تقييم المحتوى "temesis" من معايير التقييم لمواقع الويب ذو أسس متطورة قام بها متخصصون في علم المعلومات والإعلام الآلي بجامعة فرنسية، وتشكل هذه التقنية من خمس معايير: الرؤية Visibilité، التصميم Perception، التقنية Technique، المحتويات Contents، الخدمات Services، يحتوي كل معيار على أسئلة تتم الإجابة عنها بـ "نعم، لا، غير مطبق، لا اعرف" فيظهر التقييم الآلي أوتوماتيكيا ممثلا في جداول ورسومات بيانية بعد الانتهاء من عملية التقييم.

- تحليل ومعالجة البيانات: بعد تفريغ المعلومات المسترجعة من موقع تقنية تقييم المحتوى "temesis" تم تبويب البيانات وتقسيمها حسب المحاور المعتمدة، وفي الأخير قمنا بتحليل نتائج البحث والتعليق عليها في جداول مترجمة باللغة العربية والفرنسية.

3.2. نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى temesis على المواقع العربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط:

- مكتبة الملك عبد الله الرقمية¹: من بين اهداف هاته المكتبة رقمنة مصادر المعلومات التي تمتلكها الجامعة (رسائل علمية، منشورات، مجلات علمية، أوراق مؤتمرات، مطبوعات الجامعة)، خدمة منسوبي الجامعة بإتاحة مصادر المعلومات الالكترونية من خلال شبكة الانترنت، حفظ ما تمتلكه الجامعة من مصادر معلومات، على وسائط الالكترونية يمكن استرجاعها ونقلها وأجراء المعالجة الالكترونية عليها،

¹<http://uqu.edu.sa/lib>

إيصال المعلومة إلى المستفيد من أي مكان دون الذهاب إلى مكتبة الجامعة، التوسع في بناء مجموعات رقمية جديدة حسب احتياج الجامعة ومنسوبيها، حماية التراث والفكر الإنساني والحفاظ عليه وإتاحته للاستعمال.

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
19.2 / 20	19.2 / 20	16.6 / 20	14.1 / 20	13 / 20	16.4 / 20

الجدول رقم-01- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية.

حسب معيار الرؤية **Visibilité**: من خلال الجدول يتضح لنا أن موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية على شبكة الانترنت يبقى بصفة مرئية إلى حد كبير، مقارنة مع ما تم التخطيط له، حيث كانت الروابط واضحة الى حد كبير، مع وجود مرجعية منتظمة ومراقبة لقياس وتتبع شعبية الموقع، وما عدا عدم تحديد الفئة العمرية لمستخدمي الموقع فان معظم مؤشرات هذا المعيار تم تحقيقها في موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية، حيث تتم هناك عملية تحليل لإحصائيات الدخول إلى موقع المكتبة على شبكة الانترنت بانتظام وهو ما يفسر وجود عداد لزوار الموقع يوميا، كما تعكس عناوين الصفحات محتواها الفعلي في الموقع، وهذا ما اكده معدل شبكة تقييم المحتوى بـ 19.20 من 20 كما هو موضح في الجدول.

اما حسب معيار التصميم **Perception** يظهر موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية من خلال مؤشرات معيار التصميم مقبولا إلى حد كبير، مثل بينته المؤشرات 5.4.3.2 و 20.19.18.17. حيث كانت الألوان مساعدة على القراءة الجيدة للموقع ومتناسبة مع محتوى الموقع بالإضافة إلى أن كل أيقونات الموقع ذات دلالة حيث لا يحتوي الموقع على أيقونة غير دالة، بالإضافة الى وجود مخطط للموقع يمكن الدخول إليه من خلال كل الصفحات، وهذا ما يفسر معدل شبكة تقييم المحتوى بـ 19.20.

وبالنظر إلى المعلومات المسترجعة بواسطة تقنية تقييم المحتوى "temesis" من معيار التقنية Technique يظهر في موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية على شبكة الانترنت المراقبة المنتظمة لسرعة وجاهزية الموزع بالإضافة إلى الحفظ المنتظم للموقع من حيث الصفحات وقواعد المعطيات تشتغل كل الوظائف بشكل عادي وهو ما يفسر بمعدل 16.6.

من خلال الجدول يتضح لنا أن محتويات Contenous موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية شبكة الانترنت مقبول جدا حيث تتم الإشارة إلى اسم الموقع في صفحة الاستقبال كما يوجد محرك بحث داخلي وتظهر الروابط التشعبية متناسقة مع محتوى الموقع، ثم انه من السهل التعرف على هوية مصمم الموقع مع امكانية الاتصال بجمع الإشارة إلى العنوان الكامل على الموقع، ثم ان هناك إشارة في الصفحات إلى تواريخ تحديث الموقع وبإمكان الزائر الدخول إلى الصفحات التي تقدم جديد الموقع اضافة الى تأريخ المعلومات المعروضة والإشارة إلى المعلومات القانونية حيث ان جميع الحقوق محفوظة، ولا بد من الإشارة هنا الى ان الموقع يعتبر من احسن المواقع العربية من حيث المحتوى حيث يتيح النصوص الكاملة للمخطوطات، حيث اضيف آخر مخطوط في شكل رقمي في 22 جوان 2011 من السنة الجارية وهذا ما يفسر ان العملية لازالت متواصلة لهذا المشروع الكبير، كما تتم عملية البحث عن هاته المخطوطات في محرك بحث بواسطة المؤلف العنوان الرقم، ويمكن تحميل هاته المخطوطات مباشرة في ملفات على شكل PDF اما باستخدام برمجيات التحميل او التحميل العادي.

يتيح موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية على شبكة الانترنت الكثير من الخدمات Services والتي وضحتها المؤشرات كأنا الموقع مؤمن وموثوق منه، ثم ان موقع المكتبة الرقمية لمكتبة الملك عبد الله الرقمية يتيح (3093) مخطوطة تعرض هاته المخطوطات مصنفة بالموضوع، ولم يتم التطرق إلى بعض المؤشرات الأخرى والتي كانت بين غير مطبق و لا اعرف، لان هاته المؤشرات لها علاقة بالمواقع الاقتصادية التجارية وموقع المكتبات ليس تجاريا وإنما هو موقع خدماتي ولهذا فان معظم المؤشرات في كل مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط الواردة في عينة الدراسة غير مطبقة في معيار الخدمات، وهذا راجع إلى عمومية تقنية تقييم المحتوى "temesis" وعدم اختصاصها في إحد أنواع المواقع على حدى حيث يمكن تطبيقها على كافة المواقع بأنواعها، الا ان هذا لا ينقص من حجم الخدمات التي يقدمها الموقع في مجال المحتوى الرقمي العربي المخطوط فإلى جانب المخطوطات الرقمية هناك رسائل دكتوراه وماجستير بالنص الكامل في مجال المخطوطات العربية كالمخطوطات المحققة مثلا متاحة في الموقع وقابلة للتحميل ويعتبر موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية الاول عربيا في هاته النقطة بالذات، حيث كثيرا ما يهتم الباحثون بالحصول على الدراسات السابقة التي تنير طريق بحوثهم في اطار الدراسات العليا والتي قد يجدون معلومات مختصرة عنها في الانترنت كملخص عن الرسالة مثلا او اعلان عن مناقشتها او يجدها

مصنفة في احدى الفهارس الالكترونية لبعض المكتبات العربية على شبكة الانترنت لكنه لا يستطيع الحصول على نصها الكامل وبمبادرة مكتبة الملك عبد الله الرقمية حل هذا المشكل بالنسبة للباحثين في مختلف التخصصات وليس فقط المهتمين بالمخطوطات العربية والاسلامية، ومن هنا يمكن القول أن موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية على شبكة الانترنت مقبول إلى حد كبير وتطبق فيه أغلبية المعايير الدولية لتصميم مواقع الويب وهو ما تؤكدته نتائج التحليل لتقنية تقييم المحتوى "temesis" حيث كان المعدل العام لمختلف معايير التقييم 16.4.

- مكتبة الأزهر الرقمية¹: موقع مكتبة الأزهر الشريف هو نتاج لمشروع سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لحفظ مخطوطات الأزهر حيث يملك الأزهر 42 ألف مخطوط، في 63 موضوعا، ورقمنتها وإتاحتها عبر شبكة الإنترنت في إطار العمل على حفظ التراث العربي والإسلامي ونشر الحضارة العربية والإسلامية وإنشاء أكبر شبكة للمخطوطات العربية والإسلامية على شبكة الانترنت، موقع المكتبة الرقمية متاح في الرابط التالي: يضم المواقع 15783 مخطوطة في مختلف المعارف البشرية من التراث الإسلامي مثالا لجامع الصحيح للبخاري، وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي ويتاح للمشاركين في الموقع فقط تصفح أول خمس صفحات مجانا دون أي اشتراك، وكي تستطيع تصفح المخطوط كاملا فعليك الاشتراك في الخدمات المدفوعة، ويمكن البحث عن المخطوطة عن طريق اسم المخطوطة واسم المؤلف ورقمها العام والرقم الخاص أو الفن الموضوعي لها، ولا يمكن الربط بين اثنين في البحث، ويحتوي الموقع على كشاف موضوعي بالفنون مرتب هجائيا، وكشاف للمؤلفين مقسم إلى حروف بداخل كل حرف نجد اسما المؤلفين وأمامها عناوين المخطوطات، هناك كشافان بالعناوين أحدهما خاص بالكتب النادرة. ولم نستطيع حاليا اخضاع هذا الموقع لعملية التقييم لأنه غير متوفر على شبكة الانترنت او تم تغيير عنوانه.

- مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء²: تزخر مكتبة المؤسسة بمجموعة هائلة من المخطوطات تم إنشاؤها عن طريق اقتناء بعض الوثائق من أشخاص معينين أو عن طريق اقتناء المكتبات الخاصة لبعض الشخصيات المغربية مثل محمد العابد الفاسي، محافظ خزانة القرويين خلال الفترة الممتدة ما بين 1956 و 1962، (453 مخطوط) والمحبوب بن عيسى لمرباط (144) ومحمد الوافي العراقي (524).

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية	التصميم	التقنية	المحتوى	الخدمات	النتيجة

¹<http://www.alazharonline.org/>

²<http://www.fondation.org.ma>

الإجمالية Votre score globa l	Service s	Conten u	Techniqu e	Perceptio n	Visibilit é
17 / 20	18.3 / 20	12.2 / 20	17.6 / 20	19.2 / 20	17.5 / 20

الجدول رقم -02- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء-

حسب معيار الرؤية **Visibilité**: من خلال الجدول يتضح لنا أن موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء- على شبكة الانترنت يبقى بصفة مرئية إلى حد كبير، مقارنة مع ما تم التخطيط له، حيث كانت الروابط واضحة إلى حد كبير، مع وجود مرجعية منتظمة ومراقبة لقياس وتتبع شعبية الموقع، كما تعكس عناوين الصفحات محتواها الفعلي في الموقع، إلا أنه وبالرغم من أن معظم مؤشرات هذا المعيار تم تحقيقها في هذا الموقع، إلا أنه لوحظ عدم تحديد الفئة العمرية لمستخدمي موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء-، إضافة إلى غياب عملية تحليل لإحصائيات الدخول إلى موقع المؤسسة على شبكة الانترنت بانتظام وهو ما يفسر انعدام عدد لزوار الموقع يوميا.

وحسب معيار التصميم **Perception** يظهر موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء- من خلال مؤشرات معيار التصميم مقبولا إلى حد كبير، مثل بينته المؤشرات في هذا المعيار، حيث كانت الألوان مساعدة على القراءة الجيدة للموقع ومتناسبة مع محتوى الموقع كما أن كل أيقونات الموقع ذات دلالة، بالإضافة إلى وجود مخطط للموقع يمكن الدخول إليه من خلال كل الصفحات، وهذا ما يفسر معدل شبكة تقييم المحتوى بـ 19.20.

وبالنظر إلى المعلومات المسترجعة بواسطة تقنية تقييم المحتوى "temesis" من معيار التقنية **Technique** يظهر في موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء- على شبكة الانترنت المراقبة المنتظمة لسرعة وجاهزية الموزع بالإضافة إلى الحفظ المنتظم للموقع من حيث الصفحات وقواعد المعطيات تشغل كل الوظائف بشكل عادي وهو ما يفسر بمعدل 16.6.

من خلال الجدول يتضح لنا أن محتويات **Contenus** موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء - شبكة الانترنت مقبول جدا حيث تتم الإشارة إلى اسم الموقع في صفحة الاستقبال وتظهر الروابط التشعبية متناسقة مع محتوى الموقع، كما يوجد محرك بحث داخلي يتيح امكانية البحث عن المخطوطات بالعناوين او المؤلفين او الموضوعات او الناسخون، تاريخ النسخ، او التبصرة العامة، الا انه بالمقابل لا تظهر الإشارة إلى المعلومات القانونية أي حقوق الملكية الفكرية حيث لا يظهر المسؤول عن الموقع بوضوح، اضافة الى غياب التعرف على هوية مصمم الموقع مع امكانية الاتصال بها والإشارة إلى العنوان الكامل على الموقع، اضافة الى انعدام إشارة في الصفحات إلى تواريخ تحديث الموقع وهذا ما جعل معدل معيار المحتويات بهذا الموقع متوسطا الى معدل 12.2 من 20.

يتيح موقع مكتبة الملك عبد الله الرقمية على شبكة الانترنت الكثير من الخدمات **Services** والتي وضحتها المؤشرات كأن الموقع مؤمن وموثوق منه، ورغم ان مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء - تتوفر حاليا على ما مجموعه 698 مخطوطة، أي ما يعادل 1958 عنوانا، موزعة كالاتي: 649 مجلدا أصليا و 4 نسخ على الرق و 16 شريط مصغر و 29 نسخة موزعة حسب التخصص بحيث يمكن لرواد المؤسسة الحصول على الفهارس المطبوعة للمخطوطات داخل مكتبة المؤسسة أو لدى مكتب الاستقبال أو يمكنهم الاطلاع عليها على قرص مدمج أو على بوابة المؤسسة على الإنترنت، لكن ما تجدر الإشارة اليه هو ان الموقع يتطلب تدفقا عاليا لشبكة الانترنت من اجل ظهور النص الكامل للمخطوطات الرقمية باستخدام برنامج التصفح، ثم ان هاته المخطوطات غير متاحة للتحميل وعلى الباحث ان يبقى امام الجهاز لساعات من اجل الاطلاع على مخطوط واحد وقراءته، ورغم هذا فان نتائج التحليل لتقنية تقييم المحتوى "temesis" اعطت معدل 18.3 من 20 نظرا للخدمات التي يقدمها الموقع وخاصة في مجال المخطوطات العربية الرقمية بالنص الكامل.

ومن هنا يمكن القول ان موقع مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء - تتوفر على أغلبية المعايير الدولية لتصميم مواقع الويب مع بعض النقائص التي يمكن تجاوزها كما ورد في تحليل النتائج وخاصة معيار المحتويات.

- مكتبة جامعة الملك سعود¹: من بين اهداف المكتبة الحفاظ على التراث العربي المخطوط واهمية اتاحته، حيث يبلغ عدد المخطوطات الأصلية التي تمتلكها الجامعة 11138 مخطوطة، المخطوطات

¹<http://library.ksu.edu.sa>

المصورة ورقيا ويبلغ عددها 3340 المخطوطات المصورة على ميكروفيلم ويبلغ عددها 3400 الوثائق الخطية ويبلغ عددها 450 وثيقة.

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
17.5 / 20	19.2 / 20	17.7 / 20	18.9 / 20	20 / 20	18.7 / 20

الجدول رقم -03- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مكتبة جامعة الملك سعود.

مقياس الرؤية Visibilité: من خلال الجدول يتضح لنا أن موقع مكتبة جامعة الملك سعود على شبكة الانترنت يبقى بصفة مرئية إلى حد كبير، وهو ما يفسر المعدل الواضح في الجدول 17.5 من 20، حيث كان عنوان الموقع على الانترنت قصيرة، كما يمكن اعتبار عنوان الموقع حديثي، بديهي بالنظر إلى محتوى نشاط الموقع، كما تعكس عناوين الصفحات محتواها الفعلي، ثم انارتياذ الموقع مطابق لأهداف الباحثين في مجال المخطوطات، حيث كانت الروابط واضحة، اضافة الى وجود مرجعية منتظمة لمراقبة وقياس شعبية الموقع، وهذا ما يفسر وجود عداد لزوار الموقع.

مقياس التصميم Perception: يظهر موقع مكتبة جامعة الملك سعود من خلال مؤشرات معيار التصميم مقبول إلى حد كبير، كما يوجد مخطط للموقع يمكن الدخول إليه من خلال كل الصفحات، اضافة الى امكانية المقارنة بين الروابط الداخلية والخارجية للموقع، كانت الصفحات تحتوي على عناصر ومكونات غامزة أو متحركة، فهل تضفي قيمة على المحتوى كما كانت الألوان مساعدة على القراءة الجيدة للموقع ومتناسبة مع محتواها بالإضافة إلى أن كل أيقونات الموقع ذات دلالة حيث لا يحتوي على أيقونة غير دالة، وفي هذا الموقع نجد مصطلح المكتبة الرقمية للمخطوطات في رابط مستقل عن الموقع وهذا المصطلح يستخدم ويوظف فقط في موقع مكتبة الملك سعود رغم حداثة مصطلح المكتبة الرقمية

للمخطوطات وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على وعي وسعة ثقافة المصممين لهذا الموقع في مجال صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط.

معايير التقنية Technique: قامت جامعة الملك سعود بإنشاء موقع المكتبة الرقمية للمخطوطات التي تحتوي على أكثر من احدى عشر ألف مخطوطة بحيث يستطيع الزائر تصفح المخطوطات وقراءتها، وفي هذا الموقع تشتغل كل الوظائف بشكل عادي، كما تتم المراقبة المنتظمة لسرعة وجاهزية الموزع، بالإضافة الى انعدام روابط مهجورة بالموقع، حيث تتم مراقبة مدة صلاحية الروابط بانتظام، بالإضافة إلى الحفاظ المنتظم للموقع من حيث الصفحات وقواعد المعطيات وهو ما يفسر بمعدل 17.7 من 20.

معايير محتويات Contenous: يوجد محرك بحث داخلي بموقع مكتبة جامعة الملك سعود من اجل البحث عن المخطوطات، كما أن الروابط التشعبية متناسقة مع محتوى الموقع، كما تتم الإشارة إلى اسم الموقع في صفحة الاستقبال يتم الدخول بسهولة إلى أهداف ومحتوى الموقع، كما انفرد الموقع في عينة الدراسة بإعطاء معلومات حول سهولة التعرف على هوية مصمم الموقع، مع امكانية الاتصال بمصمم الموقع والإشارة إلى عنوانه الكامل على الموقع، بالإضافة الى هذا هناك إشارة في الصفحات إلى تواريخ تحديث الموقع وتردده، كما انه بإمكان الزائر الدخول إلى الصفحات التي تقدم جديد الموقع، والتي تقدم تأريخ المعلومات المعروضة، مع الإشارة إلى المعلومات القانونية بالموقع، وفي هذا الموقع نجد مكتبة المخطوطات الرقمية تحتوي على مجموعة مختارة من مجموعات المخطوطات بالمكتبة، تبلغ أكثر من احدى عشر ألف مخطوطة، وهي في شكل قائمة في ملفات من صيغة PDF قابلة للتحميل مباشرة، منها على سبيل المثال شرح البديع في مدح الشفيح للحلي، اسماء وجبال تامة وسكانها وما فيها من القرى، اهواء اللطائف في اخبار الطائف، وتحتوي المخطوطات على أحكام الشريعة وتفسير القرآن الكريم وغيرها من العلوم أخرى، كما أنها تحتوي على أبيات شعر بعدة لغات كالتركية والفارسية، الصحاح في اللغة اسماعيل بن حماد الجوهري، مولد المصطفى ذو الفضل المتوج بالكمال والجلال، ويعرف بمولد البرزنجي، جعفر بن حسن بن عبد الكريم 18.9.

معايير الخدمات Services: يتيح موقع مكتبة جامعة الملك سعود على شبكة الانترنت الكثير من الخدمات والتي وضحتها المؤشرات الواردة في هذا المعيار، وقد تمت الإشارة الى الكثير من هاته الخدمات في معيار المحتوى، إضافة إلى هذا فان الموقع مؤمن وموثوق منه، وهذا ما يفسر بمعدل 20، مات عدا بعض المؤشرات الأخرى والتي كانت بين غير مطبق ولا اعرف، لان هاته المؤشرات لها علاقة بالمواقع الاقتصادية التجارية وهذا المواقع ليس تجاريا، وإنما هو موقع خدماتي ولهذا فان معظم المؤشرات في كل مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط الواردة في عينة الدراسة غير مطبقة بمعايير الخدمات، وهذا راجع إلى عمومية تقنية

تقييم المحتوى "temesis" وعدم اختصاصها في إحدأنواع المواقع على حدى حيث يمكن تطبيق تقنية تقييم المحتوى "temesis" على كافة المواقع بأنواعها.

ومن هنا فانموقع مكتبة جامعة الملك سعودعلى شبكة الانترنت تطبق فيه كل المعايير الدولية لتصميم مواقع الويبفان تقنية تقييم المحتوى "temesis"، وبالمقارنة مع مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط يعتبر موقع مكتبة جامعة الملك سعودأول موقع عربي من حيث اتاحة المخطوطات الرقمية خاصة وبدون الانتاج الفكري المتعلق بالمخطوطات العربية الاسلامية عكس موقع مكتبة الملك فهد الوطنية التي تتيح انتاجا فكريا رقميا كبيرا حول المخطوطات العربية الاسلامية سواء اكان ذلك على شكل كتب رقمية لها نظائرها الورقية او عبارة عن مقالات في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.

- مكتبة الملك عبد العزيز العامة¹: بدأت هذه المكتبة، بمشروع الأرشفة الالكترونية، بغرض حفظ واسترجاع المخطوطات الأصلية، الموجودة في المكتبة المركزية بالعمادة²، حيث أنشئ قسم المخطوطات مع تأسيس المكتبة في عام 1408هـ/1988م وذلك للمساهمة في حفظ وحماية التراث العربي والإسلامي ومن ثم إتاحتها للباحثين والمحققين والمهتمين في هذا المجال، وقد بلغت مقتنيات القسم من المخطوطات أكثر من 4400 مخطوط أصلي بالإضافة إلى أكثر من 700 مصورات ورقية وميكروفيلمية من ضمنها مصورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت، ومصورات أخرى مختلفة، ويقتني القسم العديد من المخطوطات المهمة والقديمة والمميزة هذا بالإضافة إلى العديد من المخطوطات التي لم تطبع ولم تحقق حسب المصادر التي رجعنا إليها والتي تنتظر الباحثين والمحققين والمهتمين لينفضوا عنها غبار السنين ويخرجوها إلى النور، وأخيرا فإن القسم يسره ويسعده أن يمد يد العون والمساعدة للباحثين والمحققين مباشرة عن طريق إتاحتها الفرصة لهم للإطلاع على المخطوطات الموجودة لديه ومن ثم الحصول على ما يحتاجونه منها، أو بطريق غير مباشر حيث ان المكتبة تتولى بالنيابة عن الباحثين طلب صور لمخطوطات يحتاجون إليها ليست موجودة لدى القسم من مكاتب أخرى داخل أو خارج المملكة وإتاحتها لهم، وكذلك يقبل القسم الإهداء ويقدم خدمة التبادل العلمي مع الباحثين حيث يتاح للباحث اختيار نسخة ورقية أو ميكروفيلمية لأي مخطوط من مقتنيات القسم مقابل الحصول على بديله من قبل الباحث بشرط ألا يكون موجودا لدى القسم.

Récapitulatif des scores obtenus

¹<http://www.kapl.org.sa>

²حسن عواد السريحي، امن المكتبات ونظم المعلومات: دراسة حالة على مكتبة جامعة الملك عبد العزيز، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج.08، ع.01، مارس 2002، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2002، ص.138.

/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
19.2 / 20	19.2 / 20	16.6 / 20	14.1 / 20	13 / 20	16.4 / 20

الجدول رقم -04- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

Visibilité معيار الرؤية: موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة حسب معيار التصميم مقبول جدا ومرئي، حيث يوجد مخطط للموقع، كما حددت الفئة العمرية واللغة لمستعملي الموقع كنادي كتاب الطفل مثلا، مع وضع الكلمات المفتاحية والملخص بالنظر إلى جمهور ومستعملي الموقع بالموازاة مع المحتوى، كما تعكس عناوين الصفحات محتواها الفعلي، ويمكن الدخول إلى الموقع من خلال كل الصفحات، إضافة إلى إمكانية المقارنة بين الروابط الداخلية والخارجية للموقع، كانت الصفحات تحتوي على عناصر ومكونات غامزة أو متحركة، فهل تضيفي قيمة على المحتوى كما كانت الألوان مساعدة على القراءة الجيدة للموقع ومتناسبة مع محتواها بالإضافة إلى أن كل أيقونات الموقع ذات دلالة حيث لا يحتوي على أيقونة غير دالة، وهذا ما جعل موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة حسب معيار الرؤية يعد الأول في مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط المتناولة في هاته الدراسة وهو ما يفسر معدل 19.20 من مجموع 20 حسب تقنية تقييم المحتوى "temesis".

Perception معيار التصميم: يظهر موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة من خلال مؤشرات معيار التصميم مقبول إلى حد كبير، حيث أنه من الممكن العودة دائما إلى صفحة الاستقبال، كما يكون العدد الأقصى من النقرات لدخول الموقع أقل من ثلاثة مرات، ثم أن ألوان الروابط نمطية، كما يتم فصل الاعلانات بشكل واضح عن المحتوى، ويكون لها علاقة بموضوع الموقع، إضافة إلى هذا تساعد الألوان المستعملة على القراءة بصفة جيدة، حيث أن القاعدة اللونية متناسقة مع مجمل الموقع، كما يوجد مخطط للموقع يمكن الدخول إليه من خلال كل الصفحات، إضافة إلى إمكانية المقارنة بين الروابط الداخلية والخارجية للموقع، كما تحتوي الصفحات على عناصر ومكونات غامزة أو متحركة تضيفي قيمة على

المحتوى بالإضافة إلى أن كل أيقونات الموقع ذات دلالة حيث لا يحتوي على أيقونة غير دالة، وهذا ما يفسر معدل 19.20 من مجموع 20.

مقياس التقنية Technique: في موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة تشغل كل الوظائف بشكل عادي، كما تتم المراقبة المنتظمة لسرعة وجاهزية الموزع، ومدة صلاحية الروابط بانتظام، حيث لا توجد روابط مهجورة بالموقع، إضافة إلى الحفظ المنتظم للموقع من حيث الصفحات وقواعد المعطيات وهو ما يفسر بمعدل 16.60 من 20.

مقياس محتويات Contenus: حسب مقياس المحتوى فإن موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة رغم أن روابطه متناسقة مع محتوى الموقع، كما تتم الإشارة إلى اسم الموقع في صفحة الاستقبال، ويتم الدخول بسهولة إلى أهداف ومحتوى الموقع، لكن نجد عدم إمكانية الاتصال بمصمم الموقع، دون انتمم الإشارة إلى عنوانه الكامل على الموقع، كما لم تتم الإشارة إلى أسماء أشخاص ولا أي معلومات عنهم، كما أنه لا توجد هناك إشارة في الصفحات إلى تواريخ تحديث الموقع ولا إلى تردد التحديث، وهذه المؤشرات مهمة جدا حسب تقنية تقييم المحتوى "temesis"، بالإضافة إلى هذا نجد في صفحة المخطوطات صفحات فقط لإحصائيات حول عدد المخطوطات، بدون أن يتيح الموقع للباحثين إمكانية التحميل لهذا المحتوى المعلن عن الموقع، هذا من حيث المخطوطات الرقمية، إضافة إلى هذا ورغم احتواء الموقع على مجلة متخصصة في المخطوطات العربية الإسلامية اسمها مجلة عالم المخطوطات لكنها غير متاحة بالنص الكامل في الموقع للباحثين، وهذا ما يفسر معدل 14.10 من مجموع 20.

مقياس الخدمات Services: غير بعيد عن مقياس المحتوى ونظرا للعلاقة بين هذين المقياسين حيث أن المحتوى الرقمي يعتبر خدمة إذا ما تمت اتاحته، وهذا انعكس على خدمات موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة، حيث تم فهرسة وإدخال أكثر من 3500 مخطوط إلى الحاسب الآلي بالمكتبة، كما تم إصدار أربعة فهارس لما تم فهرسته وإدخاله، ويجري العمل على إصدار العدد الخامس، وقامت مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض السابقة في نشر التراث إلى تصوير جميع مخطوطاتها صور رقمية أكثر من مليوني صورة ووضعها على أسطوانات مدججة (سي دي CD)، وجاري إنزالها على موقع المكتبة ليستفيد منها الجميع بيسر وسهولة.

ومن هنا نستنتج أن موقع مكتبة الملك عبد العزيز العامة رغم تصميمه الجيد ورؤيته الكبيرة لكن رغم هذا كانت محتوياته وخدماته بالمقابل متوسطة بسبب عدم اتاحته للنصوص الكاملة للمخطوطات في شكلها الرقمي ولإنتاج الفكري المتعلق بالمخطوطات والمتمثل في مجلة عالم المخطوطات، ولكن هذا لن ينقص من حجم أهمية الموقع حيث تمت الإشارة إلى أن المخطوطات في أشكالها الرقمي ستزول على الموقع قريبا.

- مكتبة الملك فهد الوطنية¹: تكتني المكتبة مجموعة كبيرة ومتنوعة من المخطوطات الأصلية والمصورة ونوادير المطبوعات والمسكوكات والشواهد والطوابع وبعض المقتنيات من الأصول النفيسة التي لا يوجد لها نظير في مكتبات العالم، إلى جانب المشاركة في الندوات والبعثات الخارجية ضمن الوفود الحكومية التي تزور مراكز المخطوطات العالمية، إلى جانب الإشراف على أعمال الترميم وأعمال حماية التراث المخطوط.

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
17.5 / 20	19.2 / 20	16.6 / 20	17.8 / 20	15.3 / 20	17.5 / 20

الجدول رقم -05- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مكتبة الملك فهد الوطنية.

مقياس الرؤية **Visibilité**: يظهر موقع مكتبة الملك فهد الوطنية بصفة مرئية حيث اشارت تقنية تقييم المحتوى الى معدل 17.50 من مجموع 20 حسب مؤشرات مقياس، الرؤية، وهو نفس الشيء الذي نلمسه في مقياس التصميم **Perception**، حيث كان المعدل 16.60 من مجموع 20، ومقياس التقنية **Technique**، اما بالنسبة لمقياس محتويات **Contenus** ومقياس الخدمات **Services**، فكانت علالتوالي 17.80 و 15.30 من مجموع 20، وهنا لابد من التنويه بأن موقع مكتبة الملك فهد الوطنية يعتبر محل اهتمام الكثير من الباحثين العرب خاصة في مجال علوم المكتبات والمعلومات ومجال الانتاج الفكري المتعلق بالمخطوطات العربية، حيث ان هذا الموقع يتيح الكتب في مجال المكتبات والمعلومات ومنها مجال المخطوطات بصفة دائمة في مختلف مجالات المكتبات والمعلومات هذا بالإضافة إلى مجلة المكتبة والتي تتاح على الموقع بنصوصها الكاملة القابلة للتحميل والتي

¹<http://www.kfnl.org.sa>

تتناول مختلف مواضيع المكتبات والمعلومات والتي منها المخطوطات، كما أن من أبرز المقتنيات مجموعة جامعة برنستون الأمريكية التي يصل مجموعها إلى خمسة وعشرين ألفا من المخطوطات والمطبوعات النادرة المصورة في العلوم العربية والإسلامية، إلى جانب عشرات المكتبات الخاصة، وتحصل المكتبة على المخطوطات والنوادر عن طريق الشراء والإهداء والتبادل والاستنساخ من المكتبات المتعاونة معها، وقد افتتحت المكتبة هذا العام (610) مخطوطات عربية على قرص صلب من باكستان، بالإضافة إلى (2200) مخطوطة يمنية على قرص صلب، كذلك قامت الإدارة بدراسة وتقييم مجموعات من المخطوطات ونوادر المطبوعات التي عرضت على المكتبة بهدف الشراء، أو طلب التقييم من جهات حكومية، ومن هنا نستنتج أن موقع مكتبة الملك فهد الوطنية على شبكة الانترنت، تطبق فيه أغلبية المعايير الدولية لتصميم مواقع الويب، وهو ما يفسر معدل 17.50 من مجموع 20.

- **موقع الدكتور يوسف زيدان¹**: في محاولة لسد الفراغ الموجود على شبكة الإنترنت، فيما يتعلق بالتراث والمخطوطات والذاكرة العربية الإسلامية وتيسر على الباحثين، في كافة أرجاء العالم، أورد الموقع صورا من المخطوطات الأصلية مختلفة، والمحفوظة في مكتبات أغلبها غير منشور لعلها تكون معينا للباحثين في تحقيقاتهم ودراساتهم،

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
17.5 / 20	19.2 / 20	17.7 / 20	18.9 / 20	12.6 / 20	17.2 / 20

¹<http://www.ziedan.com/default.htm>

الجدول رقم -06- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع الدكتور يوسف زيدان.

موقع موقع الدكتور يوسف زيدان للمخطوطات مرئي حسب معيار الرؤية **Visibilité** بنسبة 17.50 من 20، كما انه حسب معيار التصميم **Perception**، احسن حيث تطابق الى نسبة 19.20 من مجموع مؤشرات هذا المعيار، اما بالنسبة لمعيار التقنية **Technique**، فقد تطابقت مؤشرات هذا المعيار معموقع الدكتور يوسف زيدان بمعدل 17.70 من مجموع 20، لكن تجدر الاشارة هنا الى ان الموقع يعرض المخطوطات على شكل صور غير قابلة للتحميل وانما للقراءة المباشرة فقط، وهو ما يتطلب تدفقا عاليا لشبكة الانترنت، من اجل التصفح وبالتالي بطئ الحصول على المخطوطات في اشكالها الرقمية.

معيار محتويات Contenus: بالإضافة الى مطابقة مؤشرات معيار المحتويات بالنسبة لموقع الدكتور يوسف زيدان بمعدل 18.90، يواصل الموقع اتاحته للمخطوطات الرقمية، سعيا لأن يصل محتوى الموقع الى 1000 مخطوطة (رقمية) كاملة في تاريخ العلوم العربية عدد المخطوطات حتى الان 846 مخطوط، ثم ان عملية البحث عن المخطوطات في هذا الموقع تكون في محرك بحث بكلمة من عنوان المخطوطة، أو كلمة من اسم مؤلفها، أو كلمة من بدايتها أو موضوع المخطوطة أو رقم حفظها، الفهارس هو فهرس مكتبة رفاة الطهطاوي وهي المكتبة التي تشمل على قرابة (1800 مخطوطة) فهرس المخطوطات العلمية بمكتبة بلدية الإسكندرية (470 مخطوطة) فهرس مخطوطات شبين الكوم (350 مخطوطة) فهرس مخطوطات الفقه بمسجد ابي العباس المرسى (800 مخطوطة) فهرس مخطوطات المعهد الديني بسموحة (204 مخطوطة) فهرس مخطوطات دار الكتب بطنطا (447 مخطوطة) فهرس مخطوطات البحيرة (دمنهور، رشيد) (341 مخطوطة) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (تصوف) (407 مخطوطة) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (منطق) (241 مخطوطة) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (تاريخ) (308 مخطوطة) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (حديث) (448 مخطوطة) فهرس أبي العباس المرسى (402 مخطوطة).

معيار الخدمات Services: ورغم ان الموقع مؤمن وموثوق منه الا ان هناك مؤشرات اخرى لا تتطابق مع معيار الخدمات بموقع الدكتور يوسف زيدان، اما باقي المؤشرات فهي لا تعني الموقع من شيء كما تمت الاشارة الى هذا سابقا حيث ان تقنية تقييم المحتوى "temesis" شبكة لتقييم مختلف محتويات انواع مواقع الويب التجارية والخدمائية، وهذا ما يفسر تراجع معدل معيار الخدمات الى 12.60 من مجموع 20.

- موقع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث¹: لقد أدركت إدارة مكتبة مركز جمعة الماجد، ضرورة استثمار شبكة الانترنت، في إيصال رسالتها، ولقد لعب المركز على الانترنت، دورا مهما، في طي المسافات بين المستفيدين من خدماته، وبين ما يقتنيه من أوعية معلوماتية²، فكان احد أقسام موقع المركز على الشبكة، قسم المخطوطات، وفي ظل الأهمية الكبيرة للمخطوطات، بوصفها شواهد تاريخية، وكنوزا للإبداع الفكري على مر الزمن، وبناء على ما تقتضيه، مساهمة ركب التقدم العلمي، والتكنولوجي في العالم، والتحول الى استخدام التقنية الرقمية في التصوير، قام مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، بالتحويل من استخدام التصوير الميكروفيلمي، الى التصوير الرقمي، الذي تعد درجته على قدر كبير من الأهمية، فقد حصل المركز على أجهزة خاصة بالتصوير الرقمي، من كاميرات، وأجهزة خاصة لتحويل المصورات الفيلمية، على أقراص مدججة، وإدخال أنظمة الحاسوب، في عملية عرض الصور، ضمن برامج معينة، كما زود بطابعات وناسخات أقراص، وبدأت عملية التحويل في استخدام هذا النوع من التصوير، في عام 2000، ومنذ ذلك التاريخ، بدئ بتصوير مقتنيات المركز، على أقراص مدججة، وتم اختيار أنواع معينة من الكاميرات، التي تتمتع بمواصفات معينة، وسرعة عالية ودقة، في اخذ صور المخطوط³.

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
18.3 / 20	17.8 / 20	16.6 / 20	17 / 20	20 / 20	17.9 / 20

¹<http://www.almajidcenter.org/Arabic/Pages/default.aspx>

²مركز جمعة الماجد، إطلاق فهرس مكتبة المركز على الانترنت، مجلة أخبار المركز، س.02، ع.10، أغسطس 2004، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2004، ص.13.

³جواد أبو فرحة، في تطور بارز لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث إدارة تكنولوجيا المعلومات تطلق نظام الماجد للمكتبات والمعلومات ومشروع التصوير الرقمي للمخطوطات، في مجلة أخبار المركز، س.03، ع.03، فبراير 2005، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2005، ص.25.

الجدول رقم -07- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

موقع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث حسب معيار الرؤية **Visibilité** مرئي بمعدل 18.30. من 20، وبالنسبة لمعيار التصميم **Perception**، وحسب معيار التقنية **Technique** فان موقع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث يتطابق بمعدل 16.60 مع مؤشرات معيار التقنية، و بمعدل 17 من 20 مع معيار المحتويات **Contenus**، اما معيار الخدمات **Services** فقد تطابقت كل المؤشرات معه وهو ما يفسر معدل 20 من 20، وهذا راجع بالإضافة الى هذا ان موقع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث يعتبر من بين أهم المواقع المتخصصة في مجال المخطوطات في العالم، حيث يتيح في المكتبة الرقمية للمركز مجلتي متخصصتين في مجال التراث والمخطوطات هذا بالإضافة إلى المخطوطات في أشكال رقمية في مكتبة المخطوطات قابلة للتحميل المباشر في ملفات من صيغة pdf منها مثلاً تاريخ ميورقة ابن عميرة: أحمد بن عبد الله المخزومي . ت 656هـ، وكتب تتعلق بمجال التراث والمخطوطات أيضاً بصيغة PDF كلها قابلة للتحميل، كما أن الموقع يحتوي على محرك بحث داخلي للسرعة في عملية البحث بالإضافة إلى إمكانية العضوية في الموقع للتبليغ بكل ما هو جديد في المركز وفي العالم في مجال التراث والمخطوطات.

- مركز ودود للمخطوطات¹:

Récapitulatif des scores obtenus					
Evaluation effectuée le : 24/07/2011					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
17.5 / 20	19.2 / 20	16.6 / 20	14.8 / 20	20 / 20	17.6 / 20

¹<http://www.wadod.com>

الجدول رقم -08- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مركز ودود للمخطوطات.

من خلال الجدول يتضح لنا أن موقع مركز ودود للمخطوطات حسب معيار الرؤية Visibilité مرئي بمعدل 17.50 من مجموع 20، وحسب معيار التصميم Perception بلغ معدل 19.20 من مجموع 20، أما معيار التقنية Technique فقد بلغ معدل 16.60 من مجموع 20، ومعيار محتويات Contents ينخفض المعدل إلى 14.80 من مجموع 20، وهذا راجع إلى مجموعة من المؤشرات الضرورية في هذا المعيار والتي لوحظ غيابها بشكل واضح في موقع مركز ودود للمخطوطات ومنها على سبيل المثال عدم سهولة التعرف على هوية مصمم الموقع، وإمكانية الاتصال به، وعدم الإشارة إلى العنوان الكامل على الموقع إلى أسماء الأشخاص المذكورين على الموقع، مع عدم ذكر معلومات عن تردد التحديث، ولكن هذا لا ينقص أبدا من أهمية الموقع، حيث كان معدل معيار الخدمات Services بالنسبة لموقع مركز ودود للمخطوطات 20 من مجموع 20، وهذا راجع إلى تطابق كل المؤشرات المتضمنة في هذا المعيار بالإضافة إلى أن هذا الموقع يحتوي على كتب ومجلات مهمة في مجال المخطوطات كالفهرسة والتحقيق والصيانة والترميم وكلها قابلة للتحميل بالنص الكامل باستخدام محرك البحث عن طريق البحث المتقدم أو السريع المتقدم يكون عن طريق العنوان أو المؤلف أو الوصف أو مصدر المخطوط أو الشامل، هذا إلى جانب المخطوطات حيث جمع المركز 1000 مخطوط لنشرها على الإنترنت بلا مقابل، وفيها ما لم يطرح على التتبع قبل، هذه المخطوطات من الأزهر ومن عند الأستاذ خليفة الكواري والأستاذ حسام بوقريص، ومن تركيا والظاهرية ودار الكتب المصرية وإيرلندا والدنمارك، ومن خزانات بعض الخواص كأبي الفضل القنوني وسامي بن عبد الله السلطان وغيرهما، يهتم المركز بالمخطوطات ما كان على أقراص أو على ورق ويحول الورق إلى أقراص بلا مقابل، ويعيدها إلى أصحابها إذا كان أصلية، أما إن كان مصورا فالمرکز يرسل إليكم بالقرص إلى أصحابه ويعطيكم كل مخطوطة من عند أصحاب المخطوطات مخطوطة من المركز يحدد أصحاب المخطوطات اسمها، إذا كانت في مصر أو الشام أو بعض دول الجزيرة العربية أو إيرلندا أو البوسنة أو تركيا، وإذا كانت المخطوطة أصلية فإن المركز يأتي بأجهزته إليها ويصورها.

ومن هنا نستنتج أن هذا الموقع من حيث المحتوى الرقمي العربي المخطوط يعتبر من أحسن المواقع عربيا، حيث يهتم بالمخطوطات في أشكالها الرقمية، بالإضافة إلى الكتب المتعلقة بفهرسة وصيانة وترميم المخطوطات وتحقيقها حيث يحتوي على عدد من الكتب والمجلات المتخصصة في مجال المخطوطات العربية الإسلامية والتي لا تتوفر للباحثين في أشكالها الورقية في الدول العربية ومنها على سبيل المثال مجلة معهد المخطوطات العربية بأعدادها التسعة والأربعين متاحة للتحميل بهذا الموقع، إضافة إلى مجلة المورد العراقية، وكتب فهرسة المخطوطات وصيانتها وتحقيقها، يتم تحميلها مجانا أما باستخدام برمجيات التحميل

او بالتحميل العادي من روابط التحميل التي تظهر في صفحات البطاقات الفهرسية للمحتوى اولا ثم التحويل الى صفحة اخرى مشاهة بها روابط للتحميل المباشر.

- **مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية**¹: أنشئ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، عام 1403 هـ ومن بين الأهداف التي يسعى إليها المركز، المحافظة على التراث الإسلامي، حيث قام بإنشاء قسم خاص بالمخطوطات، يحتوي على ثمانية آلاف مخطوطة، إضافة إلى هذا، فانه أنه يقوم بتخزين المعلومات التفصيلية عن المخطوطات، في جهاز الحاسب الآلي²، ويتيح فهرسها على شبكة الانترنت.

Récapitulatif des scores obtenus					
Evaluation effectuée le : 24/07/2011					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
17.5 / 20	19.2 / 20	16.6 / 20	14.8 / 20	20 / 20	17.6 / 20

الجدول رقم -09- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

موقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية حسب معيار الرؤية Visibilité مرئي بمعدل 17.50 من مجموع 20، وحسب معيار التصميم Perception يتطابق مع مؤشرات معيار التصميم بمعدل 19.20 من مجموع 20، اما بالنسبة لمعيار التقنية Technique فكان بمعدل 16.60 من مجموع 20، ومعيار محتويات Contenus بمعدل 14.80 من مجموع 20 وفي هذين المعيارين الاخيرين نلاحظ تراجع المعدلين وهذا راجع دوما الى عدم مطابقة مؤشرات هذين المعيارين معموقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، حيث انه ورغم وجود محرك بحث داخلي بالموقع الا انه لا يمكن التعرف على هوية مصمم الموقع والاتصال به، وانعدام عنوانه الكامل على الموقع،

¹http://www.kfcris.com/index_ar.php

²المشوخي عابد سليمان، فهرسة المخطوطات العربية، المرجع السابق، ص.134.

مع عدم الاشارة إلى تردد التحديث بالموقع، اما بالنسبة لمعيار الخدمات Services فقد تطابقت كل المؤشرات مع محتوى موقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية وهو ما يفسر معدل 20 من مجموع 20، ولكن يبقى دوما المحتوى الرقمي العربي المخطوط بهذا الموقع عبارة عن فهارس الكترونية لا يمكن للباحث ان يتحصل على محتوياتها رقميا سواء تعلق الامر برسائل الماجستير والدكتوراه في مجال المخطوطات وهي كثيرة في هذا الموقع او بكتب او مجلات او فهارس للمخطوطات بالمملكة او خارجا وهذا ما يشكل عائقا بالنسبة لبعض الباحثين في الحصول على النصوص الكاملة ورقيا مستنسخة من المركز بشرط ارسال نسخة من رسالة الماجستير او الدكتوراه بعد مناقشة الى المركز.

- مكتبة المصطفى الالكترونية¹:

Récapitulatif des scores obtenus					
/07/20114Evaluation effectuée le : 2					
الرؤية Visibilité	التصميم Perception	التقنية Technique	المحتوى Contenu	الخدمات Services	النتيجة الإجمالية Votre score global
17.5 / 20	17.4 / 20	16.6 / 20	10.7 / 20	10.4 / 20	14.5 / 20

الجدول رقم -10- يمثل نتائج تطبيق تقنية تقييم المحتوى TEMESIS على موقع مكتبة المصطفى الالكترونية.

موقع مكتبة المصطفى الالكترونية حسب معيار الرؤية Visibilité، مرئي بمعدل 17.50 من 20، وحسب معيار التصميم Perception يتوافق مع مؤشرات هذا المعيار بمعدل 17.40 من 20، أما بالنسبة لمعيار التقنية Technique فكان المعدل 16.60 من 20، ويتراجع المعدل الى 10.70 و10.40 من 20 على التوالي في معياري المحتويات Contenus ومعيار الخدمات Services، وهذا راجع الى عدم سهولة التعرف على هوية مصمم الموقع وإمكانية الاتصال به وعدم الإشارة إلى العنوان الكامل على الموقع، إضافة الى انه اذا تمت الإشارة إلى أسماء أشخاص لا أي معلومات عنهم، كما لا توجد معلومات في الصفحات إلى تواريخ تحديث الموقع، ولا إلى تردد التحديث وعدم تأريخ المعلومات

¹<http://al-mostafa.info>

المعروضة، كما تغيب في هذا الموقع المعلومات القانونية، إضافة الى عدم وجود عدة أنماط للدخول في لقاء مع الموقع (البريد الإلكتروني، الهاتف، الفاكس).

ولكن رغم هذا فان محتويات مكتبة المصطفى الإلكترونية سواء بالنسبة للمخطوطات الرقمية أو الانتاج الفكري المتعلق بالمخطوطات لا يمكن انكار اهميتها، حيث يتيح الموقع عدد كبيراً من المخطوطات في اشكال رقمية قابلة للتحميل المباشر، إضافة الى امكانية تحميل الكتب والمجلات في مجال المخطوطات العربية الاسلامية، والمتاحة في محرك بحث الموقع تتم عملية تحميلها مباشرة من رابط تشعبي موجود في عنوان الكتاب، فيتم تحويل المستفيد الى صفحة أخرى، بها مجموعة من الارقام في خانات، ولبدء عميلة التحميل يتم الضغط على الرقم الشبيه بالرقم الموجود في خانة **clique**، فتبدأ عملية التحميل المباشر للكتاب او المجلة او المخطوط باستخدام برمجيات التحميل او التحميل العادي.

وندرج فيما يلي مجموعة اخرى من المواقع التي لها علاقة بالمحتوى الرقمي العربي المخطوط لكننا لم نطبق عليها تقنية تقييم المحتوى "**temesis**" لأنها من جهة لا تتيح محتوى رقمياً عربياً مخطوطاً ولا الانتاج الفكري له علاقة بالمحتوى الرقمي العربي المخطوط، ومن جهة أخرى ان اغليبيتها لا تتوافق مع مؤشرات معايير التقييم لتقنية تقييم المحتوى "**temesis**"، بل ان بعضها اكتفى بالإعلان في صفحة من صفحاته على المخطوطات المتواجدة به مع عدم اعطاء اعدادها ولا فهرسها على الاقل، ومن هاته المواقع ما هو عبارة عن صفحة ويب فقط لا تتجاوز رابطين تشعبيين، ومنها من تحتوي على محتوى رقمي عربي مخطوط لكن الحصول عليه بالمقابل، ولهذا الاسباب لم نطبق تقنية تقييم المحتوى "**temesis**"، لكن فضلنا الإشارة اليها لإحاطة الباحثين في مجال المخطوطات العربية بها.

- **الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة**¹: اشارة المكتبة الى انهاء عملها على فهرسة المخطوطات الأصلية والمصورات الفيلمية لإعادة طباعتها وإخراجها للباحثين داخل الجامعة وخارجها، والبدء في مشروع تحويل الرسائل الجامعية والمخطوطات إلى أوعية رقمية على أقراص (CD).

- **مكتبة المسجد النبوي الشريف**²: يحتوي هذا المنتدى على منتدى المخطوطات والكتب النادرة وكل ما يتعلق بالمخطوطات الأصلية والمصورة والكتب النادرة، ويمكن الباحث ان يطرح انشغاله ليجد الاجابة عليه من المشتركين في المنتدى او من ادارة المنتدى.

- **مكتبة المدينة المنورة الرقمية**: مكتبة المدينة الرقمية، موقع علمي، غير ربحي، ينطلق من المدينة المنورة، مآزر الإيمان، ومهجر النبي صلى الله عليه وسلم، ويعنى بالرصيد العلمي المكتوب، الذي تزخر به المكتبة العربية، من المؤلفات، سواء من الكتب، أو الموسوعات، أو المجلات أو المخطوطات، من تراثنا

¹<http://iu.edu.sa/web/Default.aspx>

²<http://www.mktaba.org/vb/forumdisplay.php?f=2>

المقروء، وعرضه على الشبكة العالمية للمعلومات، الانترنت، بأسلوب يحقق الفائدة العلمية، المرجوة للدارسين والباحثين، في شتى بقاع الأرض، وبطريقة عرضتناسب مع ما يخدم القارئ، ويوفر عليه الجهد والوقت، وذلك بالاستفادة القصوى، مما تتيحه التقنية الحديثة، من إمكانيات في التصفح، والعرض والبحث¹.

- **المكتبة الوقفية**²: يحتوي هذا الموقع على عدد من المخطوطات في عدة لغات وهي قابلة للتحميل المباشر بالإضافة الى الكتب والمجلات التي يحتاجها الباحثون في التعامل مع المخطوطات، ويقدم الموقع فهرسا الكترونيا للبحث بواسطة العنوان المؤلف المحقق بطاقة في محرك بحث بالإضافة الى تاريخ اضافة المخطوط الى الموقع، حيث تحتوي معلومات المخطوط على المؤلف والعنوان وتاريخ اضافة المخطوط الى الموقع مع رابط التحميل المباشر، من مجموعات المكتبة مخطوطات في مكنتات استانبول طه محسن، فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبد الله بن العباس بمدينة الطائف عثمان محمود حسين معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي.

- **مركز الوثائق بأبوظبي**³: يطمح مركز الوثائق و البحوث، بديوان رئيس دولة الإمارات من جهته، إلى تقديم خدماته للباحثين عبر العالم، بنشر سبعة ملايين وثيقة تاريخية، على شبكة الانترنت، بعد التصوير الرقمي⁴، كما يهدف أيضا إلى وضع المواد الأرشيفية كافة، بالنظام الرقمي، لحفظها وجعلها متوفرة على شبكة الإنترنت⁵.

- **وزارة الشؤون الدينية الجزائرية**⁶: موقع جزائري ايضا لكنه لا يتيح المخطوطات بالنص الكامل بل اكتفى بإعطاء استمارة للطلب على مخطوط دون توضيح كيفية الحصول على المخطوطات.

- **مكتبة الامير عبد القادر الاسلامية قسنطينة**⁷: تعتبر أول مكتبة رقمية على مستوى الجزائر، تسمح بالمحافظة على الأوعية النادرة من أمهات الكتب والمخطوطات، في العلوم الإسلامية، التي تحتوي عليها مكتبة د.أحمد عروة الجامعية، وتوازيها مع استخدام النظام الآلي لتسيير وظائف مكتبة د.أحمد عروة الجامعية، بدأت فكرة رقمنة رصيد المخطوطات، منذ سنة 2005، وخاصة لما توفرت الشروط المادية

¹فاروق جوهري، أريجالحازمي. مكتبة المدينة الرقمية : الواقع والمستقبل -. cybrarians journal -. ع.15 مارس 2008، اطلع عليه يوم: 20 جوان 2011 -. متاح في <http://www.cybrarians.info/journal/no15/madina.htm>

²<http://www.waqfeya.com>

³<http://www.cdr.gov.ae>

⁴عبد الكريم، بجاجة، نجو تحديد سياسة لحفظ الأرشيف الالكتروني في المدى الطويل، على الخط المباشر، متاح على شبكة الانترنت على الموقع: www.arbica.net تاريخ زيارة الموقع (2005-10-30).

⁵مركز الوثائق والبحوث بالإمارات العربية المتحدة، مجلة المعلوماتية ع.7 جويلية 2004 متاح على شبكة الانترنت على الموقع <http://informatics.gov.sa/magazine> تاريخ زيارة الموقع (2007-08-20).

⁶<http://www.marwakf-dz.org/cms>

⁷<http://www.univ-emir.dz>

والبشرية، باهتمام إطارات المكتبة، بضرورة معالجة هذا الكم النادر من المخطوطات، بالطريقة الآلية وهذا للحفاظ على خصوصية المخطوطات، ووضعها في متناول الباحثين والدارسين، وخاصة بتوفر الأجهزة والمعدات التي تساعد على تسريع العملية، مقارنة بحوسبة الأرصدة الوثائقية، التي تحتويها المكتبة المركزية¹، ومكتبة جامعة الأمير عبد القادر كان لها تقديم وصفي على الصفحة الرئيسية، ويتضح من خلال تصميم الموقع شكلا ومحتوى عدم وجود دراسة في مجال الدعم المالي، هذا ما يجعل الموقع في حالة توقف من حين لآخر وعدم تحديثه، ما يفرز تفاوتات تجعله لا يساير المواقع العالمية في نوعية الخدمات لترقية البحث العلمي، وما تجدر الإشارة إليه أيضا هو أنه رغم وجود رصيد رقمي ومكتبة رقمية للمخطوطات بمكتبة الأمير عبد القادر الإسلامية لكنها غير متاحة على شبكة الانترنت حتى في شكل فهرس الكتروني على الأقل للباحثين.

- **مركز المخطوطات مكتبة الاسكندرية**²: يتولى العاملون بقسم النشر التراثي من المركز مشروع رقمنة المخطوطات حيث يجري عمل نسخ رقمية لنوادير المخطوطات والكتب عن طريق ماسح ضوئي ذي كفاءة عالية أو باستخدام كاميرات رقمية فائقة القدرة، ويتم حفظها على أقراص مضغوطة، ومشروع المتصفح التخييلي **Virtual Browser** لنوادير المقتنيات، وتتوالى إصدارات مركز المخطوطات من خلال هذا القسم متخذة شكلين، أولهما النشر الإلكتروني عن طريق الوسائط المتعددة التي تصدر في شكل أسطوانات مدمجة، ومن أهم الأعمال التي تصدر حاليا، سلسلة المكتبة الرقمية للمخطوطات، وقد صدرت المجموعة الأولى مشتملة على سبعة مخطوطات من نوادر مجموعة بلدية الإسكندرية، ثم صدرت المجموعة الثانية التي تضم سبعة من أهم وأندر مخطوطات مسجد أبي العباس المرسى، ويجري العمل اليوم لإصدار المجموعة الثالثة التي تضم سبع مخطوطات نادرة من مجموعة المعهد الديني بسموحة، أما المجموعة الرقمية الرابعة أصدرها المركز مؤخرا فهي مختارات من مجموعة جامعة أوسالا.

- **مشروع رقمنة مقتنيات دار الوثائق القومية**: قررت إدارة الدار العمل على إنشاء قاعدة بيانات ضخمة تشمل 25 مليون تسجيلية تغطي كل مقتنيات الدار البالغة مئة مليون وثيقة، وتم تطبيق المشروع على خمسين ألف وثيقة فقط، بحيث يتم تجميع بياناتها وربطها بصورة رقمية للوثيقة، كما تمت الاستفادة من المشروع في تقديم الخبرة الاستشارية لتنفيذ مشروع استرشادي لرقمنة أرشيف التاريخي لوثائق مجلس الوزراء وذلك بإعداد قاعدة بيانات تحتوى على 32000 ألف تسجيلية و المسح الرقمي لعدد 5 آلاف وثيقة ويعتبر هذا بداية للتطبيق مع الوزارات والإدارات المحلية لربط أرشيفاتها بالأرشيف الوطني المصري وتكوين شبكة داخلية تسمح بالتداول الإلكتروني للمعلومات.

¹ أرشيد، مزلاح، الأنظمة الآلية ودورها في تنظيم مخطوطات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر: واقع وآفاق، أطروحة ماجستير، علم المكتبات، قسنطينة: جامعة منتوري، 2006.

² <http://www.manuscriptcenter.org/center/Arabic>

- مكتبة دار الكتب الوطنية: تذخر الدار، بنفائس التراث من المخطوطات النادرة، يصل الى 60000 مخطوطة¹، مما جعلها هدفا لمرافق المعلومات، والمؤسسات المهمة بحفظ ونشر التراث، وبناء عليه تحدد واقع مشروع المكتبة الرقمية الفعلي بها، في جهود رقمنة نماذج من المخطوطات ونشرها، حيث قام المركز الإقليمي لتكنولوجيا المعلومات وهندسة البرامج، برقمنة عدد من نفائس مخطوطات دار الكتب، وأصدر من خلاله قرصا مليونيا، حصلت الدار على نسخة منه، محملة على جهاز حاسب مستقل، بقاعة المخطوطات، وهي لا تمتلك نسخة أصلية، مختزنة على وسيط خارجي، وفي سبتمبر 2002 قامت دار الكتب برقمنة مجموعة من المخطوطات، سواء الورقية أو الميكروفيلمية، وإصدارها على أقراص مليونية، ونتج عن هذا إنجاز قاعدة بيانات للمخطوطات، إضافة إلى إعلان القائمين على مشروع الرقمنة، قرب صدور أول اسطوانة، حول دور العرب في الطب².

- مركز المخطوطات والتراث الوثائق³: يمكن البحث في هذا الموقع عن طريق محرك بحث في رقم المخطوط اسم مؤلف المخطوط او موضوعه، لكن بدون الحصول على النص الكامل للمخطوط ولا على صفحات منه او بطاقة فهرسية له.

- وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قطاع الافتاء والبحوث الشرعية: ادارة المخطوطات والمكتبات الاسلامية: تقوم هاته المؤسسة باقتناء المخطوطات وإعداد البيانات والمعلومات عنها، فهرسة وعمل أرشيف خاص بمحتويات المخطوطات، متابعة كل ما يستجد من وتعديلات على نظم فهرسة وتصنيف المخطوطات وتطبيق المناسب منها، توثيق العلاقات مع مراكز المخطوطات العالمية ووضع نظم وقواعد لتبادل وإهداء المخطوطات معها، وضع النظم الآلية لمصادر المخطوطات والاستفادة من هذه النظم في إثراء مكتبة المخطوطات، اما القسم الثاني يتعلق بالحفظ والمعالجة، حفظ وصيانة المخطوطات الإسلامية، القيام بكافة أعمال التصوير والترميم وعمل المصغرات الفيلمية، تجليد المخطوطات وإعدادها للعرض والاستخدام، التأكد من استمرارية كفاءة تشغيل الآلات والأجهزة ومتابعة أعمال الصيانة الدورية لها.

3. نتائج الدراسة:

- تفاوتت مواقع المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت من حيث الرؤية، التصميم، التقنية، المحتوى، والخدمات حسب معايير تقنية تقييم المحتوى "temesis" والمؤشرات المتضمنة في هاته المعايير.

¹محمود فهمي حجازي، سياسة صيانة المكتبة الوطنية (دار الكتب) المصرية وحفظها، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.46.

²محمد، عماد عيسى صالح، المرجع نفسه.

³<http://www.makhtutat.org>

- انقسم المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت إلى عدة أصناف، مواقع محتوى رقمي عربي مخطوط تعريفية وخالية من المحتوى الرقمي العربي المخطوط، ومواقع عربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط تحتوي على مخطوطات رقمية لا أكثر، وهناك مواقع للمحتوى الرقمي العربي المخطوط تحتوي على محتوى بيبليوغرافي وفهارس الكترونية للمخطوطات فقط، وبالمقابل مواقع عربية للمحتوى الرقمي العربي المخطوط تحتوي على محتوى رقمي عربي مخطوط، بالإضافة إلى الكتب والدوريات الالكترونية وقواعد المعطيات في مجال المخطوطات، كما قد نجد في الدولة الواحدة تباين بين مواقع تتيح مخطوطات مجانا واخرى لا تتيح الا الفهارس الالكترونية واخرى عبارة عن صفحات ويب فقط، وهناك دولا عربية لم تقم بعد بصناعة محتوى رقمي عربي مخطوط الى حد الان على شبكة الانترنت، ودول لها مشاريع لرقمنة المخطوطات لكن نتائجها لم تتاح بعد للباحثين بكل اسف.

- تبقى المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة الرائدتين في هذا المجال عربيا، بفعل الدعم الذي تجده مثل هاته المشاريع من طرف الجهات العليا في السلطة، والادلة مكتبة المدينة المنورة الرقمية، ومكتبة الملك عبد الله الرقمية ومكتبة المسجد النبوي الشريف وغيرها حيث لا تخلو مكتبة من مكتبات المملكة جامعية او وطنية الا وأرصدتها مجموعات المخطوطات على شبكة الانترنت، ومكتبة الازهر الرقمية، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

- مشاريع رقمنة وصناعة المحتوى الرقمي المخطوط بالدول العربية ضعيفة جدا بل تكاد منعدمة مقارنة بحجم التراث العربي المخطوط وحجم الامكانيات المادية والبشرية المتاحة بهاته البلدان وتختلف من دولة الى دولة، واحيانا نجد مشاريع لصناعة المحتوى الرقمي العربي لكنها من خارج الدول العربية ومن دول اجنبية كمشروع¹Manumed مثلا، وبملك ذاكرتنا غيرنا، لولا اقبال بعض الغيورين من ابناء الامة العربية كالشيخ راشد ال مكتوم والملك عبد الله حفظهما الله تعالى.

4. توصيات الدراسة: بناء على المعلومات المعروضة في هاته الدراسة، وما تم تحليله والوصول اليه من نتائج فإننا نحاول ان نصوغ اهم التوصيات فيما يلي:

- تدعيم مثل هاته المشاريع من اجل الوصول الى المكتبة الرقمية العربية للمخطوطات، يبحر فيها الباحثون العرب عبر شبكة الانترنت من المشرق الى المغرب العربي، وهو ما يساهم تنقل المخطوطات العربية افتراضيا بين مختلف ايدي الباحثين العرب وعبر العالم مع الحفاظ على نسخها الاصلية.

- تتضح اهمية ضرورة رقمنة المخطوطات العربية في البلدان العربية كخطوة نحو قيام صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط على شبكة الانترنت، فهذا هو المنطلق نحو النهوض بالامة العربية والحفاظ على هويتها

¹Stéphane Iprt , les Manuscrits, paris:sindbad, 2003 ,p.02.

وصون تراثها، ودخولها الى عصر المعلومات بقوة، وسد الفجوة الرقمية التي تزداد اتساعا بين الدول المتقدمة والدول النامية في هذا المجال على وجه الخصوص.

- تحفيز الجهات المعنية في الدول العربية على دعم صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط، وذلك كخطوة نحو اثبات الحضور العربي في مجال المخطوطات على شبكة الانترنت، ولعل توجه مختلف الدول العربية والغربية، وخاصة المتقدمة منها في مجال البحث العلمي، نحو الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة للاتصال، واستثمار شبكة الانترنت في إيصال رسالتها، من خلال رقمنة أرصدها من المخطوطات، للتصفح عبر مواقعها على شبكة الانترنت، هذه الأخيرة، لعبت دورا مهما، في طي المسافات، بين المستفيدين من المخطوطات، وبين ما تقتنيه هاته المراكز منها، في ظل الأهمية الكبيرة للمخطوطات، بوصفها شواهد تاريخية، وكنوزا للإبداع الفكري، على مر الزمن، واجب، تقتضيه مساهمة ركب التقدم العلمي، والتكنولوجي في العالم، و فرض، تمليه ضرورة مواكبة التطورات العلمية في كل حين.

- انطلاقا من أهمية المخطوطات في البحث العلمي، حيث أن المخطوط يفتح أمام الباحثين مجالا واسعا في البحث، أدى إلى تعدد وجوه البحث العلمي في مجال المخطوطات، ومن منطلق أن المخطوطات، تشكل معيارا لقياس مدى تطور البحث العلمي، لدى دولة من الدول، فان الدول التي تحافظ على تراثها المخطوط، وتقوم بصيانتها، وإتاحته، والتعريف به لدى الباحثين، تحافظ بالتالي على ذاكرتها وماضيها، ومن ثم تاريخها من الزوال، وهي بذلك تبني حاضرها، ومستقبلها، انطلاقا من ماضيها.

- صناعة المحتوى الرقمي العربي المخطوط تساهم في استرجاع ما تم نهبه وسرقته من الاستعمار وهو الان في مكتبات ومتاحف الغرب يفخر به علينا بعدما استغله في بناء حضارته، ولو في اشكال رقمية على الاقل.

- واي عمل افضل من ان نعيد الحياة لهذا المخطوط او ذاك رقميا، واتاحته للباحثين من اجل ان تؤدي مهمتها الفكرية والعلمية في المجتمع كما كانت في عصر النهضة العربية الاسلامية.

- ملاحق الدراسة: معيار الرؤية Visibilité :

Récapitulatif des réponses données		
N o	Question	Votre réponse
V 1	L'URL du site est-elle intuitive, en relation avec le contenu, l'activité ou l'auteur du site ?	

V 2	L'URL du site est-elle courte ?	
V 3	L'URL du site comporte t-elle des caractères spéciaux ?	
V 4	L'extension de l'URL est-elle cohérente avec la localisation et/ou l'activité du site ?	
V 5	Avez-vous défini le public potentiel (âge, lanque, CSP, centres d'intérêts, ...) du site ?	
V 6	Les mots-clés et le résumé sont-ils établis en fonction du public du site et en adéquation avec le contenu ?	
V 7	La racine ou la page d'accueil contiennent-elles des instructions pour les robots (fichier robots.txt ou balise meta) ?	
V 8	Dans la page d'accueil, existe t-il un contenu texte qui soit accessible aux outils de recherche ?	
V 9	Les titres des pages reflètent-ils leur contenu ?	
V 10	Dans les pages du site, existe t-il un contenu texte qui soit accessible aux outils de recherche ?	
V 11	La qualité du référencement est-elle suivie et contrôlée régulièrement ?	
V 12	Le site est il référencé dans les principaux outils de recherche de la cible ?	
V 13	La popularité du site est-elle mesurée et suivie régulièrement ?	
V 14	Le site est-il populaire : existe il des sites qui font un lien vers le site analysé ?	

V 15	Les statistiques d'accès au site sont-elles analysées régulièrement ?	
V 16	La fréquentation du site est-elle conforme à vos objectifs ?	

:Perception معيار التصميم

Récapitulatif des réponses données		
N o	Question	Votre réponse
P 1	Existe t-il des pages à la fois inutiles et obligatoires (page tunnel) ?	
P 2	Les menus de navigation sont-ils présents sur toutes les pages ?	
P 3	Est-il toujours possible de revenir à la page d'accueil ?	
P 4	La rétroaction (aller retour) est-elle toujours possible ?	
P 5	Est-ce que le site fournit à l'internaute le moyen de savoir où il se trouve dans l'architecture du site (chemin) ?	
P 6	Le nombre maximum de clics pour accéder à une information est-il inférieur à trois ?	
P 7	Existe t-il un plan du site accessible depuis toutes les pages ?	
P 8	Existe t-il une page d'erreur personnalisée permettant de reprendre la navigation ?	

P 9	Les couleurs des liens sont-elles standard ?	
P 10	Peut-on faire la différence entre les liens externes et internes ?	
P 11	Les liens sont-ils clairement identifiés par rapport au texte ?	
P 12	La publicité est-elle clairement séparée du contenu ?	
P 13	La publicité est-elle en rapport avec le thème du site ?	
P 14	Si le site propose des pops-ups, sont-elles déclenchées par l'utilisateur ?	
P 15	Si le site utilise des pop-ups, peuvent-elles se fermer facilement ?	
P 16	Si le site utilise des pop-ups publicitaires, s'ouvrent-elles lors du chargement de chaque page du site ?	
P 17	Les couleurs utilisées permettent-elles une bonne lisibilité ?	
P 18	La charte graphique est-elle cohérente sur l'ensemble du site ?	
P 19	Si les pages comportent des éléments clignotants ou animés, apportent-ils de la valeur au contenu ?	
P 20	Les icones sont-ils signifiants ?	

معيار التقنية: Technique

Récapitulatif des réponses données

N°	Question	Vot re répo nse
T 1	Le code source est il conforme aux normes du W3C ?	
T 2	Est il possible d'augmenter la taille des polices ?	
T 3	Les contenus alternatifs (balise "alt") sont ils indiqués ?	
T 4	Si la consultation nécessite un plug-in, existe t-il une version alternative ?	
T 5	Le code source est-il accessible, clair et commenté ?	
T 6	Le site est-il compatible pour les équipements (systèmes d'exploitation, navigateurs, résolutions, ...) de la cible ?	
T 7	Est-il possible de naviguer en refusant les cookies ?	
T 8	La validité des liens est-elle régulièrement vérifiée ?	
T 9	Existe t-il des liens morts ?	
T 10	Les fonctionnalités proposées par le site (formulaire, téléchargements, outils, ...) sont-elles contrôlées régulièrement ?	
T	Toutes les fonctionnalités proposées par le site	

11	(formulaires, téléchargements, outils, ...) fonctionnent-elles correctement ?	
T 12	Les noms de fichiers comportent-ils des espaces ou des caractères spéciaux ?	
T 13	Les images et le contenu multimédia sont-ils optimisés (meilleur rapport qualité/poids)?	
T 14	La page d'accueil est-elle de poids supérieur à 80 ko (Pour un modem 56K, temps de chargement > 10 secondes) ?	
T 15	Existe t-il des pages de poids supérieur à 200 ko (Pour un modem 56K, temps de chargement 25 secondes)?	
T 16	La disponibilité et la rapidité du serveur sont-elles contrôlées régulièrement?	
T 17	Si le site utilise des cookies, leur durée de vie est-elle accessible ?	
T 18	Vérifiez-vous régulièrement la sécurité des répertoires ou fichiers sensibles ?	
T 19	Effectuez-vous régulièrement une sauvegarde de votre site (pages, bases de données, ...) ?	
T 20	En cas d'échange de données sensibles, les espaces sont-ils sécurisés (protocole https par exemple) ?	

معيار المحتويات :Contents

Récapitulatif des réponses données

N o	Question	Votr e répo nse
C 1	L'orthographe et la qualité de la langue et/ou des traductions sont-elles contrôlées ?	
C 2	Si le contenu est important, existe t-il un moteur de recherche interne ?	
C 3	Si le site contient des termes techniques, contient-il un lexique ?	
C 4	La présence éventuelle de publicité nuit-elle à la consultation du contenu ?	
C 5	Les liens sont-ils cohérents avec le contenu du site ?	
C 6	Les informations présentées sont-elles étayées ?	
C 7	Le nom du site est-il indiqué sur la page d'accueil ?	
C 8	Les objectifs et le contenu du site sont-ils facilement accessibles ?	
C 9	L'identité de l'auteur ou du responsable du site est-elle accessible ?	
C 10	Est-il possible de rentrer en contact avec l'auteur ou le webmaster ?	
C 11	Une adresse complète est-elle indiquée sur le site ?	
C	Si des noms de personnes sont indiqués, leur fonction	

12	ou leur activité est-elle précisée ?	
C 13	Les dates de mise à jour sont elles indiquées sur les pages ?	
C 14	La fréquence de mise à jour est-elle indiquée ?	
C 15	Le visiteur a t-il accès à une rubrique présentant les nouveautés sur le site (rubrique quoi de neuf, actualité, ...) ?	
C 16	Le site comporte t-il des zones en construction ?	
C 17	Les informations présentées sont-elles datées ?	
C 18	Les informations juridiques (mentions légales et copyrights) sont-elles indiquées ?	
C 19	Si l'éditeur du site est français, et qu'il collecte des données personnelles, le N° de déclaration Cnil est-il indiqué ?	
C 20	La politique de gestion des données personnelles est-elle accessible ?	
C 21	Les informations relatives aux cookies sont-elles indiquées ?	
C 22	La netiquette est-elle respectée ?	
C 23	S'il existe un risque de conflit d'intérêt, est-il décrit aux visiteurs ?	

معيار الخدمات: Services

Récapitulatif des réponses données

N°	Question	Votre réponse
S1	Existe t-il plusieurs modes pour entrer en contact avec le site (mail, téléphone, fax ...) ?	
S2	Les interlocuteurs responsables des services rendus sur le site sont-ils clairement identifiés ?	
S3	Le cas échéant, chaque service ou chaque interlocuteur propose t-il un contact direct (email différencié, ligne directe ...) ?	
S4	Le délai et le mode de traitement des e-mails entrants est-il suivi et maîtrisé ?	
S5	Le délai de traitement des e-mails entrants est-il précisément indiqué aux utilisateurs ?	
S6	Le délai de traitement des e-mails entrants indiqué aux utilisateurs est-il respecté ?	
S7	Tous les e-mails entrants (hors spam) reçoivent-il une réponse ?	
S8	Le cas échéant, les conditions de traitement des autres demandes clients sont-elles indiquées sur le site (horaires d'ouverture du service client, de l'entreprise, coût des appels...) ?	
S9	Le visiteur a t-il accès aux informations (tarif, disponibilité, taxes, conditionnement ...) concernant le produit ?	
S10	Les images des produits sont-elles fidèles ?	
S11	Le visiteur a t-il accès aux conditions générales de vente ?	

S12	La mention satisfait ou remboursé est-elle indiquée ?	
S13	Les informations sur la sécurité sont-elles présentes ?	
S14	Les heures d'ouverture du magasin sont-elles indiquées ?	
S15	Le visiteur a t-il accès à l'immatriculation au registre du commerce ?	
S16	Le visiteur peut-il accéder à tout moment à l'état de sa commande ?	
S17	Les délais et modalités de livraison sont-ils indiqués à l'utilisateur ?	
S18	Les frais de port sont-ils clairement présentés ?	
S19	Le site propose t-il des modes alternatifs de paiement ?	
S20	Les commandes sont-elles confirmées par email ?	
S21	Le site est-il assuré ?	
S22	Le site est-il certifié ?	
S23	Si le vendeur appartient à une corporation, un ordre ou une fédération, cela est il indiqué ?	

أصول التربية و التعليم في الأندلس

من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف (138-479هـ/756-1086 م)

- دراسة في مناهج التعليم وطرق التدريس -

أ. بن حاج ميلود

جامعة ابن خلدون ، تيارت

مقدمة :

لقد حث الإسلام على طلب العلم وضرورة الصبر في طلبه , وتحمل الصعاب لتحصيله كيف لا وقد نزل الأول من الوحي على أفضل صلاة و أزكى تسليم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)¹ , وفي فضل العالم على الجاهل يقول تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)² , وفي هذه الآية منع الله عزوجل المساواة بين العالم والجاهل لما خص به العالم من فضيلة العلم , وقال في موضع آخر (وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ)³ , وقال عليه الصلاة والسلام وهو يبين مكانة ورفعة العلماء عن غيرهم من العامة إذ قال صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً و لا درهماً , وإنما ورثوا العلم)⁴ .

وروى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا هو بمجلسين : أحدهما يذكرون الله تعالى , والآخر يتفقهون , فقال صلى الله عليه وسلم : " كلا المجلسين على خير , و أحدهما أحب إلي من صاحبه , أما هؤلاء فيسألون الله تعالى , ويذكرونه , فإن شاء أعطاهم , وإن شاء منعهم , وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه , و يعلمون الجاهل , وإنما بعثت معلماً " , و جلس إلى أهل الفقه .⁵

¹ سورة العلق رقمها 96 , الآية من 01 إلى 05 برواية حفص عن عاصم .

² سورة الزمر , رقمها 39, الآية 9 .

³ سورة العنكبوت , رقمها 29 , الآية 43 .

⁴ أخرجه ابن ماجه رقم 223 . 82/1 في المقدمة : باب الانتفاع بالعلم . الترمذي رقم 2682 كتاب العلم , باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة . وابن حبان في صحيحه رقم 88 .

⁵ أخرجه ابن ماجه , رقم 221 , في المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم .

و يشير صاعد الأندلسي (ت 462هـ)¹ في كتابه طبقات الأمم أن اهتمام الأندلسيين بالحركة التعليمية بدأ فعلياً منذ عصر الإمارة , لكن الاهتمام كان منصبا على العلوم الدينية الشرعية وعلوم اللغة دون غيرها من العلوم الأخرى , ويقدم تاريخاً مضبوطاً فيحدده ابتداء من منتصف القرن الثالث للهجرة /التاسع للميلاد وذلك في فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم² (238-273هـ/854-886م) إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجري /العاشر للميلاد , وفي هذه الفترة بين القرنين شاع علم الحساب والفلك³ , كما انه من المتفق عليه في بعض الدراسات الحديثة أن عصر الخلافة في القرن الرابع الهجري /العاشر ميلادي يعد قمة الحضارة التي وصلت إليها الأندلس حيث شهدت نهضة علمية نافست بها العواصم العلمية المنتشرة آنذاك في المشرق , في مختلف العلوم والآداب , وستبرز أهمية هذه الريادة في العطاء والإنتاج الفكري الذي ستعرفه الأندلس فيما بعد , ويقصد بذلك في عصر ملوك الطوائف الذي يعد من أخصب المراحل التي مرت بها الأندلس من حيث ازدهار حركة التأليف والإنتاج الفكري والاهتمام بالكتب والنفائس, وكل ما يتعلق بالعلم بصفة عامة⁴, وفي هذا المقام يقول المؤرخ عبدالرحمن علي الحجي :

" كان العلم منتشرا في الأندلس انتشارا تفتقره كثير من البلدان المعاصرة لنا , ولها حظ في التعليم ... كبير من خير ما يقدم عصر الطوائف إلى جانب صفحات الجهاد المشرقة ... إنتاجا غزيرا وفيرا ومشرقنا مبدعا في مختلف الميادين فهو زاخر بالمؤلفات الأمهات والأصول الضخمة التي وصلنا بعضها قسم كبير من هذا ما يزال مخطوطا ..."⁵ .

انطلاقا مما سبق يجدر بنا طرح إشكالية مفادها : على أي أساس ارتكز التعليم في الأندلس منذ إنشاء أول إمارة فيها (كدولة مستقلة عن مركز الخلافة في المشرق) إلى غاية نهاية عصر التفكك

¹ صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي , قاضي طليطلة , ولد بالمرية سنة 420 هـ وتوفي بطليطلة سنة 462 هـ , يكنى : أبو القاسم , قرطبي الأصل , استقضاه المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة , عرف بالذكاء وعلو كعبه في علم الرواية والدراية .

ابن بشكوال (أبو القاسم بن خلف) , الصلة , تحقيق : إبراهيم الأبياري , دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ج 1 , ط 2 , 1989 , ص 370 .

² من أمراء الأندلس , ولد وتوفي في قرطبة , تولى الملك بعد وفاة أبيه , كان عاقلا , عادلا , محسنا للرعية , كثير الغارات والغزوات على الإفرنج , له باع في البلاغة والأدب وقد بلغت مدة حكمه أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً . ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) , الحلة السبيرة , وضع حواشيه وعلق عليه : علي إبراهيم محمود , دار الكتب العلمية , بيروت , ط 1 , 2008 , ص 74 . خير الدين الزركلي , الأعلام , دار العلم للملايين بيروت , ج 6 , ط 16 , 2005 , ص 188 .

³ صاعد الأندلسي (أبو القاسم بن أحمد) , طبقات الأمم , نشر وتحقيق : لويس شيخو , المطبعة الكاثوليكية بيروت , 1912 , ص ص 63 - 64 .

⁴ يوسف علي بن إبراهيم العريني , الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين , مطبوعات الملك عبد العزيز العامة الرياض , ط 1 , 1995 , ص 14 .

⁵ عبد الرحمن علي الحجي , التاريخ الأندلسي , دار القلم , دمشق , ط 5 , 1997 , ص ص 411-412 .

السياسي (عصر ملوك الطوائف)؟ أو بعبارة بسيطة وأدق كيف كانت مناهج التعليم ومدارسه في الأندلس خلال هذه الفترة المطروقة ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قسمت موضوع هذا البحث إلى مبحثين أساسيين ، الأول معنون بالمراحل والمناهج التعليمية ، ويندرج في إطاره عناوين فرعية ثلاث تتناول المراحل التعليمية الأولى ، المتوسطة ، والعليا على التوالي ، ومناهج التربية والتعليم كل مرحلة على حدا ، أما المبحث الثاني تحت عنوان: طرق التدريس من بداية التعليم إلى آخر مرحلة ، وهو مقسم بدوره إلى عناوين فرعية بحسب تنوع واختلاف تلك الطرق على سبيل المثال لا الحصر كطريقة الإسماع ، والإملاء ، القراءة ، المناقشة ، المناظرة ، والإجازات العلمية .

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف وسرد حال العملية التربوية والحركة التعليمية ، وكذلك توظيف المنهج التاريخي كأساس ومسار للموضوع من خلال تتبع الزمني لواقع التربية والتعليم للفترة الزمنية المقترحة في عنوان الدراسة (عصر الإمارة ، وعصر الخلافة ، وعصر ملوك الطوائف) .

ولقد استفدت في معالجة هذا الموضوع من بعض الأصول والمصادر التاريخية النفيسة كموسوعة التراجم والطبقات الموسومة بتاريخ علماء الأندلس للعالم المؤرخ ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ) ، وكذلك كتاب الصلة للقاضي المريني ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1183م) ، زيادة من بعض الدراسات الأكاديمية الحديثة المتخصصة والمتميزة كالدراسة التي قام بها الباحث سعد بن عبد الله البشري المعنونة بالحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، والكتاب المعنون بالتربية الإسلامية في الأندلس للمستشرق الأسباني خوليان ريبيرا ، وكذلك البحث الذي قام به الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيث في الأطروحة المعنونة بالحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين ، فرغم اختلاف الإطار الزمني بين دراسته وموضوع هذا البحث إلا أن أطروحته أفادتني في بعض الإشارات التي لها علاقة بهذا البحث و هو بصدد التفصيل في موضوعه .

وللحديث عن التعليم في الحضارة الأندلسية من عصر الإمارة إلى عصر ملوك الطوائف فلا بد والإشارة على انه لم يثبت في المصادر ولا في الدراسات الحديثة انه قامت مؤسسات رسمية خاصة بالتعليم - كما هو الحال في عصرنا الحالي - تعني الدولة أو السلطة الحاكمة بتسييرها والإشراف والإنفاق عليها ، بل كان التعليم والتحصيل العلمي آنذاك بالاجتهاد الشخصي لكل طالب علم¹ ،

¹ السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1985 ص 283 .

ويتدرج المتعلم في حياته التعليمية على ثلاثة مراحل , وهذا التقسيم قائم على أساس السن ومكان التعليم , والمادة التعليمية¹ .

المبحث الأول : المراحل و المناهج التعليمية :

قبل التطرق إلى المناهج التعليمية التي عرفت الأندلس في مرحلة محل الدراسة , لا بأس الوقوف عند نص متميز يرجع إلى منتصف القرن الثاني للهجرة / الثامن ميلادي لأحد المربين وهو عالم الأندلس وفقهها عبد الملك بن حبيب السلمي² (ت 238 هـ) الذي قدم رسالة مفصلة إلى معلم ولده يحدد فيها السمات والملامح الواجب توفرها في المعلم قبل عملية التعليم , حيث يرى ابن حبيب أن شخصية المعلم لا بد أن تتوفر على مجموعة من الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي يتميز بها المعلم عن غيره , فعليه أن يكون مثالا حيا للأخلاق الحميدة الفاضلة ليتأثر بها الصبيان , وبالتالي يتم أول هدف للتربية وهو غرس مكارم الأخلاق في روح المتعلم , إذ يتأثر المتعلمون في سن بداية التعليم لمظهر المعلم وشكله وحركاته , وإشاراته وألفاظه وسلوكه بصفة عامة , وإن يكون حكيما يعرف نفسيات تلاميذه ويخاطبهم على قدر عقولهم , ويتدرج بهم من السهل إلى الصعب ومن الكل إلى الجزء ومن العام إلى الخاص والرفق بهم ... وهكذا³ .

وللحديث عن المناهج التي اعتمدها الأندلسيون في التعلم , فالمتفق عليه أن للتعليم مراحل , فلكل مرحلة منهجها الخاص بها في التحصيل , فتوجد المرحلة الأولى : وهي مرحلة الصغر , والتي تهتم بهذا الكتاب أو الكتاب , وتشمل أطفال عامة الناس وخاصتهم , ثم المرحلة الثانية تبدأ عند نهاية المرحلة الأولى , ثم المرحلة الثالثة وهي مرحلة التخصص بلغة العصر الحالي .

المرحلة الأولى : مرحلة الكتاب أو الكتاب :

وهي المرحلة الأولى التي يتعلم فيها الصبيان , حيث اعتنى الأندلسيون بتعليم أنفسهم , وأبنائهم وحرصوا على مكافحة الجهل , والتخلف , ويقول المقرئ في هذا: " وأما حال أهل الأندلس في فنون

¹ محمد عبد الحميد عيسى , تاريخ التعليم في الأندلس , دار الفكر العربي , القاهرة , ط1 , 1982 ص 211 .
² أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي الألبيري , عالم الأندلس , وفقهها , أصله من طليطلة , ولد بحصن واط سنة 174 هـ , له مؤلفات في الفقه , والتاريخ , والأدب توفي في بداية حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط . ابن الفرضي (أبو الوليد عبدالله بن محمد) , تاريخ علماء الأندلس , تحقيق : إبراهيم الأبياري , دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ج 2 ط 1 , 1989 , ص 459 وما بعدها .

³ سعيد اعراب , رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده (أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس) , "مجلة الثقافة" المغربية العدد : 07 , وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي , المغرب , 1972 , ص ص 60 , 63 .

العلم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز , فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ...¹ , وقامت الكتاتيب أو الكتاب , أو ما يعرف بالمكاتب بالدور الجليل المنوط بها , وهو تعليم الصبيان في المرحلة الأولى , وتشير المصادر أن الحكم المستنصر² (350-366 هـ) فتح سبع وعشرين مكتبا في مدينة قرطبة لوحدها منها ثلاثة مكاتب حول المسجد الجامع , والباقي تتوزع في كل أرياض المدينة , وعين المؤدبين فيها لتعليم الفقراء والمساكين³ , وكان من المعلمين الكتاب المشهورين آنذاك حبيب بن احمد بن إبراهيم المعلم⁴ (ت 337 هـ) , وإبراهيم بن احمد بن محمد بن خلف الأنصاري الطرطوشي⁵ من بلنسية .

• مناهج التعليم في مرحلة الكتاب :

من المعلوم أن نظام التعليم لدى المسلمين عامة يقوم على تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة , ولقد أولى الأندلسيون هذا الجانب أهمية بالغة في مراحل تعليمهم , لذا كان القرآن الكريم بالأخص هو الأساس في العملية التربوية في المرحلة الأولى اذ كان تعليم القرآن الكريم ثم تعليم اللغة العربية , ومن خلال نصين لعالمين أندلسيين احدهما متقدم والآخر متأخر يقدمان المناهج التعليمية المتبعة آنذاك في تعليم الصبيان , فالنص الأول يتمثل في رسالة عبد الملك بن حبيب التي وردت سابقا , والنص الثاني للفقيه والمؤرخ وعالم الأندلس ابو بكر ابن العربي (ت 543 هـ / 1148 م) حيث وضع ابن حبيب منهجا لتعليم ولده يقوم على تعليم كتاب الله اقتداء بما هو معمول به لدى أهل الأندلس , ويورد في الرسالة التي قدمها أن من فضائل البدء بتعليم القرآن وتحفيظه في بداية التعليم عند الصبيان انه يرسخ الإيمان في قلوب الصبيان , فالقرآن أصل التعليم عند الأندلسيين , ثم تعليم الهجاء والخط والنطق به نطقا سليما صحيحا , وطريقة تعليم القرآن عند الكتاب او الكتاتيب تهتم بكتابة الصبي الآيات المراد حفظها في اللوح, ثم يحفظها , وعند حفظه يقوم بمحيطها من اللوح بواسطة الماء في مكان طاهر , وهكذا وبهذه الطريقة حتى يحفظ ما استطاع من القرآن⁶ .

¹ المقرئ التلمساني (أحمد بن محمد) , نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب , تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي , دار الفكر , بيروت , ج 1 , ط 1 , 1998 , ص 181 .

² الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله , الخليفة الأموي الأندلسي , ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 350 كان حسن السيرة , عادلا , شغوفاً بالعلم والأدب والتاريخ والأنساب , شاعرا , جماعا للكتب . ابن الأبار المصدر السابق , ص 116 و ما بعدها . خير الدين الزركلي , المرجع السابق , ج 2 , ص 267 .

³ ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) , البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تحقيق ومراجعة : ليفي بروفنسال و ج . س كولان , دار الثقافة , بيروت , ج 2 , ص 240 .

⁴ ابن الفرضي , المصدر السابق , ج 1 , ص ص 227 - 228 .

⁵ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) , التكملة لكتاب الصلة , تحقيق : إبراهيم الأبياري , دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ط 2 , 1989 , ص 206 .

⁶ سعيد اعراب , المرجع السابق , ص 61 .

ويوضح الفقيه ابن العربي أن المنهج التعليمي الذي سار عليه أثناء تعلمه في الصغر - وهو النظام التعليمي الذي وضعه له والده - حيث ابتدأ بدراسة القرآن الكريم وحفظه وتم له ذلك وهو في سن التاسعة , ثم عين له والده ثلاثة معلمين : الأول لتدريسه القراءات¹ , والثاني للغة العربية والمعلم الثالث لتعليمه الحساب والعدد وكل ماله علاقة بعلم الفلك , ويشير ابن العربي انه في سن السادسة عشر أتقن عشرة من أحرف القرآن , وتجويده , وتمكنه من اللغة العربية , وفهم الكثير من مسائل الحساب والفرائض وكذلك كتاب إقليدس وبعض من علم الفلك , ويقول ابن العربي : أن هؤلاء المعلمين تعاقبوا عليه في التدريس في اليوم بداية من صلاة الصبح حتى صلاة العصر².

ويبحث الفقيه والعالم ابن حبيب في وصية لمعلم ولده انه بالإضافة إلى تعليم القرآن الكريم , كذلك عليه تعليم الشعر , ثم الحديث الشريف خصوصاً الصحيح منه³.

وبالنظر إلى النصوص المتواترة في المصادر فالمنهج التعليمي الذي سار عليه عموم الأندلسيون في هذه المرحلة تتفق على أن القرآن الكريم هو أصل العملية التعليمية ثم من بعده يأتي تعليم اللغة العربية , ثم دراسة الأدب والشعر , بالإضافة إلى العناية بالخط والكتابة⁴ , ويقدم ابن خلدون ملخصاً لمنهج الأندلسيين في تعليم الصبيان إذ يقول :

" وأما أهل الأندلس , فمذهبهم في تعلم القرآن والكتاب من حيث هو , وهذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا انه لما كان في القرآن أصل ذلك , واسه , ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون عليه , بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب , والترسل , وأخذهم بقوانين

¹ علم القراءات : اصطلاحاً له تعريفات متعددة , فالإمام الزركشي (ت794هـ) يقول : "علم يدرس اختلاف ألفاظ الوحي , وكيفيةها من تخفيف , وتثقيل" , وغيرها , ويقول ابن خلدون (ت808هـ) : "هو اختلاف روايات القراء = في قراءة القرآن ومنها القراءات السبع المشهورة التي صارت أصولاً للقراءة" ويقول الإمام ابن الجزري (ت833هـ) : "علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها ...", وتصدر هذا العلم قائمة العلوم الشرعية . ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) , المقدمة , تحقيق : علي عبد الواحد وافي , الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة, ج3, 2006 , ص 931. نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل , علم القراءات , مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ط2 , 2002 , ص ص 26 , 28 . محمد المختار ولد اباه , تاريخ القراءات في المشرق والمغرب منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو , سلا المغربية , 2001 , ص5 وما بعدها .

² سعد بن عبدالله البشري , الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422 - 488 هـ/ 1030 - 1095م), مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية , الرياض , ط1 , 1993 , ص 211 .

³ سعيد اعراب , المرجع السابق , ص ص 60 - 62 .

⁴ سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 210 .

العربية , وحفظها , وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم فيه بالخط , أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبيبة " ¹ .

ولقد انتقد القاضي ابن العربي هذه الطريقة بعد بلوغه , ورحلاته العلمية لمختلف الأقطار, فقد نبه إلى أن تعليم الصبي القرآن الكريم في بداية التعليم خطأً إذ انه يقرأ ما لا يفهم , وبذلك رأى بضرورة تقديم تعليم اللغة العربية والشعر أولاً على سائر العلوم الأخرى ثم تعليم الحساب ومسائله , ثم من هنا يبدأ بتعلم وقراءة ودراسة القرآن الكريم , وبهذا يبدأ الصبي في فهم القرآن ومقاصده , ثم ينتقل إلى تعلم ودراسة أصول الفقه , ثم الجدل والحديث وعلومه ² .

ووافق ابن خلدون على ما تقدم به أبو بكر ابن العربي , غير أنه رأى من الصعب تطبيق هذا المنهج لان عادة الأندلسيين تقديم وتفضيل تعليم القرآن على سائر العلوم الأخرى , ومخافة أن يحدث للصبي في حال ما أحر دراسة القرآن من المعوقات ما تحول به عن مواصلة التعليم فتفوته المثوبة والبركة في حفظ القرآن وتعلمه ³ .

ويقول الحافظ الفقيه أبو الحسن علي القاسبي ⁴ (ت403هـ) عالم المغرب الإسلامي ان المنهج التعليمي عموماً يقسم إلى قسمين : إجباري , واختياري .

حيث رأى القاسبي في القسم الإجباري بوجوبية وإلزامية تعليم الصبي القرآن الكريم والصلاة, إذ أن الصلاة لا تتم إلا بتلاوة القرآن , وكذا غرس مكارم الأخلاق, فالدين والأخلاق حقيقتان متلازمتان ¹ ,

¹ ابن خلدون , المصدر السابق , ج3 , ص 1116 .

² ابن الموز (أحمد بن عبد الواحد بن محمد), خطوة الأقدام في التعليم والتربية في الإسلام , تقديم وتحقيق : احمد طالبي, مطبعة كرافيك أصالة , ط1 , 2004 , ص 68 . سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص ص 211 – 212 .

³ ابن خلدون , المصدر السابق , ج3 , ص 1118 . و يعد ابن الفقيه أبو الوليد الباجي (ت474 هـ) من العلماء الذين أيدوا بضرورة تقديم تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف , وأضاف إلى ما سبق ضرورة تعلم الصبي أصول الفقه وفن المناقشة وأدبيات النقد السليم لمسائل العلم . سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 212 .

⁴ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القاسبي القيرواني , شيخ المالكية ولد سنة 324 هـ/ 935 م , وتوفي في 403 هـ/ 1012 م) , محدث, فقيه , قيل أن مؤلفاته بلغت خمسة عشر ولم يصل منها إلا كتابين : الأول عنوانه : الملخص وهو تلخيص لكتاب موطأ الإمام مالك , والثاني بعنوان : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين والمعلمين , وضّمن في هذا الأخير آراءه , وأفكاره حول التعليم السائد في عصره بالمغرب الإسلامي . القاضي عياض, ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية , ج 2 , ص80. ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , دار إحياء التراث العربي , بيروت , ج3 , ص168 . ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد), وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق : إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت , م3

ص 320 – 321 .

وتعلم النحو والعربية والقراءة والكتابة , أما الاختياري فهو تعلم الحساب , وما بقي من النحو , والشعر , والتاريخ² .

من خلال ما تقدم يتضح في الأخير تشابه إن لم يكن إجماع النصوص السابقة على اختلاف مصادرها على وحدة المناهج في المرحلة الأولى من التعليم , رغم الاختلاف البسيط في تقديم مادة عن أخرى كتقديم اللغة العربية عن الشعر أو العكس , وعليه فإن الأندلسيين حرصوا كل الحرص على الاهتمام بدراسة القرآن الكريم أولاً قبل أي علم , بل اعتمدوه الأساس في التربية والتعليم ككل في بداية الحياة العلمية للمتعلم , وربما هذا ما يفسر ثراء الدراسات الدينية وعلوم الشريعة والمتخصصين فيها أكثر من غيرها من العلوم الأخرى , كما سيتبين ذلك في مواضع لاحقة.

المرحلة الثانية : المرحلة المتوسطة

ولقد أطلق عليها ابن خلدون **مرحلة التعليم الثاني**³ , وهي المرحلة التي يدرس فيها التلميذ العلم بشكل أوسع من المرحلة السابقة , حيث يتعلم شروح القرآن وقراءاته , وكذلك شروح الحديث الشريف وكل ما يتعلق بالفقه وبعض العلوم الإنسانية والعقلية⁴ .

تتميز هذه المرحلة بأن طالب العلم يختار معلمه بنفسه أوعدد من المعلمين حسب ما يراه انفع فالمنصور بن أبي عامر مثلاً (326 – 392 هـ/ 938 – 1002م)⁵ دخل إلى قرطبة , وهو شاباً من أجل طلب العلم والأدب , والحديث على شيوخ قرطبة بعد أن تجاوز مرحلة الكتاب⁶ , وروى ابن بشكوال

¹ أحمد حمایمو , التربية والتعليم عند القابسي, المعهد التربوي الوطني, جامعة محمد الخامس , العدد: 6 , الرباط ديسمبر 1982, ص 12 .

² نفسه .

³ ابن خلدون , المصدر السابق , ج 3 , ص 1110 .

⁴ سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 213 .

⁵ محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني , أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله , أصله من الجزيرة الخضراء , عرف بهيبته ودهاءه والذكاء , والكرم , واشتهر بالحاجب المنصور إذ عهد بوكالة هشام المؤيد لما كان صغيراً بعد وفاة أبيه وكانت مقاليد الحكم فعلياً في يده فيما كانت خلافة هشام المؤيد في عهده شكلية فقط. ابن الأبار, الحلة السيرة , ص 153 وما بعدها. ابن بسام الشنتريني, الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة , تحقيق : إحسان عباس , دار الثقافة بيروت , 1997, م 1 , ص 195 .

⁶ ابن الأبار , المصدر السابق , ص 153 .

(ت578هـ / 1183 م) أن العالم المحدث محمد بن عبدالله بن غلبون الخولاني (ت 448 هـ) " روى عن أبيه عبد الله وعن أبي بكر محمد بن عبد الرحمن , وعن أبي عمر أحمد بن هشام بن بكير , وأحمد بن قاسم التاهرتي وأبي عمر الجسور , وأبي عمر الباجي , وأبي عمر الطلمنكي وأبي القاسم أحمد بن منظور... وأبي الوليد بن الفرضي... وصاعد اللغوي... الخ"¹

وتختلف النصوص في الحديث عن السن الذي ينتقل فيه الصبي من المرحلة الأولى إلى مرحلة الثانية , ويرجع هذا إلى الصبي نفسه من حيث ذكائه , وقدراته , وربما تتدخل الظروف المحيطة به , فإذا كان المنصور ابن أبي عامر كما ورد سالفاً قد تدرج إلى المرحلة الثانية وهو شاباً فالقاضي ابوبكر بن العربي (543.468هـ/ 1076 – 1148 م)² قد دخل هذه المرحلة مبكراً , فقد حفظ القرآن , وهو ابن تسع سنين , ولم يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى أتقن القراءات العشر وجمع فنونا من العربية وتمرن على الأدب والشعر , وكان يقول : لم ارحل من الأندلس حتى أحكمت كتاب سيبويه³ .

وإذا كانت هذه المرحلة هي في الحقيقة استمراراً لمرحلة الكتاب ومكملة لها , فالاختلاف يكمن في كمية المواد التي تقدم في مستوى سن المتعلم , ومن الصعب التفرقة بين المرحلة الأولى وهذه المرحلة , فمعظم الدراسات تتفق على أن التعليم في الأندلس يتميز بثلاث مراحل : المرحلة الأولى المذكورة سالفاً ومرحلة التخصص , ومرحلة فاصلة بين المرحلتين السابقتين , والتي أطلق عليها مصطلح المرحلة الثانية أو المتوسطة⁴ .

¹ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) , المصدر السابق, ج3 , ص 787 .
² أبوبكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي , الإمام والقاضي والعالم المالكي , من حفاظ الحديث برع في الأدب , وله باع في الدين والتاريخ , ولي قضاء اشبيلية ومات بفاس , من أهم آثاره : العواصم من القواسم وقانون التأويل . المقرئ , المصدر السابق , ج2 , ص 199 . سعيد اعراب , مع القاضي أبي بكر بن العربي , دار الغرب الإسلامي , ط1 , 1987 , ص 09 .

³ الضبي (أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة) , بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس , تحقيق : إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ج1 , ط2 , 1989 , ص 126 . محمد الأمين بلغيث , الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين , " أطروحة دكتوراه " , دار المدار , بيروت 2004 , ص 123 (نسخة القرص المضغوط) . سعيد اعراب , المرجع السابق , ص 11 . وكتاب سيبويه متخصص في علم النحو لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر (148-180 هـ - 765-796 م) , إمام النحاة , وهو أول من بسط علم النحو , توفي شاباً , ومعنى كلمة سيبويه باللغة الفارسية رائحة التفاح . ابن خبير الإشبيلي (أبوبكر محمد بن خير) , الفهرسة , دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ج2 , ط2 , ص 399 . خير الدين الزركلي , المرجع السابق , ج5 , ص 81 .

⁴ ومن أصحاب هذا التقسيم : محمد الأمين بلغيث , وكذلك سعد بن عبد الله البشري . محمد الأمين بلغيث , المرجع السابق , ص 118 . سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 213 . ويرى الأستاذ محمد عادل عبدالعزيز أن المراحل التعليمية تقسم إلى دورين , الأول وهو ما يعرف بالتعليم العام , والثاني الذي يعرف بتعليم الصنائع أو التعليم الصناعي , وفي التعليم الأول (التعليم العام) ينقسم بدوره إلى مرحلتين : الأولى وهي مرحلة الكتاب = = بمعنى مرحلة التعليم الابتدائي بلغة عصرنا , وتبدأ من سن الخامسة أو السادسة من العمر إلى غاية السن الثالثة عشر أو الرابعة عشر , والمرحلة الثانية فهي التي تشمل المرحلتين : المتوسطة والعليا , وتبدأ من سن المراهقة أو قبلها حسب استطاعة المتعلم ونجابته , أما التعليم الصناعي فكان يكتسب بالممارسة

المرحلة الثالثة: المرحلة العليا (مرحلة التخصص أو التعليم الاحترافي¹)

تشبه هذه المرحلة التعليم العالي في العصر الحالي² , وليس من السهل تحديد بداية هذه المرحلة ونهايتها والفصل بينها وبين المرحلة السابقة لها , لكن المعروف أن في هذه المرحلة يقدم المتعلم بالرحلة في طلب العلم , والانتقال من مكان إلى آخر لهدف التركيز والتخصص في علم من العلوم كما انه يدرس ويتعمق في العلوم الدينية واللسانية والعقلية³ , ورغم أن هذا الطور - إن صح التعبير - هو مرحلة التخصص في مادة من المواد التعليمية إلا أن طلاب التعليم في هذه الفترة لا يدرسون مواد منفردة بذاتها فقد يجمع الطالب أحيانا في الوقت نفسه بين أكثر من مادة, ومثال ذلك فقد يدرس القرآن والحساب , أو المنطق والطب , لكن وفقا للمنهج الذي تتميز به هذه المرحلة فان الدراسات الدينية كان لها السبق أكثر من غيرها, ثم التعمق في دراسة النحو ثم تأتي مادة التخصص⁴ .

ومن أمثلة طلاب هذه المرحلة , الطبيب , المؤرخ ابن جليل القرطبي سليمان بن حسان (332-377هـ/ 943 - 987 م)⁵ حيث " سمع الحديث وهو ابن عشر سنين ... وعني بالطب أتم عناية وهو ابن أربع عشرة سنة وأفتى فيه و هو ابن أربع وعشرين وصنف فيه كتباً جليلة ..."⁶ , وكذلك الشيخ الزاهد محمد بن احمد القيسي المعروف بابن الخلاص (ت364هـ) الذي تخصص في الحديث والقرآن والتاريخ⁷ .

ومن مظاهر التعلم في هذه المرحلة أن بعض الطلاب كانوا يبحثون في بعض المسائل العلمية لم تكن في متناول العامة كتعلم الفلسفة , أو بمذهب فقهي ما , أو الاهتمام بعلم الفلك الذي كان محظورا إلا في بعض المسائل المتعلقة بتحديد اتجاه قبلات المساجد , وتعيين مواقيت الليل والنهار

عن طريق التدريب والخبرة بلغة العصر الحالي. محمد عادل عبد العزيز , التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1987 , ص ص 8 , 9 .

¹ محمد الأمين بلغيث , المرجع السابق , ص 123.

² خوليان ريبيرا , التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية , ترجمة : الطاهر أحمد مكي, دار المعارف , القاهرة , ط2 , 1994 , ص 41 . محمد عبد الحميد عيسى , المرجع السابق , ص 211.

³ محمد عبد الحميد عيسى , المرجع نفسه , ص 212 .

⁴ خوليان ريبيرا , المرجع السابق , ص 41 .

⁵ أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جليل , طبيب ومؤرخ أندلسي من قرطبة , تعلم الطب سمع الحديث, وقرأ كتاب سيبويه , من أهم آثاره : طبقات الأطباء والحكماء وهو مطبوع . ابن اصبعية , المصدر السابق ص81 . خير الدين الزركلي , المرجع السابق , ج 3 , ص 123 .

⁶ المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي), الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة , تحقيق : محمد بن شريفة , إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت , السفر الرابع , م10, ص 62 .

⁷ هو محمد بن أحمد بن محمد المكنى بأبي عبد الله , أصله من بجاية , وهو أستاذ ابن الفرضي عالم الأندلس المتوفى سنة 403 هـ . ابن الفرضي , المصدر السابق , ج 2 , ص 795.

لمعرفة أوقات الصلوات ومواعيد الأهلة , وإذا تجاوز طالب العلم هذه الحدود فقد وقع في المحذور¹ وكان هذا الوضع سائداً إلى غاية قبل تولي عبد الرحمان الناصر 350.300هـ / 961.912م² السلطة , ومن عانى من هذا الوضع الفيلسوف القرطبي ابن مسرة (318.269هـ / 931.883م)³ الذي يرجع إليه إليه الفضل في ترغيب الأندلسيين لمسائل الفلسفة .

والجدير بالذكر أن هذه المرحلة لا يتعداها طلبة العلم إلا بعد أن يتمكنوا من علوم المرحلة السابقة فروي عن أبي بكر ابن زهر الطبيب انه لم يأذن لطالبيه قراءة كتاب في المنطق إلا بعدما أجادوا حفظ القرآن والإمام بعلم التفسير والحديث والفقه كما أمرهم بالاهتمام بالأمر الشرعية والاقتداء بها⁴ .

من هذا المثال يتضح أن المعلم لا يجوز لطلبته الانتقال إلى المرحلة العليا وبالتالي دراسة العلوم الأخرى غير الدينية إلا بعد الإمام والتمكن بالعلوم الشرعية أولاً , وهذه المرحلة لا تنهياً إلا بعد أن يقطع الطالب أشواطاً طويلة في المرحلة الثانية وهذا حسب تمكن الطالب , وذكرائه , وسنه ومدى استعداداته , وإمكانياته , واجتهاده .

المبحث الثاني : طرق التدريس

اعتمد الأندلسيون طرقاً عديدة للتدريس منها : الإسماع (التلقين), الإملاء , المحاورة , والحفظ والمناظرة الخ⁵ , واختلاف هذه الطرق يعود بالأساس إلى المربي أو المعلم أو الأستاذ , إذ لكل أستاذ

¹ أنجل جنثال بالنتيا , تاريخ الفكر الأندلسي , ترجمة : حسين مؤنس , مكتبة الثقافة الدينية , ص 447 .
² عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله المرواني الأموي , يكنى : أبو المطرف , أول من تلقب بالخلافة في الأندلس بعد ضعف الدولة العباسية أيام أبو الفضل المقتدر بالله (ت 320 هـ) , ولي بقرطبة بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد , يعد المؤسس الفعلي للبحرية الأندلسية من خلال انتصاراته ضد الفاطميين والنورمان , ونظم الجيش حتى صار من أعظم جيوش عصره , والذي به غزا النصارى في الشمال , وكان يشبه بعبد الرحمن الداخل (ت 170 هـ) كان محباً للعلم وتخليد الآثار , توفي بقرطبة . ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) , اعمال الاعلام فيمن بويق قبل الاحتلال من ملوك الاسلام , تحقيق وتعليق : ليفي بروفنسال , دار المكشوف , بيروت , ط 2, 1956 , ص 29 . السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) , تاريخ الخلفاء تحقيق : أحمد إبراهيم زهوة , سعيد بن أحمد العيدروسي , دار الكتاب العربي , بيروت , ط 4, 2003 , ص 399 . رينهرت دوزي , المسلمون في الأندلس , ترجمة وتعليق وتقديم : حسن حبشي , الهيئة المصرية العامة للكتاب ج 2, 1994 , ص 57 .

³ محمد بن عبد الله الجبلي المعروف بابن مسرة , فيلسوف أندلسي , من الزهاد والعباد , قيل أنه تأثر بآراء المعتزلة , واعتزل بجبل في قرطبة قبل وبعد رحلته الحبية , اتهم هو وتلاميذه بالزندقة والإلحاد فابتلي بحرق كتبه وضاعت معظمها ولم يبق منها سوى كتابين وهما : " التنصرة " و " الحروف " . المقرئ التلمساني المصدر السابق ج 4 ص 329 . أنجل جنثال بالنتيا , المرجع السابق , ص 326 .

⁴ إبراهيم علي العكش , التربية والتعليم في الأندلس , دار عمار , دار الفيحاء , عمان , ط 1, 1986 , ص 181 .

⁵ الصمدي خالد , مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري , "مجلة الحضارة الإسلامية" , معهد الحضارة الإسلامية , وهران , عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي , 1993 , ص 147 نقلاً

أستاذ طريقته الخاصة في التدريس , وهذا حسب تجربته وخبراته الشخصية , وتكوينه العلمي كما يرجع إلى مستوى طلابه , وكذا المواد الدراسية التي يلقتها , ويراعي المدرسون بصفة عامة المبادئ الأساسية التربوية والمعروفة لدى علماء التربية والتعليم كالتى ذكرها ابن خلدون في المقدمة , ومن بين هذه المبادئ التدرج في التعليم من البسيط إلى المعقد , وتبسيط المعلومات وتسهيلها ليفهمها المتعلمون ومنها كذلك محاولة المعلمون تحبيب الطلاب للدرس بطرق مختلفة منها الاستطرادات والحكايات , فتصبح بعض حلقات الدروس نزهة للسامعين على حد تعبير المؤرخ المعاصر المغربي اسكان الحسين , وكان المعلمون ينشطون بعض الحلقات وذلك بإذكاء المنافسة بين الطلاب , وهذا لدفع الملل والإرهاق من لدنهم¹ . وفيما يلي يأتي الحديث عن كل طريقة , وكيفية تطبيقها :

1. الإسماع أو التلقين :

من خلال السماع من لفظ المعلم , وميزة هذه الطريقة أنها مؤمنة من الخطأ , ويعد الإسماع من أهم الطرق شائعة الاستخدام في التعليم , وبالأخص في ميدان العلوم الدينية والأدبية , وهو ينقسم إلى إملاء , وحديث , من خلال حفظ المعلم , أو من كتاب معين يقرأه , أو يكلف أنجب الطلاب في الحلقة بتلاوة النص و هو المعروف بقارئ المجلس , وبقية الطلبة يكتبون , وفي أثناء القراءة يصحح المعلم القراءة أو يشرحها , أو ربما يصحح ويشرح معاً² .

ولقد اعتمد التعليم الإسلامي في العصور الوسطى بصفة عامة على طريقة الرواية نظراً لطبيعة العقل العربي , وقدرته الفائقة على الحفظ , إذ يروى أن العلامة احمد بن عثمان بن سعيد الداني(ت 471هـ/1079م) أقرأ الناس القرآن بالروايات³ , وإذ يتوقف المرء متعجباً في هذه القدرة والنعمة التي امتاز بها الحفظة والحفاظ من طلبة العلم , وأمثلة بعض النواحي كثيرة فقد قرئ على العلامة أبا محمد

عن خميسي بولعراس , الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400 – 479 هـ/1009-1086 م "مذكرة ماجستير" , قسم التاريخ , جامعة الحاج لخضر, باتنة , الموسم الجامعي :2006-2007 , ص 146 . و يقول أبو العباس أحمد بن الشيخ عبد الواحد بن محمد بن المواز الحسيني السليمانى , وهو كاتب ومتقف مغربي أن مراتب (طرق) التعليم خمسة : الأولى بالسماع , والثانية بالقراءة , والثالثة : الكتابة المقترنة بالإجازة والرابعة بالمناولة أي أن يناول الشيخ تلميذه صحيفة العلم , والخامسة بالإجازة كأن يقول الشيخ أجزت لك أن تروي عني هذا الحديث , أو هذا الكتاب... الخ . ابن المواز , المرجع السابق , ص ص 67 – 68 .

¹ الحسين اسكان , تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1 – 9 هـ / 7 – 15 م) , مركز الدراسات التاريخية والبيئية , (ضمن سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 02) , الرباط , 2004 , ص ص 111 – 112 .

² ولقد أصبح مصطلح القراءة مرادفاً لمداول الدراسة في المغرب الوسيط . نفسه , ص 112 .

³ ابن بشكوال , المصدر السابق , ج 1 , ص 114 .

عبد الله بن سعيد بن لباج الأموي الشنتجياي القرطبي (ت436هـ/1044م) صحيح مسلم بين جمعيتين بجامع قرطبة في مواعدين الغداة والعشية¹.

2. الإملاء :

و هو أن يتخذ المعلم مجلساً يضم طلبة العلم ، ثم يملي عليهم من ذاكرته بما يحفظ من علم وطلبتهم يكتبون ذلك في أوراقهم² ، إذا فالإملاء نفس أسلوب الإسماع ، وإنما الاختلاف في حالة المتلقي ففي الحالة الأولى يسمع ويحفظ أما في حالة الإملاء يقيد الطالب كل كلمة يسمعها من أستاذه³.

ويبدأ الشيخ درسه بالبسملة ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرر الدرس وإذا أفرغ منه يختم الحلقة بقراءة الفاتحة ، ثم يعين لطلابه موضوع الدرس القادم⁴.

وقد تستخدم في بعض المواضيع طريقتي الإملاء والتلقي معاً ، وهذا لعدم توفر الكتب المدرسية كما هو في الوقت الحالي ، وفي الغالب - كما جاء في الدراسات الحديثة - لم يكن في ذلك الوقت من الكتاب المملئ إلا نسخة واحدة ، وهي التي بيد المعلم ، لهذا يضطر أن يملي على طلبته ما جاء في ذلك الكتاب⁵.

ومن أشهر من جمع بين طريقتي الإقراء والإملاء المربي والمعلم عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطلي المعروف بابن العسال (ت487هـ/1094م) العالم بالحديث و التفسير و الأدب إذ كان له مجلس يقرأ عليه التفسير ، ويتناوله بالشرح ، والتوضيح ، ويدعم أقواله بالأحاديث النبوية الشريفة⁶.

ومن مجالس الإملاء المعروفة مجلس الحافظ المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عيسى فطين بن اصبح بن فطيس (ت 402هـ/1011م)⁷ الذي كان يملي الحديث الشريف على طلابه .

¹ نفسه ، ج 2 ، ص 417 .

² يجلس الأستاذ على الأرض كالطلبة ومن الصعب تمييزه ، إذا لم يكن يجلس في وسط الحلقة ويلتف حوله الطلبة ويسند ظهره على جدار أو عمود ، ويكون الطلبة على أتم الاستعداد لكتابة ما يملي عليهم في كراسات مخصصة لهذا الغرض سندونها على ركبهم ، و محابرهم أمامهم فيها القلم والدواة ، أو يتابعون القراءة في الكتب . خوليان ريبيرا المرجع السابق ، ص 110 . ويقول حاجي خليفة في فضل الإملاء : " واعلم أن جميع المعلومات تعرف بالدلالة عليها بأحد الأمور الثلاثة الإشارة ، اللفظ ، والخط ، والإشارة تتوقف على المشاهدة واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه ، وأما الخط فلا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعاً وأشرفها . حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية بيروت ، م 1 ، 1992 ، ص 52 .

³ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 128 .

⁴ محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 14 .

⁵ إبراهيم علي العكش ، المرجع السابق ، ص 128 .

⁶ ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 435 . سعد بن عبد الله البشري ، المرجع السابق ، ص 213 .

⁷ من كبار المحدثين والعلماء ، عارفاً بالجرح والتعديل ، جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من عصره في الأندلس ، مع سعة الرواية والحفظ والدراية ، كان له ستة وراقين ينسخون له الكتب مقابل راتب

3. القراءة :

تتميز هذه الطريقة بأنواع فرعية مختلفة : ومنها أن يقرأ المعلم من كتاب والطالب يسمع منه وقد يقرأ المعلم من حفظه , وتشبه الحالتان طريقة الإسماع السالفة الذكر , أو قد يقرأ الطالب على المعلم كتاباً ويسمى هذا التعلم عرضاً , ويشترط فيه أن المعلم أو الشيخ حافظاً عالماً لما يقرؤه التلميذ عليه , وإذا أخطأ التلميذ أو حرف في عرضه للشيخ رده عليه ¹.

و لا يقتصر استخدام هذه الطريقة في المرحلة الأولى من التعليم بل في مرحلة التخصص كذلك إذ كانت القراءة على الأستاذ في هذه المرحلة من أكثر الأساليب شهرة , وفي هذا نميز نوعين من القراءة : القراءة على الشيخ , والقراءة الذاتية ² , ومن اشتهر بالإقراء محمد بن أحمد بن سعيد المعافري (ت469هـ) ³ , وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان ⁴ ... الخ

4. المناقشة (الأسئلة والأجوبة) :

ويقصد بالمناقشة ما يدور من حوار, ولا يكون هذا إلا بأسئلة الطلاب وأجوبة المعلم , أو يطرح العالم مسألة من مسائل العلم , أو حديثاً من الأحاديث , ثم يتلقى الأسئلة حول الموضوع ⁵.

ويذكر أنجل بالنشيا أن صاعد البغدادي (ت447هـ/1026م) ادخل طريقة جديدة إلى الأندلس في درس الشعر الجاهلي , من خلال قراءة الطالب القصيدة ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ , فيقوم بالشرح معتمداً في ذلك على المعاجم العربية ⁶.

وتنقل النصوص جانب من تواضع الأساتذة في بعض حلقات الدروس عندما تطرح عليهم أسئلة لا يفقهون جوابها , فروي أن طالباً سأل أستاذه ابن سكرة السرقسطي (ت514هـ/1120م) ¹ عن

معين , وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياح منه , وبالف في ثمنه , وإلا نسخه , ورده لصاحبه . ابن بشكوال , المصدر السابق ج2 , ص 466 وما بعدها .

¹ ابن المواز, المرجع السابق , ص 67 .

² عباس محجوب , التربية والتعليم في كتب التراث , جدارا للكتاب العالمي , عالم الكتب الحديث , عمان , أريد ط1 , 2007 , ص 114 .

³ المعروف بابن الفراء , من أهل جيان , يكنى : أبا عبد الله , اختص في القراءات , له رحلة إلى المشرق, توفي بمكة. ابن بشكوال , المصدر السابق , ج3 , ص 925 .

⁴ إمام عصره في الإقراء , وهو محدث وأديب , يعرف بابن الصيرفي , تصدر للقراءات وألف فيها وفي طبقات رجالها بلغت مجموع مؤلفاته نحو المائة مؤلف . الضبي , المصدر السابق , ج2 , ص 538 .

⁵ سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 214 . وتعد الطريقة الاستجوابية من أهم طرق التعليم التطبيقية , وتستخدم الأسئلة بهدف تقويم المعارف أو اكتشاف الحقائق من طرف المتعلمين , ومحاسن هذه الطريقة كثيرة , فهي تثبت المعلومات , وتنمي القدرة على التعبير , وترسخ عادة التفكير التحليلي , وتبقي الانتباه متيقظاً , و تقتصد من الوقت ... الخ . غي بالمداد , مناهج التربية , ترجمة : جوزف عبود كبه , منشورات عويدات , بيروت , 1970 , ص ص 53 - 54 .

⁶ أنجل بالنشيا , المرجع السابق , ص 66 .

كلمة لم يفهمها في كتاب كانوا يقرءون فيه , فأجابه الأستاذ بأنه لا يملك جواباً لسؤاله , ووعدته بان يبحث عن الجواب على مهل ويجيبه فيما بعد رغم أن هذا المرء كان من أشهر علماء عصره².

5. المناظرة :

لم يقتصر التعليم في الأندلس على الطرق السابقة , إذ أن بعض النصوص أثبتت أن أساليب التعليم تنوعت , وكان من ميزات التربية الأندلسية : الحرية في التعلم مع إعطاء الأهمية للمناظرة التي تعد أفضل من طريقة التلقين , ومن بين مزاياها بناء شخصية المتعلم الذي يكون واثقاً من نفسه , قوي الحجة فيما يعرفه , قادراً على نقد نفسه , وهي إحدى مظاهر التجديد الأندلسي في جانب التربية والتعليم, وليس الهدف من النقاش الفضول الفكري بل القدرة على الإبداع والتوضيح³.

ولفظ المناظرة يتكرر كثيراً في المصادر والنصوص , فبعض المواضع يوحي معناها إلى طريقة السؤال والجواب السابقة الذكر⁴ ثم البدء في طرح المسائل كما تذكر المصادر ذلك أثناء الحديث عن العلامة أبا محمد عبد الله بن أحمد بن عثمان الطليطلي المعروف بابن القشاوي (ت 417 هـ)⁵ , وفي مواضع أخرى يعتقد أنه يعني المناظرة بين الأساتذة فيما بينهم⁶ وفي مواضع غير التي سبقت توجي إلى النظر والتعمق في المسائل والتفقه أكثر والأمثلة على ذلك كثيرة , إذ يرد المقرئ أن قاسم بن سيار (ت 278 هـ) لزم أستاذ يدعى ابن عبد الحكيم للتفقه والمناظرة⁷ وكذلك يحيى بن زكريا بن سليمان القرطبي (ت 315 هـ) :

" كان فقيها في المسائل... وكان مشاوراً مع محمد بن عمر بن لبابه ونظرائه... وكان يجتمع إليه للسمع منه والمناظرة عنده... " ⁸ , ويذكر ابن أبي أصيبعة عن عمه رشيد الدين علي بن خليفة :

" أنه شرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه... ثم باحث الأطباء... " ⁹ , وفيما يخص نوع المناظرة بين الأساتذة فهي لا تقتيد بحلقات العلم أو مجالس الدرس في المساجد , إذ هي مناظرات علمية حرة , ومن

¹ حسين بن محمد بن فيره بن حيون , يكنى : أبا علي , قاضي ومحدث . ابن بشكوال , المصدر السابق , ج 1 ص 235. خير الدين الزركلي , المرجع السابق , ج 2 , ص 255 .

² خوليان ريبيرا , المرجع السابق , ص 114 .

³ عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي , الفكر التربوي في الأندلس 403 – 478 هـ , دار الفكر العربي , ط 2 1985 , ص 67 .

⁴ سعد بن عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 214 .

⁵ ابن بشكوال , المصدر السابق , ج 2 , ص 404 .

⁶ إبراهيم علي العكش , المرجع السابق , ص 133 . محمد عادل زيتون , المرجع السابق , ص 18 .

⁷ المقرئ , المصدر السابق , ج 2 , ص 218 .

⁸ ابن الفرضي , المصدر السابق , ج 2 , ص ص 913 – 914 .

⁹ عباس محجوب , المرجع السابق , ص 114 .

أشهرها تلك التي كانت تعقد بين الفقيه الظاهري ابن حزم (ت 456هـ)¹ والفقيه المالكي الحافظ سليمان الباجي (ت 474هـ)² , ومما يوصف عن ابن حزم انه كان شديد الوطأة في مناظرته العلمية , حاد اللسان في جدله ونقاشه , وتكالب فقهاء المالكية ضده إلى درجة انه أحرقت كتبه , وطرده من مدينة إلى أخرى بعد انهيار الدولة الأموية وبداية حروب الطوائف³ .

وكان يحظى العلماء المتناظرون بقدر كبير من الاهتمام والإكرام من طرف الأمراء والحكام, كبنو عباد في اشبيلية الذين اعتنوا بالأدب والشعر, وبنو الأفطس في بطليوس, وغيرهم .

والمناظرة بصفة عامة تستخدم في المرحلتين الأولى والثانية كإحدى الطرق في التعليم من اجل طرح المسائل ومناقشتها , وإما من كتاب يدرس , أو يطرحها المعلم لأهداف تربوية تعليمية وهذا من اجل أن يتعلم التلاميذ الدفاع عن وجهات نظرهم .

6. الإجازات العلمية :

تعني الإجازة مقاصد كثيرة في القاموس اللغوي العربي والموسوعات , لكن موضع الإجازة في هذا البحث يقصد بها تلك الشهادة التي يمنحها المعلم للطالب , تعبر تلك الشهادة ما تلقاه الطالب على يدي المعلم في علم من العلوم , وهي تشبه الشهادات التي تمنحها المدارس العليا والجامعات في الوقت الحاضر للطلبة المتخرجين , غير أن الإجازات تختلف عنها من حيث الشكل ومن حيث طريقة التحصيل عليها من طرف المجيز⁴ .

¹ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب , أبو محمد الظاهري , الحافظ , العالم , لعلوم الحديث , الفقيه , كان ذكياً سريع الحفظ , ولد بقرطبة سنة 384 هـ , تنتسب إليه طائفة من أتباع الظاهرية سميوا بالحزمية , اشتغل هو وأبيه بالوزارة , ثم انصرف هو للتأليف والتعليم , عاش منفياً حتى توفي ببادية لبلة , وقيل أنه اجتمع بخط يده نحو 400 مجلد تحتوي على ما يقرب من ثمانين ورقة . الضبي , المصدر السابق , ج 2 , ص 543 و ما بعدها المقري , المصدر السابق ج 2 , ص 239 وما بعدها .

² سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن واث التحيبي الباجي المالكي , الحافظ , من أهل قرطبة , له رحلة إلى المشرق فأقام بمكة ثم رحل إلى بغداد والموصل , كان يحضر مجلسه نحو ثلاثة آلاف رجل للسمع منه , وقيل أربعون ألفاً رجل . ابن بشكوال , المصدر السابق , ج 1 , ص 317 وما بعدها .

³ ومعلوم أن العالم والمؤرخ والمربي أبو بكر بن العربي (ت 543هـ / 1148م) قد ناظر العديد من علماء عصره منهم الفقيه عبد الرحمن بن قاسم (ت 499هـ / 1106م) قاضي مالقة الذي كان من علماء الفقه ومسائله , هذه المناظرات أبهرت الفقهاء , وأثارت فيهم العجب لتمكن هؤلاء العلماء في العلم والمعرفة وذكائهم في الرد على بعضهم البعض . سعد عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 216 .

⁴ محمد عادل عبد العزيز , المرجع السابق , ص 36 .

وكان الطالب إذا ما انتهى من دراسة كتاب على أحد الشيوخ يحصل على إذن منه بتدريسه وروايته , واصطلح على هذا الإذن بالإجازة , وكان يقول الشيخ: أجزت لك أن تروي عني هذا الحديث , أو هذا الكتاب ¹ , وقد يكتفي الطالب بالقليل من العلم أو يجمع منه الكثير حسب ظروفه الخاصة ويجاز على المتحصل عليه , والإجازة بشكل عام هو انتقال الطالب من مجلس التعلم إلى مجلس التعليم ² .

ولقد استخدمت الإجازة في أول الأمر في رواية الحديث الذي كان يروى شفويًا , ثم ظهر علم نقد الإسناد لضبط ومعرفة مدى صحة الراوي والسند , ويروي الإمام البخاري أن من بين ست مئة ألف حديث رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف ونيف هي الصحيحة فحسب لهذا يطلب في تدوين الإجازة ذكر اسم الأستاذ والتلاميذ, والوسيلة التي تلقي بها الرواية سماعاً أو قراءة وإلى المادة نفسها ³ . لهذا عرف بعض العلماء الإجازة : " بأنها ذلك الكلام الصادر عن المجيز على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروياته , ويطلق شائعاً على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الإذن في روايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد ...⁴"

وأركان الإجازة أربعة : المجيز , والمجاز له , ولفظ الإجازة , والمجاز به ⁵ , ولتحصيلها لابد من توفر شروط أجملها الإمام مالك بن انس (ت 179هـ / 795م) ⁶ فيما يلي :

1/ أن يكون الفرع مطابقاً للأصل , حتى كأنه هو .

2/ أن يكون المجيز عالماً بما يخبر به , ثقة في دينه , وروايته .

3/ أن يكون المستحير من أهل العلم , ومتسماً بسمته , حتى لا يضيع العلم عند غير أهله ⁷ .

¹ ابن المواز, المرجع السابق , ص 68

² كان لمجلس التعليم رهبة كبيرة بالنسبة للمجازين حديثي العهد , وهذا بسبب كثرة الأسئلة وصعوبتها التي يختبر بها الطلبة مدى تمكن الأساتذة الجدد – إن صح التعبير- في الرد والإجابة . أحمد شلبي , التربية والتعليم في الفكر الإسلامي مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ط 8 , 1987 , ص 263 .

³ خوليان ريبيرا , المرجع السابق , ص 118 .

⁴ إبراهيم علي العكش , المرجع السابق , ص 150 .

⁵ نفسه .

⁶ الإمام مالك بن انس بن مالك الأصبحي الحميري , يكنى : أبو عبد الله , إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة من أهل السنة وإليه تنسب المالكية , ولد بالمدينة , وبها توفي , وقد اختلف في تاريخ ميلاده ولكن معظم المراجع تقول أنه في سنة 93 هـ / 712م). القاضي عياض, المصدر السابق , ج 1, ص 102 وما بعدها .خير الدين الزركلي, المرجع السابق ج 5 , ص ص 257, 258 .

⁷ سعد عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 218. خوليان ريبيرا , المرجع نفسه , ص 121 .

وتمنح الإجازة للطالب بطريقتين مختلفتين : الأولى شفوية , والثانية تحريرية , والإجازة الشفوية أقدم استخداما من التحريرية , واستخدمت الإجازة أول الأمر عند المحدثين كما سبق ذكره لأنهم أول من اهتموا بتدوين العلم في الإسلام, ثم استخدمت في باقي العلوم الأخرى¹, وقد يعطي الشيخ للطالب عدة إجازات, وقد يجاز الطالب من عدة شيوخ , وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة عن كيفية تحصيل الإجازة وهي تعبر في مجملها عن أنواع الإجازات :

1/ إجازة معين لمعين في معين : إذ يحدد في هذا النوع الشيخ المجيز ويكون معروفا ما يريد إجازته , وكذلك الشخص المجاز له , وكذلك لفظ الإجازة , ومثال ذلك ما كتبه أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد العنسي حيث يقول : "أجزت الشيخ القاضي الأجل أبا الفضل احمد بن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنف هذا, وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من يشاء ثقة بفهمه , واستنامة إلى علمه"².

2/ إجازة معين لمعين في غير معين : ومعناه إجازة شيخ معين معروف لطالب معين معروف في مواضيع لم يحددها الشيخ , تركها في العموم , ومثال ذلك ما ذكره ابن الفرضي عن أبي عمر احمد بن عبد الله بن عبد البصير الجذامي القرطبي (ت388هـ) إذ قال: "أجاز لي ولأبي مصعب جميع ما رواه"³.

3/ إجازة معين لغير معين : وتسمى الإجازة العامة⁴, وذلك كأن يقول الشيخ المجيز: "أجزت للمسلمين أو لمن دخل قرطبة أن يروي كذا , وقد لا يحدد المجاز به , ومثل ذلك كقوله : "أجزت لمن بقرطبة من الطلبة"⁵.

4/ الإجازة للمعدوم كقول : أجزت لفلان وولده , وكل ولد يولد له , أو لعقبه وعقب عقبه , وقد اختلف العلماء في جوازها وقبولها للطفل الصغير⁶.

¹ سعد عبد الله البشري , نفسه .

² المقري , المصدر السابق , ج 2 , ص 449 . إبراهيم علي العكش , المرجع نفسه , ص 151 .

³ ابن الفرضي , المصدر السابق , ج 1 , ص 119 .

⁴ يوجد نوعان من الإجازة العامة : واحدة عامة في المادة العلمية , وخاصة للأشخاص الذي تمنح لهم , وقد استخدمها ابن الأبار في كتابه التكملة , والنوع الآخر عامة في الأشخاص وفي المادة في آن واحد وهو المقصود في هذا الموضع. خوليان ريبيرا , المرجع السابق , ص 122 .

⁵ ومثال ذلك ما نقله ابن الأبار : "...وحدث عن السلفي بإجازته لمن بقرطبة من الطلبة في حياته بسؤال أبي مروان عبد الملك المرجوني..." . ابن الأبار , التكملة , ص 116 .

⁶ ابن خلدون , المصدر السابق , ج 3 , ص 938 . سعد عبد الله البشري , المرجع السابق , ص 218 .

5/ الإجازة بالمناولة¹ : وهي أن يتناول الشيخ تلميذه صحيفة العلم ويقول هذا سماعي, فيعرضه على الشيخ ثم يرد الشيخ إليه بعد تحرير , ويقول هذا من مروياتي فلترويه عني² , ومثال ذلك ما روي عن محمد بن عبد الرحمن القيسي الشاطبي (561.494هـ) انه لقي أبا بكر فناوله وأجاز له³ .

6/ الإجازة بالمراسلة : كقول ابن الزبير (628 – 708 هـ): " ...وأجاز له من غير لقاء..."⁴

7/ الإجازة بالتبادل : كأن يلتقي اثنان , فيأخذ كل منهما عن الآخر ويجيز بعضهما البعض كقول :

"...أجزت له جميع روايتي , وأجاز لي جميع روايته ..."⁵ .

إن طريقة الحصول على الإجازات واشتداد التنافس عليها أفقدها مع مرور الوقت قيمتها والغاية السامية منها , إذ عمت الفوضى في طرق تحصيلها , ومثال ذلك كأن يجيز الشيخ لمن لم يولد بعد كما هو في إجازة المعلوم ؟ وكيف يجيز العالم أو الشيخ لطلاب لم يرههم أبداً أو إجازة عامة للمسلمين كما هو الحال في الإجازة العامة , وأصبحت المحاملات في بعض المناسبات هي الأساس في منح بعض الإجازات , دون أن يكون حاملها محصلاً للعلم وأهلاً لها إلى درجة أن العالم أبو ذر الهروي قال كلمته المشهورة : " لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة "⁶ .

ولقد ألفت العديد من العلماء والمشايخ الكتب يحتجون فيها على مثل هذه الإجازات فقد كتب أبو العباس وليد بن بكر بن مخلد الغمري السرقسطي (ت392هـ/1001م)⁷ مؤلفاً سماه "الوجازة في صحة القول بالإجازة" وقد أشار في كتابه هذا بعض الإجازات الفاسدة التي لا يعترف بها⁸ وروي أن العالم عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المقرئ (ت444هـ) كان متشدداً في منح الإجازات , إذ قرأت

¹ ابن خلدون, نفسه.

² ابن الموز , المرجع السابق , ص68.

³ إبراهيم علي العكش, المرجع السابق, ص153 .

⁴ ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم), صلة الصلة , تحقيق: عبد السلام الهراس , سعيد اعراب , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية , القسم الرابع , 1995 , ص 17 . إبراهيم علي العكش , المرجع نفسه , ص153.

⁵ ابن بشكوال , المصدر السابق , ج2, ص794 .

⁶ نفسه , ج1, 319 .

⁷ أبو العباس وليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد الغمري , عالم ومؤدب . ابن بشكوال , المصدر نفسه , ج3, ص925. المقرئ , المصدر السابق , ج3, ص11 .

⁸ ابن بشكوال , نفسه . الضبي , المصدر السابق , ج2 , ص ص 645- 646 . خوليان ربيرا , المرجع السابق ص 120 .

عليه ذات يوم امرأة "وقالوا لا تنفروا في الحر"¹ , فقال لها اكسري الحاء فقالت لا تنفروا في الحوار فقال : أنا لا أجزى مثل هذه والله لا برحت أو اكتب لها , فكتب إجازتها في ذلك الموضع² .

الخاتمة :

من خلال ما سبق يتضح جلياً ملامح و مظاهر الحركة التعليمية الأندلسية منذ تأسيس أركان الدولة الإسلامية المستقلة في الغرب الإسلامي إلى غاية قبيل دخول المرابطين , على الأقل من زاوية النظام والمنهاج التعليمي المتبع لطالب علم , وهو يتتبع مراحل التعلم من الصبا إلى التخصص إلى الوفاة حتى .

فالاهتمام بالتعليم في عصر الإمارة ارتكز في مختلف المراحل التعليمية خاصة الأولى والثانية منها أولاً وقبل كل شيء على العلوم الدينية كحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف , وعلى اللغة العربية وعلومها كالنحو والأدب والشعر... الخ , ثم بدأت العناية والاهتمام بالعلوم الأخرى كعلم الحساب , والفلك , وغيرهما فيما بعد .

أما في عصر الخلافة فهو يعتبر عصر النمو والتطور للنهضة العلمية التي تأسست في العصر الذي سبقها , وبلغت الحضارة الفكرية - إن لم نبالغ - مستوى القمة خاصة في عهد الخليفين عبدالرحمن الناصر(300 - 350 هـ / 913-961م), وابنه الحكم المستنصر(350 - 366 هـ / 961-976 م).^(م)

ولقد ترجمت هذه الريادة والتميز بنتائج وآثار جد إيجابية تمثلت في بروز ظاهرة كثرة التأليف وضخامة الإنتاج في عصر ملوك الطوائف , ويعجب المتتبع لهذا الموضوع أن هذه النتائج الإيجابية كانت في غياب المؤسسات الرسمية التي كان من المفروض عليها توجيه وتنظيم الحركة التعليمية كما هو الحال للمؤسسات التعليمية في عصرنا الحالي كالمدارس والجامعات , ماعدا الكتاتيب التي أنشأها الحكم المستنصر بالله للصبيان وطلبة العلم الفقراء وهذا بدافع خيرى وقفي بحت وليس كسلطة رسمية راعية ومشرفة على التعليم وتنظيمه , وتدفع الرواتب للقائمين عليه .

والملاحظ مما سبق كذلك أن طرق وأساليب التدريس اختلفت وتنوعت , وهذا بحسب المربي أو المعلم الذي يقدم المادة التعليمية لطلبته , وحسب المستوى التعليمي الذي يبلغه المتعلم , فطريقة التدريس في الكتاتيب - في بدايات التعليم - تختلف عن طريقة التعليم لدى معلمي المرحلة المتوسطة

¹ سورة التوبة رقمها 9 , الآية رقم 81 .
² الضبي , المصدر السابق , ج2, ص538 .

والعليا , فالأولى قد تكتفي بالإملاء أو الإسماع أو الإقراء أو كلهم إجماعاً , أما المرحلتين الأخيرتين فهي أرقى أسلوباً وتقديماً فهي تشمل كذلك طريقة المناقشة أو المناظرة أو كليهما معاً .

وعموماً فاختلاف المناهج التعليمية في الأندلس , وكذا طرق تدريس العلوم والمعارف في الفترة الزمنية المحددة أعلاه تتوقف حسب سن المتعلم , والمادة التعليمية المقدمة له وبطبيعة الحال التخصص .

المصادر :

* القرآن الكريم

- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) , **التكملة لكتاب الصلة** , تحقيق : إبراهيم الأبياري , دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ط2 , 1989 .
ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية)
- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) , **الحلة السيرة** , وضع حواشيه وعلق عليه : علي إبراهيم محمود , دار الكتب العلمية , بيروت, ط1, 2008 .
- ابن بسام الشنتري, **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** , تحقيق : إحسان عباس , دار الثقافة بيروت 1997 .
- ابن بشكوال (أبو القاسم بن خلف) , **الصلة** , تحقيق : إبراهيم الأبياري , دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ط 2 , 1989 .
(ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية)
- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله) , **اعمال الاعلام فيمن بويق قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** تحقيق وتعليق : ليفي برونسفال , دار المكشوف , بيروت , ط2 , 1956 .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) , **المقدمة** , تحقيق : علي عبد الواحد وافي , الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة, 2006 .
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد), **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** تحقيق : إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت,(د.ت) .
- ابن خير الاشبيلي (أبو بكر محمد بن خير) , **الفهرسة** , دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني القاهرة , بيروت.

- ابن الزبير (أبوجعفر أحمد بن إبراهيم), **صلة الصلة** , تحقيق: عبد السلام المهراس , سعيد اعراب , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية , الرباط , القسم الرابع , 1995.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر), **تاريخ الخلفاء** تحقيق : أحمد إبراهيم زهوة , سعيد بن أحمد العيدروسي , دار الكتاب العربي , بيروت, ط4, 2003 .
- صاعد الأندلسي (أبو القاسم بن أحمد) , **طبقات الأمم** , نشر وتحقيق : لويس شيخو , المطبعة الكاثوليكية بيروت , 1912 .
- الضبي (أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة) , **بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس** , تحقيق : إبراهيم الأبياري, دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت , ج1 , ط2 , 1989.
- (ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية).
- ابن عذارى المراكشي (أبوعبد الله محمد) , **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** , تحقيق ومراجعة : ليفي برونفيسال و ج . س كولان , دارالثقافة , بيروت .
- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) , **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** , دار إحياء التراث العربي , بيروت , (د.ت) .
- عياض القاضي, **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية , الرباط , (د.ت).
- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد), **تاريخ علماء الأندلس**, تحقيق : إبراهيم الأبياري, دار الكتاب المصري , دار الكتاب اللبناني , القاهرة , بيروت, ط2, 1989, (ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية).
- المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي), **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** , تحقيق : محمد بن شريفة , إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت .
- المقرئ التلمساني (أحمد بن محمد) , **نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** , تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي , دار الفكر , بيروت , ج1 , ط1 , 1998 .

- ابن المواز (أحمد بن عبد الواحد بن محمد), خطوة الأقدام في التعليم والتربية في الإسلام , تقديم وتحقيق احمد طالبي, مطبعة كرافيك أصالة , ط 1 , 2004 .

المراجع العربية :

- اعراب سعيد , مع القاضي أبي بكر بن العربي , دار الغرب الإسلامي , ط 1 , 1987 .
- آل إسماعيل نبيل بن محمد إبراهيم , علم القراءات , مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ط 2 , 2002 .
- البشري سعد بن عبد الله , الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (422 - 488 هـ / 1030 - 1095م), مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية , الرياض , ط 1 , 1993 .
- الحجي عبد الرحمن علي , التاريخ الأندلسي , دار القلم , دمشق , ط 5 , 1997 .
- خليفة حاجي , كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون , دار الكتب العلمية بيروت , م 1 , 1992 .
- الخولي عبد البديع عبد العزيز عمر, الفكر التربوي في الأندلس 403 - 478 هـ , دار الفكر العربي ط 2 , 1985 .
- الزركلي خير الدين , الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) , دار العلم للملايين بيروت , ج 6 , ط 16 , 2005 .
- سالم السيد عبد العزيز, في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية 1985 .
- عبد العزيز محمد عادل , التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1987 .
- العكش إبراهيم علي , التربية والتعليم في الأندلس , دار عمار , دار الفيحاء , عمان , ط 1 , 1986 .
- العريني يوسف علي بن إبراهيم , الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين , مطبوعات الملك عبد العزيز العامة الرياض , ط 1 , 1995 , ص 14 .
- عيسى محمد عبد الحميد , تاريخ التعليم في الأندلس , دار الفكر العربي, القاهرة , ط 1 , 1982 .

- عباس محجوب , التربية والتعليم في كتب التراث , جدارا للكتاب العالمي , عالم الكتب الحديث , عمان أريد ط1 , 2007 .

- ولد اباه محمد المختار, تاريخ القراءات في المشرق والمغرب منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو , سلا المغربية , 2001 .

المراجع المعربة :

- بالماد غي , مناهج التربية , ترجمة : جوزف عبود كبه , منشورات عويدات , بيروت , 1970 .

- بالنشيا آنجل جنثالث , تاريخ الفكر الأندلسي , ترجمة : حسين مؤنس , مكتبة الثقافة الدينية, (د.ت).

- دوزي رينهت , المسلمون في الأندلس , ترجمة وتعليق وتقديم : حسن حبشي , الهيئة المصرية العامة للكتاب ج2 , 1994 .

- ريبيرا خوليان , التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية , ترجمة : الطاهر أحمد مكي, دار المعارف , القاهرة , ط2 , 1994.

الدوريات :

- اعراب سعيد , رسالة من ابن حبيب إلى معلم ولده (أقدم نص في التربية والتعليم بالأندلس), "مجلة الثقافة" المغربية العدد : 07 , وزارة الثقافة والتعليم الأصلي والعالي والثانوي , المغرب , 1972 .

- حمایمو أحمد , التربية والتعليم عند القابسي, المعهد التربوي الوطني, جامعة محمد الخامس , العدد: 6 الرباط ديسمبر 1982.

- الصمدي خالد , مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري , "مجلة الحضارة الإسلامية" معهد الحضارة الإسلامية , وهران , عدد خاص حول المراكز الثقافية بالمغرب الإسلامي , 1993.

الرسائل الجامعية والأطروحات :

- اسكان الحسين , تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1 - 9 هـ / 7 - 15 م) , مركز الدراسات ,

التاريخية والبيئية , (ضمن سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 02), الرباط , 2004.

- بولعراس خميسي , الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400 - 479 هـ

/1009-1086 م "مذكرة ماجستير" , قسم التاريخ , جامعة الحاج لخضر, باتنة ,
الموسم الجامعي

. 2007-2006

- بلغيث محمد الأمين , الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين , " أطروحة دكتوراه " ,
دار المدار بيروت 2004 , ص 123 (نسخة القرص المضغوط).

دائرة حفظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية

-بين الأمس واليوم-

أ.أحمد فجر ، جامعة المدية

تاريخ نشأة المكتبة الوطنية:

قبل الحديث عن دائرة حفظ المخطوطات، حري بنا أن نعرض على الصرح الذي تعد هذه الدائرة جزءا هاما منه

فأين توجد هذه الدائرة؟ وكيف تكونت؟ وما هي أهم المصالح التي تضمها.

بجوار حديقة الحامة للتجارب بقلب العاصمة، ووراء فندق سوفيتال المشرف على الجهة البحرية، يتربع هذا الصرح الجميل الشامخ الذي يكمن في أحشائه الآلاف من المجلدات والعشرات من درر المخطوطات النفيسة الشاهدة على أهمية الموقع منتظرة أمهر الفرسان والغواصين الذين يقتنصونها.

نعم ... تلك هي المكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة).

تأسيس المكتبة الوطنية القديمة وجمع المخطوطات:

- تأسست المكتبة الوطنية بالجزائر سنة (1835) بقرار من وزير الحرية الفرنسية إبان الاحتلال وعين Adrien Berbrugger محافظا لها حتى وافته المنية عام (1869) واتخذت عدة مقرات لها:

- زنقة درب الشمس -باب عزون- وبلغ عدد المخطوطات حوالي (687 مخ)
- ثم حوت إلى قصر الباي أسفل القصبة عام 1863 وبقيت ردحا من الزمن حتى عام 1958

- ثم انتقلت إلى مقرها الجديد بشارع فرانز فانون فوق رئاسة الحكومة حاليا.(01)
لقد تولى إدارة هذه المكتبة في تلك الحقبة الزمنية ثلة من العلماء الفرنسيين منهم:

- 1- أدريان بيربروجير (1835-1869)
- 2- أوسكار ماك كارتني (1869-1890)
- 3- إميل مومباس (1890-1948)
- 4- جرمان لوييل (1948-1962)

جمع المخطوطات:

- أراد الغزاة الفرنسيون أن تكون الحملة على قسنطينة(1837) شبيهة بحملة نابليون على مصر فاصطحبوا معهم العلماء المهتمين بالتراث الإنساني والحضاري ولما رأى أدريان وسط الدمار والتخريب فاستطاع الحصول على ما يقارب من 800 مخطوط ولما أراد أن ينقلها إلى الجزائر ضاع أغلبها لانعدام وسائل النقل فمعظمها خصص للجرحى، وما تبقى منها أضيف إلى المجموعات المقتنية من تلمسان والمدينة ومعسكر وبها تكونت النواة الأولى للمكتبة الوطنية.
وهناك تقارير مكتوبة في ذلك العصر حول المخطوطات أشارت إلى بلوغها عدد 700 مخطوطة عربية جمعها أمين المكتبة بيربروجير ووصفت بالهاماة من حيث الكم والنوع أما موضوعاتها فمنها الدينية، الفقهية، وبدرجة قليلة التاريخية والعلمية والأدبية.(02)

وبعد الاستقلال وجدت مساع كثيرة لتطوير القسم العربي الذي أهمل في فترة الاحتلال وجمعت المخطوطات من المكتبات العامة والخاصة وتولى إدارة المكتبة كوكبة من الأساتذة، منهم:

- بيربروجير عبث الجنود الفرنسيين بالمخطوطات الكثيرة، هم يجمعها من الأماكن العامة محمود بوعباد: (1962-1991)
- عبد الكريم بحاجة: (1991-1992)
- عبد اللطيف رحال: (1992-1995)

- محمد عيسى وموسى: (1995-1998).

ويجدر بنا أيضا إبراز أهمية الفهارس التي وضعت قصد حصر عدد المخطوطات بالمكتبة، حيث وضع المستشرق الفرنسي إدموند فانيون فهرسا سنة 1898 (من مخطوط رقم: 1 إلى - 1987)

أما الفهرس الذي يليه فقد وضعه عبد الغني بيوض سنة 1933 وقد احتوى هذا الأخير على التعريف بالمخطوطات (من 1988 إلى 2332)

ومع مرور الزمن وبعد الاستقلال لمس الأساتذة والمختصون أثناء فهرسة المخطوطات المادية للمخطوطات (التآكل-الرطوبة- الظروف السيئة للحفظ) فطرحت قضية التفكير بجدية في وضع برنامج ترميم

الجديدة.(موضوع البحث)

مصلحة المخطوطات والكتب النادرة بالمكتبة الوطنية الجزائرية الجديدة

عود على بدء...

إنه الصرح الشامخ بالحامة، المكتبة الجديدة، رمز من رموز السيادة الوطنية ونتاج الاستقلال، تترجع على مساحة إجمالية تقدر بـ 64 ألف م² ومؤلفة من 13 طابقا تستوعب 2300 قارئاً في وقت واحد وتعد من أهم المكتبات الوطنية في العالم من حيث الحجم والتقنيات وقد صمم المبنى لاحتواء 8 ملايين وثيقة.

أما التنظيم الداخلي فيقسم المكتبة إلى 04 مديريات، و06 أقسام و27 مصلحة.

ومصلحة المخطوطات والكتب النادرة تتبع قسم الحفظ والمخطوطات التابع بدوره لمديرية تطوير ومعالجة وحفظ الوثائق.

حولت مصلحة المخطوطات من المقر القديم إلى المقر الجديد و افتتاح هذه المصلحة كان يوم 1996/04/17 قبل عامين من الافتتاح الرسمي للمكتبة الجديدة.

أما مساحتها فتقدر بـ: 1620 م²

ومن مهام هذه المصلحة:

- المحافظة على المخطوطات وإظهارها للباحثين.
- إثراء الرصيد عن طريق الشراء والهدايا.
- توجيه الباحثين.

الحفاظ على المخطوطات في دائرة الحفظ بالمكتبة :

[رئيس الدائرة: محمد جنوحات]:

هناك مصلحتان مهمتان توكل إليهما هذه المهمة النبيلة والصعبة في آن واحد ، ألا وهما:

- مصلحة التصوير.
- مصلحة الحفظ والتجليد.

وقبل كل شيء ينبغي أن يتوفر كل مخطوط على بطاقة فنية "Fiche Technique" نجد فيها رقم المخطوط ومؤلفه وتاريخ نسخه ومقياسه وعدد لوحاته.

التصوير: [رئيس المصلحة: نور الدين بن غشوة] :





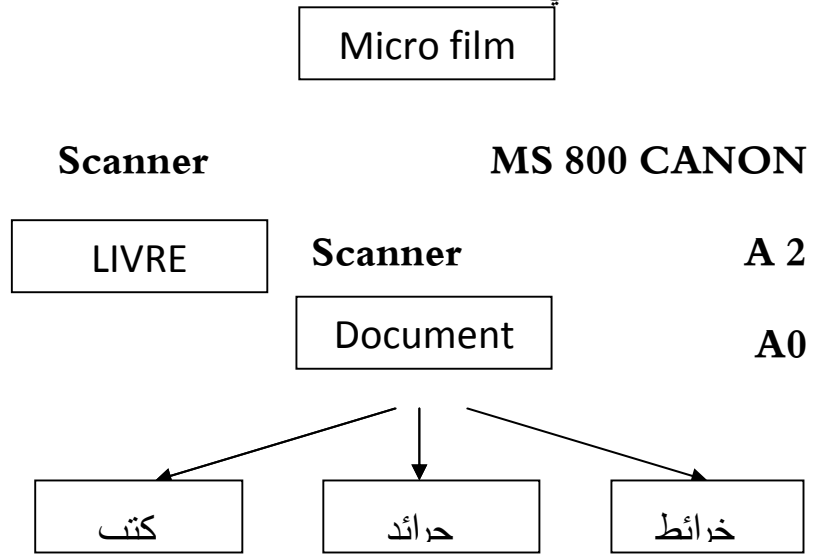




بدأت هذه المصلحة بالعمل سنة 1960 (ميكرو فيلم) بالمقر القديم (فرانز فانون) تيلملي، أما في المقر الجديد (الحامة)، فقد شرع بالتصوير فيها سنة 1998.

ويتم تصوير المخطوط في هذه المصلحة بطريقتين إما بتحويل المخطوط من الوعاء الورقي إلى شكل رقمي أو بتحويل المخطوط من الوعاء ميكرو فيلم إلى شكل رقمي وذلك عبر مراحل:

الآلات المستخدمة في التصوير:



مصلحة الحفظ والتجديد

[رئيس المصلحة: المهندسة حلاوة عادلة]:

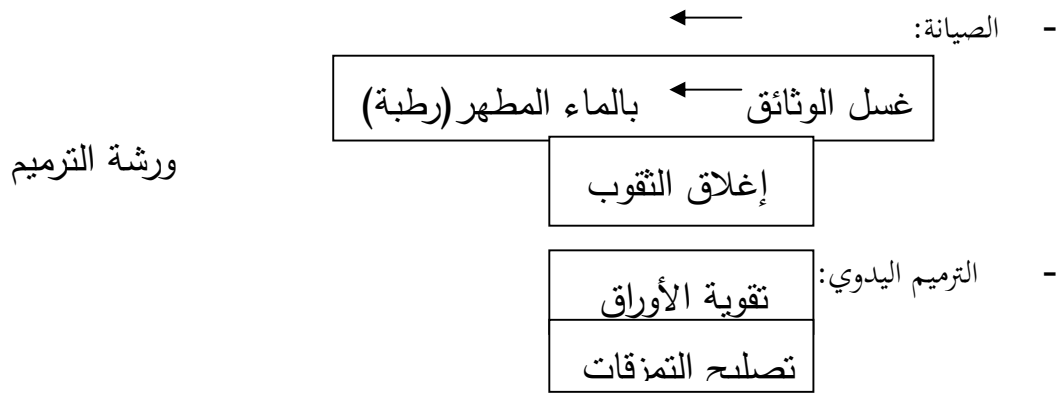
كانت البداية الفعلية لعمل هذه المصلحة سنة 1997 إذ سبقه تكوين للمشرفين عليه سنة 1995، وتضم مصلحة الحفظ كوكبة من المهندسين المختصين في الكيمياء والبيولوجيا والفنون المطبعية، وقد استفاد هؤلاء من تربصات وعمليات تكوين في الخارج (فرنسا، الإمارات، سوريا). وقد تم ترميم أكثر من 200 مخطوط لحد الآن.

أما اليوم فيقوم هؤلاء المهندسون بعمليات تأطير للتقنيين في مجال الحفظ والترميم.

ومن مهام هذه المصلحة:

- حفظ كل الوثائق من أي تلف مادي
 - تطهير الوثائق.
 - التحاليل الميكروبيولوجية والكيميائية.
 - إزالة الحموضة. ومراقبة الشروط المناخية
 -
- مخبر علمي
(تشخيص كامل)

إزالة الغبار بالمحلول



الترميم الآلي: إغلاق الثقوب (استعمال ألياف سليلوزية)

وهناك عدة آلات تستخدم في عملية الحفظ والترميم:

- Traitement chimique
- معالجة كيميائية
- 1- جهاز إزالة الغبار: Depoussieure
 - 2- جهاز العلاج الكيميائي: Paillasse
 - 3- خزانة تخزين المحاليل: Armoire de produit

أدوات الترميم: **Restauration**













- طاولة ضوئية: Table Lumineuse
- ضاغطة: Presse
- غرفة ترطيب: Chambre D'humidification
- قلم رصاص.
- غراء خاص بالترميم
- Scalpel
- Pince
- Plioir
- ورق ياباني.
- هدف الترميم: تاريخي، ثقافي، علمي أو حسب درجة التلف.

حماية المخطوط و فهرسته

أ.قاسم فتيحة، مسؤولة مكتبة كلية الحقوق و العلوم السياسية

جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدمة:

لم يرد لفظ مخطوط في المعاجم العربية و خاصة القديمة منها ، إذ يبدو أن هذا المسمى لم يكن معروفا متداولاً قبل عصر الطباعة لقول أحمد شوقي بتبين " هو لفظ حديث في العربية ويبدو أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع ، أما قبل ذلك فكان يذكر مصطلح تأليف و مؤلفات ، كتب الأصول ، الكتب الأساسية ، أمهات الكتب ، لأنها كانت تحوي أساسيات العلم "

codex أما المصطلح بغير العربية تبين أن هناك لفظان أحدهما قديم و يطلق عليه

لفظ لاتيني فسرهُ قاموس كولير بأنه الكتابة الاثرية القديمة اي على اللوح . أما manuscript اللفظ الثاني و الاحدث و الاكثر شيوعاً فهو ما يسمى بالانجليزية

فتعني الكتاب او الوثيقة المكتوبة باليد أو المكتوبة بالآلة الراقنة¹

تعريف المخطوطات :

يقصد بالمخطوطات الكتب و الرسائل المنسوخة يدوياً سواء كانت رسالة أو عهداً أو نقشا

2)

ويرى مصطفى مصطفى السيد يوسف أن المخطوط هو كل ماكتب بخط اليد سواء كان رسالة أو وثيقة أو عهداً أو كتاباً أو نقشا على حجر أو رسماً على قماش و سواء أكان باللغة العربية أو غير العربية .

إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أنه حين التحدث عن المخطوط يقصد به في الغالب العام ، ما جاء على شكل كتاب , كتيب قديم كتب بخط اليد، وهنا يمكن القول أن المخطوطة هي أي وثيقة مكتوبة بخط اليد سواء كتبت على أوراق البردي أو الرقوق أو الورق أو المواد الصلبة و سواء كانت كتابة حروف أو نقوش أو الخدوش بالسكين أو الحروف المسمارية³

1-عبد العزيز بن محمد المسفر ، المخطوط العربي و شيء من قضاياه ، الرياض ،دار المريخ، د.ت ، ص 68

2-نادية بنت عبد العزيز اليحيا ،خصائص الاستشهادات المرجعية في الوثائق و المخطوطات ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2002 ، ص46

3-عبد العزيز بن محمد المسفر ، نفس المرجع ، ص69

التقادم الزمني و المخطوط :

إن المخطوط كغيره من الاشياء محاط بالعناصر الاساسية من كربون و الهدرجين و الاكسجين ، و بما أن المخطوط هو الآخر يتكون من مواد كربوهيدراتية (سيليلولوز) متمثلة في الورق و البردي ، و مواد بروتينية كالجلود و الرقوق و التي تتعرض للعوامل البيئية كالتلوث ، الحرارة ، الرطوبة ، الاشعاعات ، جراثيم الفطريات ، و بويضات الحشرات ، كل هذه العوامل تترك بصماتها على المخطوط مما يعرضه الى التآكل و التلف من جفاف الاوراق و تكسرها و تلف حروفها و إنتشار الثقوب و التمزيق و تلون الورق نتيجة الاشعة و الضوء و الجفاف و التصاق الصفحات ببعضها ومن هذه العوامل المؤثرة في تلف المخطوط نذكر :

1-عوامل كيميائية :

1-1- التلوث الهوائي : و المقصود به تلوث البيئة بصورة غير مرغوب فيها تغير جزئيا أو كليا بفعل النشاط الإنساني و الذي أحدث تغيرات كيميائية و حيوية في مكونات الغلاف الجوي كله ، إضافة إلى ملوثات لم يكن للإنسان سبب في حدوثها فكثير منها موجود في البيئة الطبيعية و التي حدثت بفعل العمليات الجيولوجية كالبراكين و الزلازل .

و قد بدأت فكرة التلوث عند الإنسان منذ بداية الثورة الصناعية و إستخدام الوقود و الآلات و إنتشار الحشرات و المبيدات و الحروب و إنتشار الاسلحة الذرية ، هذه الملوثات التي يسهل إنتقالها مع تيارات الهواء ، و يمكن القول أن المخطوطات هي أشد الماديات تأثرا بهذه الملوثات ومن أهم هذه الملوثات نذكر :

غاز ثاني أوكسيد الكربون و هو أكثر الغازات ضررا للأوراق إذ تمتصه صفحات المخطوط و فب وجود الرطوبة المرتفعة يتحد الغاز مع بخار الماء و يكون حامض الكبريت الذي يتحول الى حمض الكبريتيك المدمر للأوراق و الجلود و بما أن هذا هو المصدر الاساسي للحموضة فهناك أحماض منها

: الاحبار الحديدية ، الليجنين الموجود في الاوراق وهو حمض يتفاعل مع الضوء ، مواد تبيض لب الورق و أغلبها منتجة للكلور الذري ، الذي تتحول بقاياه الى حمض الإيدروكلوريك الضار .

1-2- كبريتيد الهيدروجين : و هو إل خطورة من ثاني أكسيد الكبريت و ينتج عن النشاط الصناعي و الفيزيولوجي للكائنات الحية و أيضا لنتيجة لتحلل المطاط الموجود كعازل في النوافذ والأرفف و الأرضيات و تفاعله مع زخرفات المخطوطات عداالذهب .

1-3- الكلور و الفلور : ولهما تأثير ضار على الاوراق و الاحبار ، إذ أثناء الاحتراق ينتشر بسرعة ، و هذه الاحماض كلها ضارة للمخطوط .

1-4- الغبار و الاتربة : هي الحبيبات التي يقل قطرها عن 76 ميكرون يحملها الهواء لتلتصق بالصفحات و الجلود المخطوطة حاملة معها جراثيم الفطريات و بيضات الحشرات و التي تنمو بالمخطوطات عند توفر الاحرارة و الرطوبة بل و يمتد الضرر حتي الى الكتابة.

بالإضافة ان هناك غاز الأوزون و الأذخنة الموجودة في الجو التي تشكل خطرا على المخطوط.

حفظ وصيانة المخطوطات :

إن الحفظ و الصيانة جانبان متكاملان لحماية المخطوط من التآكل و التدهور الذي يتعرض له بمرورالزمن و هذا التكامل يظهر في الحفظ الذي يعني تهيئة الظروف المحيطة بالمخطوط سواءا أثناء تواجده بالمخزن أو على ارفف المكتبة او حت بين أيدي الباحثين مما يضمن سلامته ويمنع إنتقال العدوى من مخطوط مصاب الى مخطوط غير مصاب .

في حين الصيان تعني معالجة و إزالة الإصابات التي حدثت فعلا لبعض المخطوطات ، كجفاف أوراقها أو تبقعها أو تحجرها وجفافها و إصابتها بالحموضة و التلوث الغازي أو الحشرات و الفطريات كل هذه الإصابات لها طرق خاصة لإزالة آثارها عن المخطوط .

فالحفظ هو الخطوة الأولى لحماية أي مخطوط جديد أو قديم بما تعنيه من توفير ظروف جيدة تؤمن البقاء للمخطوط أطول مدة ممكنة إذ الأجدد بنا أن نبدأ في حماية المخطوط من :

أ-عوامل التلوث الجوي :

و التي تشمل الغازات الكبريتية و الغير كبريتية و الاتربة إذ يجب حمايته من كل العوامل المحيطة به و ذلك ب :

- النظافة الدورية للمخازن بإستعمال مكنات جذب ذرات الغبار و المواد الضارة خاصة الارضيات .

- إمرار الهواء إلى مخازن المخطوطات من خلال مرشحات كربونية تحتوي على الفحم النشط أو إمرار الهواء من خلال مكنات مائية تحتوي على محاليل للتخلص التام من ثاني أكسيد الكبريت .

- منع التدخين داخل المخازن و قاعات القراءة و الإطلاع .

- إضافة الى ذلك يجب استخدام أجهزة و وسائل للتحكم بناصر البيئة الطبيعية المحيطة بالمخطوط كإستخدام أجهزة رفع نسبة الرطوبة في حالة الجو الجاف (رطوبة أقل من 40 درجة) وذلك برش رذاذ بخار الماء الدقيق جدا في الجو الخالي من الاملاح .

و في حالة إرتفاع نسبة الرطوبة تستخدم بعض المواد الكيماوية التي لها القدرة على إمتصاص بخار الماء الزائد و تقليل نسبة الرطوبة الى النسبة المطلوبة (من 55 الى 60 بالمئة) مثل مادة السيليكاجيل و كلوريد الكالسيوم وهذه المواد سهلة التجفيف بالتسخين و إستعمالها أكثر من مرة مع التجنب إستعمالها في حالة الرغبة في خفض نسبة الرطوبة في جو تخزين أفلام الميكروفيلم حيث تحدث تأثير ماسح للفلم .

إستخدام عوازل الرطوبة حول مباني حفظ المخطوطات ومن أهم هذه المواد رقائق البلاستيك و الألمنيوم و بعض أنواع الزجاج .

و كإجراء عام يمكن التحكم في درجة الحرارة و نسبة الرطوبة بإستخدام التكييف المركزي خاصة في المباني الحديثة .

ب- حماية المخطوط من الإضاءة :

كما أن للإضاءة أضرارافهناك طرق لتجنبها و ذلك ب:

-منع سقوط ضوء الشمس المباشر على المخطوطات سواء في المخزن أو قاعات المطالعة .

-تركيب ستائر غامقة اللون .

-إستخدام زجاج الأوبال لمنع مرورالإشعاعات الضوئية ذات الموجات القصيرة .

-تزويد المخازن بمصابيح إضاءة خاصة تمتص الأشعة .

صيانة المخطوطات:

ان الصيانة مفهوم علمي واسع يهدف الى احياء التراث القديم المخطوط، و ازالة بصمات الزمن التي ظهرت على المخطوط، وذلك لما يحمله هذا الموروث العلمي من اهمية تاريخية وعلمية وثقافية ولما له من قيمة اثرية، فما زال مجال صيانتها بكرا يحتاج للكثير من المهتمين و الباحثين و المتخصصين حتى تصل الصيانة الى المستوى المطلوب.

فكان هذا الملتقى الدولي الاول المنعقد يوم 23 و 24 من شهر افريل الأول من نوعه الذي اثرى هذا الموضوع الجديد في التناول على مستوى الجامعة، لما لهذه المنطقة من رصيد مهم من المخطوطات.

فالصيانة هنا لاتعني الترميم فقط ،لأنها مرحلة من مراحل متعددة يشملها مفهوم الصيانة الكاملة.

1- التعقيم :

و يعني القضاء على كل أشكال صور الحياة إن كانت خلية أو جرثومة أو بويضة أو يرقة و نحن بتعاملنا مع المخطوطات بما لها من ندرة علمية و قيمة أثرية و لطبيعة مكوناتها و ما تمثلها هذه المكونات من بيئة غذائية جيدة للعديد من الكائنات التي تنمو عليها و تتلفها وتحللها إذ يجب التدقيق في إختيار الطريقة الأنجع التي تقضي على هذه الكائنات و تمنع تضرر المخطوطات و هذا مايقصد بالتعقيم . و بصفة عامة يمكن أن نقول أن هناك طريقتين للتعقيم هما :

-إستخدام المبيدات الكيماوية .

-إستخدام الوسائل الطبيعية .

2-الترميم:

هو المرحلة ما قبل النهائية لصيانة المخطوط و يعني اعادة الاثر الى شكل أقرب ما يكون الى شكله الاصلي قبل اصابته، فالترميم يعني اصلاح لما اصابه من تشوهات شكلية كالتمزق و التفتت و انتشار الثقوب وفقدانأجزاء الهوامش او النصوص، و هذا الترميم يعتمد على الخبرة العلمية و

المهارة الفنية و اضافة اللمسة الجمالية للمخطوط المرمم ، وعلى اخصائي الصيانة و الترميم اتباع خطوات عالمية مسطرة له يجب ان يتبعها و اهمها:

-المحافظة على أثرية المخطوط.

-استخدام الخامات الطبيعية و البعد عن الخامات الصناعية قدر الامكان.

-مراعاة ان تكون عملية الترميم عملية عكسية اي يمكن فكها عند اللزوم، اي يمكن فك الترميم القديم و اعادته بما يتناسب و التطور العلمي.

و هذه المهنة من اصعب المهن التي ينبغي ان يتوفر في شاغلها الصبر و العلم و الخبرة ، هذا و تختلف طريقة ترميم الاوراق عن ترميم البرديات و الرقوق و الجلود لكننا سوف نحاول التركيز عن ترميم المخطوطات الورقية.

اذ يتركز التلف في الاوراق التي تحتاج الى ترميم في :

-التمزق

-الثقوب

-ضعف عام و تقصف

-ضياح او تاكل أجزاء كاملة

وكل واحدة من هذه لها طريقة في الاصلاح و الترميم.

1-اللاصق:

1-1 اللاصق النشوي:

و يحضر محلول من الجيلاتين و الصمغ باضافة كميات محددة و بطرق خاصة ، وهو قابل للتحلل و التلوث بالكائنات الدقيقة خاصة الفطريات.

1-2 لاصق الاثلين جيليكول:

وهو لاصق نموذجي يتوفر على كل المميزات التي تساعد على سلامة و استدامة الترميم.

1-3 عجينة لب الورق:

تتكون من لب الورق الجاهزة او من ورق نسيجي متخمر و تستخدم في ترميم الثقوب التي احتتها الحشرات.

1-3 الاوراق المصبوغة:

و تستخدم في استكمال الهوامش و الاجزاء الناقصة، حيث يتم صبغها بالصبغات الطبيعية كالشاي و البن ، على ان نحرص لنكسبها نفس لون المخطوط الاصلي.

- طريقة الترميم :

1- الترميم اليدوي : و يعني اصلاح التلف بيده بالاستعانة ببعض الادوات البسيطة كالمشرط و الملقط و مما لاشك فيه الترميم اليدوي يكون اكثر دقة وامن في المحافظة على المخطوط المرمم.

2- الترميم الآلي :

و هو ترميم يستعمل في الحالات المستعصية و الشديدة الاصابة ، و هذا يرجع الى طبيعة المخطوط، و مما تحتاجه من دقة و هما نوعان من الترميم الآلي:

- الترميم الآلي باستخدام معلق لب الورق في الماء

- الترميم الآلي بالفرد بالرقائق.

- تجليد المخطوط:

كان المصحف الشريف اول كتاب يجلد حتى منتصف القرن الثاني الهجري، و انتقل التقليد بعد ذلك للبقية، وكانت جلدة الكتاب مزخرفة بمحالات عديدة¹

قد يبدو الحديث عن الترميم في الفترة المبكرة من تاريخ الكتاب العربي شيئا غريبا للوهلة الاولى ، ومع ذلك فمن الطبيعي جدا ان تجد صناعة ترميم الكتب في وقت لم تكن الطباعة قد عرفت فيه بعد، و لم يكن استبدال نسخة جديدة من الكتاب بنسخة بالية امرا هينا كما هو الحال في عصر الطباعة ، و قبل نهاية القرن الرابع كان الكتاب العربي قد بدأ بالتعرض للتلف سواء من كثرة الاستعمال او من عدم معرفتهم بأساليب حفظ الكتب و صيانتها ، وكان العرب من جانبهم قد

فكروا جدباً في الأساليب التي يمكن أن يصلحوا بها بعض ما أفسده الدهر ، و أن يعالجوا بها ما تحدّثه الحشرات وتقليب الأيدي من الكتب من تمزق وتآكل 2 .

أما في ما يخص فهرسة المخطوطات فهي عملية إنشاء الفهارس أو الوصف الفني لأوعية المعلومات بهدف أن تكون تلك الأوعية في متناول المستفيد بأيسر الطرق و في أقل وقت ممكن وهي نوعان :

الفهرسة الوصفية و الفهرسة الموضوعية 3

أما بالنسبة للفهرسة الوصفية للمخطوط فهي تعني الوصف المادي و ذلك بأخذ مجموعة من البيانات كإسم المؤلف و عنوان المخطوط و مكان و إسم النسخ و تاريخ النسخ و تعداد المخطوط... إلخ هذه المعلومات التي تميز المخطوط عن بقية المواد

1- محمد فتحي عبد الهادي، الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، 2010، ص 20

2-- محمد فتحي عبد الهادي، مرجع سابق، ص 23

3- محمد فتحي عبد الهادي ، نفس المرجع ، ص 20

أما الفهرسة الموضوعية للمخطوط فهي وصف المحتوى الموضوعي وذلك بواسطة رؤوس الموضوعات أو أرقام التصنيف حتى يمكن تجميع كل المخطوطات التي تتناول نفس الموضوع بوضعها في مكان واحد 1

و الفهارس أنواع نذكر منها :

- الفهرس القاموسي .

- الفهرس المجزأ (فهرس المؤلف ، فهرس العنوان ، فهرس الموضوع المجزأ أو المصنف) و هذا الفهرس هو الشائع بالنسبة للمخطوطات ، كما له أشكالاً كشكل كتاب أو ميكروفيلم أو شكل فهرس محوسب الإلكتروني 2

فالفهرسة شيء ذو أهمية كبيرة بالنسبة للمخطوطات و كما يقول أحمد شوقي بنين : "إن ما جمع حتى الآن و فهرس من المخطوطات العربية يقدره المختصون بثلاثة ملايين و إن ما هو غير مفهرس و ما لم يكتشف بعد بل لا يزال رهين محابس المكتبات العامة و الخاصة يفوق ما هو معروف و مفهرس و لا أدل على ذلك مما يكتشف و ما يصدر من فهارس المخطوطات من حين لآخر 3

هذا و ما بالكم و منطقتنا ثرية بالمخطوطات المهمة و منسية لم تلقى إهتماما فكان هذا المخبر خير مبادرة للحرص على حماية هذا الإرث و العمل على توعية الفكر للحفاظ عليه و التحقيق فيه للفت انتباه المهتمين و المنشغلين بالتراث .

و فهرسة المخطوط ليست كغيرها من المواد و المطبوعات .4، و هنا نحاول إعطاء الحقول و العناصر التي تتوفر عليها البطاقة الفهرسية للمخطوطات .

-مصادر الوصف : صفحة العنوان إن وجدت ، المقدمة ، الأختام (المتن) ، رأس النص ، أعلى النص ، النص نفسه ، و إذا لم تتوفر المعلومات في هذه المصادر فتؤخذ من :

نسخة أخرى من المخطوط ، طبعة منشورة ، المصادر المرجعية .

-حقول الوصف : و يتضمن الحقول التالية : العنوان و بيان المسؤولية ، النسخ ، الوصف المادي ، الاستهلال و الاختتام ، التبصرات .

-علامات الترقيم : (. -) بين كل حقل و البيانات المضافة المأخوذة من خارج المطبوع بين ^١ - معقوفتين و علامة إستفهام في حالة الشك

-الاختصارات

العنوان وبيان المسؤولية : العنوان كما وجد و بنفس الترتيب

بيان المسؤولية : ينسخ إسم المؤلف و حكمه الذي ظهر في المخطوط مع إستبعاد ألقاب التعظيم

النسخ : و تضمن مكان النسخ ، إسم الناسخ ، تاريخ النسخ.

1-محمد فتحي عبد الهادي،الدليلا الارشادي لفهرسة المخطوطات العربية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية،2010،ص 20

2-نفس المرجع،ص22

3-عبد الستار الحلواجي، المخطوط العربي، القاهرة، مكتبة مصباح،د.ت.ص 258

4- محمد فتحي عبد الهادي، مرجع سابق،ص 52

الوصف المادي: كانت التعقيبات هي الطريقة الاولى لحفظ ترتيب الاوراق و لم تظهر الا بعد القرن الرابع هجري، و هناك الترقيم بالكراسات و الكراس به 8 الى 10 اوراق او يسجل في الكراسة في الورقة الاخيرة.ك1، ك2...

و يشتمل هذا الحقل على: عدد الاوراق او المجلدات، المادة، الايضاحات، الحجم، نوع الخط، لون المداد او الحبر.

الخاتمة :

هذا و باختصار جدا اهم ما يمكن قوله حول حماية و فهرسة المخطوط ،لأن هذا الوعاء صعب جدا في تداوله بين ايادي الباحثين و المطلعين، لكونها مادة حساسة للعوامل الطبيعية و معرضة لأخطار السرقة و الاهمال، زد على ذلك ندرتها ، مما يتطلب حمايتها.

قائمة المراجع:

- 1-عابد سليمان المشوخي، تجارو المخطوطات و طرق فحصها و تقييمها، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2011
- 2-عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، القاهرة، مكتبة مصباح، د.ت.
- 3-عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي و شئى من قضاياه، دار المريخ، الرياض، د.ت.
- 4-محمد فتحي عبد الهادي، الدليل الاؤشادي لفهرسة المخطوطات العربية، القاهرة، د.ن، 2010
- 5-محمد قاسم الشوم، منهجية البحث و علم المكتبات و تحقيق المخطوطات، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007

دور الصيانة في الإبقاء على أثرية المخطوط

أ. فصيح خضرة

جامعة زيان عاشور الجلفة

إن المخطوطات تسرد لنا حياة أجيال في مختلف جوانبها كما أنها تمثل وحدة تاريخية أثرية متميزة إلا أنها رغم كثرتها و ما تعالجه من موضوعات متنوعة فإنها بقيت حبيسة الرفوف و الصناديق و شتى طرق التخزين الرديئة الأمر الذي عرضها للتلف و للضياع في كثير من الأحيان¹ ، لهذا لابد من حفظ المخطوطات حفظا جيدا و صيانتها في حالة إصابتها ببعض المشكلات و تعتبر مسألة الصيانة من المسائل الحساسة جدا التي تتطلب بحوث و تجارب و تخصص عميق .

¹ - قويدر، بشار و مختار ، حساني ، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، الجزائر: المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، 1999 ص 11 .

و للوقوف عند هذه النقاط سيتم التطرق إلى ضرورة توفير عوامل أو ظروف مناسبة لحفظ المخطوطات من خلال دراسة المشاكل التي تتعرض لها المخطوطات في مبحث أول والى كيفية التعامل مع المخطوطات التي أصابها الزمن بفعل مختلف العوامل إلى قدمها و ذلك من خلال إعادة إحياء التراث المخطوط في مبحث ثان.

المبحث الأول : مشكلات التراث المخطوط

إن تراث الأمم ينعكس على تطورها الحضاري في العلوم و الآداب و يعبر عن أصالتها فالمخطوط كتاب و الكتب لا توجد في أمة من الأمم إلا إذا تحققت ثلاثة عناصر مواد يكتب عليها و أدوات يكتب بها ، و أناس يعرفون الكتابة ، و تراث فكري يحرص الناس على تدوينه و تداوله ¹.

إن الجانب المادي للمخطوط موضوع من المواضيع النادرة الإشارة إليها والتخصص فيها كما أنها لم تلق اهتمام كبير من قبل الدارسين ، لهذا نشأ علم الكوديكولوجيا لدراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب ² ، و المقصود بذلك أنه علم يتعرض إلى دراسة كل من أدوات الكتابة و التجليد و فهارس الكتاب و نسخ الكتاب و عددها و مكان تواجدها و ... الخ ، غير أن مختلف العوامل الطبيعية ، البيولوجية ، الكيميائية ، البشرية ، وغيرها الخ تترك تأثيرا سلبيا على الكتاب المخطوط ان لم نعلم كيفية التعامل معها في سبيل حماية التراث المخطوط من آفات الزمن .

و لهذا سيتم تناول الأسباب المؤدية إلى تلف و ضياع المخطوطات في مطلب أول وإلى أدوات الحفظ الجيد للمخطوطات في مطلب ثان.

المطلب الأول: أسباب تلف و ضياع المخطوطات

مرت المخطوطات بمجموعة من الحقب الزمنية التاريخية و التي حدثت فيها الكثير من التغيرات و الظروف البشرية منها و الطبيعية التي حجبته عن أعين الناس عبر أزمنة طويلة ، و مجموعة العوامل التي أدت إلى إصابتها بمخاطر عديدة يمكن أن نصنفها في عاملين رئيسين : عامل طبيعي و عامل بشري و لهذا سيتم التطرق إلى العوامل الطبيعية في فرع أول و إلى العوامل البشرية في فرع ثان .

الفرع الأول : العوامل الطبيعية

¹ -عبد الستار، الحلوجي ، المخطوط العربي ، الطبعة الأولى، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2003 ، ص 21 .

² - أيمن، فؤاد سيد ،الكتاب العربي المخطوط و علم المخطوطات، بيروت: الدار المصرية اللبنانية ، 1997 ، ص 1 .

إن المواد العضوية التي تتشكل منها المخطوطات كالورق و الجلود و الأحبار تتعرض لكثير من التلف كجفافها أو حدوث ثقب عليها أو انتشار بقع عليها أو التصاقها أو تاكلها أو التواءها أو تفتتها... الخ¹ ، و هو الأمر الذي يحدث نتيجة خليط من غازات و عوامل أخرى التي يتكون منها الهواء الجوي :

1/ الحرارة و الرطوبة : درجة الحرارة و الرطوبة عاملان متلازمان فالتيغير في درجة الحرارة يتبعه تغير في نسبة الرطوبة ، فارتفاع الحرارة في المناطق الجافة يفقد المخطوطات بعض الخواص مما يساعد على تقادم الورق و الجلود بحيث تكون جافة و هشة و سهلة التكسر ، و بالنسبة للرطوبة فالقليل من الرطوبة مفيد و ضروري لحفظ الأوراق و الجلود و لكن ارتفاع نسبة الرطوبة ينتج عنه أضرار عديدة : انتفاخ المخطوطات و تشوهها، تكون بقع صفراء على الأوراق ، تكون الحموضة، نمو الحشرات و الكائنات الدقيقة مما يؤدي إلى انتشار الثقب و تاكل النصوص ، التواء أغلفة المخطوطات، نمو الفطريات و البكتيريا².

2/ الضوء : يعتبر الضوء من العوامل المؤثرة على الكتب و الوثائق، فتعرض المخطوطات للضوء يفقدها صلابتها و يضعفها خواصها وهذا يظهر في جانبين : جانب مباشر وهو ناتج عن الأشعة التي يتكون منها الضوء فلقد أثبتت التجارب أن أكثر الأنواع الأشعة تأثيرا سلبيا على المخطوط هي الأشعة فوق البنفسجية كونها تعمل على اضمحلال لون الأحبار و يساعد في تلفه وجانب غير مباشر و يتمثل في إعتبار الضوء مصدر للحرارة فتنتج عنه نفس الأعراض التي تحدثها الحرارة ، ويقول الدكتور عبد العزيز بن محمد المسفر أنه كلما كانت الموجات الضوئية التي تتعرض لها الكتب و الوثائق أقصر طولا كلما كان الضرر سريعا و قويا و يتوقف تأثير الضوء على مجموعة من العوامل أهمها قوة الإضاءة ، مدة التعرض للإضاءة ، درجة الحرارة ، سماكة الورق و كثافته³.

3/ الغبار و الأتربة : إن الحبيبات التي يحملها الهواء تلتصق على أغلفة الكتب حاملة معها فطريات و بويضات الحشرات و التي تتكاثر بفعل الرطوبة و الحرارة مصيبة المخطوطات بأضرار جسيمة قد يصعب إصلاحها ، إضافة إلى ما يحمله الغبار من عناصر معدنية و التي تتكون عنها أحماض زائدة تسبب في كسر و تلف الأوراق⁴.

1 - مصطفى ، السيد يوسف ، صيانة المخطوطات علما و عملا ، القاهرة: عالم الكتب، 2002 ، ص 41 .

2 - نفس المرجع ، ص 52-55 .

3 - عبد العزيز، بن محمد المسفر ، المخطوط العربي و شئ من قضاياها ، الرياض : دار المريخ ، 1999 ، ص 119 .

4 - نفس المرجع ، ص 116 .

4/ الحشرات و الحيوانات القارضة : و من الحشرات نجد الصراصير و النمل الأبيض و دودة الكتب إضافة إلى الكائنات غير المرئية و البكتيريا و كلها مخاطر تتهاجم الكتب في حالة توفر المناخ المناسب لانتشارها بسبب سوء التخزين ، أما عن الحيوانات القارضة فمن أخطرها نجد الفئران و الجرذان و هي مصدر خطر يجب عدم الاستهانة بها و مكافحتها قبل تكاثرها.

5/ الزلازل و البراكين : و هي أيضا من العوامل الموجودة في الطبيعة و التي تسبب أحيانا في تلف و ضياع المخطوطات ¹ .

الفرع الثاني : العوامل البشرية

إن الإنسان في الكثير من الأحيان يلعب دورا سلبيا بسبب إهماله في كيفية التعامل مع المخطوط من حيث طرق الحفظ أو الحماية و الصيانة أو الخدمات التي ينبغي توفيرها للباحثين و المهتمين بذلك و يمكن تصنيف هذه العوامل إلى أسباب مباشرة و أخرى غير مباشرة .

1/ الأسباب المباشرة : من إسهامات الإنسان في إلحاق الضرر بالمخطوطات مايلي :

- إمساك المخطوطات بأيدي غير نظيفة أو مبللة أثناء استخدامها مما يشكل بقع على الصفحات التي تسبب الفطريات و تشويه الأوراق كإضافة علامات أثناء القراءة أو تشيئتها مما يعرضها للكسر .

- تفكك أوراق الكتاب بسبب الضغط على المخطوط أثناء قراءته أو طباعته.

- عدم الحفظ الجيد للمخطوطات و عدم دراسة معايير التخزين من درجة الحرارة و نسبة الرطوبة و قوة الإضاءة كعوامل متناسبة مع بعضها إضافة إلى طرق التصنيف و الترتيب السيئة و عدم فهرستها و غيرها من العوامل ² .

1/ الأسباب غيرا مباشرة : إن نشاط الإنسان ينتج عنه في كثير من الأحيان آثار غير مرغوب فيها تمس بالبيئة سواء كان هذا النشاط ايجابي كالإنتاج أو سلب كالحروب، و لقد تعرضت البيئة خلال النصف الثاني من القرن العشرين إلى تلوث يفوق ما أصابها منذ تاريخ طويل الأمر الذي أدى إلى حدوث تغييرات في مكونات الغلاف الجوي و لقد بدأ هذا التلوث مع بداية الثورة الصناعية و استخدام الوقود و الآلات و انتشار الحشرات و وجود المبيدات و زيادة عدد السكان وحدوث الحروب و انتشار

¹ - مصطفى ، السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص 42 .

² - عبد العزيز ، بن محمد المسفر ، المرجع السابق ، ص 120 .

الأسلحة الذرية ، و كلها عوامل ساهمت في ملئ الهواء بملوثات و سهولة انتقالها و التي من أهمها غاز ثاني أكسيد الكربون و كبريت الهيدروجين و هي الغازات الناتجة عن احتراق الفحم و الوقود المستخدم في البيوت و المصانع و الخارج عن السيارات مما يكون له تأثير أسرع على تلف المخطوطات خاصة في حالة ارتفاع الرطوبة في الجو أو في حالة و جود الغبار ¹ .

و لا ننسى أن نذكر أن مجمل الحروب التي مرت بها البشرية عبر التاريخ أتلقت الآلاف من المخطوطات إضافة إلى أنها ساهمت في انتقالها إلى أماكن أخرى غير أماكنها الأصلية و اختفاء العديد منها بسبب الإستلاء عليها و كمثال بسيط على ذلك ما قام به الجيش الفرنسي في الجزائر حيث أتلقت الكثير من الكتب و الوثائق القيمة كما استولي على العديد منها و الدليل ماهو موجود في المكتبات الفرنسية ² .

المطلب الثاني : وسائل الحفظ الجيد للمخطوطات

إن الحفظ هو الخطوة الأولى لحماية أي كتاب مخطوط جديد أو قديم تؤمن عمره أو بقاءه على حالته الطبيعية أطول مدة ممكنة و الحفظ الجيد للمخطوط عامل مهم لا بد من القيام به قبل أية عملية صيانة و التجارب تثبت أن الوقاية خير من العلاج ، و الحفظ يعني وقاية المخطوط من الإصابات المؤدية لتلفه مما يقللها أو يمنعها و هو أيضا يعني تهئية الظروف المحيطة بالمخطوط أثناء تواجده بالمخزن أو على أرفف المكتبة أو بين أيدي الباحثين و لمنع أية إصابات طبيعية أو بشرية ³ .

و فيمايلي نورد أهم هذه الأدوات أو وسائل الحفظ بحيث سيتم التطرق إلى طرق حماية المخطوط من العوامل المحيطة به في فرع أول و الى أهم طرق مقاومة لآفات الحشرات و ابادتها في فرع ثان.

الفرع الأول : التحكم في عوامل البيئة المحيطة :

إن المقاييس المناسبة لدرجة الحرارة و الرطوبة و الأشعة الضوئية هي كالتالي : درجة الحرارة بين 18-20 درجة ، درجة الرطوبة بين 55-60 ، أما عن قوة الإضاءة لا تتجاوز قوتها 50 كلوكس لكل قدم ⁴ ، إضافة إلى عوامل أخرى يجب الإهتمام بها و هي التنظيف الدوري للمخازن و غلق النوافذ و الأبواب

1 - مصطفى ، السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص 44 .

2 - قويدر، بشار و مختار، حساني ، المرجع السابق ، ص 12 .

3 - مصطفى ، السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص 83-84 .

4 - نفس المرجع ، ص 88 .

جيدا لمنع دخول غازات للمخازن و منع التدخين أثناء القراءة و التهوية المستمرة¹ ، ولقد ظهرت وسائل متطورة جدا تساعد في التحكم بهذه العوامل كالمكيفات الهوائية.....الخ².

الفرع الثاني : مقاومة آفات الحشرات و إبادتها

وذلك عن طريق المراقبة المستمرة و التفتيش الدوري للتأكد من سلامة المخطوطات خاصة الأجزاء الداخلية للمخطوطات و التأكد من عدم إصابتها بآفات و إجراء التنظيف لها ، مع إجراء تعقيم للمخازن كل ما تطلب الأمر ذلك و الحرص الجيد للعاملين في الصيانة أثناء هذه العمليات خاصة تلك العمليات التي تتطلب استخدام محاليل و مواد كيميائية³.

المبحث الأول :إعادة إحياء التراث المخطوط

للأسف تتعرض المخطوطات فعلا للإصابات من اصفرار أو تأكسد أو التواء أو ثقب أو فقدان بعض الأسطر أو الصفحات وغيرها .. الخ و في هذه الحالة لابد من معالجة نقاط الضعف تلك قبل وصول حالة المخطوطات إلى حالة تستحيل معها عملية الصيانة ، و صيانة المخطوط هو مفهوم علمي واسع يهدف إلى إحياء التراث القديم المخطوط و ذلك بإزالة بصمات الزمن التي ظهرت على المخطوط بحكم قدمه .

إن كل من الحفظ و الصيانة عمليتان ضروريتان لحماية المخطوط من أية إصابات أو مخاطر تصيبه بمختلف الآفات التي تقصر من عمره فالحفظ هو عملية وقائية تسبق وقوع التلف أو الضياع للمخطوط أما الصيانة فهي عملية علاجية تأتي بعد وقوع المخطوط بالإصابة⁴.

و الصيانة لا تعني ترميم المخطوط فقط فهناك مجموعة من العمليات تأتي قبل عملية الترميم و لهذا سيتم تناول عمليات صيانة المخطوط التي تسبق عملية الترميم في مطلب أول وإلى عمليات ترميم المخطوط في مطلب ثان.

المطلب الأول:عمليات صيانة المخطوط التي تسبق عملية الترميم

1 - تفتقر أغلب الكتب و هي موضوعة في المستودعات و المخازن لأدنى معايير الصيانة بحيث تترك طعما للحشرات و لا توجد أجهزة تثبيت درجتي الحرارة و الرطوبة و أجهزة سحب الغبار و الأتربة . عبد الستار، الحلوجي ، المخطوطات و التراث العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، ص 47 .

2 - عبد العزيز، بن محمد المسفر ، المرجع السابق ، ص 122 .

3 - مصطفى ، السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص 100 .

4 - نفس المرجع، ص 101 .

إن العوامل و الأسباب السابقة الذكر و التي تؤدي إلى إصابة التراث المخطوط بمختلف المخاطر قد يصاب المخطوط بأحد منها أو قد تجتمع كلها فيه ، الأمر الذي يتطلب القيام بمجموعة من العمليات قبل الوصول إلى ترميمه مع مراعاة الاحتفاظ بمعالم أثرية المخطوط و خصائصه المميزة لعصره¹، حيث يتم قياس مدى متانة الأوراق و اتجاه أليافها ، و نوع الحبر المستخدم و مدى انتشاره و قوة بقائه على الأوراق ، و حالة جفاف الأوراق أو رطوبتها و في كل هذا يتم استخدام آلات متخصصة لإظهار درجة هذه الخصائص تدوين هذه المعلومات .

و لهذا سيتم التطرق إلى التعقيم و معالجة جفاف المخطوطات في فرع أول و إلى عمليات إزالة البقع و الحموضة الزائدة في فرع ثان.

الفرع الأول :عمليات التعقيم و معالجة جفاف المخطوطات

التعقيم هو الخطوة الأولى في عملية صيانة المخطوط و هو يعني القضاء على أشكال الحياة الموجودة على المخطوط أو في داخله من جراثيم أو ببويضات التي تنمو دون أن يكون هناك أثر ضار على المخطوط على المدى القريب أو البعيد و التعقيم يكون باستخدام طريقتين إما بوسائل كيميائية كالمبيدات و هي طريقة منتشرة الاستعمال إلا أن هذه الطريقة تتطلب دراسة مدى تأثير صلاحية المبيد على مكونات المخطوط ، و نظرا لما تسببه من تسممات فلقد استخدم الإنسان اتجاه حديث معتمدا على وسائل طبيعية و هي استخدام الإشعاعات القصيرة الموجة كالأشعة فوق البنفسجية و تحت الحمراء و الموجات الكهربائية و الكهرومغناطيسية و الهواء الساخن و التردد الصوتي العالي للحصول على نتائج أكثر أمانا للإنسان للحفاظ على أثرية المخطوط² .

و لمعالجة مشكلة جفاف المخطوطات و تماسكها و تحجرها و تلاصقها تتم عملية التطرية و هي ضرورة لمعالجة هذا الجفاف يستخدم محاليل تطرية خاصة عبارة عن مخاليط من الكحول و الجلسرين أو محلول spray بنسب معينة حسب درجة جفاف المخطوط و التي يتم رشها على الأماكن الجافة في المخطوط أما في حالة تماسك أو تحجر أوراق المخطوط تعرض لكمية من البخار تكفي لتشعبها و تليين المواد اللزجة و فصلها بحذر شديد وهي عملية تتطلب صبر و مهارة و بعد المعالجة يترك المخطوط ليحجف و يمسك جيدا.

¹ - إن العرب و المسلمين من أعظم الأمم تراثا ألفوا الكتب في الميادين الثقافية و الإنسانية غير أنه بسبب الفتن و الحرائق و الحروب ضاعت الكثير من الكتب. صلاح الدين ، المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1976، ص 9 .

² - نفس المرجع، ص 89- 99 .

الفرع الثاني: عمليات إزالة البقع والحموضة الزائدة

قد تكون البقع عبارة عن زيوت و دهون أو أية مواد عضوية أخرى كبقع الشاي أو القهوة أو دخان أو غبار أو أتربة و ليس هناك حدود لهذه الأوساخ أو البقع و عمليات تنظيفها أو إزالتها تتطلب أحيانا إلى مجرد فرش أو مشارط لإزالة الغبار أو الأتربة و التي قد تزول معها أحيانا بعض الحشرات و الفطريات ، كما قد يتطلب التنظيف استخدام منظفات مائية يضاف إليها نسب من الكحول أو الصابون أو أملاح لقدرتها على إزالة الأوساخ أو استخدام محاليل أو منظفات خاصة مثل : محلول أكسيد الإيدروجين و الكحول النقي وذلك بنسب متساوية ثم غسيل الأماكن المعالجة بالماء و تعريضها للشمس مدة ساعة و هي عادة تستعمل لإزالة بقع الشاي و القهوة ، و هناك منظفات عضوية لإزالة البقع مثل البنزين و الأسيتون و الكلورفورم.... الخ و يشترط استخدامها بنسب محددة ، أما عن الأحماض الزائدة و التي تشكل بسبب تركيب الأوراق و الجلود أو بسبب ظروف التخزين فإن عدم إزالتها يعرض المواد المصنوع منها المخطوط للتآكل و التلف¹ ، و بالنسبة لعملية إزالة الحموضة الزائدة فهناك أكثر من طريقة للتخلص منها و لكن كلها تعتمد على اختبار مدى حساسية الحبر المستخدم في الكتابة و مدى قوة الأوراق والجلود المستخدمة في المخطوط و من هذه الطرق استخدام الماء و كربونات الكالسيوم و ماء الجير على سبيل المثال.... الخ ، و تصاحب عمليات إزالة البقع و الحموضة الزائدة عملية التبييض و التي تتمثل في غمر الأماكن المعالجة في محلول هيدروسلفين صوديوم في الماء و تترك حتى تصل درجة البياض المطلوبة ثم تغسل تلك الأماكن بالماء لإزالة آثار المحلول ثم تترك لتجف طبيعيا ليوم كامل مع شرط عدم تعريضها للهواء إلا بعد إنهاء العملية² .

المطلب الثاني: عمليات ترميم المخطوط

أن ترميم المخطوطات يعني إعادة الأثر إلى شكل قريب من شكله الأصلي أو بعبارة أخرى هو عملية إصلاح ما أصاب المخطوط من تشوهات كالتمزق و التفتت و الثقوب و القطوع.... الخ ، و هذا العمل يحتاج إلى تخصص علمي و مهارة تقنية بإضافة لمسة جمالية للمخطوط ، و للترميم خطوات أساسية يتبعها أخصائي الصيانة ضمانا لسلامة أثرية المخطوط و عمل الترميم يحتاج إلى تصوير تسجيلي لكل مراحله و الابتعاد أكثر ما يمكن عن المواد الاصطناعية³ .

1 - عبد العزيز، بن محمد المسفر ، المرجع السابق ، ص 123 .

2 - مصطفى ، السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص 112 - 127 .

3 - نفس المرجع ، ص 141 .

و فيما يلي نتعرض للعمليات الأساسية في الترميم دونما تفصيل لأنها عملية و مهنة نادرة لا يعرفها إلا أصحابها ممن تتوفر فيهم علم و خبرة و تذوق جمالي و ضمير لعدم الغش و التزوير، في فرع أول ترميم الأوراق و في فرع ثان ترميم الأغلفة الجلدية .

الفرع الأول : ترميم الورق

في حالة إذا ما تعرضت الأوراق إلى قطع أو ثقوب أو ضياع أو تأكلها تستخدم في عملية ترميمها إما :

اللواصق : كاللواصق النشوية أو لاصق إيثيلين جليكول

عجينة لب الورق : و هي ورق نسيجي متخمر تستخدم عادة في ترميم الثقوب

الأوراق المصبوغة : تستخدم في استكمال الهوامش و الأجزاء الناقصة على أن يراعى في صنعها مناسبة لون الورق و يتم صبغها بألوان طبيعية كالشاي أو القهوة أو أصبغة أخرى .

و الترميم هنا نوعان إما يدوي أو آلي :

يدوي : وهو الذي يقوم فيه المرمم بإصلاح التلف بيده مع الاستعانة فقط ببعض الأدوات البسيطة

آلي : و يكون باستخدام لب معلق الورق و هو يقتصر على الحالات التي يصعب ترميمها باليد و يكون إما باستخدام اللاصق لتثبيت الغلاف البلاستيكي على سطح الورقة و إما باستخدام الحرارة و الضغط لدمج الغلاف البلاستيكي مع صفحة المخطوط المعالجة و الطريقة الأخيرة هي المفضلة لأنها أكثر أمانا للمخطوط ثم تضغط الورقة .

وفي كل من الترميم الآلي أو اليدوي تصاحب العملية نقل بعض النقوش أو المذهبات من الورق القديم إلى الجديد ، و هناك ترميم خاص بنوع معين من الورق يسمى الرق¹ و هذا الترميم يختلف عن ترميم الأوراق في الخامات المستخدمة و ذلك لأن طبيعة الرقوق بروتينية أما الأوراق فهي سيلولوزية و نظرا لارتفاع أسعار الرقوق و عدم توفرها فإنه يتم تحويل جزء من سيليلوز الأوراق تحويرا كيميائيا لإنتاج ما يشبه الرق الطبيعي² .

¹ - الرق هو نوع من الجلود و يسمى أيضا المبرد و هو ما يرقق من الجلد ليكتب عليه. السيد ، السيد النشار ، في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، 1997 ، ص 8 .

² - إلى جانب الرق في القديم كان هناك أيضا المهراق و هي الصحف البيضاء من القماش و الرق ذكره الله تعالى في القرآن الكريم بقوله «و الطور، وكتاب مسطور، في رق منشور» سورة الطور الآية 1-3 . عزت ،

الفرع الثاني: ترميم الأغلفة الجلدية للمخطوطات

نظرا لسوء إستعمال المخطوطات و تقادمها تصاب بالتشقق و التمزق و الالتواء و هنا يتوجب ترميم لغلافها و تسمى بعملية التجليد الترميمي و هي الخطوة الأخيرة لصيانة المخطوط¹ ، و في التجليد تستخدم آلات بسيطة مثل المكبس أو القائم و الملزمة و عدة شدة الخياطة و آلات القص و أوراق الكرتون و لمسكها يستخدم اللاصق النشوي أو اللاصق الغروي حيث يتم فرز الأوراق أولا ثم تحدد أماكن الخياطة و بعد الخياطة تضبط الأشرطة مع علامات الخياطة ثم توضع البطانة كأداة اتصال بين الغلاف و جسم الكتاب ثم يتم التغليف بالكرتون و كسوته من الخارج بالجلد ، ويمكن القول أن ترميم التجليد هو إعادة التجليد مع المحافظة على أثرية و قدم المخطوط و ما به من زخارف و نقوش أو أي خصائص أخرى².

الخاتمة

يمثل التراث المخطوط جانب مهم من الجوانب المضيئة لبقاء الحضارة العريقة لأية أمة و خاصة أمتنا الإسلامية التي خلد لها التاريخ حضارتها القديمة و سموها عن طريق الكتاب المخطوط و تلعب الصيانة دورا أساسيا في حفظ هذا الأخير و لعل أهم الأدوات الناجحة في ميدان الصيانة هي معرفة مكونات المادة الكلية المستخدمة في صناعة الكتاب المخطوط لتوفير أحسن الظروف لحمايتها و تدارك تلفها ، غير أنه يجب أن لا ننسى أن كل مادة تحتوي على أسباب دمارها فالمواد العضوية التي تدخل في التركيب الأساسي للمخطوط بحد ذاتها لها عمر محدود فهي لا محالة فانية و بالتالي أي عمل لحماية المخطوط أو صيانتها ماهو إلا إبطاء لعملية تدهوره ، و لذا فإن طرق التقدم الإلكتروني المختلفة من التصوير إلى النسخ إلى الميكروفيلم و حتى الإعلام الآلي تلعب دورا مهما في الحفاظ على التراث المخطوط من التداول السيئ بالإضافة إلى أنها تمكن من استخراج نسخ عديدة عنه إلا أنها بالرغم من فوائدها الكثيرة فهي لا يمكن أن تعوض نفس القيمة الأثرية للتراث المخطوط مما يتوجب معه الحرص على إتباع الصيانة الدورية للمخطوطات .

قائمة المراجع :

ياسين أبو هيبه ، المخطوطات العربية فهارسها و فهرستها و مواطنها في جمهورية مصر العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 ، ص 22 .

¹ - عرف العرب التجليد كأسبق الفنون إلى الوجود فأبا بكر رضي الله عنه هو أول جمع القرآن بين لوحين . عزت، ياسين أبو هيبه ، المرجع السابق ، ص 233 .

² - مصطفى، السيد يوسف ، المرجع السابق ، ص 177- 190 .

- 1- الحلوجي ، عبد الستار ، المخطوطات و التراث العربي ، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، 2002 .
- 2- الحلوجي ، عبد الستار ، المخطوط العربي ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى، 2003 .
- 3- السيد النشار، السيد ، في المخطوطات العربية ، دار الثقافة العلمية ، 1997 .
- 4- السيد يوسف، مصطفى ، صيانة المخطوطات علما و عملا ، القاهرة: عالم الكتب، 2002 .
- 5- المنجد، صلاح الدين ، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، بيروت: دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، 1976 .
- 6- بن محمد المسفر، عبد العزيز ، المخطوط العربي و شئ من قضاياها ، الرياض : دار المريخ ، 1999 .
- 7- بشار، قويدر، و حساني، مختار، فهرس مخطوطات ولاية أدرار، الجزائر: المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، طبعة 1999 .
- 8- ياسين أبو هيبه ، عزت ، المخطوطات العربية فهارسها و فهرستها و مواطنها في جمهورية مصر العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 .
- 9- فؤاد سيد، أيمن ، الكتاب العربي المخطوط و علم المخطوطات، بيروت: الدار المصرية اللبنانية، 1997 .

مصادر علم صناعة المخطوط في التراث العربي وأهميتها

أ.بن فتاشة علي

جامعة الجلفة

تمهيد:

لكلّ علم مصادره ؛ والتي تشكل الأسس التي يبنى عليها؛ والمادة الخام لكل باحث فيه ، ومن هذه العلوم : علم صناعة المخطوط ؛ وهو ما يُطلق عليه في الغرب «الكوديكولوجيا» ؛ وهو مصطلحٌ يعني : علم دراسة الكتاب المخطوط أو صناعته ، ويعرفه المستشرق الهولندي جان جاست ويتكام: « بأنه الدّراسة المختصّة بتناول جميع جوانب المخطوطة باستثناء محتواها ، كما يُوصف بأنه ذلك العلم الذي يُركّزُ كُليّاً على الخصائص المادّية للكتاب المخطوط باليد ¹ ، وهو عند الغرب نتاج لأمرين: خبرة طويلة تمتد زمنّاً قد يبلغ قروناً، من التعامل والبذل في خدمة التراث الإغريقي واللاتيني، ثم التقدم العلمي التقني الذي تم توظيفه ، وكما هي طبيعة الأشياء فإن العلم بدأ معنياً بالأنما القريب (المخطوطات الإغريقية واللاتينية) ثم امتد إلى الآخر البعيد (المخطوطات الأخرى، وبخاصة العربية، وفي دائرة أوسع: المخطوطات المكتوبة بالحرف العربي).

في المقابل فإنّ هذا العلم (علم المخطوطات) عندنا ما زال يبحث عن هويّة ، على رغم كثرة ما صدر عن المخطوطات العربيّة وقضاياها من مؤلّفات؛ ومع تسعينيات القرن الماضي ظهرت "بعض الكتب التي حاولت أن تؤصّل هذا العلم وأن ترسم حدوده وتحدّد ملامحه؛ ولعل أهمّها" ² :

- كتابان للأستاذ الدكتور أحمد شوقي بنين ؛ الأول صدر سنة 1993م بعنوان: "دراسات في علم المخطوطات والبحث البليوغرافي" ، " ، والآخر من تنسيقه وصدر في عام 1994م بعنوان: "المخطوط العربي وعلم المخطوطات".

- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات : لأبن فؤاد سيد ، وقد نشر بالقاهرة سنة 1997م.

1 - دراسة المخطوطات الإسلاميّة بين اعتبارات المادة والبشر: ص 168 ، نقلاً عن نحو علم مخطوطات عربي : ص 16.

2 - ينظر: نحو علم مخطوطات عربي لعبد الستار الحلوجي ص 06.

– علم الاكتناه العربي الإسلامي: للدكتور قاسم السامرائي ، نشر سنة 2001م.

– نحو علم مخطوطات عربي : للدكتور عبد الستار الحلوجي ، صدر بالقاهرة سنة 2004م.

ونحن في المقابل سنحاول في هذا البحث الوجيز أن نحصر أهمّ المصادر في التراث العربي الإسلامي التي تعتبر مادة خام لهذا العلم المستحدث لنسلط الضوء عليها ؛ فتراثنا لا يخلو من مؤلفات تناولت جوانب من علم صناعة المخطوط ؛ كمصنفات علم الرسم والكتابة وآلاتها ، ومصنفات الفهارس والبرامج المختلفة ، ومصنفات صناعة الإنشاء، وديوان الكتابة وديوان الخراج، إضافة إلى ما حفظه لنا التاريخ الطويل من مخطوطات، بأشكالها ومخطوطاتها المختلفة ؛ وهو يُعدّ المصدر الأول لأيّ باحث في علم المخطوطات.

مصادر علم صناعة المخطوط:

أولا/المخطوطات: وهو الكم الهائل من المخطوطات العربية المنتشرة عبر أصقاع العالم؛ ويُقصد بالمخطوط في اللغة : كل ما كتب بخط اليد ؛ سواء كان كتابا أو وثيقة أو نقشا على حجر ؛ ولكنه في الاصطلاح يقتصر على الكتاب المكتوب بخط اليد؛ وبذلك تستبعد الوثائق والنقوش والكتابة على الجدران والعملات والأنسجة وما في حكمها؛ لأنّ هذه الأشكال من الكتابة تدخل تحت علوم أخرى كعلم الوثائق وعلم الآثار¹ ، ومصطلح "المخطوط" هو ترجمة لكلمة Manuscrit الفرنسية التي ظهرت مع الطباعة² ؛ لأنّ ظهور هذا اللفظ مرتبط بصناعة المطبوع في التراث العربي ، ونشير إلى أنّ المغاربة استعملوا عبارة "نسخة قلميه" في مقابل "كتاب مطبوع" قبل أن يُجاروا المشاركة في استعمال لفظ مخطوط³.

فالمخطوط العربي الإسلامي هو المخطوط الذي تناول موضوعا من الموضوعات الأدبية أو الفلسفية أو العلمية باللغة العربية ونسخ بالحرف العربي ، بغض النظر عن الأصول العرقية لكتابه، وبصرف النظر عن المكان الذي أُلّف فيه؛ فالإمام البخاري شيخ المحدثين لم يكن عربياً ، ولم يُؤلّد ببلاد العرب ، وهو يتّسع – كذلك – ليشمل مخطوطات الدول الإسلامية غير العربية كلغات إفريقيا السوداء واللغات الحامية كالأمازيغية واللغات الهندية الأوروبية كالفارسية والأفغانية والأوردو (urdu) أو الباكستانية والعثمانية

¹ – نحو علم مخطوطات عربي لعبد الستار الحلوجي ص 09.

² – معجم مصطلحات المخطوط العربي ، لأحمد شوقي بنينين ومصطفى طوبي: ص 212.

³ – للتوسع في تعريف المخطوط يُنظر: مقال "ما المخطوط؟" لأحمد شوقي بنينين في: (مجلة دعوة الحق، العدد 337).

والتركية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية التي استعارت حرف القرآن للكتابة ، وقد تتبعها العالم الأوربي جوفروا روبر (G.Roper) وأحصاها فوجدها مائة وتسعة وعشرين (129) لغة¹.

ويذهب أحمد شوقي بنين إلى أكثر من ذلك ليدخل في المخطوط العربي المخطوط الذي عاجل موضوعا عربيا ولكنه بجائيات غير عربية ؛ كبعض مؤلفات ابن رشد الحفيد التي نسخت بالحرف العربي ، أو كتلك التي نسخت بالحرف اللاتيني أو كتبت بالحرف الكرشوني وهو الخط السريالي المستعمل في أحد الأديرة المسيحية في سورية².

فالمخطوط هو الوعاء المادي للمحتوى ، وتكمن أهميته - إضافة إلى قيمته التاريخية - في أنه عنصر أساسي في عملية التحقيق ، فصناعة الورق وأدوات الكتابة قد عرفت تطورا منذ القرن المجري الأول إلى يومنا هذا ؛ وصار لكل عصر ميزاته من حيث نوع الورق وأنواع الخطوط وأدواتها ؛ لذا لا يمكن أن تغني النسخة المصورة ف « من يتعامل مع المخطوط العربي مُطالبٌ بأن يتعرّف على نوعيّة الورق المكتوب عليه، وبأن يحاول تحديد الفترة الزمانية التي يرجع إليها ، والمكان الذي صُنِع فيه ، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فمثل هذا التحديد لا يُساعد على تأريخ المخطوط في حالة عدم وجود التّاريخ فحسب ، وإنّما يُسهّم أيضًا في اكتشاف أي تزوير في التواريخ»³ ، لذا يجب أن تُتاح النسخ الأصلية للباحثين من أجل الاستيثاق من النصوص المشكّكة ، وأمّا المتخصّص في علم المخطوطات لا سيما صناعة المخطوط ، فيجب أن يُعطى وضعية خاصة، ويرى الدكتور محمود محمد زكي ضرورة الإسراع في صياغة ترتيبات تنظيميّة لحفظ المخطوطات وإتاحتها ، تتفق عليها مكاتب المخطوطات ، والبحث عن آليات تنفيذها والإلزام بها ، وكذلك صياغة تشريعات قانونيّة مُلزِمة للأفراد والجهات بشأن تداول المخطوطات وحفظها وإتاحتها⁴.

ثانيا/مصنفات علم الرسم والكتابة وآلاتها:

المؤلفات حول صناعة الكتاب العربي تكتسي أهمية بالغة في علم المخطوطات ؛ لأنها تتناول طرق صناعة الكتاب وورقه ومواده الأولية ، إضافة إلى أنواعه وطرق تجليده ، وأدوات الكتابة من حيث أشكالها وموادها الأولية وأنواع خطوطها ... إلخ ، ومن المعروف أنّ عملية التأليف انطلقت منذ القرن المجري الأوّل إلّا أنّنا قلّما نجد مخطوطا كتب وجُلّد في القرنين الأوّلين للهجرة أو حتى في القرنين الثالث

¹ - المرجع نفسه .

² - المرجع نفسه .

³ - نحو علم مخطوطات عربي ص 66 .

⁴ - مجلة الفهرست ، العدد 16 ، أكتوبر 2006 ، ص 123-146 ، دار الكتب والوثائق المصرية.

والرابع على الرغم من وصول تلك المادة العلمية التي خلفتها تلك العصور ، ومن النادر أن نجد كتابات قديمة تناولت صناعة الكتاب العربي المخطوط في مراحل تاريخه الأولى ؛ فنحن نجد إشارات مُبعثرة هنا وهناك عن الكتابة وأدواتها ، والخط وأنواعه ، وبعض التجليدات الأنيقة ، في كتابات الجاحظ (المتوفى سنة 255هـ) والثعالبي (المتوفى سنة 429 هـ) والخطيب البغدادي (المتوفى سنة 463هـ)¹ ، وابن مقلة (المتوفى سنة 326هـ) الذي كتب رسالة قصيرة في علم الخط والقلم² .

ومن أهمّ المصنفات التي تخصصت في هذا المجال :

- **عُمْدَةُ الْكِتَابِ وَعُدَّةُ ذَوِي الْأَلْبَابِ** (في صفة الخطّ والأقلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد): وهذا الكتاب ينسب لأكثر من واحد ؛ أولهم المعزّ بن باديس الصنهاجي (ت454هـ) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقيا الشمالية ، كما ينسب لابنه تميم وخليفته في الحكم (ت501هـ)، ونُسب لعلي بن هلال المعروف بابن البواب (ت413هـ) ، وكذلك لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي الجرجاني... إلخ³ ، وهذا الكتاب من أقدم الكتب التي تناولت هذا المجال ، وقد قام المستشرق الأمريكي مارتين ليفي بنشر ترجمة إنجليزية للمخطوط ، و أعيد نشره بعناية الباحث الإيراني في علم المخطوطات: إيراج أفشار، ثم طبع باللغة العربية بتحقيق وتقديم: نجيب مايل الهروي وعصام مكية - منشورات مجمع البحوث الإسلامية بإيران - ذو القعدة 1409 هـ ، وفي عام 1971م/1417هـ ، قام المحققان :عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي بإعادة تحقيق الكتاب و نشر في العدد 17 من مجلة معهد المخطوطات .

أما من حيث المحتوى فإنّ مؤلّفه قد قسّمه إلى اثني عشر بابا ؛ افتتحها بباب فضل القلم والخط وانتخاب الأقلام الجيدة واختلاف بريها على أجناس الخطوط وصفة الدواة واختيار آلاتها ، وتناولت الأبواب الثلاثة التالية طرق صناعة أنواع الأحبار الملونة والمداد ، واختصّ الباب الخامس بالليق ؛ والليقة هي قطعة من الحرير الخشن أو الصوف أو القطن توضع في الدواة لإصلاح المداد وتسميها العرب الكُرسف⁴ ، وتناول في الباب السادس الأصباغ وخلطها ، وفي السابع كيفية الكتابة بالذهب والفضة وما يقوم مقامهما ، وتنوعت الأبواب الأخرى بين سُبل محي الكتابة ، وصنع الغراء وأنواعه ، والكاغد وسقيه وتعتيقه ، وتوشية الأقلام ونقشها ، وختمها جميعا بباب: صفة التجليد والجلد وجميع آلاته .

¹ - يُنظر: مجلة "معهد المخطوطات العربية" العدد 17 الجزء 01 ، 1391هـ / 1971م ، ص 48.

² - حققها الأستاذ هلال ناجي ضمن كتابه " ابن مقلة : خطاطا وأديبا وإنسانا" دار الشؤون الثقافية العامة/بغداد 1991م.

³ - يُنظر: مجلة "معهد المخطوطات العربية" العدد 17 الجزء 01 ، 1391هـ / 1971م ، ص 49 .

⁴ - يُنظر : صبح الأعشى للقلقشندي: 458/2.

- زينة الكتّبة : لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، الطبيب والكيميائي المعروف، المتوفى سنة (312هـ) ؛ وهو رسالة قدّمها مؤلّفها للكتاب واحتياجاتهم المتخصصة، وبدأها بتفصيل أنواع الأحبار المختلفة، فذكر منها ما يصلح لأنواع من حوامل الكتابة دون غيرها، ومنها ما يستخدم مباشرة بعد الصنع، وآخر للحفظ الطويل ورحلات السفر ، والطريف أنّ من ضمن هذه الوصفات التي بلغت 18 وصفة، 11 وصفة لصنع وإظهار الأحبار السرية التي يبدو أنّها كانت منتشرة في كتابات ذلك الوقت.

وقد أورد المؤلف وصفات خاصة بسقي الورق وتسميكة ولصقه، إضافة إلى كيفية تجهيز الرق بمحو ما عليه لإعادة الكتابة عليه، وهو ما يسمى بـ(الطرس) أو (الطلس). كما تعرض إلى طرق تعتيق الورق (أي معالجته لإظهاره كالقلم) وهو ما كان يستخدم في تزوير المخطوطات والوثائق. ومن الموضوعات التي استوعبت جزءاً كبيراً من نص المخطوط معالجات قلع (إزالة) آثار الأحبار من الورق والثياب، وأيضاً قلع آثار الأصباغ والفاكهة بأنواعها، ومختلف المواد الطبيعية والصناعية ، فقد زادت الوصفات المذكورة عن 50 وصفة.

- تحفة الخواص في طُرف الخواص (في صنعة الأمدّة والأصباغ والأدهان) : لأبي بكر محمد بن محمد القلّوسي الأندلسي (ت707هـ) ، يتناول موضوعه كيفية صناعة وتكوين الأمدّة ، والأحبار ، والأصباغ، والأدهان ، والعمل بها ثمّ كيفية محوها وقلعها من مختلف أنواع الرّق والبردي والكواغد والدفاتر والورق ، فضلاً عن الثياب والخشب ، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب ، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور حسام أحمد العبادي .

- التيسير في صناعة التسفير : للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي (ت629هـ) ، وهذا الكتاب يتناول طرق التجليد أو التسفير (كما يُسميه المغاربة) ، وهو مرتّب ترتيباً جيّداً؛ فهو يبدأ بمقدمة تتضمّن بيان الباعث على تأليفه وفضل هذه الصناعة ، وينقسم إلى عشرين باباً ، وكثير من أبوابه ينقسم إلى فصول بحسب الأغراض والمعاني التي تناولها ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يُلقّي الضوء على التجليد وطرقه في القرنين الخامس والسادس وهو مليء بمصطلحات هذه الصناعة لدى المغاربة .

- صناعة تسفير الكتب وحل الذهب : للفقيه أبي العباس أحمد بن محمد السّفياني (توفي بعد سنة 1337هجرية)¹.

طبع بعناية المستشرق الفرنسي ريكار الذي وضع له دليلاً للمصطلحات التقنية الخاصة بالتسفير مع

¹ - تنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي : 249/1.

مدلولها باللغة الفرنسية - باريس 1925م.

ثالثا/ مصنّفات صناعة الإنشاء:

لِعنايتها في بنائها العلمي بما يلزم الكاتب من أدوات كتابته، وطرق البري وأنواع المداد، وصنوف الخطوط... إلخ، ومصنّفات الإنشاء يُقصد بها كما يقول القلقشندي: "كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات والمساحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهُدُن والأمانات والإيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها"¹.

ومن أمثلة هذه المصنّفات:

كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري (756 - 821 هـ = 1355 - 1418 م)، والذي خص بابا من جزئه الثاني لأدوات الكتابة وفَصَلَ القولَ فيها؛ فتحدّث عن الأقلام وبريها، وعن المداد وصنّاعته، وعن الدواة وصفاتها².

رابعا - مصنّفات المحدثين المسلمين:

ولاسيما في أبواب الكتابة عن الشيوخ إثباتا وكشطا وتضييحا وتصحيحا وطمسا... إلخ.

خامسا/ مصنّفات الفهارس والبرامج والمعاجم والأثبات والمشیخات:

وهي كلها مسميات لنوع واحد من الكتب؛ تضم الشيوخ والمؤلفين، وما أخذته التلاميذ من المرويات وما قرأوه على أساتذتهم، وتناولوه وأخبروا به... يقول الشيخ عبد الحي الكتاني: "كان الأوائل يُطلقون لفظ (المشيخة) على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يُطلقون على ذلك (المعجم)، وأهل الأندلس يستعملون البرنامج، أما في القرون الأخيرة فأهل الشرق يقولون (التَّبَت) وأهل المغرب يُسمونه (الفهارس)"⁽³⁾.

قائمة المصادر والمراجع :

01 - تحفة الخواص في طُرف الخواص (في صنعة الأمدّة والأصباغ والأدهان) : لأبي بكر محمد بن محمد القلّوسي الأندلسي، تحقيق : حسام العبادي، مكتبة الإسكندرية/2007م.

¹ - صبح الأعشى لأبي العباس القلقشندي: 54/1.

² - يُنظر: صبح الأعشى: 430/2- وما بعدها.

³ - فهرس الفهارس والأثبات: 67/1

02 - التيسير في صناعة التسفير : للشيخ بكر بن إبراهيم الإشيلي ، تح: عبد الله كنون ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع 1959م.

03 - صبح الأعشى ، للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي ج2/دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1331هـ-1913م.

04 - صناعة تسفير الكتب وحل الذهب : للفقيه أبي العباس أحمد بن محمد السّفياني ، طبع بعناية المستشرق الفرنسي ريكار، باريس 1925م.

05 - عُمدَةُ الكُتَابِ وعدّة ذوي الألباب (في صفة الخطّ والأفلام والمداد والليق والحبر والأصباغ وآلة التجليد) ، للمعزّ بن باديس الصنهاجي، تحقيق عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، (محقق بمجلة "معهد المخطوطات العربية" العدد 17 الجزء 01 ، 1391هـ / 1971م).

06 - فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات ، لعبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، باعتناء إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي بيروت ط2/1402هـ-1982م.

07 - الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، لأمين فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1418/01هـ-1997م.

08 - معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) ، أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، المطبعة والوراقة الوطنية/مراكش ط1/2003م.

09 - نحو علم مخطوطات عربي لعبد الستار الحلوجي، دار القاهرة ط01/2004م.

مجلات ودوريات ومواقع إلكترونية :

مجلة دعوة الحق، العدد 337، السنة 45، العدد الأول، ماي - يونيو 2004م

ويُنظر كذلك : <http://www.islam->

[s=101&z=114&maroc.ma/ar/detail.aspx?id=696](http://www.maroc.ma/ar/detail.aspx?id=696)

2012/03/10م

مجلة الفهرست ، العدد 16 ، أكتوبر 2006 ، دار الكتب والوثائق المصرية.

مجلة "معهد المخطوطات العربية" العدد 17 الجزء 01 ، 1391هـ / 1971م.

نوازل الشيخ أحمد يكن بن محمد المختار الجكني التيندوفي
من خلال الجزء الثاني من رحلة الشيخ الولاتي الشنقيطي بتيندوف

سنة 1316هـ/1898م

بريك الله حبيب الجكني التيندوفي

مركز الأرشيف الوطني الجزائري

من المعلوم أن التراث العربي المخطوط ببلادنا . الجزائر . لم يلق من الاهتمام ما لقيه نظيره
بالمشرق من فهرسةٍ وتحقيقٍ ودراسةٍ وتخرّيج، مع العلم أن بحرائنا مخطوطات لا تكاد إلا وأن تكون ذا
قيمة ونفاسة لمن يريد تحقيقها ودراستها ونشرها.

ولعل أوضح مَثَلٍ على ذلك كتاب تاريخ ميورقة لابن عميرة المخزومي والتي تذكرنا بكتب
مشرقية مشهورة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد وغيرها من التواريخ الأخرى، وما كدت أهُمُّ بتحقيقها
ودراستها لدرجة الماجستير، وهي مخطوطة وحيدة في العالم عثرت عليها بعد جهد جهيد في تندوف

موطن المحقق، إلا وقد سمعت أن أستاذاً في جامعة وهران قد حصل على النسخة الوحيدة وأخرجها محققة مدروسة بعد ما اطلع عليها في فهرسة كنت قد قدمتها لنيل درجة الليسانس حول فهرسة مخطوطات ووثائق خزانتي أهل بلعش وأهل العبد بتندوف الواقعة بالجنوب الغربي بالجزائر.

والمخطوطة التي بين أيدينا هي نسخة مصورة على شريط عن مخطوطة المرحوم عبدالسلام ابن سودة والمصورة هذه هي بالمكتبة الوطنية بالرباط الخزانة العامة سابقا، وهي نسخة جيدة مكتوبة بخط مجوهر صحراوي انتسخها من نسخة المؤلف سمي محمد يحيى دون ذكر تاريخ نسخها في 627 صفحة من القطع المتوسط أيضا .

لكن الدكتور محمد حجي — رحمه الله — لم يشر إلى رقم مصورة بن سودة هذه في الخزانة المذكورة، كما توجد مصورة منها هي نفسها بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 11039.

وقد أقدمت على تحقيق هذا السفر من رحلة الولاقي لما له من أهمية علمية وتاريخية وأخرى دينية، وتبرز هاته المكانة التي كانت تحظى بها تندوف وما جاورها من البلاد الأخرى في القرن الرابع عشر الهجري في كلام المختار السوسي في كتابه سوس العالمة⁽¹⁾ حيث يقول . رحمه الله .: « تقع هذه المدرسة . المدرسة الجكانية . في تندوف في التخوم السوسية الصحراوية، وكان آل بلعش منذ أسسوا تلك المدينة على يد قومهم تاجا كانت رفعا هناك راية التدريس، فدرس فيها كل من مر بهم من فطاحلة الشناقطة كمحمد يحيى الولاقي وأمثاله، بل قيل إن محمود التركزي مصحح القاموس المحيط درس هناك أيضا حين سافر إلى الشرق».

وكما شجعتني على تحقيق هذه المخطوطة كوني ابن هاته البلدة الطيبة والتي عرفت منذ القدم بعلمها وعلمائها الذين حازوا من الفضل ما حازوا وجابوا البقاع طلبا للعلم والمعرفة وتحقيقا منهم لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ اطلبوا العلم ولو بالصين ﴾.

وسوف نذكر من هؤلاء العلماء :

* العلامة والفقير محمد المختار بن بلعش مؤسس تندوف وله ترجمة في كتاب المعسول.

* الفقيه أحمد دكنا ابن العلامة محمد المختار بن بلعش صاحب الأسئلة الواردة في النص.

* العلامة بريك الله سيدي أحمد.

* القاضي والشيخ الجليل توهامي لحبيب

* الفقيه بريك الله حمي ، ولهم كلهم ترجمة في كتاب تندوف وتحكانت تاريخا ومناقبا وبطولات لصاحبه الأستاذ حمادي عبد الله الإدريسي.

ولعل هناك سبب دفعني أيضا إلى تحقيق هذا الجزء من هاته الرحلة ألا وهو الأسباب والدوافع التي تركت الدكتور محمد حجي المغربي . رحمه الله . يتباطأ عن تحقيق هذا الجزء من رحلة الولاتي بعد ما كان حقق الجزء الأول منها مع العلم أنه رحمه الله كان المشرف العام على الخزانة الحسنية بالرباط مما سيسهل عليه الاطلاع على هذا الجزء الذي يتحدث عن مدينة تندوف وربما يقول قائل أنه تجنب رحمه الله الوقوع في الإحراج التاريخي إن صح التعبير.

أو لنفرض كذلك سؤالا وجيها وأتمنى ممن يعرف الإجابة أن يفيدنا بما لديه ويتحفنا بتحفة أما سؤالي فهو هل كان الدكتور محمد حجي _ وكان المستشار الثقافي للملك المغربي آنذاك _ رحمه الله سيؤرخ لمدينة تندوف لو تناول هذا الجزء في تحقيق الرحلة كاملة.

ترجمة الفقيه الولاتي⁽¹⁾:

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:

جاء تعريف الفقيه الولاتي في بعض كتبه، بقوله: « يقول أفقر العبيد إلى مولاه الغني به عمن سواه: محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب عبد الله، الولاتي وطنا، الداودي نسباً »⁽²⁾. فكتفى في ذكر نسبه . رحمه الله . على جده الأول: الطالب عبد الله⁽³⁾، ثم أشار بعد ذلك إلى موطنه ونسبه الشريف⁽⁴⁾.

مولده ونشأته العلمية⁽⁵⁾:

ولد الفقيه محمد يحيى بن المختار الولاقي في ولادة سنة 1259هـ⁽¹⁾، الموافق لسنة 1842م.

نشأ الولاقي في بيت علم وفضل وشرف، فأكب على الطلب والتحصيل منذ صغره، وعرف منه الذكاء والفطنة وهو دون العشرين من عمره، ولا غرابة في ذلك، إذ أن أجداده كلهم كانوا علماء مشهورين في بلاده، وأبوه محمد المختار وعمه المرواني كانا عالمين جليلين.

في بلدته ولادته حصّل الفقيه علومه وظهر عليه حبه للعلم والتحصيل، هذا إلى جانب هاته المهمة العالية التي جعلته حريص كل الحرص على الاستفادة والاستزادة كان كثير المطالعة والبحث.

فظهر كثيرا من الذكاء والحفظ، حيث أنه قام شرح العديد من المنظومات في شتى فنون العلم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

* شرح منظومة السيوطي في البيان.

* نظم معاني الحروف من مغني اللبيب.

رحلته:

تُعَدُّ رحلة الفقيه الولاقي الحجازية من أهم أحداث حياته التي كان لها بالغ الأثر في تكوينه الفكري، وصقل مواهبه، لما اشتملت عليه من أحداث ومناظرات ومحاورات علمية جلييلة دارت بينه وبين علماء الأقطار التي مر بها في ذهابه وإيابه، كما أبرزت هذه الرحلة مكانة الفقيه الولاقي العلمية التي تبوأها عند علماء عصره، فحيثما حل ونزل لقي الحفاوة والإجلال والإكبار من أعيان تلك الديار.

والمتتبع لرحلة الفقيه يجد أحداثها ومراحلها تتسلسل تسلسلاً كرونولوجياً دقيقاً ذهاباً وإياباً⁽²⁾: فقد خرج فقيهما من ولادته (7 رجب 1311هـ، الموافق: 14 أبريل 1894م) على الإبل قاصداً بيت الله الحرام وخلاها أنشد العلامة محمد المختار ابن نبالة عالم تَشَيَّت وفتيها البيتين التاليين:

لَئِنْ غَابَ عَنِ وَالَاتِ يَحْيَىٰ فَإِنَّهَا تَغَيَّبَ عَنْهَا نُورُهَا وَشَبَابُهَا

وَعُيِّبَ عَنْهَا نَحْوُهَا وَبَيَانُهَا وَعُيِّبَ عَنْهَا فِقْهُهَا وَصَوَابُهَا

وفي هذه المرحلة التي مرَّ فيها ببعض القرى والمدن كأغريجيت وتشيت وشنقيط وكلميم وتَزْرَوَالْت والصويرة قام الفقيه الولايتي بتدريس بعض العلوم وأخذ عليه أعيان تلك الديار، ونظم خلالها بعض القصائد، وألف بعض التأليف، وأجاب عن أسئلة المستفتين، من أهمها أسئلة الأدوزي.

محمد يحيى في الرباط: حيث التقى بسلطانها آنذاك: عبد العزيز، الذي أحسن منزلته وأكرمه وأمدّه بزاده نحو الجحاز بعد مقام خمسة أشهر بها، وفي هذه الفترة أخذ عنه بعض العلماء علم البيان من تلخيص القزويني وبعض علم أصول الفقه، كما درسوا عليه تأليفه: «منبع الحق والتقى الهادي إلى سنة النبي المنتقى»، وغيره من مؤلفاته الأخرى.

محمد يحيى في البقاع المقدسة: حيث أقام بها ستة أشهر، وأدى خلالها فريضة الحج التي أنشأ الرحلة من أجلها.

محمد يحيى بالمدينة المنورة: حيث درس بها الموطأ وعقود الجمان في علم البيان للسيوطي والورقات في أصول الفقه، وذلك من خلال شروحه لهذه الكتب كشرحه ألفية السيوطي وشرحه نظم الورقات.

وقد أجاب على أسئلة كثيرة طرحت عليه آنذاك من بينها سؤال عن جواز الحكم بالضعيف من مذهب مالك للقاضي المالكي، وعن جواز حكمه أيضاً بغير قول إمامه كالحنفي مثلاً للمالكي.

محمد يحيى بمصر: حيث اجتمع بعلماء الإسكندرية، وناقش بعض علمائها في مختلف الفنون، وطرخوا عليه مختلف الأسئلة، أهدوا إليه كتباً كثيرة، وأخذ عنه بعض أولئك العلماء، من بينهم العالم حسن شحاتة الذي أجازته إجازة شاملة في جميع مروياته من الحديث والفقه والنحو والبيان والأصول، لعلمه بأهليته بذلك، كما هو مثبت في نص الإجازة⁽¹⁾.

محمد يحيى بتونس: التقى خلالها بعدد كبير من علمائها وكبرائها، الذين شهدوا له بالفضل والتفوق، وخلال إقامته أجاب عن أسئلة كثيرة، وألف رسالته الموسومة بـ: «حسام العدل والإنصاف في إبطال شهادة رؤية النار وسماع صوت المدفع وضرب التلغراف».

عودة الفقيه الولايتي إلى المغرب مارا بمرسيليا فطنجة منتهايا باجليم فتندوف وهو الجزء الذي يهمننا في هذه المداخلة وبذلك تكون نهاية الرحلة برجوعه إلى بلده ولاتة يوم: 6 شوال 1317هـ.

مؤلفاته: ترك الولاقي ما يناهز المائة تأليف ويزيد وإليك ما استطعت الوصول إليه من تأليف حسب فنونها:

*** القرآن وعلومه⁽¹⁾:**

. التيسير والتسهيل لمعرفة أحكام التنزيل.

*** الحديث وعلومه:**

. نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الجامع الصحيح.

*** القواعد الفقهية:**

. البحر الطامي ذو اللجج على بستان فكر المهج.

*** أصول الفقه:**

. فتح الودود بسلم الصعود على مراقي السعود.

*** اللغة وعلومها:**

. نظم معاني الحروف من مغنى اللبيب⁽²⁾.

وقد خاض الفقيه الولاقي في غمار العلم : التأليف والشرح والتعليق والتقييد والاختصار والنظم ونحو ذلك، وقليل هم من وفقوا لمثل ذلك.

وتصانيفه . رحمه الله . كما هو واضح من عرضها. من حيث منهجها العام تنقسم إلى مؤلفات مستقلة وأخرى تبعية.

أما فيما يخص منهجه فكان يتعرض للخلاف العالي بحيث يأتي بذكر رأي المذهب المالكي ويفصل فيه ثم يذكر آراء بقية المذاهب الثلاثة الأخرى، يأتي بآراء فقهاء ثم يذكر الرأي المخالف لها مرة أخرى للمذهب المالكي، كقوله: « وقد طعن مالك فيما استدلا به » وكذلك قوله: « وطعن الشافعي في استدلال مالك... » وغيرها من النقول الأخرى.

* لم يأتي على ذكر الخلاف في المذهب المالكي.

وفاته:

حياة الفقيه الولايتي كانت حافلة بالإنجازات عامرة بالنشاط العلمي، لم يفتر ولم ينقطع عن دوره الريادي العلمي في بلدته ولاتة، وبقي على حاله يفرق ساعاته بين التدريس والقضاء احتساباً حتى أصابه شلل في أعضائه أخيراً، ولم يزل كذلك حتى توفي في شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة و ثلاثين هجرية الموافق للعام ألف وتسعمائة وإحدى عشرة ميلادي.

وهذا هو الصحيح المعتمد من الأقوال في تأريخ وفاته، وعليه نصّ بعض تلاميذه وحفيده وأغلب مترجميه⁽¹⁾.

وقيل: بأنه توفي في أواخر شعبان من السنة نفسها⁽²⁾.

وقيل: في ذي الحجة من سنة ألف وثلاثمائة وتسع وعشرين هجري⁽³⁾.

وغير هؤلاء كثير.

منهجه:

يظهر من خلال النص أن الفقيه الولايتي . رحمه الله . قد تتبع في منهجه لكتابة هذا السفر مجموعة من العناصر نجملها فيما يلي:

* كان يأتي بالحجج و البراهين كالتالي:

* من الكتاب: كقوله تعالى: [فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ]⁽⁴⁾.

* من السنة: كقولهp: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ»⁽⁵⁾.

* من الأثر: « الأثر الصحيح الذي ثبت عنده . أي مالك . »

* من الإجماع: « وأما الإجماع فقد انعقد النطقي منه المتواتر من عصر الصحابة إلى الآن... ».

* من نصوص الفقهاء: « وأما نصوص الفقهاء في كتب الفروع... ».

ثم يأتي بنتيجة وقلما تجد هاته النتيجة تخلو من رأيه . رحمه الله . .

* كان يبدأ كل إجابة بمقدمة بسيطة يعيد فيها طرح السؤال من جديد وربما جاء بأبيات مدح وإطراء للسائل كما جاء في مدحه للفتية أحمد يكن صاحب الأسئلة:

سَلَامٌ كَعَيْثِ الْوَيْلِ جَادَتْ بِهِ السُّحُبُ فَرَأَيْتَ بِهِ الْبَأْسَاءُ وَاتَّسَعَ الْخِصْبُ
سَلَامٌ كَبَدْرِ التَّمِّ أَشْرَقَ نُورُهُ فَضَاءَتْ بِهِ الْأَرْجَاءُ وَأَنْشَرَ الْقَلْبُ

إلى أن قال:

إِلَى مَعْدِنِ الْخَيْرَاتِ مَنَّبَعِ فَيْضِهَا وَوَارِثِ أَنْوَارِ مِنَ الْعِلْمِ لَا تَحْبُو
هُوَ الْبِأَذْلُ الْخَيْرَاتِ أَحْمَدُ مَنْ لَهُ مَكَارِمُ إِنْ سَمَّيْتَ بِإِحْصَائِهَا تَرُو

* كان يتعرض للخلاف العالي بحيث يأتي بذكر رأي المذهب المالكي ويفصل فيه ثم يذكر آراء بقية المذاهب الثلاثة الأخرى، يأتي بآراء فقهاءها ثم يذكر الرأي المخالف لها مرة أخرى للمذهب المالكي، كقوله: « وقد طعن مالك فيما استدلا به » وكذلك قوله: « وطعن الشافعي في استدلال مالك... » وغيرها من النقول الأخرى.

* لم يأتي على ذكر الخلاف في المذهب المالكي.

* أكثر نقوله كانت من كتب المذهب المالكي كمختصر خليل والشرح الكبير للدردير وشرح الزرقاني، إلا أنه لم يغفل كتب بقية المذاهب الأخرى كحاشية ابن عابدين مثلاً والموافقات للشاطبي و نيل الأوطار للشوكاني وغيرها من المصادر الأخرى، وحتى في تدليله لعلم الكلام أتى بمصادر لفقهاء مالكية كمقدمة ابن خلدون و النصيحة الكافية للشيخ زروق وشرح الكبرى للسنوسي... الخ.

* منهجه في نقل النصوص لم يكن بالحرف إلا في بعض الأحيان ولكنه كان ينقل بالمعنى كما جاء في مقدمة ابن خلدون والموافقات للشاطبي ونيل الأوطار للشوكاني وشرح الكبرى للسنوسي.

* طريقة نقله للفقهاء غالبية ما تكون مسلمة وقد نجده . رحمه الله . يبين رأيه بعد نقله للرأي الآخر.

* يكثر النقل عمن سبقه ولذلك تجد النص غصا بالنقول كمقدمة ابن خلدون وغيرها من المصادر الأخرى التي اعتمد عليها الفقيه . رحمه الله . في تأليفه.

* لم يكن الفقيه الولائي . رحمه الله . مجرد ناقل بل كان ناقلا وناقدا في نفس الوقت، يعلل بأراء الفقهاء ويبرز رأيه في نتيجة كقوله: « فتبين لك أيها الناظر » مثلا ، أو كقوله في مسألة زواج العبد: « فمن استدل بها فقد أوردها في غير موردها والله أعلم ».

* كان يذكر الكتاب وصاحب الكتاب وكذلك الباب الذي تجد فيه المسألة المراد الحديث عنها، ونادرا ما كان يغفل ذكر اسم صاحب الكتاب. كقوله: « ففي نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار لشيخ الإسلام ابن علي الشوكاني في باب العدد المباح للحر والعبد من النساء ما نصه ».

* يعتني بتخريج الأحاديث من مظانها بذكر الكتاب والباب وقليل ما يغفل ذلك.

* وردت عنه بعض الألفاظ العامة الموريتانية كقوله: « وحنبل جيد ».

* لم يكن الفقيه الولائي . رحمه الله . يكتب لنفسه ولا لنظرائه من الفقهاء بل كان يكتب لطلبة العلم والمتعلمين حيث أننا نجد أسلوبه سهل ومرن ومنهجه واضح وعلمي يغلب عليه التبسيط والتسهيل حتى في معالجته لمسائل الكتاب.

* اعتمد أسلوب الحوار من خلال الإفتاء والرد على الأسئلة، بحيث كان يفتي ويستفتي في بعض المسائل الفقهية وغيرها من الأسئلة الأخرى في شتى العلوم والمعارف، وأحيانا أخرى يعترض أثناء رده على بعض العوام الذين وظفوا أنفسهم للإفتاء بغير علم ولا معرفة بالدين.

بحيث كان يستقبل السؤال فيدرسه من جميع النواحي الفقهية ويعتمد في رده على المذهب المالكي لأول الأمر كما أسلفنا من قبل، ثم يبين آراء الفقهاء الآخرين في بقية المذاهب الأخرى.

مصادره:

لقد استمد الفقيه الولائي . رحمه الله . مادة كتابه من مجموعة من المصادر أكثرها من كتب المذهب المالكي، وإن كان لم يصرح غالبا بأسمائها غير أن التتبع والاستقراء لاقتباساته حدد جملة كتب تمثل أساس مادة كتابه . في نظري ؛ وقد اخترت منها ما يلي :

01. القرآن الكريم.
02. إرشاد الساري، للقسطلاني.
03. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض.
04. بحجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، لأبن أبي جمرة.
05. الجواهر، لابن شاس.
06. سنن النسائي.
07. شرح ابن ناجي على متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
08. الشرح الكبير للدردير على مختصر الشيخ خليل .
09. شرح جمع الجوامع، للمحلي.
10. صحيح البخاري.
11. الضياء اللامع شرح جمع الجوامع، لحلولو اليزليطي.
12. عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت، للإمام أحمد زروق.

ترجمة صاحب النوازل ابن مؤسس حاضرة تندوف الشيخ القاضي سيدي أحمد يُقْنَن بن محمد المختار بن ابن الأعمش الجكني الموساني التيندوفي :

وقد اعتمدت في هذه الترجمة على مداخلة ألقاها الأستاذ عبد الله حمادي الإدريسي في موسم محمد المختار بن بلعمش الجكني التيندوفي حيث يقول فيها⁽¹⁾ : هذا علم آخر من أعلام القضاء والعلم والفتوى من آل بلعمش وهو ابن مؤسس حاضرة تندوف سيدي أحمد يُقْنَن بن محمد المختار بن ابن الأعمش الجكني الموساني.

فهو سيدي أحمد الملقب بِقُنْ Yougna, هذا ضبط اسمه كما ضبطه هو في بعض كتاباته للعقود وفي بعض نسخه للكتب المخطوطة التي يمكنك أن تتصفحها بخزانة آل بلعمش الموساني الجكني بتندوف.

فكان يرسم لقبه هكذا "يكن" بدون شكل الحروف وأحيانا بوضع نقاط تحت كاف لقبه عقب كما ثبت ذلك بخطه عند نسخه كتاب "تحفة القضاة ببعض مسایل الرعاة لمؤلفه أحمد بن محمد البوعقوي" المخطوط بخزانة آل بلعمش الجكني الموساني بتندوف, وفي آخره:

((انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم...على يد أفقر العباد إلى رحمة الله...عبد ربه أحمد يكن بن محمد المختار بن باللمش...وكتبه لنفسه ولمن شاء الله تعالى من أبناء جنسه ضحى يوم الأحد السابع عشر من شهر الله ونبيه شعبان من عام اثنين وتسعين بعد المائتين والألف [1292هـ/1875م] عرفنا الله خيريه و وقانا ضيره آمين آمين.))⁽²⁾

يقول السوسي في معسوله عن سيدي أحمد يثن ابن مؤسس تندوف وعن أفضيته العادلة ما نصه:

((أحمد دو كنا [يُثْنُ]: أخذ عن أبيه محمد المختار وتطبع بطباعه ... وعنده كما عند أهله علم سر الحرف. وكان متواضعا يأخذ عن العلماء الذين يمرون به إلى الحج... كان عالما فقيها مشاركا في العربية والفرائض والتاريخ وعلم الأسماء والتفسير والحديث والسيرة، قائما على ساق الجد في دائرة علمه، فيدرس ويقضي ويفتي وينسخ، وقد أحيا الله به العدل في تلك الجهات لأنه كان جبلا راسخا في العض على الحق. لا يتحول عنه قيد شبر ولم يعهد منه أن توصل برشوة، ولا يقدر أحد أن يزنه بذلك، لأنه علم مشهور في ذلك، يشهد له الأبعد قبل الأقارب. وقد كان شمس تندوف كل حياته، فكانت الاستفتاءات والأسئلة العلمية وأهل الدعاوي يترددون إليه. وكثيرا ما يشوى في قرية توزونين في حضرة القائدين محمد بن علي وبلعيد المريطين.

وقد رأيت بين ظهائرهم ورسائلهم خطه كثيرا. وكان حيناً من الدهر قاضي كل جهة تامانارت لا يعلى عليه. والناس يقبلون عليه ويرضون حكمه ويفضلونه على أقرانه من فقهاء تلك الجهة كأحمد الإيغري، ومحمد بن بداح الأقاوي، لأنهم يوقنون أنه لا يجنف ولا يحول عن الصراط المستقيم.

وقد كان في علم التوازل بارعا، إلا أنه لسكناه في الصحراء ولعدم مخالطته كثيرا أهل هذه النواحي الشليحين ربما يغيب عنه ما به العمل عند الناس في بعض القضايا المحلية. ولهذا نقص بعض أحكامه العلامة أبو الحسن الإلغي، ولا شك أن مثل هذا لا يقدر في علمه ولا يجعل ثلما في عظمته.... أما ديانتته وتألهه وانحياشه إلى الخير وأهله فإن ذلك عنه مستفيض.

كانت لأهله خزانة كبيرة جلها مخطوط فيها على ما سمعنا نواذر من الكتب القيمة. فكان حريصا عليها.... وقد رأيت أن له اتصالا بالأستاذ أبي الحسن الإلغي. وقد نقض له حكما حكم به في قضية. ولكن المترجم لم يزور جنبه بذلك عن الأستاذ. فلم يزل بينهما تراسل، فقد وقفت على هذه الرسالة من المترجم إلى الأستاذ: "الفقيه البركة، إمام الأدباء وقدوة البلغاء أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله من قرية إلغ. السلام على ذلك الجنب، وذلك المقام المستطاب، ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فقد وصلت رسالة سيدي وفرحت بما فيها، ونطلب الله أن يجعل الأخوة لله، وقضية يميخويضين وكذلك قضية اليوساوي لم أحكم فيهما إلى الآن.. وإن أراد سيدي أن أعلمهما برأيه في ذلك فلا بأس، وما عليه خاطركم فاعلموني به. والسلام في شعبان 1316هـ [1898م] اهـ. الفقير أحمد دكنا [يُثَر] وفقه الله."

وقد لاقى مرة الشيخ الألغي مع طائفته فتأدب مع الشيخ وتعجب الناس الحاضرون من كثرة تأدبه معه. ثم لما أراد أن يفارقه طلب منه المشابكة على الأخوة لله، فشابهه الشيخ.

وقد كان الشيخ كلما ذكر عنده من قبل هذا اللقاء يثني عليه. وقد أخبرني أحد أصحاب الشيخ من أهل قرية إيموقادير⁽¹⁾ أنه سمع المترجم يقول: ليس في زماننا هذا مثل الشيخ سيدي الحاج علي. وقد تأثرت بملاقاته فوجدت في قلبي مالا أجده مع غيره.)). وقد جعل محمد المختار السوسي ميلاد أحمد يثني المترجم له بنحو عام 1260هـ/1844م ووفاته عام 1318هـ/1900م⁽²⁾.

أما فيما يتعلق بالنوازل فقد شملت ستة أسئلة فيها ما يتعلق بالفقه وفيها ما يتعلق بعلم الكلام وعلم الفلسفة وفيها ما يتعلق بأصول الفقه وفيها سؤال مهم لمن هو متخصص في المعاملات الربوية وكل ما يتعلق بالمسكوكات من العملة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أستاذاي الفاضل في مرحلة ليسانس في جامعة وهران الدكتور أحسن زقور قد قام بتحقيق هذه النازلة وقد نشرت في كتيب من الحجم الصغير معنونة كالتالي: "من فقه النوازل بيع العملات بالتفاضل من منشورات دار الأديب.

وتمتاز قبيلة تحكانت التي منها الفقيه أحمد يكن الحكني بسعة العلم والمعرفة والورع والمثابرة في تحصيل العلم. وقد بين المختار بن بونا منزلتهم ودورهم في نشر العلم حيث يقول:

ونحن ركب من الأشراف منتظم * أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا.

وقد اتخذنا ظهور العيس مدرسة * بها نبين دين الله تبياناً.

المحتوى:

ما يهمنى في هاته النوازل هي النازلة الخامسة التي تتحدث عن عملات أوروبية طرأت في شمال وعمق إفريقيا نتيجة الاحتلال الأوروبي الاستعماري المسيحي لهذه البلدان إلى جانب ما كانت تملكه من عملات أصلية تتعامل من خلالها الناس في معاملاتهم التجارية اليومية ولما كانت قد ضربت هذه العملات بالفضة يومها كما يقول الدكتور أحسن زقور في دراسته لهذه النازلة كانت تتفاوت في جودتها الصناعية وفي وزنها مما تسبب في إشكالية بيع سكك الفضة بالتفاضل فاختلف في حكمهما من مجوز إلى مانع كل حسب علمه وبراعته في إنزالها واستدلال بها إما بالمنع أ بالتجوز.

وسوف نشير هنا إشارة سريعة إلى ما مواضيع هاته النوازل وبالأخص على النازلة الخامسة في عجالة.

المسألة الأولى:

يتحدث الفقيه الولائي . رحمه الله . في المسألة الأولى عن حكم زواج العبد من أربع نسوة كالحر، وقد استهل جوابه عن الفتيا بدليلين، أحدهما دليل نقلي والآخر عقلي.

أما الدليل النقلي ما جاء في الكتاب والسنة والأثر والإجماع ونصوص الفقهاء ، من أنه يجوز للعبد أن ينكح أربعاً كالحر على المذهب.

وأما دليله العقلي فقولته أن النكاح من قبيل العبادة والعبيد والأحرار في الأحكام التبعية سواء.

ثم جاء بالدليل النقلي للقائلين بعدم جواز ذلك وهم الشافعية والحنفية والحنابلة واستدلوا على ذلك بالأثر المروي عن عمر بن الخطاب و الإجماع الآحاد الذي نقله الحكم بن عتيبة من أنه لا يجوز للعبد أن ينكح فوق اثنتين، وأما دليلهم العقلي فقياسهم نكاح العبد على طلاقه، فكما أنه لا تجوز له إلا طلقان فكذلك لا يجوز له النكاح إلا بإثنتين، لأنه على النصف من الحر في الحقوق.

ولعل الفقيه أراد أن يوضح استشكالا أشكل عليه ربما لما كانت تتميز به المنطقة آنذاك من مثل هاته المسائل وأراد من أخيه الفقيه الولائي أن يزيده فيها وضوحا وإفهاما.

المسألة الثانية:

يجيب الفقيه الولائي . رحمه الله . في هذه المسألة عن حكم جواز صدقة التطوع لمن عليه دين.

وقد استهل جوابه بقوله أنها تجوز مطلقا سواء كانت قليلة أم كثيرة ما لم يحجر الحاكم على المدين، وقد ثبت ذلك عن مالك والشافعي بنقل المازري.

أما دليل المالكية في الرواية التي نقلها المازري قوله: «إن المدين الذي أحاط الدين بماله لا يمنعه من التبرع إلا تحجير الحاكم».

وقد قرر ذلك صاحب التكملة والشيخ سالم ونقله عبد الباقي الزرقاني في شرحه لمختصر خليل، ولا يكون الحجر إلا للحاكم كما جاء في نقل المازري.

ثم بيّن . رحمه الله . أن صدقة التطوع تجوز مع الكراهة بصورتين وهما:

أولاً: جواز التصدق بالقليل كإعطاء كسرة ونحوها لسائل وما زاد على ذلك جاز منعه بتحجير الحاكم له.

ثانياً: جواز التصدق بالكثير مع وجود الضرر بمال المدين بشرط رجاء حصول مثله عند حلول الأجل أو طلبه من صاحبه بناء على قاعدة الشيء الواحد بالشخص الذي له جهتان، وأعطى مثالا لذلك كالصلاة في الدار المغصوبة.

ثم جاء على ذكر دليل الشافعية وهو ما ثبت في البخاري: « في باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى»، أن الدَّيْنَ أحق أن يُقضى في الصدقة والعق والهبة إذا كان المدين محتاج.

فليس له أن يتلف أموال الناس وهو من جهة أخرى مردود عليه إذا تبرع منه لأن الدين المستغرق لا يصح منه التبرع إذا حجر الحاكم عليه، كما جاء في إرشاد الساري للقسطلاني وفي فتح الباري لابن حجر ومقتضى قولهما أن المدين الذي عليه من يعول أو من تلزمه نفقته أو له عيال لا يصبرون على الإضافة والفقر جاز له التبرع مع الكراهة.

وفي المنهاج للنووي في باب صدقة التطوع ما نصه: «ومن عليه دين أو له من تلزمه صدقته يستحب له أن لا يتصدق حتى يؤدي ما عليه»⁽¹⁾. انتهى.

المسألة الثالثة:

يتطرق الولائي . رحمه الله . في هذه المسألة لعلم الكلام تعريفه، وموضوعه، وواضعه ومن تكلم فيه من أهل السنة، وعن سبب وضعه، ومستمدته من العلوم الأخرى، وحكمه في الشرع العزيز وحكم البحث والنظر فيه بالتعلم والتعليم، وهل هو محرم لكونه بدعة أو فرض كفاية أو جائز مستوفي الطرفين؟

ليخلص في الأخير بنتيجة بين فيها أن علم الكلام من البدع المحرمة شرعا عند أهل السنة من السلف وجمهورهم من الخلف، ثم بين بأن القول بأنه فرض كفاية أو فرض عين بعيد جدا عن الصواب، وكذا القول بجواز الخوض فيه.

ومن الواضح أن الفقيه الولائي . رحمه الله . كان من أهل السنة الذين يبدعون علم الكلام ويحرمونه، ولا يقبلون الخوض فيه ولا الحديث عنه وذلك جلي وواضح من خلال ما جاء به في أثناء إجابته على سؤال الفقيه أحمد يكن عن حد وحكم علم الكلام.

ثم إنَّ ما يمكننا الخروج به من هاته المسألة من استنتاجات واستنباطات هو ما اتضح من خلال عرض الفقيه الولائي لآراء الفقهاء والعلماء في تعريف علم الكلام وحكمه وما إلى ذلك وهي عقيدة لا تقبل حتى السؤال في هذا الفن فما بالك بالخوض فيه بالتعلم والتعليم.

المسألة الرابعة:

يتناول الفقيه الولائي . رحمه الله . في هاته المسألة علوم الفلسفة: عددها، موضوعها، ومن وضعها، و سبب نقلها للمسلمين، وحكمها في الشرع العزيز.

فيقول: أما عددها فقد جاء أنها سبعة وهي:

*علم المنطق.

*علم الإرتماطقي.

*علم الهندسة.

*علم الهيئة.

*علم الموسيقى.

*علم الطبيعيات.

*علم الإلهيات.

المسألة الخامسة: أما المسألة الخامسة فهي مسألة هامة جدا وقد سئل الفقيه الولاقي . رحمه الله . فيها عن مسألة التفاضل بين سكك الفضة هل لها وجه جواز من الشرع أو لا ؟ وسئل أيضا عن عامي أفتى بجواز التفاضل بين هاته السكك إذا ترتبت لرجل على آخر دراهم في بلد لا توجد فيه دراهم المدين هل لهذه الفتوى وجه في الشرع أو لا؟ وهل يكون المفتي بذلك مرتدا أو فاسقا فقط؟.

فأجاب بأن التفاضل بين سكك الفضة في بيع بعضها ببعض سواء في المبادلة أو قضاء الدين لا وجه لجوازه في الشرع ودلل على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع ومن نصوص الفقهاء وسوف نذكر هاته الأدلة مرتبة كما جاء في النص.

من الكتاب: قال تعالى: [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ]⁽¹⁾. وقوله تعالى: [وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا]⁽²⁾ وقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]⁽³⁾.

من السنة: قال ﷺ . « لا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تُشَفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا الْوَرَقَ⁽⁴⁾ بِالْوَرَقِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ وَلَا تُشَفُّوا⁽⁵⁾ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ وَلَا تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ⁽⁶⁾ » .

وأخرج البخاري والإمام أحمد عن أبي سعيد أيضا أنه ع قال: « الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، يَدًّا بِيَدٍ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى، الْآخِذُ وَالْمُعْطِي سَوَاءٌ⁽⁷⁾ » .

من الإجماع: فقد انعقد النطقي منه المتواتر من عصر الصحابة إلى الآن على وجوب التماثل في:
العدد والوزن وتحريم التفاضل بينهما في بيع كل نوع من أنواع الفضة بالآخر سواء كانت:

*نقارا.

*مسكوكة.

*مصوغة،

ونقل ما جاء في نيل الأوطار للشوكاني⁽¹⁾ ، ثم جاء بنتيجة بين فيها أن انعقاد إجماع المسلمين
على أن أنواع الفضة كلها وأنواع المسكوك كلها واحدة يجب التماثل ويحرم التفاضل في بيع بعضها
ببعض.

وقد جاء الفقيه الولاقي . رحمه الله . بحوار ومناقشة بينه وبين هذا العامي الذي أفنى بجواز
التفاضل و كانت في غاية الدقة من الاستدلال والتوضيح الكامل لجزئيات هاته المسألة بحيث أنك لا
تجد أي عناء في إدراك خبايا وجزئيات المسألة.

أما نصوص الفقهاء التي وردت في المسألة فهي لا تخرج عن ما جاء في مختصر خليل وشرح
الدردير عليه⁽²⁾، ثم تطرق بعد ذلك إلى المفاضلة في قضاء الدين وذكر ما جاء في مختصر خليل وشرح
الدردير في باب قضاء دين العين المسكوكة⁽³⁾.

ثم فصل في بعض المسائل منها:

*الترخيص بالتفاضل فيما دون السبعة دراهم.

*جواز الفضل في الصفة أو الجودة مع الإتفاق في الوزن والعدد.

*جواز القضاء بأقل صفة وقدرًا عن حسن اقتضاء بغير شرط.

*القضاء بأزيد عدداً أو وزناً بغير شرط.

أما مسألة من له على آخر مئة ريال من سكة زابيل ترتبت له في ذمته في سوس أو في تندوف، ولقي رب الدين في بلد أَرْوَادَ حيث توجد سكة فرنصيص: فإنه لا يجوز له أن يفاصله عن مئة زابيل التي في ذمته بأقل منها بسكة فرنصيص كتسعين مثلاً لختلاف الجودة في النوع.

وقد استدلل الفقيه الولائي . رحمه الله . عن ذلك بما جاء في مختصر خليل في بابي الصرف والسلم⁽¹⁾ . وقد شرحه الدردير⁽²⁾ وفيه التصريح بأنه لا يجوز قضاء دين الدراهم بدراهم أقل منه عدداً إذا كان الأقل أجود صفة.

وقد فصل الفقيه . رحمه الله . في مسألة الإدعاء بقياس المفاضلة على بطلان الفلوس من البلد تفصيلاً شاملاً وجاء بنتائج واستدلالات كثيرة.

وأما مسألة من استحل ربا الفضل في الفضة مطلقاً سواء كانت نقاراً أم مسوغة أم مسكوكة فهو كافر مرتد كما أفتى به الفقيه الولائي لأن تحريم ربا الفضل في الفضة من المجمع المشهور بين الناس المنصوص عليه في السنة و جاحد المجمع كافر على الراجح كما جاء في جمع الجوامع لابن السبكي⁽³⁾ .

ثم بين . رحمه الله . اعتراض بعض العوام كان يفتي بجواز ربا الفضل في الدراهم وكان يفعله بنفسه بأن فتوى الفقيه الولائي من باب القياس لا بالنص، فأوضح له رحمه الله الفرق بين القياس والتمثيل وجاء ببعض الصور والأمثلة لذلك وقد شرحها شرحاً شافياً ومطولاً.

ثم خلاص في الأخير إلى فائدة وهي وجوب كشف أحوال حملة العلم المقلدين السيئة لمن عرفها ممن يلقد في ذلك ويتبع ويلتفت إلى قوله لئلا يغتر بهم ويقلد في دين الله من لا يجوز تقليده.

ويتضح من خلال هاته النازلة أن تندوف وما جاورها من بلاد المغرب كانت تشهد حالة اقتصادية تسودها المبادلات في أنواع السكك من الفضة والذهب من غير ضابط ديني ولا قانوني يسير وفق التعاليم الإسلامية والقواعد الشرعية الاقتصادية، ولعل الاستعمار في تلك الفترة كان له الأثر الكبير في استمرار تلك المبادلات الربوية مع جهل البعض بها، ويمكننا القول بأن السؤال عن هاته النازلة في

تلك الفترة يوضح مدى اهتمام البعض في مراعاة حقوق الله في المعاملات الربوية والخوف من الوقوع فيها واجتنابها...

المسألة السادسة:

أما المسألة الأخيرة ففيها شرح لبيتي ابن عاشر⁽¹⁾ من منظومته المرشد المعين للضروري من علوم الدين وقد جاء البيتين في الحكم الشرعي، حيث يقول فيها الناظم:

الحكم في الشرع خطاب ربنا المقتضي فعل المكلف افطنا
بطلب أو إذن أو بوضع لسبب أو شرط أو ذي منع

[illegible]

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من مخطوطة الرحلة الحجازية للولائي

(1) سوس العالمية: 166، هذا الكتاب مطبوع قديماً بالمغرب وهناك نسخة منه في المكتبة الوطنية بالحامة بالجزائر العاصمة برقم: 5297/18.

(2) وقد اعتمدت في هذه الترجمة على مخطوط للولائي حققه الدكتور يحيى مراد بوضاية.

(3) فتح الودود: 2، وراجع الرحلة: 290، وغيرها من كتبه المطبوعة في ديباجته.

(4) وعلى هذا اقتصر بعض مترجميه، انظر: ترجمة الولائي للعلامة ابن مابلي: مقدمة فتح الودود، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: 8/ 2867، الأعلام للزركلي: 7/ 142، دليل مؤرخي المغرب لابن سودة: 396-397، معجم المؤلفين: 3/ 769.

(5) وإلى هذا أشار المراكشي في الإعلام: 7/ 180.

(6) انظر: في الكلام عن نشأته العلمية: الرحلة الحجازية له، المعسول: 8/ 281، ترجمة الولائي لحفيده بابا محمد عبد الله في مقدمة نور الحق الصبيح، وفي مقدمة نيل السول، الأعلام: 7/ 142، في مكانة أصول الفقه في الثقافة المخزنية الموريتانية: 195.

(7) ترجمة الولائي لحفيده بابا محمد عبد الله في مقدمة نور الحق الصبيح، وفي مقدمة نيل السول، بلاد شنقيط: 529.

(8) من كتاب الفقيه الولائي الرحلة الحجازية ومقدمة محققة، ومقال الأستاذ أحمد الأزمي: دور الرحلة الحجية المغربية، وترجمة الولائي لحفيده.

(9) النص، صورة منه في الإعلام للزركلي: 7/ 142.

(10) استقيت أسماء مؤلفاته في علوم القرآن من المعسول: 8/ 286، لائحة مؤلفات الولائي لحفيده في آخر نيل السول، وبلاد شنقيط: 205.

(11) الرحلة: 158، الإعلام للمراكشي: 7/ 180، المعسول: 8/ 285، لائحة مؤلفات الولائي لحفيده في آخر نيل السول.

(12) المعسول: 8/ 286، لائحة مؤلفات الولائي لحفيده في آخر نيل السول، بلاد شنقيط: 604، 624.

(13) المعسول: 8/ 285، ترجمة حفيده، إتحاف المطالع: 8/ 2867، مكانة أصول الفقه: 190، بلاد شنقيط: 604، الأعلام الشرقية: 1/ 403، الأعلام للزركلي: 7/ 142.

(14) شجرة النور: 435، إتحاف المطالع لابن سودة 2867، الإعلام للمراكشي: 7/ 181.

(15) سورة النساء: 4، الآية 3 وتامها قال تعالى: [مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا].

(16) صحيح البخاري: 284/1.

(17) جوانب من تاريخ حاضرة تندوف وحديث عن القضاء والقضاة من آل سيدي بلعمش بما المحاضر: عبد الله حمّادي الإدريسي. الملتقى المغاربي حول الزوايا والقضاء.

(18) بخط المترجم له أعلاه ل: -أحمد بن محمد البويعقوي، تحفة القضاة ببعض مسایل الرعاة، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة آل بلعمش الموساني الحكاني تندوف-الجزائر. ص 23.

(19) من قرى السوس المغربي. أنظر: الصديق بن العربي، كتاب المغرب. ص 68.

(20) محمد المختار السوسي، المعسول. ج 18/ ص 161-164. المرجع السابق.

(21) المنهاج للنووي: 135، كتاب قسم الصدقات، فصل صدقة التطوع (22)

(22) سورة البقرة 2، الآية 275 وتامها قال تعالى: [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ].

(23) سورة البقرة 2، الآية 275 وتامها قال تعالى: [فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ].

(24) سورة البقرة 2، الآية 278.

(25). الورق: الدراهم المضروبة. مادة ورق، مختار الصحاح للرازي: 586.

(26) لا تشفوا: لا تزيدوا. الشفّ: الزيادة، قال في القاموس المحيط: الشَّفُّ ويكسر، الشَّفُّ: الريح، والفضل، والنقصان، شَفَّ يَشِفُّ شَفًّا: زاد، ونقص، وتحرك، مادة شفف. القاموس المحيط للفيروزآبادي: 920.

(27) صحيح البخاري: 21/2، كتاب البيوع، باب بيع الفضة بالفضة.

(28) صحيح مسلم: 2465/6، حديث (3987).

(29) (نيل الأوطار للشوكاني: 2776/6، باب ما يجري فيه الربا.

(30) الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل: 42، 41/3.

(31) شرح الدردير على مختصر خليل: 45، 44/3.

(32) مختصر خليل: 193.

(33) الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل: 220/3، باب السلم.

(34) جمع الجوامع: 79.

(35) هو: عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري، صاحب كتاب: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين. ت: 1040هـ. خلاصة الأثر: 3/96، 97.

مصادر ومراجع البحث:

1. إحياء علوم الدين للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة الطبع 1406هـ، 1986م.
2. الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية لزكي مجاهد، دار الغرب، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1992م.
3. الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1989م.
4. البدر الطالع للقاضي محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1348هـ.
5. جمع الجوامع لتاج الدين بن السبكي، علق عليه ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1424هـ، 2003م.
6. الرحلة الحجازية لمحمد يحيى بن محمد المختار، تخريج وتعليق: د. محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، المغرب، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1990م.
7. رد المختار على الدر المختار حاشية ابن عابدين لابن عابدين، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1987م.
8. سنن أبي داود، دار الحديث القاهرة، مصر. الطبعة الأولى، سنة الطبع 1415هـ، 1995م.
9. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى سنة الطبع 1349هـ.
10. الشيخ أحمد زروق آراؤه الإصلاحية تحقيق ودراسة لكتابه: عدة المريد الصادق، إعداد إدريس عزوزي، مطبعة فضالة، الحمديّة، المغرب، سنة الطبع 1419هـ، 1998م.
11. صحيح البخاري، دار إحياء الكتب العربية.

12. صحيح مسلم للإمام أبي عبد الله مسلم ومعه شرح النووي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثانية، الرياض، المملكة العربية السعودية. سنة الطبع 1422هـ، 2001م.
13. العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، دار الكتب العلمية، سنة الطبع 1992م.
14. المعسول لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب. سنة الطبع 1382هـ.
15. النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية للشيخ أحمد زروق، تحقيق ودراسة وتخرّيج. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان. سنة الطبع 1422هـ، 2001م.
16. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، إعداد وتحقيق: عبد المنعم إبراهيم، الرياض، المملكة العربية السعودية. سنة الطبع 1421هـ، 2001م.
17. نيل السؤل شرح مرتقى الوصول للعلامة الولاقي، تقديم. العلامة محمد مايابي الشنقيطي، المطبعة المولوية، الطبعة الأولى، فاس، المغرب. سنة الطبع 1337هـ.
18. منهاج الطالبين وعمدة لمفتين في فقه مذهب الإمام الشافعي للنووي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة. سنة الطبع 1996م.

رقمنة المخطوطات العربية: الطرق والأساليب.

أ. عادل غزال

باحث إدارة المعرفة في المكتبات والمؤسسات الوثائقية، الجزائر

الملخص:

تجذب المخطوطات اهتمام العديد من الدارسين والباحثين العرب والأجانب على حد سواء نظرا لقيمتها العلمية والفنية، إضافة إلى كونها جزءا هاما من التراث الوطني لمختلف البلدان العربية، والحفاظ عليها يعني الحفاظ على الهوية القومية بمختلف أبعادها في ظل ما يشهده العالم من تغيرات وظهور مفاهيم وقيم جديدة متمثلة في العولمة التي أصبحت تشكل خطرا على الثقافات الإنسانية المختلفة وتهدد خصوصيات الشعوب، من هذه الأهمية ومع ظهور وسائل التكنولوجيا الحديثة أصبح لزاما الحفاظ على المخطوطات من التلف والضياع باستخدام هذه التقنيات المتمثلة على وجه الخصوص في رقمنة المخطوطات، ثم اتاحتها إلى أكبر عدد من المستفيدين.

من أجل ذلك ستحاول هذه الدراسة التطرق للأساليب والطرق المتبعة في رقمنة المخطوطات العربية ببعض من التفصيل و التحليل مع التطرق لبعض التجارب العربية في مجال رقمنة المخطوطات.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات - المخطوطات العربية - رقمنة المخطوطات - التجارب العربية في رقمنة المخطوطات.

مقدمة:

لقد مرت البشرية منذ نشأتها الأولى بالعديد من المحطات التي كانت سبباً لتطورها الملحوظ، ولعل أهم هذه المحطات اكتشاف الكتابة، التي استطاع من خلالها الإنسان أن يسجل أفكاره ومعارفه وخبراته، مما ساهم في تناقلها عبر الزمان والمكان، لذي فقد أوجد الإنسان منذ زمن مضى العديد من الوسائل لتدوين هذه المعارف والخبرات ومن أبرز هذه الوسائل ما يعرف اليوم بالمخطوطات، حيث ساهم هذا الأخير بقدر كبير في الحفاظ على هذه المعارف، وقد كان العرب من أهم الشعوب التي أهتمت بالمخطوطات مما جعل المخطوط العربي ينفرد بالعديد من الميزات كوعاء فكري صنعته أيدي عربية سواء كانت هذه الملامح في طريقة الكتابة أو نوعيتها أو شكل المخطوط في حد ذاته ومواد صنعه أو ما وضع

داخله من زخارف ورسومات ومميزات عديدة أخرى في صنع وعاء فكري يبقى قرونا عديدة من الزمن, والأهم من هذا كله هو احتوائه على معلومات ذات قيمة علمية كبيرة, لذى كان لازما علينا حمايته قدر الامكان وبالوسائل المتاحة.

ومع التطور السريع الذي يشهده عالم اليوم من تطور في التقنيات والأساليب الحديثة لحفظ واختزان المعلومات, زادت امكانية حماية المخطوطات بأساليب وطرق جديدة تمثلت في رقمنتها واطاحتها للمستفيدين.

وفي هذا الإطار تعالج هذه الورقة أساليب وطرق رقمنة المخطوطات العربية من خلال بعض التساؤلات التي تطرح نفسها وتستوجب أعمال النظر فيها للإجابة عليها أو على الأقل إثارة النقاش حولها؛ فماهي أنجع الأساليب لرقمنة المخطوطات العربية؟ وهل ستساهم عملية الرقمنة في حماية المخطوطات من الزوال؟

1 - تعريف المخطوط:

" كلمة مخطوطة مشتقة لغةً من الفعل خط يخط أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية".(1)

أما التعريف الاصطلاحي للمخطوط فيعرف على أنه: " كتاب يخط باليد لتمييزه عن الخطاب أو الأركة أو أي وثيقة أخرى كتبت بخط اليد خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة".(2)

ويعرف كذلك: " النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية أو سمح بكتابتها أو أقرها أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل أو عن نسخ أخرى غير الأصل".(3)

كما أن هناك من ينظر إلى المخطوط على أنه "ما كتب بخط اليد قبل دخول الطباعة".(4)

ويعرف كذلك: " المكتوب باليد في أي نوع من أنواع الأدب سواء كان على ورق, أو على أية مادة أخرى كالجلود والألواح الطينية القديمة والحجارة وغيرها".(5)

والمخطوط أيضا " مصطلح لأية وثيقة مكتوبة باليد أو آلة طباعة أو الحاسوب الشخصي, وتستعمل كلمة مخطوط للتفريق بين النسخة الأصلية لعمل كاتب ما والنسخة المطبوعة, كما يشير المصطلح لأية وثيقة تاريخية مكتوبة باليد منذ العصور القديمة حتى ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي".(6)

2 - نشأة وتطور المخطوط العربي:

لم تحض المخطوطات العربية حتى الآن باهتمام كبير من قبل الباحثين, فقد اقتصر على المتون, أما الجانب المادي للكتاب المخطوط باعتباره وثيقة أثرية حضارية, فلم يلق بعد ما يناسب من عناية واهتمام.

وقد نشأ في الغرب الأوروبي علم خاص بدراسة الشكل المادي للمخطوطات اليونانية واللاتينية هو علم الكوديكولوجيا *codicologie* وتعني علم دراسة كل اثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف, أي أنه يعني بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثلة في الورق, الحبر, والمداد, التذهيب, التجليد وأيضا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات, وكل ما دون من سماعات, وقرءات, وإجازات, ومقابلات, ومطالعات, وتقييدات, وما يسجل في آخر الكتاب المخطوط من اسم الناسخ, وتاريخ النسخ, ومكانه, والنسخة المنقول عليها, وما على النسخة من أختام وما شابه ذلك.(7)

وقد عني المسلمون بالمخطوطات عناية كبيرة لكونها السبيل الوحيد للحفاظ على ما أنتجه العقل العربي الإسلامي من مصنفات ورسائل موضوعها كتاب الله الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم, فجعلوا منها تحفا فنية ثمينة وتركوا فيها تراثا فنيا عظيما, ويكفي أن نشير إلى حجم هذا التراث الإسلامي من خلال ما تحتفظ به متاحف ومكتبات العالم, إذ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها حوالي 124 ألف من المخطوطات النادرة معظمها لم يدرس من قبل بخلاف ما يوجد في مصر والمغرب وتونس والجزائر والهند و إيران وسائر المتاحف والمكتبات العالمية.

تطورت صناعة المخطوط العربي الإسلامي بشكل لم يسبق له مثيل في أي فن من الفنون السابقة حيث امتازت بدقة زخارفها المذهبة وجاذبية صورها و إبداع ألوانها وجمال خطها ورشاقته, إذ تشهد على ما وصل إليه فن صناعة المخطوط في العصر الإسلامي والعناية بجودة الخط أمر طبيعي في العالم الإسلامي, فقد كان الخطاطون يتمتعون بمكانة مرموقة وخاصة في العراق و إيران و مصر و تركيا لاشتغالهم بكتابة مخطوطات المصاحف إلى جانب نسخ مخطوطات الأدب والشعر.(8)

ولكن من المؤسف جداً أن معظم المخطوطات العربية القيمة قد تم اتلافها سواءً بالحرق أو بطرق أخرى وذلك لما شهده العالم العربي من حروب صليبية وفتن داخلية أدت إلى إلحاق الضرر بالعديد من المخطوطات على سبيل المثال أقتحم هولاءكو بجيوشه بغداد عام 1258 م, حيث ألقيت مئات الآلاف من المخطوطات في نهر دجلة.

أما اليوم فمن الملاحظ أن هناك اهتمام كبير من قبل العديد من المؤسسات والهيئات لإعادة الاعتبار للمخطوطات العربية لاسيما في عصر تغلب عليه التقنيات الرقمية مما أدى بالكثير من الجامعات والمعاهد والمؤسسات العامة والخاصة إلى تبني مفهوم جديد لحماية المخطوطات العربية من الزوال وإتاحتها إلى أكبر عدد من المستفيدين مستعينين في ذلك بالتكنولوجيات الحديثة التي ساهمت وبقدر كبير في التغلب على الكثير من المشكلات و طرحت العديد من البدائل.

3 - مبررات وأسباب رقمنة المخطوطات العربية:

مع بداية برز موضوع الرقمنة التي سيطرت على أنشطة المكتبات ومراكز المعلومات في جميع أنحاء العالم، خاصة مع التطور في تقنية المعلومات من خلال محورين أساسيين وهما: صناعة الحاسوب، وشبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية، واللذين مهّد للكثير من التطبيقات التقنية للمعلومات.(9)

إن عملية الرقمنة مهمة جدا للمكتبات المهتمة بالمخطوطات العربية في وقتنا الحاضر حيث تسهل عمليات كثيرة تقوم بها المكتبات في مجال المكتبات ومصادر المعلومات بشكل عام ومن ثم تساعد في عملية إيصالها إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين و تتركز مبررات وأسباب رقمنة المخطوطات العربية فيما يلي :

✓ حماية المخطوطات ومصادر المعلومات بشكل عام، لذلك تعتبر الرقمنة وسيلة فعالة للحفاظ على هذه المكتبات من الزوال.

✓ حماية المخطوطات من التلف والضياع، حيث تمكن تقنية الرقمنة من نقل جميع مخطوطات المكتبة على وسيط إلكتروني يساعد المستفيد الاطلاع على المخطوطات الرقمية دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي إلا في حالات خاصة، وهذا يقلل من امكانية تعريض المخطوطات النادرة للتلف أو الحرق أو الكوارث الطبيعية.

✓ إن وضع المخطوطات المرقمنة على شبكة الأنترنت يساعد المستفيدين والباحثين للوصول إليها عن بعد، وبالتالي الاقتصاد في الجهد والوقت.

✓ عمل قاعدة بيانات المخطوطات المرقمنة تتوفر على جميع الملامح المادية والفكرية لمختلف أشكال المخطوطات.

✓ مواكبة التطور التقني واستغلاله في الحفاظ على المخطوطات العربية.

✓ تساعد عملية الرقمنة على حفظ وصيانة المخطوطات العربية وذلك بتخزينها على الأقراص المكتنزة (*CD-ROMs*)، وبالتالي تساهم في زيادة دخل المكتبات عن طريق بيع هذه الأقراص التي تحتوي على مخطوطات نادرة من خلال الاشتراك مع قواعد بياناتها.

4 - فوائد رقمنة المخطوطات العربية:

توجد فوائد كثيرة للرقمنة للمخطوطات العربية نذكر منها الآتي:

✓ إتاحة الدخول إلى المخطوطات بصورة واسعة ومعقدة بأصولها و فروعها.

✓ سهولة وسرعة تحميل المعرفة والمعلومات من مفرداتها.

✓ القدرة على طباعة المعلومات عند الحاجة وإصدار صور طبق الأصل عليها.

✓ تحصيل المعلومات من المجموعات الضخمة مهما بلغت ضخامتها.

✓ إمكانية التكامل مع المواد التعليمية وتطوير البحوث العلمية. (10)

5 - متطلبات رقمنة المخطوطات العربية:

5-1 - التخطيط:

يتعلق التخطيط بوضع الإطار العام للاحتياجات المطلوبة مع بيان الطرق اللازمة لتحقيق الوصول إلى أهداف محددة، فالتخطيط هو التنبؤ بمسارات المستقبل، ويعتبر من المتطلبات الرئيسية لعملية الرقمنة، إذ يمكن القول بأنه "عبارة عن عملية تحديد الأهداف ووضع السياسات وطرق العمل وإجراءات التنفيذ، وإعداد الميزانية التقديرية ووضع البرامج الزمنية لتحقيق الأهداف الموضوعية" (11)، وقد يكون التخطيط على مدى قريب أو على مدى بعيد.

وعادة ما يتم التخطيط لرقمنة رصيد معين في مؤسسة توثيقية. يسند مشروع الرقمنة إلى لجنة تشرف على المشروع تعرف باسم فريق عمل الرقمنة، والتي يجب أن تتكون من عناصر يشهد لها بالكفاءة العلمية والعملية، حيث تقوم هذه اللجنة بوضع خطة مناسبة لمراحل تنفيذ المشروع وأبرز عناصر هذه الخطة: (12)

- ✓ تحديد اهداف المشروع.
- ✓ دراسة جدوى يتم فيها تحديد المتطلبات الضرورية لعملية الرقمنة(الوسائل والتجهيزات، الإطارات البشرية).
- ✓ تحديد تكاليف المشروع وإقرار ميزانية مناسبة للمشروع مع تبويبها.
- ✓ وضع خطة زمنية واضحة لمراحل تنفيذ المشروع.
- ✓ إعادة هندسة الإجراءات الإدارية، التنظيمية والعمليات الفنية بما يتناسب والتحول الجديد.
- ✓ تحديد الإجراءات التي سوف تتخذ بخصوص المشاكل التي سوف تعترض المشروع.
- ✓ عملية التخطيط لمشروعات الرقمنة يعتبر بمثابة الانطلاقة الصحيحة التي تسمح بتوضيح مراحل الرقمنة وتحديد المسؤوليات وإبراز معالم المشروع والوصول إلى الهدف المطلوب.

5 - 2- المعدات والأجهزة :

❖ **الحاسبات:** يتوقف نوع الحاسبات المطلوب شراؤها على المهام المطلوب إنجازها، باستخدام تلك الحاسبات. ومن أهم لعناصر الواجب مراعاتها عند شراء الحاسبات: المعالج، والذاكرة، والقرص الصلب، وشاشة العرض، وبطاقة الفيديو، ومشغلات المعدات الضوئية، مثل **DVD drives** و **CD drives**.

❖ **الماسحات الضوئية الإلكترونية:** تتنوع أشكال الماسحات الضوئية، وينبغي معرفة الاختلافات الموجودة بينها، وكذلك إمكاناتها وفيما يلي نعرض بعض أنواع هذه الماسحات:

✓ **الماسحات الضوئية المكتبية:** وتسمى أيضا بالماسحات الضوئية المسطحة، وهي أكثر أنواع الماسحات استخداماً في المكاتب داخل الهيئات والمؤسسات. وهي تتيح جودة لا بأس بها في الرقمنة بشكل الـ **bitonal** (الأبيض والأسود) ودرجات الرمادي إلى جانب الألوان. من الكماليات التي يمكن أن تتجهز بها هذا النوع من الماسحات الأغشية التي تسمح برقمنة النصوص الشفافة، الصور الشفافة إلى غير ذلك. (13)

✓ **الماسحات الضوئية للكتب:** بدأ استخدام هذه الفئة من الماسحات الضوئية الإلكترونية بشكل تجاري منذ عدة سنوات وهي موجهة إلى رقمنة مصادر المعلومات المجلدة -المجلدات- ويطلق عليها كذلك "ماسحات الكتاب المفتوح" وهو يناسب لدرجة كبيرة احتياجات المكتبات وذلك نتيجة أن السطح الزجاجي للجهاز المخصص للرقمنة يضمن معالجة النصوص ذات الأحجام الكبيرة. في أثناء عملية الرقمنة يكون الوعاء مفتوح والنص المراد رقمته متجهاً إلى أعلى وأداة التعرف -القراءة- الضوئي المستخدمة في الرقمنة تتواجد أعلاه كما أن هذا النوع من الماسحات يصلح لرقمنة المخطوطات بشكل جيد.

✓ **الماسحات الضوئية الخاصة بالشفافيات:** يمكن اعتبارها أجهزة متعددة الوظائف لها القدرة على معالجة جميع فئات النصوص الشفافة (الشفافيات) بما في ذلك الإحجام من (A3, A4). وعلى الصعيد المقابل ننوه إلى أن هذه التقنية غير مناسبة في حال إجراء عملية الرقمنة على كميات ضخمة من الأوعية، حيث أن وضع النص الأصلي على السطح الزجاجي وبعد ذلك الانتظار لفترة طويلة نسبياً لأخذ كل لقطة يعد إهدار لكثير من الوقت ومن ثم سرعان ما تصبح عملية مرهقة ومملة في أحيان كثيرة. (14)

✓ **أجهزة التصوير الفوتوغرافي الرقمية:** يتعلق الأمر بآلات تصوير رقمية منتظمة نظام رقمنة داخلي وأغلبيتها متشابهة من الناحية البصرية على غرار نظيرتها الكلاسيكية وحالياً تصل إلى إحاطات بالصورة إلى عدد من البيكسالات يصل إلى ثلاثة ملايين بيكسال وهذا ما يسمح بالوصول إلى نوعية مذهلة من الصور والوثائق. وهناك نوع آخر يسمى كاميرا كلاسيكية موصلة ببطاقة امتلاك **Caméra Classique Reliée a une carte D'acquisition** والتي تعمل بالنظام التناظري موصولة ببطاقة امتلاك موجودة على الحاسوب وقد كانت هذه الطريقة أكثر استعمالاً قبل ظهور آلات التصوير الرقمية وانخفاض أسعارها. (15)

✓ **الماسحات الضوئية الخاصة بالمصغرات الفيلمية:** عمليات حفظ وتخزين المعلومات باستخدام المصغرات الفيلمية (**Microfilm, Microfiche**) تعتبر منهج تم تجريبه وتطبيقه على صعيد واسع وذلك منذ سنوات عديدة في مختلف قطاعات الأنشطة مثل البنوك والمؤسسات والإدارات المتنوعة. فيما يتعلق بالمكتبات

فإن حفظ واختزان المجموعات من مصادر المعلومات يقتضى بصفة مستمرة الاستعانة بالمصغرات الفيلمية وذلك يتوقف على السياسة العامة للهيئة أو المؤسسة التي تشرف على المكتبة. يضاف إلى ذلك عمليات تنمية وبناء المجموعات المتاحة بشكل مباشر في شكل مصغر فيلمي مثل الجرائد والدوريات، النصوص، الرسائل العلمية، المخطوطات،.. إلى غير ذلك.

5 - 3 - الموارد المالية:

- على المؤسسة المقبلة على رقمنة المخطوطات توفير الموارد المالية اللازمة للعملية، والتي تتمثل في:
- ✓ تكلفة القوى البشرية: الرواتب، والتدريب، والسفر والإقامة، والعمل الإضافي.
 - ✓ تكلفة المعدات والأجهزة: من شراء، وصيانة، وإصلاح.
 - ✓ تكلفة البرمجيات: شراء البرمجيات، وتحديثاتها.
 - ✓ تكلفة المرافق العامة: التكييف، والتدفئة، والإضاءة، والمياه، والهواتف والبريد.
 - ✓ تكلفة المبنى: لدى المؤسسة القدرة على استيعاب إنشاء مقر أو مبنى مختص للمكتبة الرقمية.
 - ✓ تكلفة الإجراءات الفنية لتحويل المخطوطات المراد رقمنتها.

كما أنه باستطاعة المؤسسة الحصول على الدعم المالي من جهات متعددة؛ حتى إذا كانت غير محتاجة للمال؛ لأن ذلك فرصة لجعل الجميع يشاركون في هذا النشاط الذي سيؤدي إلى الحفاظ على تراثنا الفكري. (16)

5 - 4 - الكوادر البشرية:

يعتبر العنصر البشري المؤهل من أهم أسس وعوامل نجاح مشاريع الرقمنة، وعدد العاملين في برامج الرقمنة يختلف من مؤسسة إلى أخرى حسب عدد المخطوطات المراد رقمنتها وكذا الإمكانيات المادية التي تمتلكها هذه المؤسسات والتي تؤهلها إلى انتداب عاملين أكفاء لإنجاز مشاريع الرقمنة. بعض المؤسسات الوثائقية تمنح مشاريع الرقمنة إلى متعامل خارجي متخصص، كما أن المشاريع الكبرى للرقمنة تنجز من قبل عاملين مختصين بالضبط للقيام بهذه المشاريع، كما أن هناك مشاريع أخرى تنجز

من قبل العاملين بالمؤسسات الوثائقية بدون تغير في الوظائف العادية للمؤسسة وهذا ما يصعب عليها تقويم أعمال الرقمنة في إطار النشاطات العامة للعاملين.

ويرجع تفضيل بعض المؤسسات اللجوء إلى مؤسسة خارجية لإنجاز مثل هذه المشاريع للأسباب التالية:

- التكلفة الكبيرة لتوفير عتاد الرقمنة (التجهيزات) وباقي المتطلبات.

- نقص الخبرة، وانعدام العمالة المؤهلة والمتخصصة في عمليات الرقمنة.

وعموماً فإن تبني قرار الاعتماد على مؤسسة خارجية لابد أن يركز على اتفاق مسبق معها بخصوص الالتزام بالمعايير والأشكال والمواصفات المتفق عليها في عمليات الرقمنة، والإخلال بهذه المواصفات يلزمها التصحيح دون تكاليف إضافية. (17)

فأكبر مشاريع الرقمنة لا تتطلب عدد كبيراً من العاملين يقدر ما تتطلب عاملين أكفاء فعلى سبيل المثال " تضم مصلحة الرقمنة بالمكتبة الوطنية الفرنسية اثنان وعشرون عاملاً مكلفين بإنجاز المشروع". (18)

5 - 5 - توفر المخطوطات التي سيتم رقمنتها: لبدى للمؤسسة أن تتوفر لديها المخطوطات التي ستقوم بتحويلها إلى الشكل الرقمي ومن ثم إدارتها، حيث كلما زاد حجم هذه المخطوطات صعب التحكم بها، كما أنه يجب أن تكون ذات قيمة علمية وتاريخية عالية حتى تستحق هذه المشقة.

6 - مراحل القيام بمشروع رقمنة المخطوطات العربية:

6 - 1 - مرحلة تنظيم وصيانة وترميم المخطوطات: لبدى على المؤسسات المشرفة على رقمنة المخطوطات الأخذ في عين الاعتبار أن المخطوطات قد مرت بعدة مخاطر طبيعية و كيميائية وبيولوجية عبر فترات زمنية معتبرة مما أثرت سلباً على البعض منها لذى وجب أولاً وقبل القيام بأي خطوة لرقمنة المخطوط أن يتم صيانتها وترميمه "فالترميم بالأصل عملية يدوية خاصة تتصل بقوة التحكم ومهارة العمل وجمالية التعامل مع المخطوطات باستخدام بعض الأدوات الخاصة والتي تختلف من شخص إلى آخر يصنعها وبنيتها بنفسه لتيح له استخدام ذوقه الفني ومهارته. ورغم التطور العلمي والتقني فإنه مازال معروفاً أن الترميم اليدوي هو أغلى أنواع الترميم، وهو الحرفة النادرة في العالم التي تعنى بإعادة الروح إلى المخطوطات النادرة القيمة وإرجاعها إلى أصلها، وكذلك الحال بالنسبة للوثائق التاريخية للمطبوعات الثمينة". (19)

6 - 2 - مرحلة الرقمنة: قبل أن نتعرف على هذه المرحلة سنتعرف أولاً على مفهوم الرقمنة حيث تشير " شارلوت بيرسي *Charlette Buresi* " إلى الرقمنة على أنها منهج يسمح بتحويل البيانات والمعلومات من النظام التناظري إلى النظام الرقمي, ويقدم " دروج بيرسي " *Doug Hodges* مفهوماً آخرًا تم تبنيه من طرف المكتبة الوطنية الكندية , ويعتبر فيه الرقمنة عملية أو إجراء لتحويل المحتوى الفكري المتاح على وسيط تخزين فيزيائي تقليدي, مثل (مقالات الدوريات, الكتب, المخطوطات, الخرائط...) إلى شكل رقمي". (20)

إن عملية الرقمنة تأخذ شكلين أساسيين, الرقمنة بشكل صورة *Mode Image* و الرقمنة بشكل نص *Mode Texte*, ونظراً لخصوصية الخط العربي المكتوب بشكل خاص, وخصوصية المخطوطات العربية بشكل عام, فإنه من الصعب اعتماد الرقمنة بشكل نص, وإنما الاكتفاء بالشكل الثاني, وهو الرقمنة بشكل صورة لأسباب خاصة بالمخطوط نفسه, ولأسباب أخرى تتعلق بتقنية الرقمنة بحد ذاتها.

6 - 3 - المعالجة:

بعد الانتهاء من رقمنة المخطوطات وتحويلها إلى مخطوطات إلكترونية, تأتي مرحلة معالجة هذه المخطوطات والتي هي في الواقع عبارة عن صور, ويمكن أن نجز عملية المعالجة في النقاط الآتية:

✓ تحسين نوعية الصور - تكبير وتصغير الصور وضبط حجمها حسب المعلومات التي تحتويها باستخدام برمجيات خاصة بمعالجة الصور.

✓ ضغط الصور من أجل تقليل مساحة التخزين.

✓ تنظيم وترتيب الصور في ملفات.

✓ تحويل الصور إلى صيغة الكتب الإلكترونية PDF وذلك باستخدام برامج خاصة بذلك. (21)

6 - 4 - المراقبة:

مرحلة تتم بالتوازي مع عملية التصوير الضوئي حيث يقوم الموظف الذي يصور الملفات ضوئياً أو أي موظف آخر تكون مهمته مراقبة الجودة بالتدقيق على الملفات المصورة ضوئياً و مقارنتها بالأصل

للتأكد من وضوحها و جودتها و عدم ضياع أي معلومة قد يحتويها المخطوط. فإذا تم العثور على صور ليست بالكفاءة المطلوبة فإنه يتم إعادة الكرة من البداية.

6 - 5 - التشفير:

تتطلب رقمنة المخطوطات اقتناء كشافات بهدف ترتيب المخطوطات والبحث عنها لاحقاً. فالتشفير هي عملية هامة وضرورية لحسن سير عملية رقمنة المخطوطات. لذا يجب اختيار الطريقة الفعالة في التشفير، والتصميم الدقيق والمدرّوس للكشافات.

إن فعالية ناتج الرقمنة تتوقف على الكشافات في حد ذاتها، وعلى نظام التشفير المعتمد، ومدى استجابته لاحتياجات المؤسسة. إن اقتناء الكشافات يجعلنا ما بين عدد من الاختيارات أبسطها وأكثرها فعالية في معظم الحالات هو إعداد الكشاف بطريقة تقليدية من خلال ملأ استمارات مرافقة للمخطوطات التي تمت رقمنتها.

قد يبدو أن عملية رقمنة وتشفير المخطوطات تتطلب من الوقت أكثر بكثير من ترتيبها يدوياً . إلا أن الفائدة في حقيقة الأمر تكمن في مردودية عمليات البحث في المخطوطات المرقمنة، وإمكانية تحويلها وتوزيعها إلى مواقع متعددة ومتباعدة على الخط.

يمكننا الحصول على كشافات بطرق أخرى تتناسب مع نوعية المخطوطات التي تمت معالجتها، ونوعية التطبيقات المعتمدة، إذ يمكن استخلاص الكلمات المفتاحية بواسطة برنامج متخصص من المخطوطات الإلكترونية ومعالجة النصوص الفائقة، والتعرف التلقائي على الرموز من المخطوطات ، واستخدام مختلف الأساليب المغناطيسية للتعرف على المخطوطات.(22) إن الهدف الأسمى من تقنيات التشفير هو إنشاء قاعدة معطيات بمختلف عناصر وصف المخطوطات، بما يمكن من إيجاد الروابط ما بين الواصفات والمخطوطات. وعلى ضوء قاعدة المعلومات هذه يمكن إجراء الأبحاث وانتقاء المخطوطات.

6 - 6 - الحفظ والإتاحة:

يعتبر الحفظ من أهم مراحل عملية الرقمنة، لذلك من الضروري أن يحظى بالعناية الكاملة قبل تحديد أوعية التخزين (قرص مغناطيسي، أقراص ضوئية بمختلف أنواعها...).

إن تدرج الحفظ يتم تبعاً لنوعية المخطوطات، والإقبال على استخدامها، والفائدة من وجودها على الخط، والمدة القصوى لحفظها، والأهمية الاستراتيجية للمعلومات التي تحويها.

وكل نوع من أنواع الحفظ له خصائص محددة تجعله يلي قدر معين من الاحتياجات، ولا بد من الإشارة هنا أنه رغم التطورات المتلاحقة لوسائط التخزين، فإن هناك تحكم في التكنولوجيا، وأن وسائط التخزين للمخطوطات قد حققت فعالية جد مقبولة. وقد تنوعت وسائط التخزين، وسارت جنباً إلى جنب مع التطورات المتلاحقة للوسائط الضوئية.

6 - 7 - مرحلة التجريب:

فيها يشغل النظام تحت رقابة لجنة متخصصة، غالباً ما تشكل من خبراء في المعلوماتية لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر. بما يمكن من نجاح العملية يسلم المشروع بشكل نهائي للمؤسسة، وتكون مرحلة التجريب إما بعد الانتهاء من المشروع، وإما أثناء العمل على المشروع وتسمى هذه الطريقة بالصحة والخطأ، أي معرفة الأخطاء أثناء القيام بالمشروع.

6 - 8 - مرحلة التقييم والتقويم:

ففي هذه المرحلة يتم تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف، فأما نقاط القوة فهي عبارة عن مورد أو مهارة أو ميزة أخرى تظهر بعد الانتهاء من المشروع، فنقاط القوة تمثل المتغيرات التي يمكن السيطرة عليها.

أما نقاط الضعف فتتمثل الجانب السلبي من المشروع حيث تحاول المؤسسة التقليل من هذه النقاط السلبية من خلال توجيه نقاط القوة التي تتوفر في النظام المتحصل عليه، حيث تعرف نقاط الضعف بأنها شكل من العجز الداخلي والأوضاع الداخلية التي تؤدي إلى الفشل في تحقيق الأهداف المسطرة من المشروع.

فبعد تمكن المؤسسة من تحديد نقاط القوة والضعف في المشروع فإنها ستحاول تشخيص العلاج بالنسبة لنقاط الضعف، واستغلال نقاط القوة.

7 - أهم المشاكل التي قد تعترض مشاريع رقمنة المخطوطات العربية:

✓ إشكالية حقوق الملكية الفكرية تعتبر من المشكلات الأساسية التي تواجه مشروعات المكتبات الرقمية.

✓ تنوع أحجام المخطوطات العربية وكذلك نوعية الخط في المخطوط الواحد.

✓ وجود كتابات وتعليقات على الحواشي تأخذ أشكالاً متعددة (أفقية- مائلة وعمودية) وتحتل اماكن مختلفة في المخطوط (الجانب الأيمن, الجانب الأيسر, الأعلى , الأسفل)

✓ حالة المخطوطات من حيث الحفظ حيث تعرض المخطوطات للرطوبة يؤدي إلى تلف بعض الأجزاء من الورق أو تآكل أجزاء أخرى بفعل الحشرات, كما أن عامل الزمن ساعد على ظهور نقاط سوداء على الكلمات وبالتالي كيف لبرنامج آلي أن يميز بين الكلمات بهذه الطريقة.

✓ صعوبة في مرفقات المخطوطات خاصة الخرائط القديمة والرسومات والأشكال.

✓ وجود الكتابة ضمن إطار فني من الزخارف والأشكال في مقدمة بعض المخطوطات.

✓ كتابة المخطوط الواحد بلغتين أو ثلاثة على نفس الصفحة.

✓ التنقيط المتبع يختلف من مخطوط إلى آخر فمنها ما يأخذ أشكالاً دائرية صغيرة أو مثلثات أو أزهار بألوان مختلفة.(23)

8 - نماذج من التجارب العربية في مجال رقمنة المخطوطات:

8 - 1 - تجربة سلطنة عمان:

لقد اهتمت وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان بتصوير المخطوطات رقمياً منذ أواخر القرن الماضي، فاستطاعت تحويل ما يقرب من 3000 آلاف مخطوط إلى ميكروفيلم وذلك بالتعاون مع جامعة السلطان قابوس، ووفرت بعض الخدمات للباحثين كخدمة الاطلاع على المخطوطات من خلال جهاز قارئ للميكروفيلم إلى جانب إمكانية طباعتها ورقياً.

وفي عام 2009 بدأت خطة الوزارة في تحويل ما تم تصويره من مخطوطات على الميكروفيلم إلى صورة رقمية في الحاسب الآلي بغرض بناء قاعدة بيانات يتاح تصفحها من خلال موقع الوزارة على الانترنت، إلا أنها لم تستطع فنياً من تحويل ما تم تصويره على الميكروفيلم إلى الحاسب الآلي، مما استدعى الأمر إلى إعادة رقمنة المخطوطات بالكامل وبدأ التخطيط مرة أخرى لهذا المشروع.

بدأ مشروع مسح المخطوطات رقمياً بالوزارة في سبتمبر 2009، من خلال البحث عن شركة متخصصة في مجال رقمنة المخطوطات والكتب النادرة، وتم التوصل إلى اتفاق مع شركة ألمانية

Zeutschel ، يتم فيه إمداد الوزارة بجهازين متطورين لرقمنة المخطوطات وتدريب العاملين بالوزارة على استخدام هذه التقنية.

جدير بالذكر بأن الوزارة وفرت آلية للبحث عن المخطوط من خلال موقعها على الانترنت، مما سهل على الباحثين معرفة بيانات المخطوطات، وتعتبر هذه مرحلة متقدمة في مجال التعريف بالمخطوط العماني.

كما ساهم موقع الوزارة متمثلاً في دائرة المخطوطات إلى التعريف ببعض المخطوطات النادرة، إن الموقع اكتفى بالإشارة فقط إلى بعض المخطوطات، مع أن هذا العنصر ذو أهمية كبيرة في عالم المخطوطات ومعرفة ما تزخر به السلطنة من مخطوطات نادرة.

ولم يتوقف الأمر في سلطة عمان على رقمنة مخطوطات الوزارة التراث والثقافة فقط بل امتد المشروع لرقمنة مخطوطات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وخاصة المخطوطات التي يمتلكها الأهالي والمكتبات الخاصة.

ونجد كذلك جامعة السلطان قابوس التي بدأ اهتمامها برقمنة المخطوطات العمانية بالتزامن مع اهتمام وزارة التراث بالرقمنة، إلا أنها بدأت مؤخراً بجمع المخطوطات العمانية و رقمنتها من المكتبات الأهلية والخاصة ومن منازل الأهالي، وهو شبيه بالمشروع التي تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

ومن المشاريع الأخرى التي اهتمت برقمنة المخطوطات العمانية مكتبة كوكب المعرفة الرقمية حيث اهتم قسم منها بالمخطوطات العمانية، وهو يعنى بفهرسة المخطوطات الرقمية وإتاحة بياناتها على موقعه بالانترنت، كما اهتمت هذه المكتبة الرقمية بتجميع المخطوطات العمانية في الخارج، فتم جمع المخطوطات العمانية بشمال وشرق أفريقيا.(24)

8-2 - تجربة مكتبة الإسكندرية:

ضمت المكتبة عددا من المراكز البحثية والعلمية المتخصصة والتي تسعى من خلالها إلى نشر العلم والحفاظ على التراث ، فإنشاء مركز المخطوطات المدرج تحت لواء المكتبة جاء من خلال قرار جمهوري في عام 2002 ويهدف إلى جمع المخطوطات الأصلية وفهرستها وصيانتها بشكل علمي والحصول على المصورات والصور الرقمية من المجموعات الخطية على مستوى العالم ونشر التراث العلمي خاصة فيما يتعلق بتاريخ العلوم وإسهامات الحضارة العربية والإسلامية ، والمركز يضم مجموعة من الوحدات التراثية المتكاملة وينقسم إلى ثلاثة أقسام أولها قسم النشر التراثي والذي يعمل في عدة مشروعات منها رقمنة

المخطوطات وسلسلة النشر التراثي متعدد اللغات بالإضافة للمجهودات في قسم الترميم الذي يهتم بترميم المخطوطات والكتب النادرة والخرائط والوثائق ونجح في ترميم ما يقرب من 166 مخطوطة نادرة و 76 خريطة قديمة و 102 كتاب نادر و 32 لوحة هندسية نادرة ، بالإضافة إلى قسم الأنشطة الأكاديمية والترجمة المتخصصة الذي يمثل حلقة اتصال للحفاظ على التراث والعمل على نشره والتعريف به حيث يقوم مترجمو القسم بترجمة الإصدارات والموارد التعريفية بالمخطوطات والكتب النادرة إلى ست لغات عالمية.

إن المهام الرئيسية للمركز الاضطلاع بعمليات التنسيق والتعاون الدولي بين مركز المخطوطات والجهات المناظرة له في العالم ، وهناك متحف المخطوطات الذي ينقسم إلى عدد من الأقسام المتخصصة وهي قسم الأوعية النادرة الذي يضم نفائس المقتنيات المحفوظة والأصلية مثل مجموعة بلدية الإسكندرية والكتب النادرة والعملات القديمة بالإضافة إلى المجموعات الخاصة التي تضم المكتبات الكاملة المهداة مثل مجموعة عبدالرحمن بدوي والتي تشمل (1300) كتاباً ومخطوطة مصورة ومجموعة محمد حسنين هيكل (1440) كتاباً ، وقسم الميكروفيلم بالمتحف والذي يعمل علي جمع المصورات الميكروفيلمية للمجموعات الخطية في العالم لتكون بين أيدي العلماء والباحثين ويشمل رصيد الجرائد الوطنية والعربية منذ صدورهما والشرائح الضوئية للوحات بيكاسو وقسم العرض المتحفي والذي يضم وحدة متنقلة تتولي العروض المؤقتة خارج مكتبة الإسكندرية. (25)

8 - 3 - تجربة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية قسنطينة:

إن رقمنة المخطوطات بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تعتبر النواة الأولى في رقمنة الأرصدة الوثائقية ، والرائدة على المستوى الوطني في مجال الرقمنة حيث وفرت الجامعة جميع الإمكانيات المادية والبشرية من أجل إنجاح هذه التجربة ، خاصة وقد سبقت عملية رقمنة المخطوطات النادرة عمليات أخرى وهي رقمنة أمهات الكتب في العلوم الإسلامية.

فقد بدأ مشروع المكتبة الرقمية سنة 2002 حيث تم تحديد السمات الأساسية للمكتبة وتمثل هذه السمات في الآتي:

- قدرة النظام الآلي على إدارة مصادر المعلومات.
- القدرة على ربط مصادر المعلومات بالمستفيد.
- قدرة العاملين على تلبية احتياجات المستفيدين.

- القدرة على تخزين المعلومات وتنظيمها ونقلها إلكترونياً، واستيعاب التقنيات الجديدة في عصر الرقمنة، لدعم قدرتها على تقديم خدمات جديدة متطورة.

وقد احتوت مكتبة الجامعة حوالي 621 مخطوطاً، فبعدما قامت المكتبة برقمنة أمهات الكتب في العلوم الشرعية كمرحلة أولى حيث بلغ رصيد المكتبة الرقمية حوالي 2000 كتاباً مرقمناً يتم استغلالها محلياً من خلال الشبكة المحلية للجامعة (الأنترنت) ، تم الانتقال إلى باقي الأوعية الفكرية لرصيد المكتبة ألا وهي المخطوطات.(26)

خاتمة:

إننا نعيش اليوم في تطور علمي وتكنولوجي مذهل وهذا بسبب فعالية أساليب الحياة في كافة المجتمعات المعاصرة، وقد ساهمت تكنولوجيا المعلومات تحديداً في هذا التطور عن طريق تسهيل سرعة البحث عن المعلومات، وتجميعها ومعالجتها واستخدامها في كافة العمليات لمواجهة الاحتياجات الإنسانية المعاصرة في هذه الحياة، وكما يمكن القول إن المجتمع المعلوماتي هو الذي طرح معطيات ومفاهيم وقواعد جديدة، وفرض علينا تحديات قياسية وتنبأ بصراعات جديدة، وأبرز لنا أهمية المعرفة واللغة والثقافة .

ثم أصبح تنظيم تدفق المعلومات يمثل أهم ضمانات الاستثمار لصالح المجتمع الذي أصبح الاتجاه المستمر والمتفق فيه نحو الاستخدام الآلي والرقمي في انجاز أنشطة للقيام بمجتمع جديد هو المجتمع الرقمي، حيث انطلقت على عدة مستويات وبالخصوص على مستوى المخطوطات، وفي جميع أنحاء العالم العربي عملية إنشاء نسخ رقمية عن المخطوطات والتي تعمل على حفظ وإتاحة التراث المخطوط.

وبظهور هذه التكنولوجيات الحديثة كثر الاهتمام بالمخطوطات، حيث أصبحت محل تفكير الكثير من الباحثين والدارسين في هذا الإطار، وبإدخال تكنولوجيا المعلومات الحديثة عليها من خلال صيانتها وترميمها فهرستها وتصنيفها و رقمنتها ازدادت أهميتها ودورها في حفظ و بث وإتاحة المخطوطات بشكل أفضل، مما جعل معظم دول العالم العربي تقوم بمشاريع رقمنة هذا الرصيد المخطوط الخاص وحفظه وإتاحته وبثه، للاطلاع الآلي بأفضل وأسرع طريقة ممكنة للمستفيد والمستهلك عن طريق الإعلام الآلي.

وكلمة أخيرة يمكن القول أن رقمنة المخطوطات العربية وإتاحتها للمستفيدين في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي سيحدث تفرقة علمية وثقافية تساهم في الارتقاء نحو الأفضل و الاستفادة من تجارب السابقين الذين نهضوا بالحضارة العربية و أذهلوا الغرب بمنجزاتهم العلمية والحضارية، ومن الملاحظ أن عدداً كبيراً من المخطوطات العربية لا تزال حتى الآن محتفية عن الأعين، وتحتاج منا التنقيب والبحث

عنها وخاصة مخطوطات الصحراء الجزائرية التي لا زالت تنتظر حملة واسعة للكشف عنها، حتى تكون في متناول الباحثين.

الهوامش:

(1) كمال، مراد. تعريف المخطوط. منتدى المعارف التجانية. [23 - 01 - 2012]. [10:00]. متاح على الخط المباشر:
<http://almaareftijania.forumsfree.org/t351-topic>

(2) حافظي، زهير. دور تكنولوجيا المعلومات في حفظ المخطوطات العربية. cybrarians journal. ع 14 (سبتمبر 2007). [12 - 02 - 2012]. [10:00]. متاح على الخط المباشر:

<http://www.cybrarians.info/journal/no14/manuscripts.htm>

(3) كمال، مراد. نفس المرجع السابق.

(4) المخطوطات: تعريفها وأهميتها. موقع الالولة الثقافية. [03 - 03 - 2012]. [10:00]. متاح على الخط المباشر:
<http://www.alukah.net/Culture/0/22790>

(5) الشامي، محمد، حسب الله أحمد. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. الرياض: دار المريخ، 1988. ص 704.

(6) همشري، عمر أحمد. أساسيات علم المكتبات والمعلومات. عمان: دار الشروق، 1997. ص 74.

(7) زهير، حافظي، رشيد مزلاح. الرقمنة كوسيلة تكنولوجية حديثة لحفظ المخطوطات العربية: مخطوطات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر - نموذجاً. المؤتمر الحادي والعشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إعلم)، المكتبة الرقمية العربية عربي@ نا: الضرورة، الفرص والتحديات. لبنان، 2010.

(8) المرجع نفسه.

- (9) عبد القادر ، أمل حسين . رقمنة المكتبات الجامعية الخاصة : رؤية مستقبلية . المؤتمر الحادي والعشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم) ، المكتبة الرقمية العربية عربي@ نا: الضرورة ، الفرص والتحديات، لبنان، 2010.
- (10) الصوفي ، عبد اللطيف . المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية . قسنطينة : دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004 . ص ص 168 – 169.
- (11) دياب ، حامد الشافعي . إدارة المكتبات الجامعية:أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية. القاهرة: دار غريب للنشر، 1994. ص.102.
- (12) مهري، سهيلة. المكتبة الرقمية في الجزائر: دراسة للواقع وتطلعات المستقبل. مذكرة ماجستير: علم المكتبات: قسنطينة، 2006. ص 93.
- (13) أحمد، فرج أحمد. دراسات في تحليل وتصميم مصادر المعلومات الرقمية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2009. ص 84.
- (14) المرجع نفسه. ص ص 85 , 86.
- (15) الحمزة ، المنير . دور المكتبة الرقمية في دعم التكوين والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية. رسالة ماجستير: علم المكتبات: قسنطينة، 2008. ص 110.
- (16) المغثم، نبيل بن عبد الرحمان. المكتبات الرقمية في المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد نموذجاً. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2010. ص 352.
- (17) الحمزة، منير. المرجع السابق. ص 116.
- (18) تيقروسين، منير. دور المكتبات الجامعية الجزائرية في تقليص الفجوة الرقمية. رسالة ماجستير: علم المكتبات: قسنطينة، 2005. ص 155 .
- (19) حفظ وصيانة وترميم المخطوط. منتديات اليسير للمكتبات وتقنية المعلومات. [05-03-2012]. [09:30]. متاح على الخط المباشر:
<http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=5980!>
- (20) أحمد، فرج أحمد. المرجع السابق. ص ص. 24 – 25 .

(21) غزال, عادل. التسيير الإلكتروني للوثائق. قسنطينة: دار الأملية للنشر والتوزيع, 2011. ص 55.

(22) بن السبتي, عبد المالك. التسيير الإلكتروني للوثائق. منتدى جامعة قسنطينة. [27 - 02 - 2011]. [11:00]. متاح على الخط المباشر: http://www.webreview.dz/article.php3?id_article=164

(23) زهير, حافظي, رشيد مزلاح. المرجع السابق.

(24) الزهيمي, صلاح. رقمنة المخطوطات في سلطنة عمان: دراسة وصفية. موقع Knol. [25 - 02 - 2012]. [13:00]. متاح على الخط المباشر: <http://knol.google.com/k/saleh-al-zeheimi:رقمنة-المخطوطات-بسلطنة-عمان/142u5qmx0fvt5nq/>

(25) التجارب العربية في مجال الرقمنة. موقع ويكي مكتبات الموسوعة الحرة. [03 - 03 - 2012]. [13:00]. متاح على الخط المباشر: <http://www.wikibrary.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D8%>

(26) زهير, حافظي, رشيد مزلاح. المرجع السابق.

صناعة المخطوط بالجزائر في الفترة الزيرية من خلال كتاب

"عمدة الكتاب وعدة ذوي الأبواب" المؤلف للأمير المعز بن باديس الصنهاجي.

أ. محمد بن مبخوت

ملخص:

لم تُعَنَّ أمة بالكتاب عناية الأمة الإسلامية به، ولم تُحَظَّ أمة بالمخطوطات كما حظي المسلمون. وقد كانوا يتداولون الكتب بينهم بالإجازات، ويتناقلونها من جيل إلى جيل بالأسانيد والوجدات، ولم يكونوا يفرقون بين الكتاب والمخطوط؛ لعدم ظهور الطباعة عندهم آنذاك. وكانوا يعتبرون صناعة الكتاب من أرقى الصناعات، وأشرف الحرف، وقد بنوها على أربعة أركان، جمعها الشاعر في قوله:

ربع الكتابة في سواد مدادها والرُّبع حسنُ صناعة الكُتَّاب
والرُّبع من قلمٍ تُسَوِّي بره وعلى الكواغدِ رابع الأسباب

ومن أشمل المصادر التي صنفت في صناعة الكتاب المخطوط "عمدة الكُتَّاب وعدة ذوي الألباب" ألفه أهل الفوائد والعقود للفرائد للأمير الصنهاجي المعز بن باديس بن منصور (ت454هـ / 1062م). وقد نُسبَ إليه من المتقدمين الملك المظفر يوسف بن عمر (ت694هـ / 1294م) في كتابه "المختَرع في فنون من الصنع"، ومن المتأخرين المستشرق الألماني كارل بروكلمان (ت1956م) في "تاريخ الأدب العربي"، بالإضافة إلى نسبته إليه في بعض النسخ المخطوطة، التي يوجد منها بخزائن العالم أكثر من عشرين نسخة على حسب ما أفادني به الباحث محمود زكي بمعهد المخطوطات العربية، ولدي منها ثلاث نسخ مصورة. وقد تُرجم إلى الأنكليزية، والفارسية، وطبع ثلاث طبعات بالعربية، أحسنها طبعة مجلة معهد المخطوطات العربية بتحقيق عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي على تسع نسخ خطية.

وفي هذا البحث أردت أن أتطرق إلى صناعة المخطوط بالجزائر من خلال هذا الكتاب لاعتبارين:

- الأول: تأليف هذا الكتاب كان في عهد الدولة الصنهاجية، وهي دولة جزائرية صميمة - كما قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله - وإن اتخذت المهديّة والقيروان عاصمتين لها.

- والثاني: نسبة "عمدة الكُتَّاب وعدة ذوي الألباب" إلى الأمير المعز بن باديس الصنهاجي أحد أبناء المغرب الأوسط المسمى حالياً الجزائر، وهو الذي طهر بلاد المغرب من الرافضة، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الحديثة - رحمه الله - يعتز بانتهاء نسبه إليه.

وقد أردت البحث على مقدمة وتمهيد وخاتمة وأربعة مباحث، تعرضت في التمهيد إلى التعريف بكتاب "عمدة الكُتَّاب"، وتحقيق نسبته وعنوانه، وتطرق في المباحث الأربعة إلى أركان صناعة المخطوط في هذا الكتاب، وهي على الترتيب:

المبحث الأول: الخطوط والأقلام.

المبحث الثاني: الأحبار والأمدّة.

المبحث الثالث: الأوراق والكواغد.

المبحث الرابع: التجليد والتسفير.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: لم تهتم أمة بتأليف الكتب، وتحصيل المخطوطات؛ كما فعل المسلمون، ومن حبهم للكتاب أن اشتغلوا بصناعته، فحسنوا الخطوط، وجودوا الأقلام، وعملوا الأوراق، وعتقوا الكواغد، وبرعوا في صناعة الأمددة والأحبار، وأحسنوا تفسير الدفاتر، وتجليد الأسفار، حتى قال قائلهم⁽¹⁾:

ربع الكتابة في سواد مدادها والرُّبع حسنُ صناعة الكُتَّاب
والرُّبع من قلمٍ تُسَوِّي بريةً وعلى الكواغدِ رابع الأسباب

ومن أجمع الكتب التي صنفت في صناعة الكتاب المخطوط "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب"، وهو يتعلق بمعرفة أسماء الأقلام وطرائقها، ومعرفة بري القلم، وكيفية القط، وإصلاح آله، ومعرفة تركيب الأحبار بسائر أجناسها، وما يصلحها، وما لا غنى للكاتب عنه، ألفه أهل الفوائد والعقود الفرائد للأمير الصنهاجي المعز بن باديس، وقد نسبته إليه من المتقدمين الملك المظفر يوسف بن عمر (ت 694هـ/

(¹) "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (2/ 463) تأليف أبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ، 1922م.

1294م) في كتابه "المختَرع في فنون من الصنع"⁽¹⁾، ومن المتأخرين المستشرق الألماني كارل بروكلمان (ت1956م) في "تاريخ الأدب العربي"⁽²⁾، بالإضافة إلى نسبته إليه في كثير من النسخ المخطوطة، التي يوجد منها بخزائن العالم أكثر من عشرين نسخة⁽³⁾. وقد نشره بالإنكليزية المستشرق الأمريكي مارتين ليفي⁽⁴⁾، وأعاد نشره الباحث الإيراني إيرج أفشار⁽⁵⁾، وطبع ثلاث طبعات بالعربية⁽⁶⁾، أحسنها طبعة مجلة معهد المخطوطات العربية⁽⁷⁾ بتحقيق عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي على تسع نسخ خطية، وإليها يكون العزو في هذا البحث، وقد تطرقت فيه إلى صناعة الكتاب المخطوط بالجزائر إبان الفترة الزيرية لسببين:

- الأول: تأليف هذا الكتاب كان في عهد الدولة الصنهاجية التي نشأت بمجل التيطري، وهي دولة جزائرية صميمة- كما قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي⁽⁸⁾ - رحمه الله-، وإن اتخذت القيروان والمهدية عاصمتين لها من بعد، ولا زال بلوغين اسما لحي بالعاصمة.

- والثاني: نسبة "عمدة الكُتَّاب وعدة ذوي الألباب" إلى الأمير المعز بن باديس الصنهاجي أحد أبناء المغرب الأوسط المسمى حاليا الجزائر، وهو الذي طهر بلاد المغرب من الرافضة، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الحديثة- رحمه الله- يعتز بانتهاء نسبه إليه⁽⁹⁾.

(1) "المختَرع في فنون من الصنع" (ص/ 106، و 111) تأليف الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، تحقيق د. محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1989م .

(2) "تاريخ الأدب العربي" (5/ 107) لكارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، ط2، دار المعارف بالقاهرة.

(3) أخبرني الباحث محمود زكي من معهد المخطوطات العربية أنه جمع أكثر من عشرين نسخة خطية لعمدة الكتاب.

(4) "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" (ص/ 16) تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، منشورات مجمع البحوث الإسلامية بإيران، 1409هـ.

(5) "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب"، (ص/ 16)، طبعة إيران.

(6) بالإضافة إلى طبعة معهد المخطوطات العربية 1971م، وطبعة مجمع البحوث الإسلامية بإيران على نسخة مكتبة شيكاغو، هناك طبعة وزارة الثقافة السورية سنة 2006م على نسخة المكتبة الأزهرية، بتحقيق إباد خالد الطباع.

(7) المجلد 17، ط2، 1417هـ. (ص/ 43- 172).

(8) "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" (5/ 107)، جمع نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، 1997م.

(9) "آثار ابن باديس" (1/ 72) جمع الدكتور عمار طالبي، ط3، الشركة الجزائرية، 1417هـ = 1997م.

وقد أدرت البحث على مقدمة وتمهيد وخاتمة وأربعة مباحث، تعرضت في التمهيد إلى التعريف بكتاب "عمدة الكتاب"، وتحقيق نسبته وعنوانه، وتطرق في المباحث الأربعة إلى أركان صناعة المخطوط في هذا الكتاب، وسأقتصر عليها، وهي على الترتيب:

المبحث الأول: الخطوط والأقلام.

المبحث الثاني: الأحبار والأمد.

المبحث الثالث: الأوراق والكواغد.

المبحث الرابع: التجليد والتسفير.

تمهيد: التعريف بكتاب "عمدة الكتاب"، وتحقيق نسبته وعنوانه.

ورد اسم الكتاب صريحاً "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" في مقدمة أغلب النسخ الخطية، ومثله ورد في "تاريخ الأدب العربي"⁽¹⁾ لكارل بروكلمان. أما في الصفحات الأولى من المخطوطات فقد تضاف إلى العنوان كلمة، كما في نسخة وهي أفندي بالمكتبة السلمانية في استانبول "عمدة الكتاب وعدة ذوي العقول والألباب"، وقد تضاف إليه عناوين فرعية كما في نسخة دار الكتب المصرية رقم 159 "عمدة الكتاب وعُدّة ذوي العقول والآداب والألباب، في عمل الليق وصناعة الأدهان وما يتعلق بالكتاب من الأسباب مما لا بد منه ولا غنى عنه للكتاب". وفي نسخة دار الكتب رقم 713 ورد باسم "كتاب الليق المسمى عمدة الكتاب وعدة ذوي العقول والألباب". وورد في "المختَرع في فنون من الصنع"⁽²⁾ باسم "عمدة الكتاب" مختصراً.

وفي النشرات المطبوعة ورد باسم "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" في نشرتي عبد الستار الحلوجي (1971م)، وإياد خالد الطباع (2006م)، وفي نشرة نجيب مايل الهروي (1409هـ) أضيف إلى العنوان السابق: "فيه صفة الخط والأقلام، والمداد والليق والحبر، والأصباغ، وآلة التجليد".

وأما عن نسبة الكتاب فقد نسبته إلى المعز من المتقدمين الملك المظفر يوسف بن عمر ومن المتأخرين المستشرق الألماني كارل بروكلمان—كما قد سبق—.

(¹) (5/ 107).

(²) (ص/ 106 ، و 111) .

وعلى حسب نشرة الدكتور عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي التي هي أحسن طبعات الكتاب واعتمدا فيها على تسع نسخ خطية؛ نسب في ثلاث منها إلى المعز بن باديس، وفي اثنتين أنه مما ألف له، وفي نسخة أخرى أنه من تأليف أهل الفوائد والعقود الفرائد، ونسب إلى ابنه تميم بن المعز بن باديس في نسخة واحدة، ولم يذكر اسم المؤلف في نسخة.

وأما في نسخة جامعة كاليفورنية فنسب إلى علي بن هلال البواب (ت 413هـ)، ولا يعرف كتاب بهذا العنوان. وفي نسخة المكتبة الأزهرية نبه أحمد عمر الحمصاني على صفحة العنوان بأنه لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي (ت 415هـ)، وكذلك دُوِّنَ على صفحة العنوان من نسخة جامعة الملك سعود بخط حديث أنه لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي.

ومنشأ هذا الوهم هو أن لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي كتابا في اللغة بعنوان "عمدة الكتاب"، بناه على "جواهر الألفاظ" لقدامة بن جعفر، وقد طبع في دار الفضيحة بتحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل.

والراجح أن "عدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" ألفه أهل الفوائد والعقود الفرائد وهم أهل العلم والأدب للأمير المعز بن باديس، ونسبوه إليه. وقد دام ملك المعز سبعا وأربعين سنة، وكان العلم والأدب مزدهرا في عهده، وكان له زهاء مئة شاعر من بينهم الحسن بن رشيق المسيلي، ومحمد بن شرف القيرواني، وكاننا من كتاب ديوان الإنشاء مع رئيسه العالم الفلكي الرياضي علي بن أبي الرجال مربي المعز. ومن كتبه ذلك العهد علي بن أحمد الوراق الذي يميل إلى الكتابة البغدادية، وهو الذي كتب وشكل وذهَّب مصحف الحاضنة المحفوظ بمتحف رقادة بالقيروان على يدي درة الكاتبة، ومن الكتبة أيضا أحمد بن زاهر الكاتب الذي بقي مما كتبه قطعة من نقيشة تخليدية محفوظة بمتحف رقادة، والحارث بن مروان وابنه يحيى وكانا ينسخان الكتب للخزانة الأميرية، وإبراهيم بن محمد المرادي الذي انفرد بالقلم الرياسي، وعبد العزيز بن محمد القرشي الطارفي صاحب الرسائل السلطانية والخط البارع، وعمر بن معمر الفارسي الملقب بالقلم وغبار الحلبة، ومحمد بن إسماعيل الكاتب، وغيرهم⁽¹⁾.

(1) للمزيد انظر: أنموذج الزمان في شعراء القيروان لحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية، 1986م. والدولة الصنهاجية للهادي روجي إدريس، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

وأما عن ترجمة المعز فأقتصر فيها على ما قاله الإمام الذهبي عنه⁽¹⁾ فهو « صاحب إفريقية، المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري، الصنهاجي، المغربي، شرف الدولة ابن أمير المغرب. نفذ إليه الحاكم من مصر التقليد والخلع في سنة سبع وأربع مائة، وعلا شأنه.

وكان ملكاً مهيباً، سريعاً شجاعاً، عالي الهمة، مجباً للعلم، كثير البذل، مدحته الشعراء. وكان مذهب الإمام أبي حنيفة قد كثر بإفريقية، فحمل أهل بلاده على مذهب مالك حسماً لمادة الخلاف، وكان يرجع إلى إسلام، فخلع طاعة الغبديّة، وخطب للقائم بأمر الله العباسي، فبعث إليه المستنصر يتهدده، فلم يخف، فجهز لمحاربتة من مصر العرب، فحربوا حصون بركة وإفريقية، وأخذوا أماكن، واستوطنوا تلك الديار من هذا الزمان، ولم يخطب لبني عبيد بعدها بالقيروان.

قيل: كان مولد المعز في سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة. ومات: في شعبان سنة أربع وخمسين وأربع مائة، ومريض بالبرص، ورثاه شاعره الحسن بن رشيق القيرواني، وكان موته بالمهدية. وقام بعده ولده تميم بن المعز.

وينقسم كتاب "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب" المنسوب إليه إلى اثني عشر باباً⁽²⁾، وهي:

الباب الأول: في فضل القلم والخط، وانتخاب الأقلام الجيدة واختيارها، واختلاف بريها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها من السكاكين وغيرها.

الباب الثاني: في عمل أجناس المداد.

الباب الثالث: في عمل أجناس الأحبار السود.

الباب الرابع: في عمل أجناس الأحبار الملونة.

الباب الخامس: في عمل الليق.

الباب السادس: في تلوين الأصباغ وخلطها.

(1) "سير أعلام النبلاء" (18/ 140-141) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ. وفي هامشها الإشارة إلى مواضع ترجمة المعز. ولمزيد من مراجع ترجمته انظر الأعلام (7/ 269-270) لخير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين ببيروت، 2002م، وقد نقل فيه نموذجاً من خط المعز نفسه.

(2) في نسخة المكتبة الأزهرية خمسة عشر باباً، وهي النسخة التي اعتمد عليها خالد إباد الطباع في تحقيقه للكتاب.

الباب السابع: في الكتابة بالذهب والفضة وما يقوم مقامهما.

الباب الثامن: في وضع الأسرار في الكتب.

الباب التاسع: في عمل ما تمحى به الكتابة من الدفاتر والرقوق.

الباب العاشر: في عمل الغراء من الحلزون، وحل غراء السمك، وإصاق الذهب والفضة، وصفة مَصَاقِلِه وصقله، وأقلام الشعر والريش وجميع آلات الذهب والفضة.

الباب الحادي عشر: في عمل الكاغد، وتوشية الأقلام ونقشها، وسقي الكاغد وتعتيقه.

الباب الثاني عشر: في صفة التجليد والجلد وجميع آلاته حتى يستغنى عن المجلدين وآلاتهم.

المبحث الأول: الخطوط والأقلام.

خصص الكاتب للخطوط والأقلام الباب الأول، وتحدث فيه عن فضل القلم والخط، وانتخاب الأقلام الجيدة واختيارها، واختلاف بريها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها من السكاكين وغيرها.

فمن فضل الأقلام أن الله أقسم بها تشريفا لها؛ فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1] أي: «وما يكتبون»⁽¹⁾، كما جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما. ونسب الله التعليم بالقلم إلى نفسه الكريمة؛ فقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 3-4]. ومن جلاله القلم أنه أول ما خلق الله - عز وجل -، ولم يكتب الله كتابا إلا به، كما في حديث عبادة عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اجْرِ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...»⁽²⁾. وجعل الله الخط بالقلم من أجل آثار العلم، كما في حديث ابنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: 4] قَالَ: «الخط»⁽³⁾.

(1) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (586 / 2)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ومقبل .

(2) حديث حسن: رواه أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسنده المسمى البحر الزخار (137 / 7)، ط1، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، 1409هـ. ولتخريجه انظر مسند الإمام أحمد (378-379 / 37)، ط1، طبعة مؤسسة الرسالة، 1421هـ.

(3) حديث صحيح: رواه الإمام أحمد في المسند (476 - 477) والحاكم في المستدرک (534 / 2).

وفي صفة انتخاب الأقلام ذكر المصنف أن الأقلام الجلييلة خمسة:

1- قلم الطومار، والطُومار والطامور: الصَحِيفَةُ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا وتطوى، اعتدده سَيَبَوَيْه عَرَبِيًّا، وَقَالَ ابن دريد: لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ⁽¹⁾. وعرف قلم الطومار بهذا الاسم نسبة إلى الورقة التي يكتب عليها. وقد استنبطه قطبة المحرر من الخط الكوفي، ويقدر عرضه بأربع وعشرين شعرة من شعر ذيل البرذون، وهو التركي من الخيل⁽²⁾.

« وصفته أن يؤخذ من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه من أعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل؛ ليتمكن الكاتب من إمساكه، فإنه إذا كان على غير هذه الصورة؛ ثقل على الأنامل ولا تحتمله، ويتخذ أيضا من القصب الفارسي، ولا بدّ من ثلاثة شقوق؛ لتسهيل الكتابة به ويجري المداد فيه. ولهم قلم دونه يسمى مختصر الطومار، وبه يكتب النواب والوزراء ومن ضاهاهم الاعتماد على المراسيم ونحوها. وقدّروا مساحة عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون معترضات، وهو أصل لما دونه من الأقلام، فقلّم الثلثين من هذه النسبة مقدّر بست عشرة شعرة، وقلم النصف مقدّر باثنتي عشرة شعرة، وقلم الثلث مقدّر بثمان شعرات، ومختصر الطومار ما بين الكامل منه والثلثين. وكل من هذه الأقلام فيه ثقل، وهو ما كان إلى الشّعب أميل، وخفيف، وهو ما كان إلى الدقة أقرب⁽³⁾. »

2- قلم الرياس، اخترعه يوسف الشجري من قلم الطومار، وأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون، وأمر أن تحرّر الكتب السلطانية به، ولا تكتب بغيره، وسماه القلم الرياسي؛ لأن الملوك كانت توقع به الكتب السلطانية، ويقدر عرضه بعشر شعرات⁽⁴⁾.

3- قلم الثلثين، اخترعه إبراهيم الشجري من قلم الطومار، وعرضه ثلثا عرض الطومار⁽⁵⁾.

4- قلم النصف، اخترعه الأحول المحرر من قلّمي الثلث والثلثين، وهو على النصف من قلم الطومار⁽¹⁾.

(1) المخصص لابن سيده (8/13)، دار الكتب العلمية.

(2) انظر: "دراسات مقارنة للسمات الفنية في خط الثلث عند ابن البواب والخطاطين الأتراك" (ص/ 29)، رسالة ماجستير للدارس مختار عالم مفيض الرحمن، مخطوطة بجامعة أم القرى، 1422هـ-2001م.

(3) انظر: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (2/ 454)

(4) انظر: المصدر السابق (3/ 16 و 52-53 و 104)

(5) انظر: "صناعة الكتاب" (ص/ 276) لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق أحمد بدر ضيف، ط1،

دار العلوم العربية ببيروت، 1410هـ - 1990م، وعنه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (3/ 16-17).

5- قلم الثلث اخترعه إبراهيم الشجري من قلم الثلثين، وعرضه ثلث عرض قلم الطومار⁽²⁾.

وذكر من الأقلام ما دون الجليلة:

1- خفيف الثلثين، وهو ما كان أدق وأخف من قلم الثلثين.

2- صغير النصف، وهو قلم أصغر من قلم النصف من الرياسي⁽³⁾.

3- الوشي المنمنم، وهو قلم جميل مزخرف، يتفرع عن القلم الرياسي⁽⁴⁾.

4- غبار الحلبة، وهو قلم دقيق يتفرع عن القلم الرياسي⁽⁵⁾.

5- خط المؤامرات، وهو قلم مستخرج من قلم الثلثين يكتب به في الإنصاف بين الملوك⁽⁶⁾.

6- خط السجلات وهو قلم المحاضر الرسمية.

7- خط الحرم وهو الكوفي⁽⁷⁾.

وذكر من صفات الأقلام:

1- القلم المحرف وهو القلم المائل أحد سنيه عن الآخر.

2- القلم المستوي وهو ما تساوى سنّاه.

وذكر من أقلام الصبغ والرسم:

⁽¹⁾ انظر: "صناعة الكتاب" (ص/ 276) ، وعنه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (3/ 16).

⁽²⁾ انظر: المصدرين السابقين.

⁽³⁾ انظر: الفهرست (1/ 21) لمحمد بن إسحاق النديم، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، 1430هـ-2009م

⁽⁴⁾ انظر: الفهرست (1/ 21).

⁽⁵⁾ انظر: المصدر السابق (1/ 21).

⁽⁶⁾ انظر: المصدر السابق (1/ 19).

⁽⁷⁾ انظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (ص/ 71)، مجلة المخطوطات العربية.

10- قلم الريش وهو قلم يؤخذ مما غلظ من ريش أجنحة النسور، ويبرى بمقص رقيق قصير الرأس حاد، لأن السكين لا تستقيم فيه، وتُجعل جلفته قصيرة، ويزال الشحم منه ليرقّ ويصلح للرسم والتسطير⁽¹⁾.

11- قلم الشعر: يؤخذ شعر ابن عُرْس فتؤلف رؤوسه الدقاق كلها إلى جهة واحدة، ثم يُخرط عود من عود هندي أو صندل أو عاج أو أبنوس ويكون رقيقاً ليخفّ على اليد، ويجعل له في رأسه موضع للشد، ويلف الشعر عليه دائراً برأسه بعد أن يُدهن رأسه بغراء السمك ليمسك الشعر - وأدق أقلامها ما كان على أربع شعرات. ويُعمل ما هو أدق من ذلك لكن هذا أقوى - ويشدّ بحيط من حرير. ثم يؤخذ الدهن الصيني المعمول بالسندروس، ويسحق الزبدي سحقاً ناعماً ويذرّ على الدهن، ثم يدهن به على الخيط الحريري المشدود به الشعر، ويجعل حتى يجف ويصير مثل الرخام صلبة وجمالاً. فإذا غسل بالماء لا يتغير ولا ينحل. ويعمل منها الغليظ والرقيق. ويجب أن يستعمل لكل صبغ قلمان: غليظ ودقيق، وللأسود خمسة، منها أربع دقاق وواحد بين الدقة والغلظ. وإن عدم هذا الشعر يستعمل بدله شعر آذان البقر ويُشدّ مثل شده. وكل شعر يشبهه في الصلابة ودقة الرأس والقصر يقوم مقامه وينوب منابه⁽²⁾. وذكر ثلاث صفات لتوشية الأقلام ونقشها.

والأقلام تتخذ غالباً من أنابيب القصب المعتدل جسمها المحمر جوفها الكثير شحمها، وقد تتخذ من النحاس.

وأحسنها المعتدل في الدقة والغلظ والطول والقصر والتحريف والاستواء، وما أخذ من جنبه بقدر، وجعل موضع القطعة أعرض قليلاً من وسطه، ورأسه في مقدار إصبع الإبهام، وشقاه متشاكلين في الدقة والرقّة، وشقه يكون متوسطاً إلى ثلثي رأس القلم.

وآلات القلم التي أشار إليها هي سكين البري، وسكين القط، والمقط وهو خشبة مدورة صلبة ملساء، يقط عليها القلم، والدواة وينبغي أن تكون من أحسن الخشب كالأبنوس والصندل، وتكون مدورة واسعة البطن مقدار عظم الذراع.

المبحث الثاني: الأحبار والأمدّة

(1) المصدر السابق (ص/ 144).

(2) عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (ص/ 144-145).

العلة في تسمية الحبر حبرا أنه مزين للكتاب، ومحسن للقرطاس، أخذ من قول العرب: حبرت الشيء: إذا زينته، وإنما سمي الحبر حبرا؛ لأنه يؤثر في القرطاس، ويكون علامة في الشيء الذي يصيبه ويقع فيه.

وأما المداد فإنما سمي مدادا لإمداده الكاتب، من قولهم: أمددت الجيش بمدد، ومد النهر نهر آخر⁽¹⁾. فالأصل في المداد السواد، والأصل في الحبر زينة اللون.

وقد خصص مصنف عمدة الكتاب الباب الثاني لعمل أجناس المداد وأصنافه، وخصص الباب الثالث لعمل الأحبار السوداء، والباب الرابع لعمل الأحبار الملونة، والباب الخامس لعمل الليق وألوانها.

وأنواع المداد التي ذكرها هي:

1- المداد الصيني، وصفته أن يسحق مداد فارسي بلبن حليب ثلاثة أيام، وكلما جف سقيته اللبن وسحقته، ثم صيره صحائف رقيقة. وله صفتان أخريان⁽²⁾.

2- المداد الهندي، وصفته أن تضع سمن البقر ودهن البان والبنفسج والنفط في إناء، وتغطيه بإناء آخر، وتضعه على موقد، حتى يصير دخانا قد سعد في سماء الإناء الأعلى، ثم تجمعها، وتعجنه بالحليب، وتعتقه. وله أيضا صفة أخرى⁽³⁾.

3- المداد الكوفي، وصفته أن يحرق قشر الرمان، ويعجن رماده بلبن حليب وشيء من صمغ مبلول، ويجعل أقراصا، ويجفف في الظل. وله ثلاث صفات أخرى⁽⁴⁾.

4- المداد الفارسي، وصفته أن تجعل نوى التمر الناضج في نخله في جرة، وتضع على فمها خرقة، وتطينها بطين الحكمة، وتتركها حتى تجف، ثم تضعها في فرن، أو توقد عليها الحطب الجزل يوما كاملا، ثم تخرجها من النار، وتخرج ما فيها بعد أن تبرد، وتسحقه في صلاية، وتسقيه بماء الصمغ حتى يتفكك، وتجعله قرصا على قدر ما تريد⁽⁵⁾.

(1) انظر "الزاهر في معاني كلمات الناس" (2/ 241-243) تأليف أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د حاتم الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة ببيروت، 1422هـ-1992م.

(2) انظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (ص/ 79، و84)، مجلة المخطوطات العربية.

(3) انظر: المصدر السابق (ص/ 80)، مجلة المخطوطات العربية.

(4) انظر: المصدر نفسه (ص/ 81، و87)، مجلة المخطوطات العربية.

(5) انظر: المصدر السابق (ص/ 82)، مجلة المخطوطات العربية.

5- المداد العراقي، وصفته أن تحشي شقائق النعمان في قوارير دقاق، وتدفنها في السرجين حتى تذوب وتنحل، وتحرق القراطيس، وتعجن ما احترق منها بذلك الماء، وتجففه في الظل، ثم تأخذ منه وزن درهم، مع وزن درهم من ماء الصمغ العربي، وزن نصف درهم من العفص المسحوق، وتحشي به الدواة مع ماء السلق. وله صفة أخرى⁽¹⁾.

6- المداد الأهوازي، وصفته أن تبني قبة كبيرة، ويبني وسطها دكان مربع، ويجعل عليه سندروس وشعير، وتشعل فيه النار، ويسد باب القبة، ويترك حتى يحترق، ثم يبرد، ويفتح الباب، ويجمع الدخان بمناخل، وتأخذ الجلود التي تسقط من أصحاب الرقوق، والرقوق التي تكتب فيها المصاحف، وتوضع في قدر على النار، ويصب عليها الماء، حتى تنحل وتصير كالغراء، ثم تعجن به، وتقرص وتجفف وتستعمل⁽²⁾.

7- المداد المصري، وصفته أن تسرج فتيلة من زيت الفجل، وتكب عليها قدرة فخار، وترفعها من الأرض مقدار ما يدخل الهواء، وتأخذ ما تعلق بها من دخان، وتعمله كعمل دخان الحمص⁽³⁾.

8- مداد دخان الحمص، وصفته أن يؤخذ دخان الحمص، وينخل في طست، ويدق وزن درهمين من الملح والصمغ العربي، ويدق الصمغ العربي ويستخرج ماؤه، ويعجن حتى يصير مثل الطين، ثم يرفع ويجفف ويستعمل. وله صفة أخرى، ومداد آخر يشبهه⁽⁴⁾.

9- مداد القراطيس، وصفته أن ينقع المداد الفارسي الخفيف في ماء يوما وليلة، ثم يجفف، وينقع له وزن درهم من الصمغ العربي، وخمسة دراهم مدادا يسحق، ويعجن بماء الصمغ، ويخلط بقراطيس محرقة منخولة، وتحشي به الدواة حتى يجف، ويوضع فيها صوفة، ويكتب به. وله صفة أخرى⁽⁵⁾.

10- مداد الكاغد، وصفته أن يدق جزء من مداد فارسي جيد مع جزء من صمغ عربي، ويعجنان بماء العفص المصفى، بأخذ عشر عفصات كبار، ورضها، وصب نصف رطل ماء عليها، فإذا أردت أن

(1) انظر: المصدر السابق (ص/ 82-83، و87)، مجلة المخطوطات العربية.

(2) انظر: المصدر السابق (ص/ 83)، مجلة المخطوطات العربية.

(3) انظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (ص/ 85)، مجلة المخطوطات العربية.

(4) انظر: المصدر نفسه (ص/ 84-86)، مجلة المخطوطات العربية.

(5) انظر: المصدر نفسه (ص/ 86، و89)، مجلة المخطوطات العربية.

تكتب به مددته بماء العفص، وكلما جف اسقه بماء وزاج، وزده جزءا من شحم الحنظل، حتى لا يقع عليه الذباب⁽¹⁾.

11- مداد الكلخ، وصفته أن يحرق الكلخ العربي حرقا جيدا، ويسحق سحقا ناعما في صلاية أو بلاطة بالماء، ويجعل فيه صمغ القرظ، ويصنع أقراصا، تحفف في الظل، ثم تذاب بماء الصمغ، ويكتب بها⁽²⁾.

12- المداد الزجاجي، وصفته أن يسحق شيء من الزجاج سحقا ناعما، ويسقى بالماء حتى يصير عجينا، ويغسل حتى يذهب سواده، ثم يعلق في شمس الصيف سبعة أيام، ويحرك كل يوم، وكلما جف سقي بخل الخمر، وإذا أردت أن تكتب به حرك الزجاج، واستمد بقلم نحاس، واحفظ الإناء من الغبار⁽³⁾.

13- المداد الرصاصي، وصفته أن تعجن الاسفيداج وهو رماد الرصاص بخل نظيف، وتجعله في قدرة مطينة بطين الحكمة، وتجعله في أتون الزجاج الأعلى ثلاثة أيام، ثم تخرجه، وتسحقه، وتصب عليه خلا وصمغا، وتكتب به⁽⁴⁾.

14- مداد الملوك، وصفته أن يؤخذ من دخان الميعة المصعد، ودخان السندروس، ودخان اللادن مجتمعة أو متفرقة، ويعمل أيضا من دخان الزيت ودخان الكبريت⁽⁵⁾.

وذكر أربع صفات لأمددة أخرى متنوعة.

أما الأحبار السود فذكر لها ستا وعشرين صفة، وسمى منها: حبر العامة، وحبر الهليلج، وحبر الأسفار، والحبر الذرور، وحبر المصاحف، وحبر الدفاتر. وسأقتصر على ذكر خمس صفات منها:

1- حبر العامة، وصفته أن يرض عفص أخضر أرباعا أو أثلاثا، ويوضع في قمقم ضيق الرأس، ويصب عليه من الماء على الواحد خمسة، ويوضع على نار لينة، حتى يذهب منه النصف، ثم يصفى،

(1) انظر: المصدر نفسه (ص/ 86)، مجلة المخطوطات العربية.

(2) انظر: المصدر نفسه (ص/ 87)، مجلة المخطوطات العربية.

(3) انظر: المصدر نفسه (ص/ 88)، مجلة المخطوطات العربية.

(4) انظر: عمدة الكتاب (ص/ 88)، مجلة المخطوطات العربية.

(5) انظر: المصدر نفسه (ص/ 89-90)، مجلة المخطوطات العربية.

ويعمل على كل رطل من ماء العفص خمسة أساتير صمغاً عربياً مسحوقاً، ونصف أوقية زاجاً أخضر، ويكتب به⁽¹⁾.

2- حبر الهليلج، وصفته أن تأخذ الهليلج الأصفر، فترضّه مع نواه، وتصيّره في قارورة رقيقة بعد أن تكيّله، ثم تصب عليه من الماء على الواحد ثلثيه، وتدعه في الشمس الحارة أربعة أيام، ثم تصفيه وتضع فيه صمغاً عربياً نقياً، وتعيده إلى الشمس، وتتركه حتى ينحل، ثم تطرح عليه من ماء الزاج الأصفر قليلاً، وشيئاً من الزاج الأخضر المسحوق، وتحركه تحريكاً جيداً، وتكتب به⁽²⁾.

3- حبر السفر، وصفته أن تأخذ العفص الأخضر الجيد، وتسحقه سحقاً ناعماً مثل الكحل، وتسحق أيضاً مثله من الصمغ العربي. ثم تأخذ مثل نصفه زاجاً أخضر وتنعم سحقه، ثم تجمع الجميع ببياض بيضة أو بيضتين حتى يصير مثل العجين. ثم تتخذه بندق، وتصيّره في إناء مسدود الرأس لا يدخله ريح ولا غبار، فإنه يقيم دهنًا طويلاً⁽³⁾.

4- حبر المصاحف، وصفته أن تأخذ عفصاً، وترضه قليلاً على أمثال الحمص، وتكيّله وتصيّره في طنجير، وتصب عليه من الماء على الواحد ثلاثة أجزاء، ثم توقد تحته حتى يرجع إلى جزأين، وتبرّده وتصفّيه وتلقي فيه من الزاج الأخضر ما يكفيه ومن الصمغ العربي لكل جزء من الماء جزءاً ونصفاً صمغاً عربياً، ثم تكتب به. وبعضهم يطبخه حتى يرجع الماء إلى الثلثين أو الثلث إلى ما تراه⁽⁴⁾. وذكر له صفتين أخريين.

5- حبر الدفاتر، وصفته أن تأخذ ثلاثين عفصة مرضوضة، فتصب عليها ثلاثة أرتال من الماء، وتطبخ بنار لينة حتى يذهب الثلث، ثم صفه واطرح فيه من الزاج خمسة دراهم، ومن الصمغ العربي تسعة دراهم، ودعه في الشمس يوماً، فإن لم يكن له سواد فزده زاجاً فإنه جيد⁽⁵⁾.

وأما الأحبار الملونة فذكر لها تسعة وعشرين صفة، وذكر من ألوانها: الأحمر، والأصفر، والأخضر، والذهبي، والياقوتي، والأزرق الطاووسي، والوردي، والفسقي، والخمري، والريحاني، والأبيض، والأسود.

وسأقتصر على ذكر خمس صفات من صفات الأحبار الملونة:

(1) انظر: المصدر نفسه (ص/ 94)، مجلة المخطوطات العربية.

(2) انظر: المصدر السابق (ص/ 94)، مجلة المخطوطات العربية.

(3) انظر: المصدر السابق (ص/ 95)، مجلة المخطوطات العربية.

(4) انظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (ص/ 97)، مجلة المخطوطات العربية.

(5) انظر: المصدر السابق (ص/ 100)، مجلة المخطوطات العربية.

1- الحبر الأحمر والأصفر والأخضر، وصفته أن تأخذ من قشر الرمان الحامض عشرين مثقالاً، وإن كان رطباً كان أجود، وإلا فيابس، ومن قشر الجوز الأخضر مثله، ومن العفص الأخضر عشرين عفسة، ومن الإثمد الأصفر عشرين مثقالاً، ومن عصارة الآس مثل ذلك، وتجعله في الشمس أربعين يوماً، ثم تصفيه وتجعله في ثلاث قوارير، وتلقي في قارورة منها زنجفراً وهو سلفيد الزئبق مسحوقاً، وتحركه بقلم، فهذا حبر أحمر. ثم تأخذ زنجاراً مسحوقاً، فتلقيه في قارورة أخرى، وتحركها، فهذا حبر أخضر. ثم تأخذ زرنخاً أصفر فتسحقه، وتلقيه في قارورة أخرى، وتحركها، فهذا حبر أصفر. وكلما غلظ ما في هذه القوارير مددتها بالماء⁽¹⁾.

2- حبر الرقوق الذهبي، وصفته أن تأخذ زرنخاً أحمر خالصاً لا يخالطه شيء، فتسحقه سحقاً ناعماً، ثم تأخذ زعفراناً جيداً خالصاً لا يكون فيه زيت ولا دهن، ثم تصبر الزعفران في خرقة، وتجعلها في ماء نقي حتى تنبل الصرة، ثم تعصرها على الزرنخ، وتجعل فيه ماء الصمغ وتكتب به، فإنه يجيء مثل الذهب الأحمر الخالص⁽²⁾.

3- الحبر الأزرق الطاووسي للرق، وصفته أن يؤخذ نُؤار كزبرة الفحص، فيطبخ حتى يصير كالمرهم، ثم يلقى عليه وزن خمسة دراهم صمغاً ودرهم لكاً، ويكتب به⁽³⁾.

4- الحبر الوردي، وصفته أن يؤخذ وزن أوقية سيلقون فيسحق على بلاطة، ويلقى عليه وزن درهم بورقاً وهو النطرون، ودرهمين صمغاً عربياً، ويدلك حتى ينعم، ويكتب به إن شاء الله تعالى⁽⁴⁾.

5- الحبر الأبيض الأسود، وصفته أن تأخذ من القلى الجيد وهو كربونات البوتاسيوم وزن أربعة دراهم، فتصب عليه وزن نصف رطل من الماء، وتحركه وتتركه فيه سبعة أيام، وكلما نقص الماء زدت عليه مقدار ما ذهب منه وتحركه، فإذا مضت الأيام صفيت الماء على وزن ثمانية دراهم من الكحل المسحوق، ووزن ثلاثة دراهم مرقشيتا ووزن درهم مُردَا سَنَج يدق في الهاون يوماً واحداً، ويضاف إليه زاج وزن أربعة دراهم، ووزن درهمين إسفيداج الرصاص. يسحق الجميع ناعماً، ويصب عليه ثلاث أواق ماءً ويترك خمسة أيام، ثم يغلى ماء القلى والكحل أوقية أوقية، والعفص المروض وزن خمسة دراهم تغلي حتى يذهب الثلث ويبقى الثلثان. ثم تصفيه وتخلطهما، فإن كان مع العفص برادة الحديد فهو جيد. ثم يخلط

(1) انظر: المصدر السابق (ص/ 101)، مجلة المخطوطات العربية.

(2) انظر: المصدر نفسه (ص/ 102)، مجلة المخطوطات العربية.

(3) انظر: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (ص/ 104)، مجلة المخطوطات العربية.

(4) انظر: المصدر نفسه (ص/ 104)، مجلة المخطوطات العربية.

الماء بالحوائج المقدم ذكرها ومعها شيء من الصمغ العربي ونشا سنج ويكتب به في السواد يجيء أبيض وفي البياض يجيء أسود⁽¹⁾.

كما ذكر المصنف للكتابة بالذهب ست صفات، وللكتابة بالفضة أربعة، وصفة للكتابة بالنحاس.

المبحث الثالث: الأوراق والكواغد.

خصص لها المصنف الباب الحادي عشر، وذكر منها خاصة الكاغد الطلحي نسبة إلى طلحة بن طاهر أمير خراسان (ت213هـ)، وصفة عمله أن تأخذ القنب الجيد الأبيض، فتنقيّه من قصبه، وتبلّه، وتسرحه بمشط حتى يلين، ثم تأخذ الجير، فتنقعه فيه ليلة إلى الصباح، ثم تعركه باليد، وتبسطه في الشمس نهارك كله، حتى يجف، ثم تعيده الليلة المقبلة في ماء جير غير الماء الأول، وتتركه حتى الصباح، ثم تعركه كعركك الأول ليلة، وتبسطه في الشمس. تفعل به ذلك ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة. وإن بدلت ماء الجير كل يوم مرتين كان أجود. فإذا تناهى بياضه قطعته المقرض قطعاً صغاراً، ثم انقعه سبعة أيام في ماء عذب، وبدّل له الماء كل يوم. فإذا ذهب منه الجير دققته في الهاون دقاً ناعماً وهو نديّ، فإذا لان ولم يبق فيه شيء من العُقد أخذت له ماءً آخر في إناء نظيف فحللته حتى يصير مثل الحرير. ثم تعمد إلى قوالب على قدر ما تريد، وتكون معمولة مثل السِّلّ من السّمار، ومفتوحة الحيطان، تعمد إليها فتصب تحتها قصرية فارغة، وتضرب ذلك القنب بيدك ضرباً شديداً حتى يختلط، ثم تغرفه بيدك وتطرحه في القالب، وتعده بيدك لئلا يكون ثخيناً في موضع رقيقاً في موضع آخر. فإذا استوى وصفيّ ماؤه أقمته منصوباً بقالبه، فإذا أتيت على ما تريد منه نفضته على لوح، ثم أخذته بيدك وألصقته على حائط. ثم عدّله بيدك واتركه حتى يجف ويسقط، ثم تخذ له الدقيق الناعم النقي والنشا نصفين، فيمّرس له الدقيق والنشا في الماء البارد حتى لا يبقى فيه ثخن، ثم يغلى بماء حتى يفور. فإذا فار صفّيته، وحركته حتى يسكن ويرق. ثم تعمد إلى تلك الورقة فتطليها بيدك ثم تلقيها على قصبه. فإذا جفّت الورقة طليتها من الوجه الآخر ورددتها على لوح، ورششت عليها الماء رشاً رقيقاً. فإذا طليت جميع الورق تجمعها وترزّمه، وتصقله كما تصقل الثوب، وتكتب فيه.

وأما في صفة سقيه فاغسل أرزاً شديداً البياض، واطبخه في برنية أو طنجير مطلي - ولا يكون في البرنية أو الطنجير دسم -، ثم صفّ ماء الأرز بمنخل أو خرقة نظيفة، ثم ابسطه على ثوب نظيف حتى يجف. ومن الناس من يطبخ النخالة ويأخذ ماءها ويسقي به. ومنهم من ينقع الكثيراء ويسقيها نشا، وذلك بعد أن يغليها ويسقيها للورق كما وصفت.

(1) انظر: المصدر نفسه (ص/ 108)، مجلة المخطوطات العربية.

وفي صفة تعتيق الكاغد يؤخذ طنحير نحاس، يصب فيه عشرة أرتال ماءً عذباً، ويحمل على النار، ويطرح فيه نشا جيد نقي، ويغلى حتى ينقص من الماء مقدار إصبعين وأزيد، ثم يجعل فيه يسير من الزعفران بقدر ما يحتاج إليه من شدة تلوينه أو صفائه، ويصب في طست واسع، ويغمس فيه الورق غمساً خفيفاً برفق لئلا ينقطع، ثم ينشر على خيط قُنْب دقيق في الظل. وإياك أن تصيبه الشمس فيفسد. ويُعهد في كل ساعة بالتقليب لئلا يلتصق، فإذا جف صقل على التخت بمصقال الزجاج⁽¹⁾. وله صفة تعتيق أخرى.

ومما أشار إليه عرضاً:

1- الرقوق، ومفردها رَقٌّ، وهو الصحيفة البيضاء⁽²⁾؛ لقوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور: 3]، وهو أيضاً الجلد الذي يكتب فيه⁽³⁾.

2- الثياب، وهي اللباس⁽⁴⁾.

3- القراطيس، ومفردها قرطاس، وهو صحيفة تتخذ من بردِي يكون بمصر⁽⁵⁾، وهو أيضاً الكاغد⁽⁶⁾، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 7].

4- الصحف، ومفردها صحيفة، وهي قطعة قِرْطَاسٍ مَكْتُوبٍ، وَجَمْعُهَا صُحُفٌ أيضاً⁽⁷⁾.

5- الورق، وهو أَدَمٌ رِقَاق، مِنْهَا وَرَقُ الْمُصْحَفِ، الْوَاحِدَةُ وَرَقَةٌ⁽¹⁾.

(1) انظر: عمدة الكتاب (ص/ 147-149)، مجلة المخطوطات العربية.

(2) انظر: كتاب العين (5/ 24) للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

(3) انظر: كتاب جمهرة اللغة (1/ 125) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، 1987م.

(4) انظر: تهذيب اللغة (15/ 154) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق محمد عبد السلام هارون، الدار المصرية لتأليف والترجمة.

(5) انظر: المصدر السابق (9/ 390-391).

(6) انظر: القاموس المحيط (ص/ 315) لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق مكتب أحياء التراث بمؤسسة الرسالة، ط3، 1430هـ-2009م.

(7) انظر: المغرب في ترتيب المعرب (1/ 467) لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة أسامة بن زيد بحلب، 1399هـ-1979م.

وذكر مما يصنع من هذه الأوراق والكواغد:

1- المصاحف، ومفرها مصحف، وإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُصْحَفُ مُصْحَفًا، لِأَنَّهُ أُصْحِفَ، أَي جَعَلَ جَامِعًا لِلصُّحُفِ الْمَكْتُوبَةِ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ⁽²⁾، وَالْمُصْحَفُ: الْكُرَاسَةُ، وَحَقِيقَتُهَا جَمْعُ الصُّحُفِ⁽³⁾.

2- السجلات، مفرها سِجَلٌ، وَهُوَ كِتَابُ الْحُكْمِ، وَقَدْ سَجَّلَ عَلَيْهِ الْقَاضِي⁽⁴⁾.

3- الكراريس، واحدها كراس وكراسة، ومعناها في كلام العرب: الورق المجموع بعضه إلى بعض⁽⁵⁾. والكراسة حوالي ثماني ورقات.

4- الدفاتر، واحدها دَفْتَرٌ، وَهِيَ الْكَرَارِيسُ⁽⁶⁾.

المبحث الرابع: التجليد والتسفير.

تجليد الكتاب هو أن تضع له كساء من جلد، ويسمى عند متأخري أهل المغرب التسفير، وقد خصص الباب الثاني عشر لصناعة التجليد⁽⁷⁾، فعدد آلاتها، وذكر آداب ملتسمها، وبين صفة الجلود وأنواعها وأصباغها وألوانها، وشرح كيفية التجليد.

أما آلات التجليد فهي:

1- البلاطة، وينبغي أن تكون من الرخام الأبيض أو الأسود الجيد أو غيره، وتكون صحيحة الوجه تمرّ عليها مسطرة واحدة، ليصلح عليها البشر والتجليد.

2- والمسن، وينبغي أن يكون معدل الوجه صحيحاً، ولا ينبغي أن يكون ليناً فتحفره الحديد ولا صلباً فيضرّ بالحديد.

(1) انظر: تهذيب اللغة (9/ 289).

(2) انظر: المصدر السابق (4/ 254).

(3) انظر: المغرب في ترتيب المعرب (1/ 467).

(4) انظر: المصدر السابق (1/ 385).

(5) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 376).

(6) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 659) لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد

الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، 1404هـ-1984م.

(7) انظر: عمدة الكتاب (ص/ 153-166)، مجلة المخطوطات العربية.

3- والشفرة، وينبغي أن تكون من حديد جيد غير لينة ولا صلبة، ويكون مقدارها في الثقل والخفة على قدر يد الصانع.

4- والمقص، ويكون معتدلاً جيد الحديد؛ ليقطع الجلد وغيره.

5- والكازن يعمل في اللزاق.

6- والإبر، وهي صنفان، فمنها ما يصلح للخرم، ومنها ما يصلح للحبك. فأما التي للخرم فتكون تامة دقيقة البدن، والتي للحبك فتكون دونها في الطول والدقة.

7- والسيف، ويجب أن يكون طوله شبرين إلى ما دون ذلك، ويكون جيد العرض نقي البدن جيد السقي ويكون نصابه ملء الكف. ومن أهل الصناعة من يستعمل بدله شفرة طويلة الحد.

8- والمعصرة، وهي نوعان:

أ- المعصرة ذات الحبل، ويستعملها أهل العراق وأهل مصر وبعض أهل خراسان، وينبغي أن يكون طولها على قدر الجزء الذي يُشدّ فيها، وأن تكون أطول من الكتاب، ويكون الكتاب في وسطها، وتكون جيدة العرض صحيحة القوام، إذا أردت إطباقها على ورقة أطبقت وأمسكت، وينبغي أن تكون مهلوبة الجانبين إلى ناحية العين في الموضع الذي يقع فيه المروان، ويكون حبلها من الشعر الجيد، ويكون رقيقاً أرق من القنب، وطوله ما يلف على المعصرة من كل جانب أربع طاقات، وإن زاد على هذا العدد كان أقلّ تبعاً على الصانع. وإذا كان الحبل طاقتين من كل جانب احتجت أن تقتل المروان فيه دفعات كثيرة، وإن كان أربع طاقات كان فتلك فيه أقل من ثماني مرات. والمروان طوله بطول الإصبع، ويكون رقيقاً ليناً سلساً.

ب- معصرة المغازل التي يسميها المجلدون والنجارون لحم سليمان، ويسميها الروم الكحلون، وأهل العراق كلهم يستعملونها.

9- والمساطر، وأجود ما تكون من الأبنوس ومن البَقَس. فأما التي للرسم والتحبير والتكحيل فلا بأس أن تكون من هذين الجنسين. وأما مسطرة الشغل فينبغي أن تكون من خشب الصفصاف. ومسطرة الرسم يجب أن تكون طويلة جيدة الجسم لا ثخينة ولا رقيقة. ومسطرة التحبير تكون رقيقة جداً، لأنها تمشي تحت الإصبعين. وأما مسطرة التكحيل فينبغي أن تكون مثل ذلك في الرقة والخفة. وأما مسطرة الريح فهي التي يُصنع بها الجلد، والتصنيع إخراج الريح والتشنج والعوج من الجلد وإقامته على

الاستواء، فيجب أن تكون ثخينة جداً، ويكون طولها شبراً، وتكون من الخشب السنديان الجيد، وتكون مربعة دقيقة الحروف حتى إذا مرت على الجلد عدلته.

10- والنصاب يعمل من السنديان ومن البقس ومن العاج، وأجودها السنديان.

11- والبيكار إن كان حديداً فيجب أن يكون خفيف البدن رقيق الساقين لتدق خطوطه، وإن كان خشبياً فيجب أن يكون مثل ذلك. ويكون صحيح المسمار، وتمتحن صحته أن يفتح قليلاً ثم يغلق فإن هو انطبق ولم يتغير فهو صحيح. ويجب أن يستعمل في رأسه الواحد قرص لشد القلم.

12-18- ثم الملزم، والحديد الذي للنقش وهو الختم، ثم اللوزة، والصدر ويسمى صدر الباز والخالدي، والنقطة المدورة، والصقال، فهذا يسمى دست، ثم الصقال الدقيق، والمناقيش المختلفة، ثم نُقَطُ النقش.

وآداب المجلد سرعة الفهم، وجودة النظر وحدته، وخفة اليد، وترك السرعة، والتثبت والتأني، وحسن الجلوس، وملاحة الاستمالة، وحسن الخلق.

وأحسن الجلود ما كان صافياً، مليح اللون، جيد الدباغ لينا، وهي أنواع، منها الجلود اليمانية، وجلود الطائف، والجلود البلدية، وكلها تدبغ بالقرظ والماء المالح، وأما جلود مصر فتدبغ بالقرظ اليماني والعفص والماء الحلو.

وإذا كان الجلد غير جيد غسل في الحمام، وما دبغ منه بالماء المالح ينقى بالماء الحار المالح، ويغسل بعد ذلك بالماء الحلو، وما دبغ بالماء الحلو ينقى به، وتُحَكَّ عصفه وقرظه بشقفة، وتعصره جيداً، ثم تقلبه وتنشفه، وتقطع كوارعه، وتفصله على قدر ما تريد بأن تبسطه على البلاطة وتمسحه بالمسطرة التي ذكرنا، فإذا انصقل فابشره بالشفرة وقد قارب الجفاف، ثم اغسله حتى يخرج ماؤه صافياً نقياً، فإذا رأيته يتقطّع الماء على وجهه فاعلم أنه زائد الدهن، فخذ عفصاً مطحوناً فألق على كل طاق منه أوقيتين، وهو أن تبسط القطعة بين يديك وتنشر العفص على جميعها وهي مبلولة، وتردّ بعضها على بعض، وترده إلى قصيرة يكون فيها ماء، يغمر ما وضعته فيها وزيادة، وتثقله بشيء حتى لا يذهب، وتبيته فيه ليلة أو يوماً إلى العشاء، ثم تخرجه من الماء وتعركه عركاً جيداً، فإذا قدرت على شيء من نخالة فهو أبلغ. وإن كان أديماً ناقص الدباغ أسود اللون حسن الملمس فافعل به كما فعلت بالدهني فهو جيد له.

وإذا كان الجلد يعمل منقوشاً فتلقاه سلساً خفيف الوزن، وهو أن يكون دون المن، جيد الدباغ، وإن كان ساذجاً كان وزنه مناً، ويكون محبب الوجه. فإذا كان على هذه الصفة فاغسله في موضع نظيف، واحذر أن يصيبه شيء يسودّه مثل حديد أو مسمار فيسودّ موضعه.

وتصبغ الجلود، فيخرج منها الأحمر، والأصفر، والنارنجي، الأخضر، والعكر.

وأما كيفية التجليد فأول ما تبدأ به أن تضع الجزء بذاك على البلاطة؛ تضعه على شمالك ثم تشيل أول كراسة، فتجعلها في يدك اليسرى، وتفتحها بإصبع يدك اليمنى، ثم تضعها على البلاطة المفتوحة، ثم تمر عليها بالنصاب وهو وسطها بموضع يقع فيه حرم الخيط، ثم تطبقها وترفع عليها ورق البطاين وهي ورقتان، فورقة تكون في الجلد، وأخرى تكون باقية على الكرايس لتصون الكتاب من الأذى والوسخ. ثم تفعل ذلك بسائر الكرايس حتى تأتي على آخرها. فإذا فرغت من ذلك فتلت خيطاً للخرم، ويكون على طاقات على قدر رقة الخيط وغلظه. والأجود أن يكون الخيط رقيقاً جيد الفتل؛ لأنه إذا كان غليظاً أفسد الجزء، ولأنه يدور في كل كراسة فيصير له جزم، فإذا غلظ وشددت الكتاب وقعت المعصرة على طرف الخيط، ويبقى الكتاب مسبباً لا يقع عليه شد. فإذا حرمت الجزء فشده بخيط، ثم دق الموضع المخروم بالنصاب، ثم ضعه بين ركبتيك، وخذ فردة المعصرة فضعها على ركبتيك الشمال، ثم خذ الفردة الأخرى وضعها على ركبتيك اليمنى، والكتاب في وسط بين ركبتيك، ثم خذ طرف الخيط فضعه في يدك اليسرى وأدرعه في المعصرة حتى تفرغ، ثم اعقد طرفيه، ثم أنزله من بين ركبتيك وهو في المعصرة، وضعه على البلاطة - أعني أسفل الكتاب -، ثم دق أطراف الورق بالنصاب حتى يعتدل كل، وتصير أطرافه ووسطه شيئاً واحداً، ثم تشيله على ركبتيك، ثم تأخذ العودين اللذين يسميان الموازين فتشدهما شداً خفيفاً، ثم تذيب الأشراس بأن تأخذ قدراً صغيرة فتصب فيها الماء قليلاً، وتذر فيها شيئاً من الأشراس، وتضربه، وتحرك الأشراس بإصبعك الوسطى من يدك اليمنى ويكون سلساً لا يكون شديداً إن كان صيفاً، وإن كان شتاءً فينبغي أن يكون له شدة وذلك لسرعة جفافه. ثم تأخذ ورقة ورقة فتطويها وتقطعها في الوسط، ويكون كل نصف منها على وسع أسفل الجزء وأزيد منه بإصبعين، ثم تأخذ الأشراس بإصبعك الوسطى، وباقي أصابعك مغلفة، فتلطيخ بها أسفل الجزء لطخاً رقيقاً على الكتاب بحيث لا يقع شيء منها، ثم تطبق ورقة من الورق ويكون فاضلها إلى الجانب الواحد، ثم تلطيخ فوقها، ثم تضع الأخرى فوقها مخالفة، ليقع فاضلها من الجانب الآخر، ثم تضع عليها ورقة وتمسكها بيسارك وتصل عليها لأنك إذا وضعت النصاب على الورق المبلول قلعه وأفسده. فإذا فعلت ذلك تركته في الهواء، وإن شئت في الشمس، وإن كان ثم عجلة فدعه بقرب نار لينة ولا تعلقه حتى يجف جفافاً مستوياً وإلا انقلب عليك فاحذر ذلك.

ويجب أن تكون قد أخذت قَدْر الكتاب قبل إنزالك له في المعصرة، فتضع القَدْر حذاك على البلاطة، وتلطّخه بأشراس كما وصفت لك، ثم تطبق عليه ورقة أخرى وتترك فوقه ورقة، وتمسح الورقة ثم تعدلها بالنصاب، ثم تطبق أخرى على قدر ما يصلح. أما العراقيون فإنهم يلزقون الكتاب بورقة منه بلا هذه البطائن وتسمى التقاوى. ورأى قوم آخرون عملها وذلك أنها تصون الكتاب وأن مثلها كمثّل الثوب والتخت.

فإذا جف الجزء وجفت التقاوى، فأخرج الجزء من المعصرة برفق، ودعه على البلاطة واعطف الورقتين الفاضلتين عليه، ثم اعمد إلى التقاوى فاصقلها صقلًا جيدًا، ثم ضع المسطرة على حافتها، ثم خط خطأ. وقصّه بالمقص والصقها على الجزء بأن تشيل الورقة التي لزقتها أسفله، وتضع التقوية على الكتاب فيحيء طرفها مع الذي قصصته أسفل الجزء، ثم تلصقها. فإذا لصقتها من الجانبين أخذت ورقة قليلة العرض ويكون عرضها إصبعين، فتلصقها عليه من الجانب الآخر ليمنعه أن ينفتح. فإذا بلغ إلى هذا الحد فصلّت عليه الجلد.

الخاتمة

لم يصنف في صناعة الكتاب المخطوط في الفترة الزيرية مثل "عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب"، فيه صفة الخط والأقلام، والمداد والليق والحبر، والأصباغ، وآلة التجليد، وينسب للأمر الصنهاجي المعز بن باديس.

وفيه من الأقلام الجلييلة قلم الطومار، وقلم الرياس، وقلم الثلثين، وقلم النصف، وقلم الثلث. وفيه مما دونها خفيف الثلثين، وصغير النصف، والوشي المنمنم، وغبار الحلبة، وخط المؤامرات، وخط السجلات، وخط الحرم. والقلم يتخذ غالباً من الأنابيب، وقد يتخذ من النحاس. وأحسنه المعتدل في الدقة والغلظ والطول والقصر والتحريف والاستواء. وللصبغ والرسم قلم الريش، وقلم الشعر. وهناك ثلاث صفات لتوشية الأقلام ونقشها. ومن آلاتها سكين البري، وسكين القط، والمقط، والدواة.

وفي الكتاب من الأحبار والأمدّة، أربعة عشر نوعاً من المداد، وثمان وعشرون صفة لإعدادها. وللأحبار السود ست وعشرون صفة، ومنها: حبر العامة، وحبر الهليلج، وحبر الأسفار، والحبر الذرور، وحبر المصاحف، وحبر الدفاتر. وللأحبار الملونة تسع وعشرون صفة، ومن ألوانها الأحمر، والأصفر، والأخضر، والذهبي، والياقوتي، والأزرق الطاووسي، والوردي، والفسقي، والخمري، والريحاني، والأبيض، والأسود. وللكتابة بالذهب ست صفات، وللكتابة بالفضة أربع، وصفة واحدة للكتابة بالنحاس.

وأما الأوراق والكواغد فمنها خاصة الكاغد الطلحي، وصفة عمله وسقيه وتعتيقه، ومنها عرضا الرقوق، والثياب، والقراطيس، والصحائف، والورق. وتصنع منها المصاحف، والسجلات، والكراريس، والدفاتر.

ومن آلات صناعة التجليد البلاطة، والمسن، والشفرة، والمقص، والكاذن، والنصاب، والبيكار، والملزم، والختم، واللوزة، والصدر، والنقطة المدورة، والصقال، والصقال الدقيق، والمناقيش، ونُقَطَ النقش، والسيف، والإبر للخرم، وللحباك، والمعصرة نوعان: ذات الحبل، ومعصرة المغازل، والمساطر للشغل، والرسم، والتحبير، والتكحيل، والريح.

ومن صفة الجلود الجيدة صفاء اللون وملاحظته، وجودة الدباغ، ولين الملمس. منها البلدي، ومنها اليماني، ومنها الطائفي، ومنها المنقوش، ومنها الرديء يغسل، ويشر. ومن ألوان الجلود الأحمر، والأصفر، والنارنجي، الأخضر، والعكر، وهي كسوة الكتب. ومن آداب ملتصق هذه الصناعة سرعة الفهم، وجودة النظر، وخفة اليد، والتثبت، وحسن الجلوس، وحسن الخلق.

المراجع:

1. آثار ابن باديس جمع الدكتور عمار طالبي، ط3، الشركة الجزائرية، 1417هـ = 1997م.
2. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي جمع نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، 1997م.
3. الأعلام لخير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين بيروت، 2002م.
4. أتمودج الزمان في شعراء القيروان لحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية، 1986م.
5. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت 1965م.
6. تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، ط2، دار المعارف بالقاهرة.
7. تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1991م.
8. تحقيق النصوص ونشرها لمحمد عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1418هـ-1998م.
9. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق محمد عبد السلام هارون، الدار المصرية لتأليف والترجمة، 1976م

10. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاکر. مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
11. جامع الخط العربي لفوزي سالم عفيفي، ط1، دار الكتاب العربي بدمشق، 1416هـ-1996م.
12. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة ببيروت، 1422هـ.
13. الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق لعمر أبا ومحمد المغراوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 2007م.
14. دراسات مقارنة للسلمات الفنية في خط الثلث عند ابن البواب والخطاطين الأتراك رسالة ماجستير للدارس مختار عالم مفيض الرحمن، مخطوطة بجامعة أم القرى، 1422هـ-2001م.
15. الدولة الصنهاجية للهادي روجي إدريس، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
16. الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة لأبي اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني، تحقيق الدكتور يوسف محمد فتحي، دار الطلائع بالقاهرة، 2005م.
17. الزاهر في معاني كلمات الناس تأليف أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د حاتم الضامن، ط1، مؤسسة الرسالة ببيروت، 1422هـ-1992م.
18. سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة ، ط3، 1405هـ.
19. صبح الأعشى في صناعة الإنشا تأليف أبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1340هـ، 1922م.
20. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، 1404هـ-1984م.
21. صناعة الكتاب لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق أحمد بدر ضيف، ط1، دار العلوم العربية ببيروت، 1410هـ-1990م.
22. عدد خاص في الخط العربي، مجلة المورد المجلد 15، العدد 4، دار الشؤون الثقافية بالعراق، 1986م.
23. علم الاكتناه العربي الإسلامي للدكتور قاسم السامرائي، ط1، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، 1422هـ-2001م.

24. عمدة الكتاب لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي، تحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل، دار الفضيلة بالقاهرة.
25. عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق الدكتور عبد الستار الحلوجي، وعلى عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 17، ط2، 1417هـ.
26. عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، منشورات مجمع البحوث الإسلامية بإيران، 1409هـ.
27. عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، مخطوطة المكتبة الزهرية.
28. عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز.
29. عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، مخطوطة جامعة كاليفورنية.
30. عناية المحدثين بتوثيق النصوص وأثر ذلك في تحقيق المخطوطات للدكتور احمد نور سيف، دار المامون للتراث بدمشق 1407هـ-1987م.
31. الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، 1430هـ-2009م
32. القاموس المحيط لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي، تحقيق مكتب أحياء التراث بمؤسسة الرسالة، ط3، 1430هـ-2009م.
33. كتاب الألفاظ الفارسية المعربة تأليف السيد أدى شير، دار العرب ببيروت، 1987-1988م.
34. كتاب التيسير في صناعة التفسير لبكر بن إبراهيم الإشبيلي، تحقيق عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد 7 و8، 1959-1960م.
35. كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.
36. كتاب جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، 1987م.
37. الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، لأبي القاسم عبد بن عبد العزيز البغدادي، تحقيق هلال ناجي، مجلة المورد، المجلد2، العدد2، 1392م.
38. الكشف والبيان المسمى تفسير الثعلبي لأبي إسحاق أحمد الثعلبي، تحقيق أبي محمد بن عاشور، ط1، دار الحياة للتراث العربي ببيروت، 1422هـ-2002م.
39. لسان العرب لأبي الفضل محمد بن المكرم بن منظور، دار المعارف بالقاهرة، 1981م.

40. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، 1958-1973م.
41. المخترع في فنون من الصنع تأليف الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول، تحقيق د. محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1989م.
42. المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، دار الكتب العلمية.
43. المخطوط العربي وعلم المخطوطات لمحمد شوقي بنين، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1994م.
44. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي للدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1405هـ-1985م.
45. المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالعربي العربي لفرنسوا ديروش، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، 1426هـ-2005م.
46. مدخل إلى علم المخطوط لجاك لومير، ترجمة مصطفى طوي، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، 2006.
47. المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، ط1، دار الحرمين بمصر، 1417هـ-1997م.
48. مسند أبي بكر أحمد بن عمرو البزار المسمى البحر الزخار، ط1، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، 1409هـ.
49. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ط1، طبعة مؤسسة الرسالة، 1421هـ.
50. مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، دار الحديث بالقاهرة، 1995م.
51. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الرسالة العالمية بسورية، 2010م.
52. معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1349هـ.
53. معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، 1989م.
54. معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر، عالم الكتب بالقاهرة، 2008م.
55. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.
56. معجم مصطلحات الخط العربي للدكتور عفيف البهنسي، مكتبة لبنان، 1995م.

57. معجم مصطلحات المخطوط العربي لأحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، 2003م.
58. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.
59. المغرب في ترتيب المغرب لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة أسامة بن زيد بحلب، 1399هـ-1979م.
60. نحو علم مخطوطات عربي للدكتور عبد الستار الحلوجي، دار القاهرة، 2004م.

دراسة في منهج " كشف اللثام على شواهد ابن هشام" لعبد القادر المجاوي

أ.علي بوشاقور

جامعة الشلف

مقدمة:

يعود اهتمامي بموضوع البحث في إسهامات الجزائريين في اللغة إلى سنة 1996 حينما كنت طالبا في قسم الماجستير في "مشروع التراث اللغوي في الجزائر" وصاحبه الأستاذ الدكتور مختار بوعناني ، ومنذ هذه السنة انطلقت في مسار البحث عن المؤلفين الجزائريين الذين كتبوا في اللغة، فقد عثرت على أول مخطوط لمحمد بن أحمد في شرح الآجرومية ، وقدمته محققا ومدرسا لنيل شهادة الماجستير من جامعة وهران سنة 2003. ويرجع هذا المخطوط إلى العهد العثماني.

أملك حاليا خمسة عشر مؤلفا مخطوطا في اللغة لمؤلفين جزائريين كلهم عاشوا فترة الاحتلال الفرنسي، وفضلت أن أشارك بمدخله عنوانها " دراسة في منهجية ' كشف اللثام على شواهد ابن هشام' لعبد القادر المجاوي.

وتشمل المداخلة مسألتين:

أ- التعريف بعبد القادر المجاوي التلمساني

حياته: ولد عبد القادر المجاوي في تلمسان بالغرب الجزائري سنة 1267هـ من أب يدعى محمد بن عبد الكريم ⁽¹⁾، وبعد دراسته في مسقط رأسه انتقل لمتابعتها في المغرب الأقصى، في كل من فاس وطنجة وجامع القرويين على الخصوص، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1292هـ، وقد أدى فريضة الحج ليولّي التدريس أولا في قسنطينة حيث أقام، وتزوج فيها وأنجب، وعلم في كلّ من جامع الكتّاني ابتداء من سنة 1292هـ، والمدرسة الحكومية سنة 1295هـ، بالإضافة إلى نشاطه خارج عمله الرسمي كمدرس ومحاضر في المدارس الحرة والمساجد، كالمسجد الأخضر، فأحدث تأثيرا قويا في الأوساط الفكرية والشعبية، بدروسه، ومحاضراته العامة. أمّا دروسه الرسمية فقد تنوّعت في المنطق والبيان، والمعاني، واللغة، والنحو،

¹ - تعريف الخلف برجال السلف. الحفناوي ج2 ص197.

والفلك، ويبدوا أنّه مما كان يدرّسه في الفلك منظومة محمد بن يحيى بن أحمد السّوسي المرغيني وشرحها، و في سنة 1315هـ (1898م) انتقل الجّاوي إلى العاصمة للتّدريس في مدرستها العليا (مدرسة الثّعالبي) كما عُيّن إماما خطيبا بجامع (سيدي رمضان) بالعاصمة سنة 1326هـ وبقي في قَمّة نشاطه: إماما قديرا، وأستاذا متمكّنا ومؤلّفا نشيطا، ورجل إصلاح في جميع الحالات.

وقد تخرّج عليه في التّدريس كثير مثل: (حمدان الويّسي) و(أحمد الجيّاني) و (المولود بن الموهوب) (1) وهم من الذين كان لهم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية، والفكرية.

ثقافته وإسهاماته:

اتّسم عبد القادر الجّاوي بالموسوعيّة في الثّقافة، وقد وصفه الأستاذ سعد الدين ابن أبي بصاحب المعرفة الواسعة، فقد كان متمكّنا من ناصيّة اللغة، فقيها، متضلّعا، مشاركا في كثير من العلوم، ومنها علم الكلام، وعلم الاقتصاد السياسي، وعلم التّربية، وعلم البيئّة، عكف على التّدريس فتخرّج على يده مجموعة من التّلاميذ، أصبحوا بدورهم أساتذة (2).

وقد أسهم إسهاما جيّدا في حدود إمكانيّاته من أجل نهضة ثقافته، كما شارك في إحياء اللغة العربيّة، والعلوم الإسلاميّة، وبذل جهدا كبيرا في سبيل ارتقاء مستوى الجزائر الثّقافي حسب اتّجاهات جيله الشّريف.

وقد كان الشّيخ أحد قادة الإصلاح في الكتلة المحافظة، وكان يتمتّع بشعبيّة واحترام كبيرين بين الجزائريّين في وقته، فقد كان أستاذ اللغة العربيّة، والقانون الإسلامي، في المدرسة الجزائريّة الفرنسيّة بالعاصمة، مدّة سنوات كثيرة (3).

وقد أصبح الجّاوي على معرفة كبيرة وعميقة بالمجتمع الجزائري، والعالم الإسلامي، وقد كانت معظم كتاباته موجّهة ضدّ الآفات الاجتماعية، والخرافات والعادات القديمة.

وفاته:

¹ - المصدر نفسه ج2 ص449.

² - النهضة العربيّة الحديثة مجلة كلية الآداب العدد الأول ص57.

³ - الحركة الوطنية الجزائرية: أبو القاسم سعد الله دار الآداب ط1 ص172.

وقد توفيّ الأستاذ عبد القادر الجّاوي بقسنطينة في 6 أكتوبر 1914م وبها دفن، تاركاً وراءه أثراً طيّباً في بعض شباب تلك الفترة، وشيوخها، كما ترك مؤلّفات اختلفت نوعاً وكمّاً، لكنّها جميعاً جاءت من وحي ما علّم للطلاب، وما تدارس مع تلامذته وزملائه، تجاوزت هذه المؤلّفات خمسة عشر عملاً في اللغة، والنحو، والبلاغة، والدّين، وكذا علم الفلك، وستوفّق عند بعض منها.

مؤلفاته:

1- "إرشاد المتعلّمين": وهو كتاب في اللغة، والنحو، والبلاغة، طبع بمصر وقدّم له في الصفحة الأولى أحد المثقّفين السورّيّين في مصر بقوله: "قد اطّلت من هذا الكتاب على ألفاظ رفيعة، ومعاني رشيقة، وآداب فائقة، وحكم راقية تدلّ على ما لمؤلفه من البراعة التامة، والمعرفة العامة، وتشهد له بخلوص النية، وحسن الطويّة، وقد أدى واجبه في نصّح المسلمين، وإرشاد المتعلّمين".

أما الفصل الأوّل في علوم اللسان، وبعد المقدّمة من هذا الكتاب فإنّ الجّاوي يبدأ بقوله: "إنّ اللغة العربيّة هي أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها، وفضلها عن غيرها، يشهد لها كل من يعرفها، ولو كان أعجميّاً، فهي أفصح اللغات منطقاً وبياناً، وأكثرها تصرّفاً في أساليب الكلام، وأقبلها تفنّناً في النّثر، والنّظم، قد ملأها الله من الآداب، والحكم فنالت من الأمثال القديمة والحديثيّة ما لم ينله غيرها"¹).

2- "نصيحة المريدين": وهي رسالة توجيهيّة نشرت في تونس.

3- "شرح شواهد ابن هشام": وهو كتاب في النّحو واللغة والأدب، طبع في قسنطينة.

4- "شرح اللامية الجردية في المسائل النّحويّة": نشرها بعناية سنة 1894.

5- "الدّرر البهيّة على اللامية الجردية في الجمل": وهي شرح مختصر عن سابقه في 64 صفحة.

6- "نزهة الطّرف في المعاني والصّرف": 37 صفحة.

7- "الدّرر النّحوية على المنظومة الشبراوية": في اللغة والنّحو 57 صفحة.

8- "شرح الجمل النّحوية": وهي الجمل المعروفة بالكبرى والصغرى.

9- "الإفادة لمن يطلب الاستفادة" يضم مسائل فقهية وبلاغية في 64 صفحة.

¹ -مجلة الثقافة السنة الثامنة العدد 48 ص 116.

10- "شرح منظومة البدع": وهي منظومة أخلاقية إصلاحية من تأليف تلميذه المولود بن الموهوب، شرحها الأستاذ تشجيعاً لتلميذه، وتقديراً له وإعجاباً به.

11- "القواعد الكلامية": هذا الكتاب من أكثر كتبه غزارة وأهمية استغرق 157 صفحة يقول المؤلف في تقديمه: (أمست الحاجة إلى تأليف رسالة في علم التوحيد تكون سهلة المأخذ قليلة الكلفة).

12- "كتيب": شرح فيه منهج تعلّم النحو، وهو منهج تعليمي يجمع بين الدين الإسلامي، واللغة العربية والعلوم الحديثة، نشر ملخصة في جريدة "المبشر" وقد سمّته الصحافة الفرنسية "كتاب شر" un livre nuisible جريدة "البرقري دو لاست" progres de l'est (1).

ب- دراسة في منهج "كشف اللثام على شواهد ابن هشام" لعبد القادر المجاوي

عنوان الكتاب

لقد ذكر المجاوي أنّه هو الذي سمّى كتابه حيث قال: «كشف اللثام عن شواهد قطر بن هشام نسأل الله أن يحصّله خالصاً لوجهه الكريم» (2) إلا أنّ العنوان الموجود على الغلاف قد أسقط لفظ "قطر" فقد ورد كالاتي: «كشف اللثام على شواهد ابن هشام» (3) فلا فرق إذن بين تسميته وتسميته المطبعة، فهما عنوانان لكتاب واحد.

الغرض من تأليف الكتاب

يبدو من خلال اطلاعي على مصنف "كشف اللثام على شواهد ابن هشام" أنّه كُتب نزولاً عند رغبة بعض المحبّين للمعرفة والإطلاع، وهذا ما استنتجته ممّا قاله المجاوي، وهذا نصّه: «سألني بعض الفضلاء المجتهدين أن أضع شرحاً مختصراً على شواهد قطر النّدى، نافعا للمبتدئين، فأجبته بعد الإلحاح، وإن كنت لست أهلاً لأن أسلك تلك المسالك لقصور همّتي، وجمود قريحتي، لكن حملي على ذلك التّشبه بأهل الفضل والصّلاح، إذ التّشبه بأهل الخير فيه نجاح» (4).

¹ -مجلة الثقافة العدد 46-1478 ص61.

² - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص2.

³ - المصدر نفسه الصفحة الأولى.

⁴ - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص2.

كما أستنتج من خلال ما قال، تواضعه الشديد، والتواضع سمة العلماء، وقد أجزه لإفادة الطلاب كما ذكر المصنّف نفسه.

منهج شرح المجاوي

لم يلتزم المجاوي بمنهج موحد خلال شرحه، فأحيانا كان يذكر النظم أي الشاهد النحوي، ثم يذكر صاحبه، ويشرح شرحا لغويًا، وصرفيًا، ثم يبيّن محلّ الشاهد والباعث على إنشاء البيت، ثم يعرب الشاهد النحوي، وأحيانا يذكر الشاهد النحوي، ثم صاحب البيت والإعراب، ثم يبيّن محلّ الشاهد، وأحيانا أخرى يذكر الشاهد النحوي أي النظم، ثم صاحب البيت، ثم الشاهد، ثم الإعراب، ونسوق في هذا الإطار عدّة أمثلة على المنهج الذي اتّبعه المجاوي:

المثال الأوّل

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ ۖ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

البيت لجرير ابن مصعب، وحذام اسم امرأة مأخوذ من الحذم، وهو القطع، وقال مشتقّ من القول، وهو اللفظ الدال على معنى، وصدّقوها مشتقّ من الصّدق وهي مطابقة الخبر للواقع وافق الاعتقاد أم لا، والشاهد فيه بناء "حذام" على الكسر في الموضعين مع كونه فاعلا، والباعث في إنشاء الشاعر لهذا البيت هو ما حكاه... الإعراب... (1)

إذن ألاحظ أنّ المجاوي ذكر النظم، ثم شرحه شرحا لغويًا، وصرفيًا، وبلاغيًا، ثم بيّن الباعث على قول البيت، ثمّ في الأخير أعرب الشاهد.

المثال الثاني:

وقد يذكر أحيانا الشاهد في الأوّل، ثمّ المعنى من الشاهد، ثمّ الإعراب، وهذا ما أجده في النموذج الآتي:

ومن قبل نادى كلّ مولى غرابة فقد عطفت مولى عليه العواطف

الشاهد في هذا البيت قوله: "ومن قبل" حيث حذف منه المضاف إليه، والتقدير ومن قبل ذلك، والمعنى ونادى كلّ بني عمّ قرابته من قبل وقوع الحرب فما عطفت العواطف عليه، بل تركوه من غير معين الإعراب... (2).

¹ - المصدر نفسه ص 3، 4.

² - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 8.

وقد يذكر أحيانا الشاهد، ثم القائل، ثم الشرح الصرّفي، ثم المعنى، ثم الإعراب وهذا ما أجده فيما يأتي:

عجائز مثل السعالِ خمّسًا يأْكُلْنَ ما في رَحْلِهِنَّ هَمّسًا

قائله مجهول، والعجائز: جمع عجوز، وهي المسنة من النساء، والسعال جمع سعالات الأنثى من الجن، وقيل هي ساحرة الجن، وقيل هي الفاجرة، وفي الصحاح السعالات أخصت الغيلان، والمعنى أنّه رأى هؤلاء العجائز فتعجب من أكلهنّ وشبههنّ بالسعال... الإعراب... (1).

وما أستنتجه هنا أنّ المجّاوي لم يلتزم بشكل واحد في التعرّض للشواهد، كما كان أحيانا يذكر بحر الشاهد، ثم صاحبه، ثم الشرح ثم معنى البيت ثم الإعراب (2).

وأحيانا أخرى يذكر قائل الشاهد، ثم البحر، ثم الشاهد، ثم الإعراب (3).

وبعد اطلاعي جيدا على الكتاب لاحظت أنّه لكي يطّلع القارئ على منهج "كشف اللثام" لابدّ له من الاطلاع على مجموعة من العناصر أراها ضرورية وهي: تنظيم الشرح وتبويبه - الضبط بالعبارة - الضبط بالوزن الصرّفي - شرح المفردات - التعريف بأصحاب الشواهد - الإحالة على العلماء - الإحالة إلى ما سبق - الإحالة على لغة بعض العرب - موقف شرح الشواهد من مسائل الخلاف - عدم التكرار - الرموز المستعملة - الشواهد القرآنية - الاستشهاد بالحديث الشريف - الشواهد الشعرية - المنظومات التحوية - مصادر الشروح.

تنظيم الشرح وتبويبه في كشف اللثام على شواهد ابن هشام

يمكن توضيح تنظيم الشرح، وتبويبه عند المجّاوي من خلال ذكر العناصر الآتية:

عرض الشاهد

يذكر قبل الشاهد لفظ "قوله" ثم يعرض الشاهد الشعري.

ذكر قائل الشاهد وبحره

يذكر المجّاوي صاحب البيت ومثاله كالآتي:

¹ - المصدر نفسه ص 7.

² - يراجع المصدر نفسه ص 9.

³ - يراجع المصدر نفسه ص 11.

قوله:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تُخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ
قائله زهير (1).

وكان أحيانا يذكر قائل البيت، ويعرّف به كما في الآتي:

قوله:

إِذَا وَاللَّهِ نَزَمِيهِمْ بِحَرْبٍ يَشِيبُ الطُّفْلُ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيبِ

قائله حسان ابن ثابت ابن المنذر الخزرجي الأنصاري ويكنى أبا الوليد توفي رضي الله عنه سنة أربعين في خلافة علي رضي الله عنه والبيت من الوافر (2)

الشرح اللغوي

كان المجاوي بعد ذكر قائل البيت، والتعريف بصاحبه، يشرح بعض ألفاظ الشاهد شرحا لغويا وأجد هذا في الآتي:

وَلُبِسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

قال: ولبس بضم اللام، والعباءة بفتح العين المهملة والباء الموحدة، كساء غليظ من صوف، والقرّ الفرح والسرور، والشفوف بضم السين المعجمة وضم الفاء أيضا اللباس الرقيق (3).

معنى البيت

وبعد ذكر الشرح اللغوي، كان المجاوي يذكر معنى البيت، أجد هذا في المثال الآتي: والمعنى لبس كساء غليظ من صوف مع قرور عيني وفرحها إلي من لبس الثياب (4).

ذكر محلّ الشاهد

¹ - يراجع كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 11

² - يراجع المصدر نفسه ص 12، 13

³ - المصدر نفسه ص، 15

⁴ - يراجع المصدر نفسه والصفحة نفسها

والجّاوي بعد ذكره للشرح اللغوي ومعنى الشّاهد يذكر محلّ الشّاهد كالاتي: والشّاهد في قوله " وتقرّ عيني
" نصبه، أي تقرّ، بأن مضمرة
جوازا لوقوعه بعد واو العطف (1).

إعراب البيت

بعد ذكر محلّ الشّاهد يعرب الجّاوي الشّاهد بعد لفظ " الإعراب " أجد هذا في الآتي: الإعراب: لبس
مبتدأ، عباءة مضاف إليه، وتقرّ الواو عاطفة، تقرّ منصوب بأن مضمرة بعد واو العطف جوازا، عيني
فاعل أحبّ خبر، وإليّ جار ومجرور ومن لبس جار ومجرور ، والشّفوف مضاف ليه (2).
ولم يلتزم الجّاوي بهذه المراحل في شرحه إذ كان أحيانا يذكر الشّاهد ، ثم محلّ الشّاهد ثمّ الشّرح اللغوي،
ثمّ معنى الشّاهد ، ثمّ الإعراب (3).

الضّبط في كشف اللثام

أجد في شروح الشّواهد عدّة أنماط للضّبط، أوردتها فيما يأتي:

- الضّبط بالعبارة

لجأ الجّاوي إلى الضّبط بالعبارة في الكثير من الأحيان ومن ذلك ما يأتي:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ
أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ
البيت لابن هاني وهو أبو نُؤاسٍ بَضَمَ التّون، وتخفيف الواو (4).

الضّبط بالوزن الصّرفي

استعمل الجّاوي الضّبط بالوزن الصّرفي في الكثير من الأحيان، ومن ذلك ما يأتي:

رَبِّ وَقَفِّي فَلَا أَعْدِلَ عَنْ
سُنَنِ السَّاعِينَ فِي خَيْرِ سُنَنِ

¹ - يراجع المصدر نفسه والصفحة نفسها

² - يراجع المصدر نفسه والصفحة نفسها

³ - يراجع كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص22، 23.

⁴ - المصدر نفسه ص33

البيت من الرّمل و"رَبّ" قال ابن جزر في تفسيره وزنه فعل: بكسر العين، ثم ادغم، ومعانيه أربعة: السيد، والملك، والإله، والمصلح، وقال خالد الأزهرى: هو اسم فاعل وأصله رابب فحذفت الألف تخفيفاً⁽¹⁾.

شرح المفردات في كشف اللثام

لقد اهتم أصحاب الشّروح بشرح المفردات، واتّخذ أشكالا أذكرها فيما يأتي:

الشّرح اللّغوي

كان المجّاوي يشرح الشّرح اللّغوي لكلّ الشّواهد النّحويّة تقريباً، فيأخذ منها بعض المفردات الصّعبة، ويشرحها شرحاً لغوياً، وهذا ما أجده فيما يأتي:

« وَكُنْتُ إِذَا عَمَزْتُ قَنَاءَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمَا »

قاله زياد بن الأعجم، وسمّي بالأعجم للكنة لسانه، والبيت من الوافر، والغمز الغمر، والقناة الرّمح، وكعوب الرّمح التّواكيز في أطراف الأنابيب⁽²⁾.

الشّرح الصّرفي

كان المجّاوي أحياناً كثيرة يشرح الشّرح الصّرفي لبعض المفردات للشّاهد الشعري، ومن هذا ما يأتي:

« يا نائقٍ سيري غنفاً فسيحاً إلى سليمانَ فنستريحاً »

قاله أبو النّجم العجلي، والنّاقة أنثى الإبل، وأصله نوقة، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، والعنق اسم لسير الإبل، وهو سير مسرع تُحْضِرُك فيه الإبل أعناقها⁽³⁾.

التّعريف بأصحاب الشّواهد النّحويّة في كشف اللثام

كان المجّاوي أحياناً يعرف بأصحاب الشّواهد النّحويّة، وهذا ما أجده فيما يأتي: «قائله⁽¹⁾ حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، ويكنّى أبا الوليد توفيّ رضي الله عنه سنة أربعين في خلافة علي رضي الله عنه⁽²⁾».

¹ - المصدر نفسه ص 17، 18 .

² - المصدر نفسه ص 17.

³ - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 17

وكذلك أجد اهتمامه للتعريف فيما يأتي:

البيت (3) لميسون الكلالية مرضعة السيد معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه وهي أم ابنة اليزيد (4).

أما عبد السلام فلم يعرف بأصحاب الشواهد.

الإحالة على العلماء في كشف اللثام

كان المجاوي أحيانا يذكر المسائل النحوية مع نسبتها إلى أصحابها، وهذا ما أجده فيما يأتي: «الإعراب (5) إذا حرف جواب وجزاء عند سيويه، وقال الشلوبين: هي كذلك في كل موضع، وقال الفارسي: في الأكثر (6)».

وهذا ما أجده أيضا فيما يأتي: «ثم إذا استعمل في القسم (لفظ لعمرك) فالمراد به الحياة قال الزجاجي: من قال لعمرك كأنه حلف ببقاء الله (7)».

الإحالة إلى ما سبق في "كشف اللثام على شواهد ابن هشام"

كان المجاوي في حالات قليلة يحاول تجنب التكرار، ولا يعيد المسألة التي سبق تناولها، ويحيل عليها، وهذا ما أجده فيما يأتي:

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتُمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ

البيت من الطويل، وقد سبق الكلام عليه في باب المبتدأ فليراجع هناك (8).

¹ - الضمير يعود على البيت:

إذا والله ترميهم بحرب يشيب الطفل من قبل المشيب.

يراجع كشف اللثام ص 12.

² - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 13/12.

³ - البيت هو:

وليس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

كشف اللثام ص 14.

⁴ - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 14.

⁵ - إذا والله ترميهم بحرب يشيب الطفل قبل المشيب.

يراجع كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 12.

⁶ - المصدر نفسه ص 13.

⁷ - المصدر نفسه ص 9.

⁸ - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص 110.

الإحالة على لغة بعض العرب في كشف اللثام

لقد أحال المجاوي إلى بعض لغات العرب، وهذا ما أجده فيما يأتي:
« وفيه الشاهد حيث بناه (1) على الكسر، على لغة أهل الحجاز » (2).

موقف المجاوي من مسائل الخلاف

كان المجاوي يشير إلى الخلاف دون أن يحدّد العلماء الذين يستشهد بأرائهم، ومن هذا ما أجده في الآتي:

ومهما تَكُنْ عندَ امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإنْ خالها تُخَفَ عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمَ

قائله زهير، وهو من البحر الطويل، والشاهد في "مهما" حيث وقع فيها خلاف بين العلماء، فمنهم من جعلها اسماً، وهو المشهور، ومنهم من جعلها حرفاً، وهو خلاف المشهور (3).

عدم التكرار في شروح الشواهد الشعرية

كان المجاوي في حالات قليلة يحاول تجنّب التكرار، ولا يعيد المسألة التي سبق تناولها، ويحيل عليها، وهذا ما أجده فيما يأتي:

خَلِيلِي مَا وَافٍ بَعْهَدِي أَنْتَمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مِنْ أَقَاطِعُ

البيت من الطويل، وقد سبق الكلام عليه في باب المبتدأ فليراجع هناك (4).

الرموز المستعملة في شروح الشواهد الشعرية

الشواهد القرآنية في كشف اللثام

لم يوظّف المجاوي القرآن الكريم كشاهد نحوي، إنّما وظّف آيات من القرآن قليلة جداً في توضيح معنى شاهد من شواهد ابن هشام فقد صدر الآية بلفظ " قوله تعالى"، وختم الآية بلفظ " الآية " دون

¹ - المقصود لفظ « أمس » .

² - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص6.

³ - يراجع المصدر نفسه ص11

⁴ - المصدر نفسه ص110.

أن يحدّدها ، وهذا ما يتّضح ممّا يأتي: « والمعنى لا تنهى عن فعل القبيح وتفعله أنت، لأنّ في فعل ذلك عار عظيم، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (1) الآية » (2).

وكان أحيانا أخرى يصدّر الآية بلفظ " ومنه قوله تعالى " ومنه ما أجده فيما يأتي: « والسّابغات الدُّرُوع الواسعة ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ ﴾ (3) » (4).

مكانة المخطوط في التراث العربي

أ.سلام أمينة

جامعة الجلفة

الملخص:

تعد المخطوطات من أهم كنوز الحضارة الإنسانية، فهي تعبر من جهة عن ملامح الحضارات القديمة وتعطي الكثير من المعارف للأجيال القادمة من جهة أخرى، لاسيما المخطوطات العربية والإسلامية التي تعتبر من أهم وأرقى المخطوطات في العالم، وهي بالتالي تحتل مكانة هامة في التراث العربي والإسلامي، حيث تناولت العديد من العلوم في شتى المجالات، لذلك تم إطلاق العديد من المبادرات في الدول العربية للحفاظ على هذا التراث القيم لاسيما من خلال الاستفادة من التقانات الحديثة.

مكانة المخطوط في التراث العربي:

إعداد: سلام أمينة

إن تراث أي أمة يتمثل فيما تملكه من تاريخ عريق وحضارة قديمة وآثار ومقتنيات ثقافية قد تتجسد من خلال كتاب أو مخطوط أو نقش قدس يحكي في صمت تاريخ حضارات قديمة ويقدم الكثير للأجيال القادمة، ولا تخفى على أحد أهمية التراث في حياة الشعوب، فالكثير من المعارف الحديثة استلهمت من عناصر التراث القديم، ويمثل المخطوط أحد هذه العناصر مع تميزه بانتشار أوسع وتاريخ أقدم وسهولة في التدوين مقارنة مع غيره من عناصر التراث القديم، إلا أنه في نفس الوقت أكثر هذه العناصر قابلية للتلف نظرا لطبيعة المواد المستخدمة في كتابته والمواد التي يكتب عليها⁵.

¹ - سورة البقرة الآية 44

² - كشف اللثام ص21.

³ - سورة سبأ الآية 11.

⁴ - كشف اللثام على شواهد ابن هشام ص59.

⁵ - مصطفى، السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة: عالم الكتب، 2002، ص15.

ولا شك أن الحضارة العربية الإسلامية من أعرق الحضارات وأرقاها والتي قد خلد التاريخ تراثها القديم، حيث خلفت من الآثار ما يشهد على سمو وازدهار حضارتها المادية والفكرية، ويعد الكتاب العربي المخطوط من أبرز جوانب هذه الحضارة، فقد خلف قدماء العرب ملايين الكتب والمخطوطات في شتى ميادين العلم والثقافة، لكن جزءاً كبيراً من هذا التراث وللأسف ضاع عندما بدأت الدولة الإسلامية تضعف وتتفكك بسبب الفتن والنزاعات الداخلية والحروب¹.

وقد تنبه العرب والمسلمون في السنوات الأخيرة إلى قيمة هذا التراث وعظيم شأنه، ومن ثم برزت جهود ومبادرات عديدة للمحافظة عليه، وذلك باتباع طريقتين أساسيتين، أولاهما جمع هذا التراث المبعثر في مكان واحد ليرجع العلماء إليه، ومن أهم المكاسب المحققة في هذا الإطار تأسيس معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية، وتمثل الطريقة الثانية في فهرسة المخطوطات العربية².

من هنا يتبين أن للمخطوط مكانة بارزة في تراثنا العربي، وفيما يلي عرض لبعض ملامح هذه المكانة وذلك من خلال التطرق لمجموعة من العناصر:

- الإطار المفاهيمي
- مجالات المخطوط العربي
- فهرسة وصيانة المخطوط العربي

أولاً: الإطار المفاهيمي

1- مفهوم المخطوط العربي:

لم يرد لفظ "المخطوط" في المعاجم العربية القديمة، وبالنظر إلى اللغة اللاتينية يتبين أن هناك لفظان أحدهما قديم وهو codex وقد فسر قاموس "كولير" Collier's Dictionary بأنه الكتابة الأثرية القديمة وتعني الكتابة الأثرية على الألواح، أما اللفظ الثاني والأكثر شيوعاً فهو manuscript وبالرجوع إلى قاموس "كولير" فهو يعني الكتاب أو الوثيقة المكتوبة باليد أو بالآلة الكاتبة خاصة قبل عصر الطباعة، أما الكتب العربية الحديثة التي تناولت موضوع المخطوط فقد تضمنت تعريفات مختلفة لمصطلح "المخطوط"، حيث عرفه د. عبد الستار الحلوجي بأنه الكتاب المخطوط بخط عربي سواء كان في شكل لفائف أو صحف تم ضم بعضها إلى بعضها الآخر على هيئة دفاتر أو كراريس، وهو يقصد ما كتب بخط اليد، كما أن هناك من توسع في تعريف المخطوط حيث عرفه د. مصطفى السيد يوسف بأنه

¹ - عبد العزيز، بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياها، الرياض: دار المريخ للنشر، 1999، ص9.

² - صلاح الدين، المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، بيروت: دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، 1976، ص ص9-10.

كل ما كتب بخط اليد سواء كان رسالةً أو وثيقةً أو عهدًا أو كتابًا أو نقشًا على حجر أو رسمًا على قماش، وسواء كان بلغة عربية أو غير عربية¹.

ويذكر المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن المخطوط هو المكتوب بالخط وليس المطبوعة، والمخطوطة النسخة المكتوبة باليد، أما المقصود بلفظ "العربي" فهو نسبة إلى اللغة العربية وليس إلى بلاد العرب، ومنه فإن المقصود بمصطلح المخطوط العربي هو الكتاب المكتوب بخط عربي قبل عصر الطباعة سواء كان في شكل لفائف أو صحف تم ضم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس، ومن يتضح أن هذا التعريف يتضمن أربعة عناصر:

- أن يكون المخطوط كتابا أي أن الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن إطار هذا التعريف
- أن يكون الكتاب مخطوطا باليد أي أن النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة وكذا النسخ المصورة على الفوتوستات أو أي مصغر فيلمي لا تندرج ضمن التعريف المذكور
- أن يكون المخطوط قد كتب قبل عصر الطباعة، أي أن النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة لا ينطبق عليها التعريف المذكور، ويمكن تسميتها "مخطوطات حديثة" لتمييزها عن المخطوطات العربية القديمة
- أن يكون المخطوط مكتوبا بخط عربي دون اعتبار لمكان النسخ ما إذا كان عربيا أم لا².

2- خصائص المخطوط العربي:

وسيتيم في هذا السياق التطرق إلى بعض خصائص المخطوطات العربية التي ظهرت في فترة ما بعد القرن الثاني للهجرة، ذلك أن المخطوطات التي ظهرت قبل ذلك لم يبق منها إلا النذر اليسير وغير المتكامل بحيث يتعذر التعرف على مناهج تدوينها وخصائصها، ومن أبرز السمات التي تميز المخطوط العربي:

- عدم احتوائها على صفحة للعنوان كما هو الشأن فيما يخص الكتب الحديثة، وإنما كان العنوان يرد في بداية أو نهاية المخطوط أو لا يذكر إطلاقا، إلا أن المخطوطات العربية كانت تحوي صفحة أو ورقة بيضاء في مقدمتها، والأرجح أن الهدف منها هو الحفاظ على المخطوط وحمايته

¹ - عبد العزيز، بن محمد المسفر، المرجع السابق، صص 67-69.

² - السيد، السيد النشار، في المخطوطات العربية، الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 1997، صص 5-6.

- تستهل المخطوطات العربية عادةً بالبسملة يليها الحمد، ثم مقدمة من المخطوط تتضمن عادةً توطئة للموضوع، أسباب تأليف المخطوط، عنوان المخطوط، اسم المؤلف، فهرس المحتويات وقائمة المراجع
- تكتب نصوص المخطوطات العربية بالمداد الأسود أما عناوين الفصول والأبواب فكانت تكتب بلون مغاير وغالبًا باللون الأحمر باستثناء المصاحف حيث كانت أسماء السور تكتب عادةً بماء الذهب
- تحتوي المخطوطات العربية على هوامش تستعمل لتدوين بعض التعليقات أو الإضافات أو التصويبات سواء من المؤلف أو الناسخ أو القارئ، وإذا كثر من القراء اعتبر تأليفًا ويسمى "الحاشية"
- لم تتضمن أوراق المخطوطات العربية القديمة تسطيرًا ومع ذلك تميزت بحرص شديد على استقامة السطور في كل الصفحات وتوحيد نسبة التباعد بينها وكذا توحيد عدد السطور في كل الصفحات باستثناء الصفحتين الأولى والأخيرة
- تختلف علامات الترقيم في المخطوطات العربية عنها في الوقت الحاضر وأكثرها استعمالًا الدائرة، إلا أن معظم المخطوطات العربية لم تخضع إلى أي ترقيم وإنما كان يستخدم ما يسمى "التعقيبة" وتعني كتابة أول كلمة في السطر الأول من الصفحات اليسرى في الهامش السفلي للصفحات اليمنى بهدف الحفاظ على انتظام وترتيب الصفحات
- تميزت المخطوطات العربية القديمة بكتابة رموز مختصرة تدل على الكلمات التي يكثر تكرارها، ومن الأمثلة على ذلك: تختصر كلمة "أخبرنا" إلى "أنا" أو "أرنا" وكلمة "رحمه الله" إلى "رحه"، كما يوجد في بعض كتب الحديث اختصارات خاصة ببعض أئمة الحديث مثل "خ" ويرمز للإمام البخاري، و"م" للإمام مسلم
- يتضمن المخطوط العربي في نهايته خاتمة تكتب عادةً على شكل هرم مقلوب يسمى "متن المخطوط"، كما يرد في نهاية كل جزء أو مجلد من المخطوط عبارة "بم الجزء كذا ويليه الجزء كذا..." على سبيل المثال
- كانت المخطوطات العربية في بدايتها تضم أوراقًا مختلفة الأحجام وذلك بسبب ندرة الورق وارتفاع ثمنه آنذاك، لكن هذا الأمر اختفى عندما بدأ العرب بتصنيع الورق في بلادهم
- تميزت المخطوطات العربية كذلك بـ "التمليكات" أي تدوين اسم المؤلف على المخطوط الذي يملكه، وكذا "الإجازات" التي تعني الإذن الذي يمنحه الشيخ ويجيز به من يثق فيه برواية أو نسخ

أو تدريس كتاب معين من كتبه التي ألفها، كما تتضمن "السماعات" وهي إثبات أن الكتاب المخطوط قد أسمع على مؤلفه أو على عالم فاضل يوثق بعلمه، وتضمنت المخطوطات العربية كذلك ما يسمى "المعارضات" أو "المقابلات" التي تتم بين نسختين أو أكثر من مخطوط معين بأن تكون إحدى النسخ أصلية ويؤتى بالنسخة الأخرى وتراجع على الأصل ويدون في آخرها ما يفيد بأنها قد عورضت أو قوبلت على الأصل

- ظهرت الصور والرسومات في المخطوطات العربية منذ القرن الثاني للهجرة، ويعتبر كتاب "كليلة ودمنة" الذي ترجمه عبد الله بن المقفع من أوائل الكتب العربية المصورة¹.
- لم يعرف العرب فن التجليد قبل الإسلام، وكانت الصورة الأولى للتجليد أن يتم وضع المخطوط بين لوحين خشبيين ويوجد مثال على هذا النوع من التجليد وهو عبارة عن نسخة تراثية تتضمن النصف الأول من القرآن الكريم وتتكون من 209 ورقة مصنوعة من جلد الغزال وهي موجودة في دار الكتب المصرية بالقاهرة وهي مكتوبة بخط الإمام جعفر الصادق².

ثانيا: مجالات المخطوط العربي

يشمل التراث العربي من المخطوطات جزءاً مهماً من تراث الأمة العربية والإسلامية، وهو تراث غزير ومتنوع فقد امتد عبر فترة طويلة من الزمن بلغت خمسة عشر قرناً هجرياً، كما اكتسب موقعا مميزا في الحضارة الإنسانية بما قدمه من المعارف القيمة التي حوتها المخطوطات العربية، وهو تراث متميز في مضمونه وكمه في زمن كانت فيه الكتابة باليد هي وسيلة نقل العلم والثقافة وهي وسيلة بطيئة، وتجدر الإشارة إلى أن بداية التدوين كانت في الفترة الأولى من الإسلام الذي جث على العلم والتعلم والقراءة، وقد كان الاهتمام بادئ الأمر منصبا على التأليف في علوم القرآن والحديث، ثم بدأت الكتابة تنتشر وتزداد في علوم اللغة العربية كما شملت علوما أخرى كالتاريخ والجغرافيا وغيرها³.

1- التراث الديني الإسلامي:

تعددت علوم الدين الإسلامي وأبرزها علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما اتصل بهذه العلوم نمط آخر من المخطوطات العربية وهو تراجم المحدثين والرواة ومنها كتاب "طبقات المفسرين" للسيوطي، كما نشأ علم الفقه الإسلامي والذي تمت كتابة جل كتبه أثناء القرن الثاني للهجرة ومن أبرز كتب الفقه كتاب "المحلى" للإمام الظاهري أبو محمد ابن حزم، وظهرت كذلك كتب الفتاوى والمذاهب

1 - عبد العزيز، بن محمد المسفر، المرجع السابق، ص 85-97.

2 - نفس المرجع، ص 105.

3 - سماء، زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999، ص 9-10.

الإسلامية والتصوف، وكذا كتب التفاسير كتفسير الطبري، تفسير البيضاوي، تفسير ابن كثير وغيرها، وألفت أيضا كتب كثيرة في علوم القراءات والتجويد

2- التراث العلمي في الطب:

تفوق العلماء العرب في دراساتهم العلمية المسجلة في مخطوطاتهم العلمية، ففي مجال الطب تمثل المؤلفات العربية الطبية إنجازا علميا يتميز بطابع عربي إسلامي وليس نقلا عن العلوم القديمة في الطب وهذا باعتراف الغرب، حيث كانت لهم إنجازات هامة في تشخيص الأمراض وعلاجها، وكذا في الجراحة إذ ابتكر أبو القاسم الزهراوي بعض الأدوات الجراحية التي ذكرها في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف"، ومن الكتب الطبية العربية تراجم الأطباء ككتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة

3- التراث العلمي في الرياضيات والفلك وعلم الضوء:

من أهم المؤلفات العربية في هذا المجال مؤلفات جابر ابن حيان الذي يعد من أبرز الرياضيين والكيميائيين العرب، إذ ألف ستة وعشرين كتابا في الكيمياء تعد مصدرا هاما للدراسة في الجامعات العالمية، وقد قدم أبو القاسم القاضي سعيد الأندلسي معلومات قيمة فيما يتعلق بتاريخ تطور علم الفلك عند العرب في كتابه "طبقات الأمم"، كما برع ابن الهيثم في علم الفيزياء ومن كتبه كتاب "علم المناظر"

4- التراث العربي في العلوم الاجتماعية:

تنوعت الدراسات الاجتماعية في التراث العربي، ففي علم الاجتماع برز العالم "ابن خلدون" الذي كانت له نظريات سبقة في لكبار مفكري علم الاجتماع في الغرب، حتى أنهم تأثروا بأرائه، أما بالنسبة للتراث التربوي العربي فقد حفل بالعديد من المؤلفات التربوية والتعليمية ومنها كتاب "التفضلة في تأديب المتعلمين" للمؤلف التونسي علي بن محمد بن خلف القابسي

5- التراث العربي في اللغة والأدب:

لقد كان للقرآن الكريم الفضل في الحفاظ على اللغة العربية ونشاط اللغويين في التأليف، ومن أبرز المؤلفات العربية التي جمعت بين العلم والأدب كتاب "الحيوان" للجاحظ والذي جمع موضوعات عديدة في العلم والأدب والطرافة، كما شمل هذا التراث كتبًا موسوعية تنوعت بحوثها ومثال ذلك كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب"، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي وكتاب "الأغاني" للأصفهاني

6- التراث العربي في التاريخ والجغرافيا:

تعددت المخطوطات العربية التاريخية وهي تشمل كتب التاريخ العام مثل كتاب "تاريخ الطبري" و"الكامل في التاريخ"، ومنها ما اختص بتاريخ بلدان معينة ككتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر والذي جمع تاريخ دمشق في 800 جزء تدرج في 80 مجلدة، كما اهتم العرب بعلم الجغرافيا والخرائط الجغرافية وأشهرها "صورة الأرض" للشريف الإدريسي، كما اهتم المؤلفون العرب في هذا الجانب بوصف معالم وآثار البلاد التي قاموا بزيارتها¹.

ثالثا: فهرسة وصيانة المخطوطات العربية

1- فهرسة المخطوطات العربية:

بما أن المخطوطات العربية تمثل ثروة وطنية وإقليمية هامة فلا بد من الحفاظ على هذه الثروة قصد التمكين من الانتفاع بها، لذا فإنه من الضروري الكشف عن هذه الثروة وإتاحتها للباحثين على النحو الذي يمكن من الاستفادة منها وذلك من خلال تصنيف وفهرسة هذه المخطوطات².

كلمة "فهرس" كلمة معربة من أصل فارسي وتعني قائمة كتب أو مواضيع الكتاب، ويستعمل المكتبيون هذه الكلمة للدلالة على قائمة محتويات المكتبة من الكتب، وهذا المفهوم عبارة عن مجموعة مداخل تسجل وتصنف وتبين هذه المحتويات، ولهذا تختلف كلمة فهرس عن كلمة "ببليوغرافيا" وهي سجل لكل ما كتب في موضوع معين أو لغة معينة أو فترة زمنية محددة³.

ويختلف معنى مصطلح الفهرس بحسب استخدامه، ففهرس المكتبة هو أداة للتعريف بمقتنياتها، أما فهرس الكتاب فيعني قائمة محتوياته Table of contents أما فهرس الأعلام أو الأماكن أو القوافي فهو "الكشاف" Index والذي تسرد فيه أسماء الأشخاص أو الأماكن الواردة في الكتاب في ترتيب هجائي ييسر الوصول إليها، وقد ألّف "ابن النديم" كتابا سماه "الفهرست" منذ ما يزيد عن الألف سنة وهو يعد عملا ببليوغرافيا بأدق معاني الكلمة، فهو يحصي الكتب التي تم تأليفها باللغة العربية أو ترجمت إليها في شتى فروع المعرفة إلى غاية سنة 377 للهجرة⁴.

وللفهرس بالمكتبة وظيفتان رئيسيتان:

- وظيفة الحصر أو الجرد

¹ - سماء، زكي المحاسني، المرجع السابق، صص 20-28.
² - فيصل، الحفيان، فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1999، ندوة قضايا المخطوطات 2 المنعقدة في الفترة ما بين 27 و 28 سبتمبر 1998، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص 156.
³ - عزت، ياسين أبو هيب، المخطوطات العربية: فهرسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص 17.
⁴ - عبد الستار، الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2002، ص 20.

- ووظيفة تحديد مكان المواد المعنية في المكتبة

وتعد الوظيفة الأولى قديمة تمثل حالياً سجلات المكتبة، أما الثانية فتخصص خدمة الاسترجاع أو تحديد مكان مواد معينة وبهذا تحوّل الفهرس من أداة للمكتبي إلى أداة للباحث¹.

كيفية فهرسة المخطوطات العربية:

تعد عملية فهرسة المخطوطات العربية من العمليات الشاقة إذ أنها تختلف تماماً عن فهرسة المطبوعات، ذلك أن المخطوط يتميز بسمات خاصة ينفرد بها وتعتمد على إنتاج الناسخ أو الخطاط، ولم تلق فهرسة المخطوطات على نطاق مكثبات العالم العناية التي منحت لفهرسة المطبوعات، كما أنه لا يوجد اتفاق أو تقنين معين للفهرسة بين هذه المكثبات، فلكل مكتبة مجموعة معينة من المخطوطات تقوم بفهرستها بطريقة الخاصة، وفهرسة المخطوط لا بد من وصفه وصفا علميا بإيراد مميزاته من الناحيتين الداخلية والخارجية، حيث تعني المميزات الخارجية كل ما يخص المخطوط من حيث أنه إنتاج مادي وتشمل المادة المستخدمة في الكتابة ونوع الخط ولونه وكذا التذهيب والزخرفة والتجليد وغيرها، أما المميزات الداخلية للمخطوط فتعني كل ما يتعلق به من حيث أنه إنتاج فكري وتشمل اسم المؤلف، تاريخي الولادة والوفاة، اسم الناسخ للمخطوط وتاريخ النسخ ومكانه، المحتويات مع ذكر البداية والنهاية وبيان ما نقص أو تلف في النسخة مع إيجاز بسيط للأبواب والفصول أو الموضوعات، وكذا بيان عدد الأوراق والمسطرة والحجم طولا وعرضا، وينبغي أن تتضمن فهرسة المخطوط العناصر التالية: صفحة العنوان (أو اسم الكتاب)، اسم المؤلف، بداية المخطوط (الاستهلال)، نهاية المخطوط (الخاتمة)، الترقيم والتسطير والحجم، نوع الخط واسم الناسخ وتاريخ النسخ، وصف المخطوط، المصادر والفهارس التي تم اعتمادها لتحقيق العنوان أو المؤلف أو غيرها².

2- صيانة المخطوطات العربية:

بالنظر إلى الحالة المزرية لبعض المخطوطات لا بد من التحرك السريع لتجنب ضياع الملايين من المخطوطات، لذا فقد بذلت جهود عديدة للحفاظ على المخطوطات عن طريق الترميم، إلا أن صيانة المخطوطات لا يمكن أن تتحقق بالمعالجات السريعة، بحيث يجب أن يلجأ إلى الترميم الحذر الذي يأخذ بعين الاعتبار المادة الأصلية التي صنع منها المخطوط، كما يجب أن يتسم الترميم بالبطء ففي الكثير من الحالات قد يفضل الامتناع عن معالجة المخطوط بدلا من التسرع في معالجتها، وبالرغم من الجهد الكبير المبذول للحفاظ على المخطوطات إلا أن غياب التمويل الضروري يحول دون اعتماد برنامج مستمر لصيانة المخطوطات، ومن أهم العوامل التي تعيق صيانة المخطوطات كذلك إهمال المالكين أو بيعهم

¹ - عزت، ياسين أبو هيب، المرجع السابق، ص 18.

² - نفس المرجع، ص 36-37.

للمخطوطات لأشخاص غير مؤهلين، السرقة، الحروب والعوامل المناخية وغيرها، وقد ظهرت أساليب حديثة لصيانة المخطوطات منها أسلوب "الميكروفيلم" الذي اعتمده مشروع الجامعة العربية والتصوير الرقمي (الرقمنة) Digitisation، كما تم استحداث مصطلح جديد هو "إعادة التشكيل" Reformatting للإشارة إلى طرق الحفاظ على المعلومات المكتوبة أو المطبوعة وتخزينها في شكل مادي جديد¹.

رقمنة المخطوطات:

تعني الرقمنة اكتساب، تحويل، تخزين وتوفير المعلومة في صيغة رقمية موحدة، منظمة ومتوفرة عند الطلب، وتعدد أسباب اعتماد وتنفيذ مشروع الرقمنة ومن أهم هذه الأسباب:

- تعزيز النفاذ إلى المعلومة: Enhanced access لاسيما للأغراض البحثية، فعندما يكون هناك طلب كبير على من المستخدمين وترغب المكاتب في تحسين الوصول إلى وثائق معينة تكون الرقمنة هي الخيار الأول

- تيسير أشكال جديدة من النفاذ إلى المعلومة واستخدامها: To facilitate new forms of access and use والهدف الأساسي في هذا الصدد هو التمكن من استخدام بعض الوثائق الأصلية التي لا يمكن الرجوع إليها إلا بزيارة المكان الخاص الذي تتواجد فيه وكذلك بالنسبة للوثائق الأصلية التي تلفت أو التي تكون قابلة للتلف حيث تصبح التقانة ضرورية للكشف عن المضمون والشكل

- لوقاية الوثائق: For preservation والهدف في المقام الأول في هذا الصدد هو إنشاء نسخ مطابقة للأصل دقيقة ومضبوطة ويشترط فيها أن ترضي المستخدمين الحاليين وكذا المستقبلين، وعليه ينبغي أن تكون ذات جودة عالية ولها قوام مادي ثابت يمكن الحفاظ عليه على مدى الزمن

- التقليل من المعالجة: Reduction in handling بمعنى تخفيف معالجة واستخدام الوثائق الأصلية القابلة للتلف أو المستخدمة بكثرة وإنشاء نسخة داعمة "Back up copy" للوثائق المعرضة للخطر².

¹ - فرنز، شفارتس، "كيف تصان المخطوطات: في صورتها الأصلية أم بإعادة تشكيلها- أهمية تأسيس قاعدة معلوماتية عالمية"، في: إبراهيم، شبوح، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي المنعقد بلندن في الفترة ما بين 18-19 نوفمبر 1995، سلسلة مؤتمرات الفرقان رقم 3، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1996، ص ص 217-221.

² - Dipti, S.Tripathi, "Guidelines for digitization of archival material", National Mission for Manuscripts, New Delhi, pp 20-21.

وقد بدأت رقمنة المخطوطات والوثائق التاريخية الأخرى وانتشرت خلال العقدین الماضیین فقط¹، وقد أصبحت المكتبات حاليًا مرتبطة ببعضها من خلال شبكات متعددة، ومع أن التغيرات الناتجة عن التقدم التكنولوجي اتسعت بشكل كبير بحيث لم يعد من الممكن تقييم الأثر الشامل لهذه التغيرات إلا أنه من الواضح أن المكتبات تعيش الآن مرحلة التحول من المكتبة "اليديوية" Manual library إلى المكتبة الإلكترونية، الرقمية والافتراضية Electronic, Digital and Virtual library².

ومن أبرز العوامل المساعدة على ظهور عملية الرقمنة:

- التطور الجلي لأجهزة الحاسوب
 - تحسن تقانات المسح Scanning technologies وانخفاض أسعارها بما يمكن الحاسوب من تحويل المخطوطات والصور وغيرها إلى ملفات رقمية
 - تحسن تقانات التخزين Storage technologies
 - النمو السريع لشبكة المعلومات التي توفر النفاذ الأوسع على الإطلاق للمعلومات الرقمية³.
- من هنا يتبين أن للمخطوط موقعا بارزا في خارطة التراث العربي بل وفي تراث الإنسانية جمعاء بما قدمته المخطوطات العربية والإسلامية من علوم وقيم شملت مختلف مجالات المعرفة، ويسبقها للمعارف الغربية في هذه المجالات، إلا أن عوامل المناخ، الحروب، الإهمال، سوء المعالجة وغيرها أتلقت جزءاً هاماً من المخطوطات العربية ولازالت تهدد بضياح المزيد منها، وهذا ما يتطلب التدخل السريع والمزيد من الجهود للحفاظ على تراثنا من المخطوطات، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن المسؤولية مسؤولية الجميع؛ مسؤولية الدول، المواطنين والمجتمع المدني.

المراجع المعتمدة:

- مصطفى، السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة: عالم الكتب، 2002.

¹- Zdenek, Uhler, "Manuscript digitization and electronic processing of manuscripts in the Czech National Library", International Journal "Information Theories and application", vol.11, p257.

²- Fazluddin, Ahmed, "digitization as a means of preservation of manuscripts: case study of Osmania university library", 7th International CALIBER, Pondicherry university, Puducherry, February 25-27, 2009, INFLIBNET Centre, p94.

³- Ibid, p93.

- عبد العزيز، بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، الرياض: دار المريخ للنشر، 1999.
- صلاح الدين، المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، بيروت: دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، 1976.
- السيد، السيد النشار، في المخطوطات العربية، الإسكندرية: دار الثقافة العلمية، 1997.
- سماء، زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999.
- فيصل، الحفيان، فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1999، ندوة قضايا المخطوطات 2 المنعقدة في الفترة ما بين 27 و 28 سبتمبر 1998، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- عزت، ياسين أبو هبة، المخطوطات العربية: فهرستها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.
- عبد الستار، الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2002.
- فرنز، شفارتس، "كيف تصان المخطوطات: في صورتها الأصلية أم بإعادة تشكيلها- أهمية تأسيس قاعدة معلوماتية عالمية"، في: إبراهيم، شيوخ، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي المنعقد بلندن في الفترة ما بين 18-19 نوفمبر 1995، سلسلة مؤتمرات الفرقان رقم 3، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1996.
- Dipti, S.Tripathi, "Guidelines for digitization of archival material", National Mission for Manuscripts, New Delhi.
- Zdenek, Uhler, "Manuscript digitization and electronic processing of manuscripts in the Czech National Library", International Journal "Information Theories and application", vol.11.
- Fazluddin, Ahmed, "digitization as a means of preservation of manuscripts: case study of Osmania university library", 7th International CALIBER, Pondicherry university, Puducherry, February 25-27, 2009, INFLIBNET Centre.

البعد الحضاري التكاملي بين حاضرة تلمسان والأندلس

د.بن داود براهيم

أ.جمال عبد الكريم

جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدمة:

تعد تلمسان جوهرة من جواهر الأمة المحمدية التي أسهمت بصفائها وتصوفها في الحفاظ على المقومات الحضارية الانسانية الجمالية والدينية القرآنية للعالم العربي والاسلامي، ولعل أشعار متصوفتها وأوراد مشايخها وأذكار مريديها ومتون أدبائها وعلمائها إلا شاهد على حرص تلمسان بأعمدتها وأقطابها على دين سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد المرسل رحمة للعالمين صاحب الرسالة التي لا تميز للون ولا لجنس ولا لثراء أو غيرها إلا ما كان التفريق فيه على أساس من تقوى الله عز وجل.

ثم إن الحديث عن استقبال تلمسان للأندلسيين لا شبه له على الإطلاق إلا ما كان بين المهاجرين والأنصار زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

والأندلس حضارة قائمة وهي خير سفير للإسلام الحقيقي النقي العذب الزلال الروحي الجامع بين الدين والفن بين العقيدة والمعاملة.

أولاً: تلمسان أصالة وحضارة عبر التاريخ

تلمسان حضارة أصالة وأصالة حضور "تلم" معناها نبع و "سان" معناها ماء أي نبع أو ينبوع ماء، وقد قيل سالفاً " تلمسان ماها وهواها وتلحيفة نساها"؛ وتلمسان جامعة للأندلس والبربر والعرب حتى كان أناسها يعتقدون بأزليتها.

وقد كان هنالك مدد مزدوج منا إليهم وعندما حصلت انتكاسة بلنسيا قالت لهم تلمسان أهلاً وسهلاً، فكانت موطئ قدم للأندلسيين فوجدوا في أهلة تلمسان الأهل والعون وكل شيء.

والحديث عن الأندلس هو حديث عن ثمانمائة عام من الوجود وجادت تلمسان بكل ما تملك وجاءت بحبكة متكاملة وامتزجت حضارتان وموروثان إسلاميان بتلمسان الحضارة والتاريخ .

وفي هذا الموضوع التاريخي تجلت فاعلية الأندلسي وفاعلية التلمساني الذي هو كالغيث حيثما حل نفع.

ثم إن ما قامت به اسبانيا وجيشها بالمسلمين بالأندلس مجزرة فضيعة في حق الانسانية والتاريخ شاهد على ذلك حيث تم التنكيل في مجزرة بلنسيا بـ 600 ألف مسيحي وفي برثشتر 40 ألف مسلم وما قامت به محاكم التفتيش من تغيير وضرب للإنسان ولحضارة الانسان الأندلسي، إثر ذلك قام التلمسانيون الذين جمعوا اشتات الأندلسيين، كما جمعوا خلال هذه الأحيان ما تناثر في رثاء الأندلس وحضارة الاسلام فلا زال الخير في تلمسان وأهل تلمسان من خيرية الأمة المحمدية على لسان سيد الوجود "لا يزال الخير في وفي أمتي إلى أن تقوم الساعة".

وقد كانت الكتابات الشعرية والنثرية خير شاهد على ما حصل وأرقى ما قيل في ذلك القصيدة الأندلسية التاريخية التي قيلت رثاء أندلس الاسلام للشاعر أبو البقاء الرندي صالح ابن يزيد بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغمر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تُبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

هذه القصيدة التي أقل ما يقال عنها أنها جاءت بأكمل بيان لحال الأندلس ووصف ايامهم وما آل إليه وضعهم.

ثانيا: الأندلس حضارة شمال حوض المتوسط وجنوبه

كان للفتوحات الاسلامية دورها الكبير في المد الحضاري لأصقاع العالم قاطبة على خلاف اعتقادنا بأن الحضارة وفدت إلينا من الغرب خاصة إذا أدركنا أن الاسلام لم يقم على اللون أو اللغة أو الجنس، هذا ما أضفى البعد الانساني العالمي للرسالة المحمدية.

وقد كانت القيم الحضارية والانسانية بالأندلس والتي أضفاها المسلمون هنالك شاهدة على تلك اللمسات الحضارية هنالك، وقد كانت تلمسان رافدا وواصلا وهمزة وصل، إنها تلمسان مدينة الفن

والتاريخ وملاءة ما فيها من التحف والمباني الفنية الرائعة الحاضرة، وبماضيها الفكري الثقافي والسياسي المجيد، فقد تضافرت جهود الطبيعة السخية الحسنة وجهود الانسان المبدع الخلاق لتكوين مدينة متفوقة راقية ممتعة للفكر وللقلب والروح معا، فقد بلغت أرفع مكانة في الجمل والكمال واستحقت بذلك أن تُلقب بجوهرة المغرب وغرناطة افريقيا.

والناظر إلى تلمسان يعتقد أنها بلدة شامية هاجرت بأناسها وبساتينها وبنائيعها واغانيها ونضرة الوجود فيها، هاجرت من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، والواقف على أعلى قمة هضبة "لالة ستي" يضمن أن تلمسان أندلسا كبيرا هربت بأسطحها القرميدية وقصورها وموشحاتها من عدوة البحر في الشمال إلى التلال العالية في الجنوب بعد أن تساقط نصف متاعها وأبنائها أثناء الرحلة الخالدة، ومن مكانها في الجنوب كانت تلمسان تستطيع من فوق التلال أن تتطلع كل صباح إلى الأندلس أو تتذكر عل الأقل.

والمؤرخون القدامى والمحدثون ممن كتبوا عن تاريخ تلمسان كانوا يؤكدون بشهادة قاطعة أن المدن العربية في الأندلس حين خرج منها أهلها نزحوا إلى شمال افريقيا خاصة إلى تلمسان ولعل ولع الأهلين بالموشحات الأندلسية وحفاظهم عليها حتى الآن في هذه المدن الثلاث (اشبيلية، قرطبة، غرناطة) خير دليل على ما رواه المؤرخون إن لم يكن هذا الولع مرويا بحنين حزين إلى الماضي خاصة وأنه الميراث الأخير الذين ما زال يحتفظ به الأندلسيون من الاندلس، وما نبرة الحزن التي تشيع بعبقها التاريخي في هذه الموشحات إلا تلويح وداع أبدي لعله قد فُقد إلى الأبد، إن هذه الرجعة الصغيرة إلى تاريخ تلمسان قد تغيب عن البال إذا كان العابر بها يمر بمدينة الينابيع لأول مرة، أما إن عدت لتاريخ تلمسان فستعجب أكثر من أمرها بقدر ما قد يحزنك ما مر بها من أمم غازية.

كما عُرِفَت تلمسان أيضا بثناء شعرها وأدبها الصوفي بها شعراء كبار وأدباء مشتهرون ويأتي تنوع ثقافتها وأدبها من تنوعها فهي تضم عربا وبربرا وأندلسا وقد لعبت المدارس القرآنية والزوايا دورا أساسيا في ازدهار التعليم الديني ولا يمكن تحديد هذا الدور في بضعة أسطر بل يتطلب ذلك دراسة معمقة.

إن هذا الازدحام التاريخي على تلمسان قد يُعزى إلى ناحية أخرى تتعلق بموقعها الجغرافي وأهميتها الاقتصادية، فتلمسان بحكم موقعها المتوسط بين شرق افريقيا وغربها، وبحكم وقوعها في نقطة قريبة من البر الأوروبي، قد لفتت إليه الأنظار لتكون محطة القوافل العابرة بين شرق الشمال الافريقي وغربه والمؤرخون القدامى كالبكري، وابن خلدون إذ يؤكدون أن تلمسان قد كانت سوقا لتجارة الذهب الذي كان يحمل من وسط افريقيا في طريقه إلى أوروبا أو الشمال الافريقي أو المشرق العربي.

ومنذ القدم كان بعض التلمسانيين إلى اليوم يرو أن بعض القصص القرآني قد حصلت عندهم بتلمسان، وقد ذكر ابن خلدون هذه الناحية واستبعدا حين قال " ويزعم بعض العوام من ساكنيها أنها أزلية البناء، وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام هو بناحية أغادير من تلمسان".

ويروي البكري أن أبا المهاجر الصحابي كان أول من نشر الإسلام في تلمسان غير أن المؤكد هو أن عقبة بن نافع قد مر بها في طريقه إلى المغرب العربي.

ثالثا: هجرة الأندلسيين إلى تلمسان وحفاوة الاستقبال

أعطى السلطان يغمراسن التلمساني أهمية كبيرة لموضوع المهاجرين الأندلسيين والظهير الذي أصدره في شأنهم يؤكد على العناية الكاملة بهم ويكرم علمائهم وأعيانهم غاية الإكرام.

ويصرح ابن الخطاب بأن يغمراسن فضل أن يسكن المهاجرون الأندلسيون مدينة تلمسان عن باقي المدن الأخرى، وفي هذا يقول " واطلع يغمراسن على أغراضهم السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى على سائر البلاد فلحظ منهم النية واعتبرها وظهر عليهم مزايا ما لهم.....".

وقد استمر تدفق الهجرة الأندلسية على مدينة تلمسان ودار الإسلام في بلاد الغرب إثر وبعد سقوط غرناطة وزوال دولة بني الأحمر عام 1491 م وما يلاحظ هنا أن هؤلاء المهجرين قدموا في شكل جماعات محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم الأندلسية.

ونجد أن تاريخ الأندلس يشتمل على أكثر من 800 سنة من 711 إلى 1492 م لذا يجب معلفة كيف سقطت الأندلس وما عوامل سقوطها كما يجب أن لا ننسى كيف سقطت بلنسية وكيف قتل 600 ألف مسلم كما لا ننسى مأساة برثشتر وكيف قتل 40 ألف مسلم

وقصة الأندلس قصة مؤلمة ذلك أننا نستعرض تاريخنا ومجدا زاهرا، ونحن نعلم أن هذا المجد قد انتهى وضاع وصارت الأندلس الفردوس المفقود التي كانت مركز إشعاع علمي روحاني واقتصادي وغيرها.

رابعا: النبوغ العلمي والأدبي التلمساني الأندلسي

كان حمو أبو موسى ملك تلمسان كريم الأخلاق يتبرع على أهل الأندلس بالمال والخيل معتبرا ذلك جهادا في سبيل الله عز وجل تحريرا لأرض الأندلس مسقط رأسه من أزمة الاسبان.

وقد كانت له مواقف أسهمت في إنقاذ أهل الأندلس من الهلاك، حيث وجد لهم عام 1361 م 50 ألف قذح من الزرع وقد شكره على ذلك لسان الدين بن الخطيب، الوزير المشتهر¹ ومما قال فيه.

لقد زار الجزيرة منك بحر يمد فليس تعرف منه جزرا

أعدت لها بعهدك عهد موسى سميك فهي تتلو منه ذكرا

أقمت جدارها وأفدت كنزا ولو شئت اتخذت عليه أجرا

ومما وصف به ابن الخطيب البعد العلمي والأدبي والحضاري لتلمسان قوله:

"تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه، وحواليه من الدوحات حشمه وأعالجه، عبادها يدها وكهفها كفها، وزينتها زيانها وعينها أعيانها وهواها المقصور بها فريد وهواها الممدود صحيح عتيد وماؤها برود صريد، حجتها أيدي القدرة عن الجنوب فلا نحول فيها ولا شحوب، خزانة زرع ومسرح ضرع فواكهها عديدة الأنواع ومتاجرها فريدة الانتفاع وبرانسها رفاق رفاع، إلا أنها بسبب حب الملوك صارت مطمعا للملوك ومن أجله جمعها الصيد في جوف الفرا، مغلوبة للأمرء، أهلها ليست عندهم الراحة، إلا فيما قبضت عليه الراحة ولا فلاحه إلا لمن اقام رسم الفلاحه، ليس بها لسع العقارب إلا فيما بين الاقارب ولا شطارة غلا فيمن ارتكب الخطارة".

ولقد استحسن ابن خلدون التعليم الذي كان قائما بتلمسان ولا نتعجب من موقفه من هذا التعليم فغنه هو نفسه قد تلقى العلم في الجزائر وتعلم لعلمائها قبل أن يشرع في تدوين مقدمته عام 776 هذه المقدمة التي بها اشتهر وبها أصبح للتاريخ اتجاه جديد.

وقد كان أحاه "أبا زكريا يحيى" كاتب "أبي حمو موسى الثاني" وكان هو الآخر ولكنه لم يبلغ شأو أخيه في كتابة التاريخ².

أما عن الثقافة الأندلسية فقد كانت متعدد المشارب والفروع وبدأت العلوم بانتقال بعض الصحابة والتابعين من حملة العلم، وعندما هم موسى بن نصير بغزو الأندلس وفتحها كان ممن معه المنذر الصحابي الجليل ومن التابعين علي بن رباح³.

¹ محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 221.

² نفس المرجع، ص 229.

³ أحمد أمين، أحمد أمين ظهر الاسلام، در الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.س) ط 05، ج 3، ص 48.

وجاءت طبقة ثانية من أجل أعلامها عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهم فكان لهم دور بارز في إذاعة العلوم بالأندلس إلى أن جاء غير هؤلاء من الأدباء والعلماء.

وتطورت الآداب والعلوم تطوراً كبيراً وصار الأندلس من أبرز العواصم الكبرى للعلم والثقافة ليست خاصة بالعالم العربي والإسلامي فحسب بل تعداه إلى الدول الأوربية المجاورة، ومن أهم المدن الأندلسية التي كانت مركز إشعاع علمي، قرطبة، إشبيلية، غرناطة، طليطلة، ولم تكن للأندلسيين مدارس ومعاهد وجامعات خاصة، بل كان المسجد هو الحاضرة العلمية يقوم مقام المعهد والجامعة.¹

لقد قامت على أرض الأندلس العديد من الدول الطائفية وهي²:

- الدول البربرية 1015-1090 في غرناطة.
- الدولة الحمودية 1035-1039 في مالقة
- الدولة الهودية 1039-1115 في سرقسطة
- الدولة العامرية 1021-1065 في بلنسية
- الدولة العبادية 1023-1091 في إشبيلية
- دولة بن الأفطس 1022-1092 في بطليوس
- الدولة الجهورية 1031-1070 في قرطبة
- دولة بن ذي النون 1036-1085 في طليطلة
- دولة بني الأحمر 1232-1391 في غرناطة

وظلت الأندلس على شتاتها إلى أن وحدها الملك المغربي والقائد العظيم يوسف بن تاشفين وضمها إلى بلاد المغرب سنة 484 هـ، وقد كان المجتمع الأندلسي يضم أطيافاً مختلفة من البشر وطبقات عديدة من الناس.

1/ العرب: وهم فاتحوا البلاد وأتوا بالإسلام والعربية وأضحت لغتهم ومعارفهم هي السائدة في الأندلس فأذاعوا سلطاتهم فكانوا سادة البلاد وعلمائها³.

¹ عطية طيباوي، الحافظ بن عبد البر ومنهجه في تفسير آيات الأحكام، مذكرة ماجستير كلية العلوم الإسلامية الجزائر 207، ص 06 وما يليها.

² عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي (د. ط. د. س) تحقيق محمد سعيد العريان، ص 124 وما يليها.

أحمد بن محمد المقرئ، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت (د. ط.) 1988، ج 1، ص 430 وما يليها.

³ أحمد أمين، المرجع السابق، ص 01 وما يليها.
عطية طيباوي، المرجع السابق، ص 06 وما يليها.

02/ البربر: وهم من بين المشاركين في فتح الأندلس مشاركين للعرب في فتحها إلا أنهم قاموا فيما بعد بثورات وفتن واستعانوا بالنصارى ضد المسلمين وكان من أعم عامل لانحياز الدولة الإسلامية بالأندلس.

03/ السكان الأصليون: ومنهم من تمسك بديانته ومنهم من أسلم وكان له حظ كبير من الحرية والرعاية.

04/ اليهود والنصارى: وكانت لهم الكثير من الحقوق والحرية حتى حظوا بمناصب كبيرة في الدولة، ورغم هذا المزيج من الاجناس إلا أن العرب كان لهم التأثير البالغ في الأخلاق والعادات وطرق المعيشة وتمتع المجتمع الأندلسي بسعة كبيرة ترفا ونعيما وجمالا للطبيعة ووفرة للمال والغذاء.

وقد خرج جماعة من علماء الأندلس إلى تلمسان قبيل أخذ غرناطة وقد احسوا بان العدو رابض متربص للاستيلاء عليها ، منهم القاضي الشهير أبو عبد الله بن الأزرق.

" ولما استولى الإسبان على غرناطة عام 1429 ما كان على المسلمين إلا أن يهجروا الأندلس العزيزة فنزح عدد كبير وانتشروا في حواضرها ومن أهمها تلمسان التي كانت على صلة وثيقة بالأندلس وحملوا معهم علومهم وآدابهم وفنونهم فقد نظموا حلقات تعليم بالمدارس والمساجد وخصه بالمسجد الجامع، وكان هذا المسجد قبل هذه الآونة مركزا من مراكز الثقافة العربية الإسلامية منذ عهد سحيق كمسجد كل من تيارت وعنابة وبجاية والجزائر، ولكن أثر نزوح الأندلسيين إلى تلمسان أصبح معهدا للتدريس لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة أو القرويين وتمتاز هذه الحقبة من الزمن بحركة التعريف في الربوع الجزائرية وهذه الحركة التي قام بها اولئك النازحون تلاحق حركة التعريب في عهد الرستميين في تيارت وفي عهد المأمون ببغداد وعبد الرحمن الناصر والحكم بقرطبة..

ومن الشخصيات الأدبية والفكرية البارزة التي وردت على تلمسان عند سقوط غرناطة في بدو العدو وهذه الشخصية تتمثل في "أبي عبد الله بن الحداد الوادي آشي" وهو شاعر وأديب ومفكر مشار إليه في التعاليم منقطع القرن منها في الموسيقى مضطلعا بفك المعنى سكن المرية واشتهر بمدح رؤسائها من بني صادح وقال ابن سام"، كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة وبحر خبر وسيرة وديوان تعاليم شهيرة وضح في طريق المعار وضوح الصبح المتهلل وضرب فيها بأقداح ابن مقبل إلى جلاله مقطع وأصاله منزع ترى العلم ينم عن اشعاره يبين في

منازعه وآثاره" خلف لنا ديوان شعر كبير وله في العروض تصنيف مزج فيه بين الألحان الموسيقية والآراء الخليلية¹.

وقد قال المقرئ في أزهاره "كان كثير النسخ والتقييد آية الله في ذلك حتى أني رأيت في خزائن أهل تلمسان بخطه نحو مائة سفر ورأيت بفاس نحو الثمانمائة وأحبرني مولانا شيخ الاسلام مفتي تلمسان سيدي سعيد أحمد المقرئ رحمه الله أنه نسخ بخطه نحو العشرين نسخة من توضيح خليل وكان يحترف بالنسخ ونظمه نظم فقيه وربما يقع له النادر".

وقد سبق ذكر أن جاليات متتالية أتت الأندلس واستوطنت الجزائر فانتقال هؤلاء الأندلسيين عابرا كان أو دائما وإقامتهم في البلاد قصيرة أو طويلة، كل ذلك له أثره في تبادل المؤثرات وتلاقح المعاش، والعوائد والأخلاق فسوق الثقافة راجت رواجاً كبيراً فزخرت المدارس والمساجد بالعلماء والأدباء وكثر الفنانون من معماريين وموسيقيين وغيرهم وسخر الله للجزائر أمراء يحبون العلم ويقربون أهله وقيّمون المباني تكون شارههم كمركزهم وسلطانهم.

وقد كان الفن الجزائري قبل هذه الفترة متأثراً إلى نحو ما بالفن الشرقي إلى أن تم الاستقبال بعد سقوط الأندلس حيث وفد فيها وفنانوها وساعد امتزاج الفن الجزائري والأندلسي ووجود صناع حذاق من الجالية الأندلسية التي استقرت بالجزائر منذ القرن 5 هـ واستمرت عملية الامتزاج نحو 03 قرون اتخذ بعدها هذا الفن الجديد إطاره النهائي وذلك في عهد بني زيان فإن هؤلاء بفضل ما أبدعوه من روائع تبوأوا المقام السامي في تاريخ الفن الاسلامي ولا سيما في عهدي "أبي تاشفين" و"أبي حمو موسى الثاني"، حيث نشأ هذا التاريخ وعاش غير قليل بالأندلس مع أسرته وتشبع بالثقافة الأندلسية الرائعة فأصبحت تلمسان ببنائاتها وحدائقها أشبه بإشبيلية وغرناطة في روائعها الفنية وطبيعتها الفتانة، كانت قصور بني زيان لا يعبر عن جنسها اختطها (أبو حمو الأول، وابنه "أبو تاشفين") واستدعيا الضائع من الأندلس فبعث إليهما "أبو الوليد الأحمر" بمهرة البنائين استجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين، وكان أبو تاشفين الأول مولعا بالتعمير وبصيرا بالتشكيل والاختراع².

واندمج الأندلسيون بتلمسان ووجدوا الترحاب والحفاوة بعد الاضطهاد الاسباني المسيحي التأمري.

ومن المفارقات التي نجدها ما يفعله هم بنا وما فعلناه نحن لهم، فهذا التاريخ شاهد بما فعله الأمير عبد القادر الجزائري حيث أنقذ الآلاف من المسيحيين من موت محتم بدمشق عام 1860.

¹ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 209.

² محمد الطمار، المرجع السابق، ص 210.

وعُبد الأمير عبد القادر أول من قام بوضع أسس القانون الدولي الإنساني منذ عام 1837، وهذا حتى قبل ظهور أفكار هنري دينون مؤسس حركة الصليب الأحمر، بل حتى قبل إبرام معاهد جنيف التي لم تكتمل إلا في عام 1864، ويحفظ التاريخ للأمير عبد القادر الكثير من المواقف الإنسانية الرفيعة²¹.

¹ شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

شعر خليفة التليسي ... موضوعاته وخصائصه

أ. عبد القادر زين

جامعة الجلفة

كثيرة هي الإبداعات المغاربية التي لم تمتد إليها يد دارس ، بعد أن ابتعدت جغرافيا عن مركز الضوء المسلط على عواصم الشرق العربي ، فبقيت حبيسة الرفوف وفي بعض الحالات لم تخرج من أدراج مبدعيها ، فكان الإبداع المشرقي أحسن حالا من صنوه المغاربي ذيوعا وتناولا ، وعلى امتداد قرون طويلة .

والشاعر خليفة التليسي واحد من الذين دفعوا ضريبة هذا البعد ، فرغم أن له ديوانا طبع في ليبيا منذ أكثر من عقدين من الزمن ، إلا أنه عرف في الأوساط العلمية كمؤرخ ومترجم ومعجمي ، ولم يلتفت إلى شاعريته أحد ، ولو كان شاعرا من شعراء بيروت أو القاهرة أو دمشق على سبيل المثال ، لما كان شأنه الثقافي أقل من شأن شعراء هذا المركز الكبار ولعله كان يفوق أكثرهم - كما يصفه جهاد فاضل* -

في هذه المقالة المقتضبة أردت أن أسلط ضوءا ولو خافتا على هذا الشاعر لأبرز أهم الموضوعات التي عالجها شعره ومألت عليه حياته وأهم خصائص هذا الشعر، لأنني أعتقد أن شاعرية كالتى وهبها التليسي لاتوجد إلا عند كبار الشعراء ، ويحتاج إجلاؤها إلى دراسات كثيرة لا إلى دراسة واحدة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

فالشاعر هو الأديب والمؤرخ والمترجم خليفة محمد التليسي من شعراء ليبيا المعاصرين ولد في التاسع من ماي 1930 بطرابلس الغرب ، ودرس بها حتى أنهى دراسته النظامية في 1948 ، ثم انتقل للعمل في مجال التدريس حتى 1951، تقلب في مناصب مهمة في العهد الملكي السنوسي منها رئاسة الأمانة العامة لمجلس النواب 1962 ، ورئاسة اللجنة العليا للإذاعة الليبية من 1962 إلى 1965 ، كما عين وزيرا للإعلام والثقافة في الفترة الممتدة من 1964 إلى 1967، ثم سفيراً لدى المغرب في العام 1968.

غير أن انقلاب الفاتح من سبتمبر 1967 جعل التقزيم والتحييد يطالانه ، ففُصِر دوره على إدارة دار نشر ، وكل احتفاء لقيه بعد ذلك هو من خارج بلده فانتخب نائبا للأمين العام لاتحاد الأدباء العرب كما اختير أميناً عاماً لاتحاد الناشئين العرب

وعضوا في مجمع اللغة العربية بالأردن وعضوا في المجلس التأسيسي للموسوعة العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم... إلخ

أما آثاره فقد تجاوزت الأربعين عملا ، أهمها معجمه "النفيس من كنوز القواميس" ، وترجمته للأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الأسباني لوركا ، وترجمته لبعض أشعار الشاعر الهندي طاغور ، ودراسة خصص بها عبقرية جبران والشابي ، وكتاب عن قصيدة البيت الواحد ، أما اختياراته الشعرية فبلغت ست مجلدات ... وغيرها كثير.

أما في ميدان الشعر فلم يترك سوى ديوان واحد صدر عن الدار العربية للكتاب بليبيا ضمنه خلجات قلبه وما جاشت به نفسه ، ولم يخرج فيه عن موضوعات ثلاثة كانت كالأنثى في تسند تجربته الشعرية : الوطن والمرأة وبكاء الشباب ، وإذا دققنا النظر في ثلاثتها وجدنا قاسمها المشترك هو الحب ؛ حب للوطن وتغان في نصرته ؛ وحب للمرأة وهيام بجمالها ؛ وحب لشبابه الراحل وحنين لأيامه الخوالي ؛ فديوان التليسي ديوان للحب بكل معانيه .

1 - الوطن

ففي الوطن قال أطول قصائده (وقفٌ عليها الحب)، متغنيا بأمجاده جاعلا الحب وقفا عليه فقال:

وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْحُبُّ شَدَّتْ قَيْدَنَا *** أَمْ أَطْلَقْتُ لِلْكَوْنِ فِينَا مَشَاعِرًا

وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْحُبُّ سَاقَطَ نَحْلُهَا *** رُطْبًا جَنِيًّا أَمْ حَشِيْقًا ضَامِرًا

وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْحُبُّ أَمْطَرَ غَيْمُهَا *** أَمْ شَحَّ أَوْ نَسِيْتُ مُحِبًّا ذَاكِرًا

وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْحُبُّ كُرِمَى عَيْنِهَا *** تَحْلُو مُنَازِلُهُ الْخُطُوبِ حَوَاسِرًا

وَقَفْتُ عَلَيْهَا الْحُبُّ تَنْظُمُ عَقْدَنَا *** رَكْبًا تَوَحَّدَ خُطْوَةٌ وَخَوَاطِرًا¹

وفي سياق إظهار حبه لوطنه وولائه له ، يجعل ما ينفق في نصرته لا يساوي شيئا مقابل المنح والعطايا المعنوية التي يجنيها من بره ، والحياة الرتيبة هي حياة عابثة إذا لم يصاحبها ركوب الأخطار وخوض لجج الأهوال لكسب مجد مؤثّل لا يبلى ، فما تعانیه النفوس في سبيل نصرّة الوطن هو كالأتون تخرج من بوتقته السبائك الذهبية أكثر لمعانا وأشدّ ألقا ؛

إِنْ يُتْلَفِ الْإِنْفَاقُ دُخْرًا مُقْتَنَى *** فَالْفِكْرُ يَمْنَحُهُ الْعَطَاءُ مَكَاسِبًا

عَبَثًا نَعِيشُ حَيَاتَنَا إِنْ لَمْ تَكُنْ *** أَيَّامُهَا ضَرَمًا وَجَمْرًا لَاهِبًا

تَتَقَلَّبُ الْأَرْوَاحُ فِي وَقْدَاتِهِ *** فَيَزِيدُهَا وَهَجًا وَوَحْيًا وَاهِبًا¹

ويقرر أنه ما جاد إلا ببعض ما جاد به الوطن عليه ، فكيف يمن عطاياه وهي من صلات المعطي ردت إليه، وهذا ما غرس فيه الإيثار وجعله يفرح بما يُقدِّم أكثر من فرحه بما يُقدِّم له ؛

أَعْطَيْتُهَا بَعْضَ مَا أَعْطَيْتُ ، وَمَا أَخَذْتُ *** إِلَّا اسْتَرْذْتُ رَصِيداً مِنْ غَوَالِيهَا¹

وهذه الأعطيات لا يستمرئها إلا إذا أشرك فيها غيره من أبناء وطنه الغالي

لَا نَسْتَطِيبُ الْخَيْرَ إِلَّا شَرْكَهَ *** وَكَذَاكَ نَفْعُ إِذْ نَصُدُّ مَعَاظِبًا¹

ويشبهه وطنه بالنخلة التي أغدقت عليه ثمارها دون أن تنتظر منه مقابلا ، فأراد مواساتها بأنها ما زالت نضرة كما عهدتها فلا داعي إلى أن يتسلل إليها يأس أو يلفها قنوط .

لَا تَحْزِنِي إِنْ بَدَتْ بِالْجُودِ مُقْفِرَةً *** غَوَادِقُ الْعَيْثِ بِالْخَيْرَاتِ تُؤْلِيهَا

رَبِيعُ رَوْضِكَ مَا زَالَتْ مَوَاسِمُهُ *** نَضِيرَةً تَتَمَنَّى مَنْ يُلَاقِيهَا¹

إنه يفصح عن سر سعادته مع أهله في ربوع وطنه الذين إن حبس المطر عنهم ، كان نداهم الهطال يسد عوز كل معوز وخلة كل فقير ، ويجعل هذه الأعطيات تنال من وطنه دون مشقة أو إلحاح في السؤال فإذا كانت مريم ابنة عمران - عليها السلام - هزت إليها بجذع النخلة وامثلت لأمر الحق - سبحانه وتعالى - { وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجَذْعَ النَّخْلَةَ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا } [مريم / 25] فقدمت الأسباب لترزق من ثمار نخلتها ، فإن نخلة الشاعر (الوطن) تساقط ثمرها (عطايا الوطن) دون أن يهزها ، وفي هذا مبالغة في امتنانه لما حباه به هذا الوطن ، وينم - في الوقت ذاته - عن حبه الشديد له :

لَكِنَّ نَخْلَتَهُ مَالَتْ بِقَامَتِهَا *** وَأَطَعَمَتْنِي ثَمَارًا مِنْ أَعَالِيهَا

وَمَا هَزَزْتُ بِهَا حَتَّى تَسَاقِطَهَا *** وَ لَا مَدَدْتُ يَدِي حَتَّى أَذَانِيهَا

أَعْطَانِي الرَّوْضُ مِنْ شَيْءٍ نَفَائِسِهِ *** كُلُّ الْمَوَاسِمِ جَادَتْ لِي بِغَالِيهَا¹

ثم يذكر ما آل إليه الحال وما قوبل به من تنكر وإجحاف من أبناء هذا الوطن الذي أحبه فيقول مستفهما متعجبا :

أَوَأَطْعِمُ الْوَطْنَ الْكَبِيرَ حُشَاشَتِي *** وَأُعَانِقُ الْأَحْرَارَ فِيهِ مَوَاكِبَا

وَيَحْيِي يَسْأَلُنِي الدِّينَ وَهَبْتُهُمْ *** نُورَ الْعُيُونِ مَقْاصِدًا وَمَآرِبَا¹

وبعضي متوجعا ؛

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُ يَصُونُ مَوَاهِبَا *** فَرَأَيْتُهُ لِلنَّابِغِينَ مُحَارِبَا

وَطْنَ رَضَعْنَا حُبَّهُ فَأَنَابَنَا *** عَنْ حُبِّنَا أَلَمَّا وَهَمَّا وَاصِبَا¹

وتركيزه هنا على صوت الباء واضح ، إذ اختير رويًا وتوزع في جنبات البيتين وتوظيف الشاعر لهذا الصوت الانفجاري في قصيدته العتابية يأتي منسجماً مع حالته النفسية التي اتسمت بالغضب من تنكر الوطن - ويقصد أبناءه - وهو عتاب صريح ، قرع فيه قومه على جحودهم ، فلون بيتيه بموسيقى نائرة متوترة ، ولكن قدر الموهوب أن يقابل الإساءة بالاحسان والجحود بالاعتراف فكبير القوم لا يحمل الحقد ؛

لا يَمْلِكُ الدَّوْحُ الْعَظِيمُ ظِلَالَهُ *** قَدَّرُ الْمَوَاهِبِ أَنْ تَقِيضَ مَشَارِبًا¹

فشبه صاحب المواهب - في تعدد مشاريه وضره في كل منها بسهم - بالدوح العظيم - وهو الشجر الكبير المتشعب ذو الفروع الممتدة - فكما أن الدوحة لا تملك قَصْرَ أغصانها ؛ فكذلك الموهوب همته تطاول عنان السماء وإقدامه لا يعبأ بما دون الجوزاء ، ولا يلتفت لسفاسف الأمور . ويستفهم استفهام المنكر عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه إن لم يكن في خدمة هذا الوطن ، وإن كل مجد حصله أو مكرمة نالها فهي لإعلاء رايته خفاقة بين الرايات :

فَلِمَنْ إِذَنْ تِلْكَ السُّنُونُ تَصَرَّعَتْ *** وَلِمَنْ أَقْوَمُ اللَّيْلِ شَبَحًا زَاهِبًا

وَلِمَنْ أَعَانِيَتْهَا وَأَرْفَعُ صَوْتَهَا *** بَيْنَ الْمَحَافِلِ شَاعِرًا أَوْ كَاتِبًا

وَلِمَنْ أَفَاخِرُ بِالْقَدِيمِ أَصَالَةً *** وَعَلَامَ أَحْتَضِرُ الْجَدِيدَ مَوَاهِبًا

وَعَلَامَ أَرْفَعُهَا بِأَعْلَى قِمَّةٍ *** وَأَرَى عَطَاءَ النَّاسِ فَرْضًا وَاجِبًا

أَوْهَكَذَا تَعْدُو الْأُصُولُ غَرِيبَةً *** فِي أَرْضِهَا وَتَصِيرُ كَمَا سَالِبًا¹

2 - المرأة

لم يخف التليسي ولعه بالمرأة ، وخصها بالحيز الأكبر من ديوانه ولم يصرفه علو سنه ولا عفته وبعده عن ارتكاب المحظور في أن يصوغ في مدحها أجمل قصائده ، لأنه يجد في الشعر نفثة المصدور وتسرية المهموم ويستشهد باقتباس قرآني في أن الشاعر يقول ما لا يفعل :

أَحْذَرُكُمْ أَنْ تَحْسَبُوا الْأَمْرَ وَقَعًا *** فَلِلشَّعْرِ أَوْهَامٌ وَفِي الْفَنِّ مَا يُثْرِي

يُعَوِّضُنَا عَنْ غَائِبِ بَحْيَالِهِ *** وَيَمْنَحُنَا وَهْمَ الْخُمَارِ بِلَا خَمَرٍ

وَقَدْ جَاءَتْ الْآيَاتُ صِدْقًا بِحَقِّنَا *** يُقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ مِنَ الْأَمْرِ¹

ويؤكد في كل مرة أنه طاهر الذيل عفيف الإهاب إذا ألتمس ماعنده ، وأنه لا يتورط في ارتكاب محظور
مهما تزينت المفاتن وأسفرت المغريات، فيقول مخاطبا إحدى الغواني :

يَا هَذِهِ إِنَّ الْعَرِيْمَةَ عَقَّتِي *** وَلَطَأَمَا سَدَّتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

حَرَمْتَنِي فِي عَهْدِ الشَّبَابِ لَدَاذِي *** وَمَضَتْ تُطَارِدُ فِي الْمَسَاءِ كَوَاكِبِي

وَإِذَا رَمَاكَ السَّبْقُ فِي مِضْمَارِهَا *** فَأَظْنُهَا تَحْطَى بِكَأْسِ الْعَالِبِ¹

وإن ذكر ميله إلى الحسان فسرعان ما يعود إليه ثباته وجلده وتحكمه في زمام صبوته

لَيْنُ تَحْلَى فُؤَادِي عَنْ مَقَاوِدِهِ *** وَأَطْلَقَ الشَّوْقُ مَعْقُودِي وَمَشْدُودِي

فَمَا فَقَدْتُ ثَبَاتِي عِنْدَ نَازِلَةٍ *** أَوْضَاعَ مِنْ خُطَّتِي رَسْمِي وَمَنْشُودِي¹

أما في تقرير حقيقة تعلقه بالغواني وميله إليهن طبعاً وجبلاً فيقول مخاطباً إحداهن :
أَصْرَمْتَ نَارَ مَبَاخِرِي وَمَوَاقِدِي *** وَجَلَوْتَ مَا تَحْتَ الرَّمَادِ الْحَامِدِ

وَرَدَدْتَ لِلْمَرْجِ الْجَدِيبِ رَيْعَهُ *** لَمَّا طَلَعْتَ مَعَ الْمَسَاءِ الْبَارِدِ¹

فهو يصف اضطرام النار في قلبه ، ويشبّهه بجمر خامد تحت رماد ، تُفخ فيه فعاد إلى وقده
، ويشبه نفسه بمرج جديب مقفر إلى أن طلعت محبوبته فكانت كالسقيا التي أحييت مَوَاتِهِ ، ولا شك في
أن الوصل بين المتحابين هو أنفع دواء تُداوى به جراحاتهم .

أما خبرته بأمور النساء وشؤونهن فإن له فيها القدر المعلن ، ومن ذلك عدم اكتراثه بتمنعهن
وإعراضهن لعلمه أنهن يتمنعن وهن الراغبات ؛ يقول في فاتنة تبدي تمعنا ثم يسلس قيادها :

وَحَشِيئَةُ الْوَجْهِ ، آفَاقُ مُحِجَّبَةٍ *** وَرَاءَ وَجْهِكَ كُلُّ اللَّطْفِ مُحْتَصَرٌ

كَمِثْلٍ مَعْرُوفَةٍ جَاءَتْ مَطَالِعُهَا *** صَحَابَةٌ ثُمَّ سَالَ النَّايُ وَالْوَرُ

أَوْ مِثْلَ زَوْبَعَةٍ رَعْنَاءَ أَغْقَبَهَا *** صَحْوُ تَكَادُ لَهُ الْآفَاقُ تَنْهَمِرُ¹

ذاك لأنه يعلم أنه إذا ترفق ذلّ الصعب ولأن الصُّلْبَ وآل عسيرها إلى يسر .

قَالُوا عَلَيْكَ الصَّبْرُ إِنَّ عَسِيرَهَا *** لِلْيُسْرِ ، وَالتَّبَعُ اللَّذِيذِ سَتَكْرُغُ¹

وغالبا ما يمزج إعجابه بالحسان بافتخار وتعال لاحدود له ؛ فسطوة الحب وجبروته لاتلين عريكته أوتفت
في عضده

يقول مفتخرا في قصيدة (شموخ) :

لَنْ تُدْرِكِي قِمَمِي وَلَا أَعْوَارِي *** إِنِّي أَغِيبُ بِهَا عَنْ الْأَبْصَارِ
لَنْ تُدْرِكِي قِمَمِي الْمُنْبَعَّةَ، وَنَحْهًا! *** كَمْ أَعْجَزْتُ مِنْ كَاسِرٍ مَعْوَارِ
لَنْ تَفْهَمِي كَوْنِي الرَّهِيْبَ وَمَا بِهِ *** مِنْ رَائِعٍ أَوْ سَافِلٍ مُنْهَارٍ¹

وفي قصيدة (صيادة) وبعد أن يعدد ما اشتملت عليه إحدى الغواني من مفاتن ، وما تفننت فيه من مغريات لصيده ، ينفي أن يكون كل هذا مما ينطلي عليه ويخاطبها بقوله :

وَحْشِيَّةُ الطَّيْعِ وَوَحْشٌ أَنَا *** فَلْتَعْرِزِي فِي الْقَلْبِ كُلَّ النَّصَالِ
نِصَالِكِ الْمُسْمُومِ أَخَى بِهِ *** أَشْفَى لَهُ مِنْ غِيهِ وَاعْتِلَالِ
لَنْ تَسْمَعِيهِ ضَارِعًا بَاكِيًا *** مُسْتَعْطِفًا فِي ذِلَّةٍ وَإِتِهَالِ¹

وبعضي في شموحه مخبرا أن قناته لا تلين ، وغلته ممن يجب لا تروى ، فإن ذكر قناعته بمن يجب
..... *** فَعُلَّتِي فِيكَ لَنْ تَرَوْى بِمَحْدُودِ¹

وإن توهمت ضعفه و خوره أمام مغرباتها ، فلتعلم أنه الأعصى دمعا والأربط جأشا؛

لَنْ أَذْرِفَ الدَّمْعَ حُزْنًا فِي مَعَانِيهَا *** أَوْ أَرْفَعَ الصَّوْتِ شَكْوَى مِنْ بَحْنِيهَا¹

وهو شديد التوجس من تقلب المرأة وغدرها ويجعله شيمة وجبلة فيها لا تقدر على الفكاك منه ، وهو ما يدفعه إلى أن يبادلها غدرا بغدر

إِنِّي أَخُونُ وَمَا أَخُونُ لِنِيَّةٍ *** فِي الْعَدْرِ لَكِنْ كَيْ أُرَدَّ مِثْلًا¹

فهو يؤكد أن حفظ المودة عندهن لا يكون إلا والحبيب حاضر ، والجيوب ملاءى ، فإذا غاب أو

افتقر تنكرن له ، واستبدلنه بغيره على رأي علقمة الفحل :

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ *** فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَّهِ نَصِيبُ¹

وهو ما ذهب إليه التليسي كذلك بقوله:

فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ تَحْفَظِينَ مَوَدَّتِي *** مَا دُمْتُ قُرْبَكَ هَائِمًا مَحْبُولًا

فَإِذَا مَضَى عَنِّي الْجُنُونُ وَأَقْلَعَتْ *** سَفْنِي تَرُومُ الشَّاطِئِ الْمَأْمُولًا

أَلْفَيْتُ عَاشِقَتِي تُعَانِقُ قَادِمًا *** قَدْ جَاءَ يَحْمِلُ وَافِرًا مَبْدُولًا¹

فهو المحب المتذلل إذا أقبلت ، وهو الجبار المنتقم إذا تباعدت لذا نراه يوجه (نصحا) إلى من

حوله في صيغة أمر وهو في حالة حرقة والتّياع من غدر غادرة؛

فَاشْرَبْ عَلَى شَرَفِ الْحَيَانَةِ نَحْبَهَا *** وَاتْرُكْ بِشَاطِئِهَا الْهَوَى مَقْتُولًا

لَا تَرَحَّلَنَّ بِشَهْوَةٍ مِنْ عِنْدِهَا *** وَاعْطِ اللَّذَائِدَ حَقَّهَا تَطْوِيلًا

وَاسْكُبْ لَهَيْبِ النَّارِ مِنْ أَعْمَاقِهَا *** وَاتْرُكْ لَهَا الْأَحْلَامَ وَالتَّخَيُّلَا

فَلَعَلَّهَا فِي الصَّخْرِ مِنْ أَيَّامِهَا *** تَتَبَيَّنُ الْإِخْلَاصَ وَالتَّدْجِيلَا¹

3 - بكاء الشباب

لم يأسف التليسي على شيء فاته مثل أسفه على رحيل شبابه وانفراط عقد أيامه ، على عادة الكثير من الشعراء الذين درجوا على رثاء شباهم فصاغوا في الحنين إلى أيامه الخوالي أجمل العبارات المؤثرة ، والأسف على رحيل الشباب وبكاء فراقه أمر شائع بين البشر على اختلاف أجناسهم ، وتتبع هذا في شعر الشعراء أمر يطول جدا يقول التليسي متوجعا من هذا الفقد :

رَحَلَ الشَّبَابُ وَعَامَتْ الصُّورُ *** لَا الدَّلَّ يُعْرِيه وَ لَا الْحَوْرُ
لَا الشَّعْرُ شَلَّالٌ يُعَابِثُهَا *** لَا الْجِسْمُ جَبَّارٌ وَمُفْتَحِرُ
لَا لِحْظُهَا السَّاجِي بِنَظَرَتِهِ *** لَا بُحَّةٌ فِي الصَّوْتِ تَسْتَعِرُ
لَا الْمُعْرِيَاتُ بِكُلِّ زَوْنَقِهَا *** لَا هَمْسُهَا الْمُعْسُولُ لَا الْحَفَرُ
لَا الْجِنْسُ يَصْرُخُ فِي مَفَاتِنِهَا *** أَمْوَاجُهُ تَعْلُو وَتَنْحَسِرُ
لَا مَسْحَةُ عَجْرِيَّةٍ ظَهَرَتْ *** مَحْجُوبَةٌ بِاللُّطْفِ تَأْتِرُ
فَلْتَكْشِفِ الصَّبَوَاتِ لَا حَرْجٌ *** عَطَى الْعُيُونِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ

رَحَلَ الشَّبَابُ فَأَيْنَ صَوْلَتُهُ *** لَمْ يُبْقِ مِنِّي الْهَمُّ وَالْفِكْرُ¹

ويؤكد فعل الليالي به وكيف غيرت حاله ، وأن ما مضى من أيامه السعيدة لم يكن سوى حلما استيقظ بعده على مرارة واقعه فيقول :

قَدْ غَيَّرَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَإِنْقَضَى *** حُلْمٌ أَعَارَ الْكَوْنَ بَعْضَ جَمَالِهِ¹

ويؤكد هذه الحقيقة أكثر من مرة ويبحثها في قصائده وهو ينعي شبابه الراحل ، متحسرا على سنواته الخوالي :

لَكِنَّهَا رَحَلَتْ وَلَمْ يَبْقَ سِوَى *** حَسْرَاتِهَا فِي الْقَلْبِ تَسْتَعِرُ
وَلَرُبَّ حَظٍّ مَرٍّ فِي أَفْقِي *** قَدْ خَانَهُ التَّوْقِيتُ وَالْبَصَرُ¹

ويقول في قصيدة (قلب) مخاطبا قلبه المتصابي رغم أن الشيخوخة أوثقت عقاله :

قُلْتُ لَهُ وَلَى زَمَانُ الصَّبَا *** وَفَاتَنَا الرِّيَاءُ مِنْ حِصْبِهِ
مَا عَادَتْ الْأَيَّامُ تَصْفُو لَنَا *** تَسْقِي عِطَاشَ الْحُبِّ مِنْ عَذْبِهِ¹

وإذا ذكر مرحلة العشرين من عمره ، وقف مليا يستذكر أحلامه ، ويجار بالشكوى من رحيلها عنه ، ويقول مخاطبا من جاءته بعد أن تصرمت أيامه :

يَا فِتْنَةَ غَرَاءَ سَاحِرَةٍ *** يُفْدِيكَ هَذَا الْكَوْنُ وَالْبَشَرُ
لَوْ جِئْتُ فِي الْعِشْرِينَ كَانَ لَنَا *** شَأْنٌ مَعَ اللَّذَاتِ يَنْتَظِرُ
لَوْ جِئْتُ فِي الْعِشْرِينَ ذَاكَ فَتَى *** غَاتٍ عَلَى الشَّهَوَاتِ مُقْتَدِرُ
لَوْ كَانَتْ الْعِشْرِينَ طَوَّعَ يَدِي *** لَوْفَعْتُ لَا أُبْقِي وَلَا أَذُرُ
لَكِنَّهَا رَحَلَتْ وَلَمْ تُبْقِ سِوَى *** حَسْرَاتِهَا فِي الْقَلْبِ تَسْعَرُ¹

ويلوم نفسه على أنه اشتغل بالأوهام ، فلم يحصل لأجرا ينفعه في الآخرة ، ولا هو نهل من اللذات وروى غلته ؛

أَتَلَفْتُ عُمْرَكَ لَامُثُوبَةٍ عَابِدٍ *** حَصَلَتْ فِيهِ وَ لَا مَنَى الْفُجَّارِ¹

من ذلك قوله وهو يصف حاله البائسة بعد تولى أيام الشباب الجميلة مما أشعره بوحدة قاتلة ؛

الْيَوْمَ لَا سَيْفٌ وَلَا فَرَسٌ *** لَا اللَّيْلُ يَعْرِفُنِي وَلَا الْقَمَرُ
وَالْيَوْمَ أَحْمِلُ وَحْدِي تَعْسًا *** لَا طَارِقٌ بِالْبَابِ لَا خَبْرُ
وَحْدِي نَعَمَ وَحْدِي أَسِيرُ ضَيٍّ *** وَلَى الْهَوَى وَتَزَاوَحَ الضَّجَرُ
وَحْدِي فَلَا الْكَاسَاتُ مُثْرَعَةٌ *** بِالْحُبِّ لَالِحٌ وَلَا وَتَرُ¹

ويلاحظ هنا دور التكرار في ترسيخ المعنى وتأكيده ، فقد لعب دورا هاما في نسج خيوط موسيقية ، يشع منها حزن قاتل تجاه الوحدة التي يحياها الشاعر في خريف عمره ، فجاء التكرار متقاربا في الشطر الأول من البيت الثاني لكلمة (وحدي) مفصولا بينهما بكلمة (نعم) إمعانا في تأكيد ما ينتابه من هذه الوحدة وكأن سائلا سأل مستنكرا ؛ أتعيش وحدك بعد ما كان الكثير يتزاحمون حولك ؟! » فالتكرار يضع بين أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها.¹

ونفي أن يكون الدهر قد أبقى فيه فضل قوة أو ما يغري الحسان بوصله فمجيئهن متأخر:

وَجِئْتُ وَقَدْ خَمَدْتُ جَذَوَتِي *** وَلَمْ تَبَقْ مِنْ فَضْلَةٍ فِي الدَّانِ¹

وما تعاقب على الشاعر من هموم عاصفة وخطوب واصبة ، هدت ركنه وأوهنت عظمه ف :

لَمْ يَبْقَ مِنْ أَيَّامِهِ إِلَّا الرَّؤْيَى *** تَرْوِي لَنَا مَا كَانَ مِنْ سُلْطَانِهِ¹

وبقي يندب حظه ويبكى « شبابا ليس يرتجع »¹

ووظف الشاعر كذلك أكبر حشد من (اللاءات) وهو يصف حالته النفسية التي يعاني منها عندما فقد شبابه ، وقد كان لا يهاب اقتحام المخاطر في سبيل وصل الغواني وإبقائهن في شركه :

كَانَتْ إِذَا مَا عَرَضَتْ مُحِبَّةً *** مِنْ حَوْلِهَا الْحَرَّاسُ وَالْحَفَرُ

أَنْزَلْتُهَا مِنْ عُلوِّ هَوْدَجِهَا *** لَمْ تُثْنِي الْأَهْوَالُ وَالْخَطَرُ¹

فإذا زار روضا مربعا هاجت منه البلبال و استعر فيه الشوق إلى أمسه :

فَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْ شَوْقٍ لِحَاضِرِهِ *** لَكِنْ أَتَيْنَاهُ مِنْ عَطْفٍ لِمَاضِيهِ¹

ويذكر كيف خلع عنه الشباب إهابه البديع فيتفطر قلبه حسرة ، ويتمنى عودة أيامه الخوالي ولكنه يعلم أن التمني هو استحالة المتمنى ، فينفى هذه العودة باستعماله الفعل (عاد) منفيا ب (ما)
مَا عَادَتْ الْأَيَّامُ تَصْفُو لَنَا *** تَسْقِي عِطَاشَ الْحُبِّ مِنْ عَذْبِهِ¹
وفي موضع آخر يقول :

مَا عَادَ لِي وَقْتُ يَضِيعُ ثَمِينُهُ *** فِي الْجُرَيِّ خَلْفَ جَمِيلَةِ الْأَهْدَابِ¹

ويقول عن نفسه والألم يعتصر قلبه - بعد أن رأى إحدى الحسنات الفاتنات فتذكر أيام شبابه واقتداره ، ورأى ما آل إليه حاله من ضعف ووهن - :

وَأَنْتَفَضَتْ فِي خَافِقِي جَذْوَةٌ *** كَانَتْ لَهَا بِالْأَمْسِ شَأْنٌ وَحَالٌ

كَانَ لَهَا بِالْأَمْسِ ، يَا لَيْتَهُ *** تَوَقَّفَ الْأَمْسُ وَمَاتَ الرِّوَالُ

ذَكَرْتُهُ ، ذَكَرْتُ أَيَّامَهُ *** أَيَّامَ كُنَّا نَحْنُ نَحْنُ الْخِيَالُ

أَيَّامَ كُنَّا لُبَّ هَذِي الدُّنَا *** لَا بَاطِلَ يَزِدُّعُنَا لَا مُحَالَ¹

ورغم ذلك يعلل نفسه أنه ببيانه وحكمته مازال محط إعجاب الفاتنات ! ويبرر هذا الإعجاب في قصيدة (الربيع والخريف) بأنه يسحر ألباهن بأقواله ويسط لهن شراكه بألفاظه التي شبهها بالدر، فيتركن الفتيان و يقبلن عليه!.

فَتَبَسَّمتْ يَارَوْعَةَ الْبَسَمَاتِ وَالشَّقَّةِ النَّدِيَّةِ

قَالَتْ لَهُمْ بِاللَّحْظِ مَا تُخْفِي الْجَوَانِحُ وَالطَّوْبَى

يَسَّ الرِّفَاقُ وَقَدْ رَأَوْا مِنْ رَفْضِهَا الْحُجَجَ الْقَوِيَّةِ

قَالُوا وَقَدْ أَنْسَتْ لَهُ الشَّيْخُ أُولَى بِالصَّبِيَّةِ

فَدَعُوا الطَّرِيقَ فَلَيْسَ يُجِدِي فَهَمُّكُمْ سَبَبُ الْقَضِيَّةِ

فَلَعَلَّهَا أُخِذَتْ بِسِحْرِ الْقَوْلِ وَالْدَّرِ السَّيِّئِ¹

ويشبه قلبه بطفل متوثب لم توثقه سنوات الشيخوخة فيقول :

مَا إِنْ يَرَى حَوْرَاءَ حَتَّى يَرَى *** دَلَائِلَ الْإِعْجَازِ مِنْ رَّيِّهِ¹

فكنى عن قلبه بـ (طفل متوثب) ليرمز إلى أنه رغم كبر سنه ، ما زال يملك من القوة والنضارة ما يستميل به قلوب الحسان ! فهو لا يؤثر فيه الشيب الذي علا المفرق ولا التجاعيد التي اختطتها السنون في وجهه ، وكأنه يؤمن أن الشباب شباب القلب ، فإذا رآته إحداهن قالت :

تَاجُ الْمَشِيبِ عَلَاكَ حَقًّا إِنَّمَا *** رُوحُ الشَّبَابِ بِهِ تَضِجُ وَتَخْفُقُ¹

ولكنه سرعان ما يثوب إلى رشده ويعلم أنه لايزيد في نظر الحسان عن شيخ هرم يعطفن عليه في حنان فيبادلهن بحنان الوالد

مِنْ بَعْدِ مَا عَصَفَ الثَّلَيجُ بِتَالِدِي *** جَاءَتْ تُنَاوِشِنِي وَتُوَقِّدُ خَامِدِي

لَوْ قَرَّبْتَنِي السَّنُّ كُنْتُ صَدِيقَهَا *** وَرَفِيقَهَا وَطَرَحْتُ زُهْدَ الزَّاهِدِ

لَكِنْ أَتَتْ وَالْعُمُرُ فِي إِذْبَارِهِ *** فَمَنْحَتْهَا مَيِّ حَنَانَ الْوَالِدِ¹

4 - خصائص شعر التليسي

والمتتبع لشعر التليسي من خلال النماذج السابقة يستطيع أن يلمح مميزات هذا الشعر وخصائصه الفنية فهو ينزع منزعا رومانسيا في شعره ؛ فحبه الخير ، ونشدانه السعادة ، وتقديسه للحب ، وولعه بالمرأة ؛ كلها أمارات دالة على رومانسيته فضلا أنه ملأ شعره بصور ذات تكثيف عاطفي مع جعل التشخيص عمادها ، ناهيك عن الفترة التي عاش فيها الشاعر (1930 - 2010) ، وإعجابه بالشباب وتأليفه لكتاب يُظهر فيه تأثر الشابي بجبران ، ويضمنه إعجابه هو الآخر بالشابي ، وتأثره به في شعره كما جاء في مقدمة كتابه " الشابي وجبران " : « وأعظم ما أعجبنى في هذا الشاعر الكبير صحة فهمه لرسالة الشعر ، وما أقل الأصوات التي تنطلق من الأعماق ، كما ينطلق صوته الخافت الهامس في قصائد الحب ، والعاصف الثائر في قصائده الوطنية إنه صوت عميق ... وأول عهدي بهذا الغريد ، ذلك اليوم الذي وقعت فيه على قصيدته " صلوات في هيكल الحب " فتلوته في خشوع العابد ، ورددتها في ضراعة الزاهد المتبتل ثم وجدتني أحفظها مأخوذا بسحر معانيها وروعة تعابيرها ورقة موسيقاها وبراعة التلوين والتصوير ، ومنذ ذلك اليوم أخذت أبحث عن الشابي».¹

وهذا النص يدل دلالة واضحة على مذهب التليسي الشعري فهو بمثابة البطاقة الشخصية لتجربته الشعرية.

وإذا عدنا إلى مناقشة ظاهرة التشخيص التي عُذَّت سمة من سمات الشعر الرومانسي ، نجد أن الشابي كثيرَ التوظيف لها في شعره ؛ فهو يكثر من تشخيص الأشياء والمناظر الطبيعية وقوى الإنسان صادرا عن عاطفة مشبوبة وحس مرهف بجمال الطبيعة ، ولا يذهب التليسي بعيدا عن هذا ، فهو يمنح الكائنات كيانا إنسانيا يشاركه حياته ومشاعره ، ويشحن صورته شحنا عاطفيا كبيرا ليصور مدى معاناته من وطن تنكر، ومن شباب ولى ، ومن غانية منحها حبه وجفته .

والتشخيص ليس بدعا في الشعر العربي اختص به الرومانسيون دون غيرهم من الشعراء ؛ بل كثيرا ما ورد في أشعار الشعراء منذ الجاهلية ، وأعطى الجرجاني أمثلة على ذلك من شعر لبید وتأبط شرا وقال في بيت المتنبي :

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ رَحْفُهُ** وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَارُهُ¹

« لما جعل الجوزاء تسمع - على عادتهم [يقصد الشعراء] في جعل النجوم تعقل ، ووصفهم لها بما يوصف الأناسي - أثبت لها الأذن التي يكون بها السمع من الأناسي .»¹
وأشار في موضع آخر من " أسرار البلاغة " إلى أهمية التشخيص وهو يتكلم عن الاستعارة وفائدتها فقال : « فإنك لترى بها [الاستعارة] الجماد حيا ناطقا والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية.»¹

ورغم شيوع ظاهرة التشخيص في الشعر عامة والرومانسي منه خاصة ، إلا أن ارتفاع نسبة تكرارها في صور التليسي سواء القائمة على التشابه (الاستعارة) أو القائمة على التداخي (المجاز) تذهب بالظاهرة إلى عدها سمة أسلوبية في شعر التليسي ، فهو يسقط أحزانه وما يعتمل بداخله على كل شيء حوله ، فهو يث مشاعره في هذه الأشياء من خلال تشخيصها ، وهذا يبين درجة الامتزاج بينه وبين ما حوله من كون وطبيعة فهو يعد نفسه « كائنا من جملة الكائنات ضائعا بينها لا يتميز عنها بشيء من حيث أنه مسير تسييرها وأن اختياراته ومواقفه ليست إلا تطبيقا لإرادة تتجاوز نطاقه.»¹
ورغم سعة إطلاع التليسي ونمله من ثقافتى الشرق والغرب ، وترجمته لأشعار طاغور الهندي ولوركا الإسباني ؛ إلا أنه ظل وفيًا لثقافته العربية مسايرا لحركة الشعر في العصر الحديث ، فكتب قصائد شعر التفعيلة (الحر) ولكنه لم يكثر من هذا اللون ، رغم أنه أجاد فيه إلى حد بعيد ؛ ففي قصيدة (صوت) يقول :

قَالَتْ لِي يَا سَيِّدِي
يَا فَارِسَ الْكَلَامِ

يَا غَيْمَةً
تَشْتَأُفُهَا
أَرْضِي عَلَى الدَّوَامِ
يَا نَهْرَ نُورٍ دَافِقٍ
فِي غَايَةِ الظَّلَامِ
يَا زُورَقَ النَّجَاةِ فِي عَاصِفَةِ الْإِيَّامِ
يَا وَاحِيِ الظِّلِيلَةِ الرَّائِعَةِ الْإِنْعَامِ
يَا نِعْمَةً تُجْرِي دَمِي فَتَرْكُضُ الْأَخْلَامِ
تُنْصُرُ الْعُمَرَ الَّذِي أَجْدَبَهُ الْفِطَامِ
أَرْضَعُهَا
أَشْرُفُهَا
صَافِيَةً
كَفَطْرَةِ الْعَمَامِ ...¹

وهكذا تمضي القصيدة مناسبة ، وكأن السياب* أسقطها سهوا من ديوانه ، والتليسي يبرهن بهذا أنه غير مكتر من هذا اللون لا عن خور واستصعاب ؛ بل حبا في الإيقاعات العربية المعروفة ، مقتصرنا في تحديده على الموضوعات والمضامين

أما شعر الحداثة فالظاهر أن التليسي لم يكثر له ، فهو لا يريد حداثة تبحث عن ما وراء المعنى بتحطيم المعنى وعلاقة الدال بمدلوله ، أو تخدم صرح قواعد اللغة ، وتعمل على تحديد الحاضر والمستقبل بنفي الماضي ، إن تجربته الشعرية تقف على أسس الماضي لتقيم صرح الحاضر وتطل من شرفاته على المستقبل ، إنه ينأى بتجربته الشعرية أن تكون هלוسة كهلوسة رامبو الذي قال: « لقد اعتدت على الهلوسة البسيطة وكنت أرى بوضوح كبير مسجدا مكان مصنع ، ومدرسة طبول يتولى شؤونها ملائكة ، وعربات على دروب السماء ، وصالونا في قاع بحيرة ... وقد انتهى بي الأمر إلى اعتبار فوضى فكري مقدسة. »¹

لذا لا نعثر في ديوانه على (قصائد نثر) أو طلاس لا يهتدي القارئ إلى فك غموضها ، أو رموز موهلة في التجريد ، إن بعض قصائده تعيدك إلى عصور الشعر الزاهية ، كما أن بعضها يوقفك على التجديدات التي لحقت بالقصيدة العربية وما أكسبها هذا التجديد من رونق ، ولا ينبغي أن ننسى أن

التليسي ابن زمنه وبيئته، فلا نسقط من حساباتنا تاريخية العلاقة بين النص الشعري وزمنه ، أو العلاقة بين الشاعر وبين سياقه الثقافي وحاجات عصره .

مصادر البحث ومراجعته

- 1) التليسي ، محمد خليفة - الشابي وجبران - الدار العربية للكتاب ، طرابلس (ليبيا) - ط : 1978 / 4
 - 2) التليسي، خليفة محمد - قدر المواهب (الديوان) - الدار العربية للكتاب ، طرابلس (ليبيا) - دط : 1989/
 - 3) الجرجاني ، عبدالقاهر - أسرار البلاغة - (تحقيق : محمود شاكر) - دار المدني ، القاهرة - ط : 1991 / 2 :
 - 4) الجرجاني ، عبدالقاهر - دلائل الاعجاز - (تحقيق : محمود شاكر) - دار المدني ، القاهرة - ط : 1992 / 2 :
 - 5) (جهاد ، فاضل - مقال (خليفة التليسي ...إنجازات أدبية وحضارية) - مجلة "العربي" - العدد : 628 / مارس 2011
 - 6) السقا ، مصطفى - مختار الشعر الجاهلي - المكتبة الشعبية ، بيروت - دط / 1969
 - 7) الطرابلسي، محمد الهادي - خصائص الأسلوب في الشوقيات - منشورات الجامعة التونسية ، تونس - دط / 1981
 - 8) المتنبي ، أبو الطيب - ديوانه - دار صادر ، بيروت - ط : 1994 / 15
 - 9) مطلوب ، أحمد - في المصطلح النقدي - منشورات المجمع العلمي ، بغداد - دط / 2002
 - 10) الملائكة، نازك - قضايا الشعر المعاصر - دار العلم للملايين ، بيروت - ط : 12
- المقاربات العَقْدِيَّة في تشكيل أنماط الهوية (متابعات دلالية قِيَمِيَّة)
د.محمد حجازي ،جامعة باتنة

الملخص:

يتناول المقال جملة من المعطيات، التي تتراوح بين الطرح الديني العَقْدِي، والطرح اللغوي المعرفي وفق خلاصات ومفاهيم ذات دلالات نسقية تاريخية وشرعية وأدبية؛ لكون الهوية في تشكيلها تقوم على أكثر من جهة وجانب في خصوص دلالاتها ومقامات تكوينها وغرسها في الأجيال تباعا.

والمقال يحاول طرح مثل هذه الأفكار بدلالاتها اللغوية والدينية، وفق طرح واقعي يأخذ من كل علم بطرف، ويحاول فقه هذه المدارك ورسمها بأبعادها المختلفة الجوانب والرؤى.

Résumé:

Offres avec le numéro des données, qui combinent le discours religieux grumeleux, et la soustraction de connaissances linguistiques, conformément à des résumés et des concepts de la sémantique légitimité historique systémique et morale; le fait que la formation de l'identité est fondée sur plus d'un et le côté par rapport au sens, et les sanctuaires de leur composition et instillé dans les générations, respectivement. L'article tente de discuter de ces idées Bdalaladtha linguistiques et religieux, selon de mettre un réaliste de prendre de toute la partie scientifique, et tente de la jurisprudence de cette compréhension et peint avec ses différentes dimensions et les aspects des visions.

إشكالية الموضوع:

يتعدى مفهوم تشكيل الهوية، أنماط المقاربات البيئية التي تسعى إلى ترسيخ بعض المفاهيم والأبجديات والطرائق... دون الأخرى؟ وذلك لكون مفهوم الهوية مُتَّسِع الدوائر مُتَّسِع الاتجاهات والأفكار.

والطرح الذي يحدده هذا الموضوع، يتعلق بالإجابة عن أسئلة الهوية الغير محددة المعالم والأفكار، وفق النظرات الأيديولوجية المتزاحمة بين الأنا والآخر؛ حين يقع الجدال حول الهوية العقدية واللغوية، وهما من أكثر النشاطات والمعارف طرحا وتميزا، لمكانتهما في المعارف الإنسانية قاطبة . إن هذا الطرح، يُحصر تشكيل الهوية في بُعدين يشكّلان بقية الأبعاد النظرية والتطبيقية الأخرى، وهما: الدين واللغة، وعنهما تتم الإجابات عن الأسئلة المتزاحمة والمختلفة.

مقدمة

يتحرك مفهوم الكون والحياة، وفق بُعد الزمان والمكان وتفعيل الأحداث إزاءهما، ونمط الأبعاد المكونة للإرث الإنساني ككل.

وتتمحور الرؤية بنواميس وأبجديات الفعل ورد الفعل؛ حيث الواقع الذي تألفت منه المعاشات الضمنية بقواعد الثقاف والتأصيل والانتماء، وصناعة الهوية. ووفق مراحل البُنية والتأمل، حين تنشأ المدركات الفعلية التي تثمن وتنمي قواعد الإدراك ومحصول المفاهيم؛ حتى تتشكل أبعاد الوجود الإيجابي والفعال لدى الإنسان السوي المدرك لحقيقة وجوده، كما أراد الله تعالى له أن يكون: « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَظْلُمُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ »⁽¹⁾

وهذا الاستخلاف مكمّنه فهم الأزمنة قديمها وحديثها، بوصفها أزمنة لصناعة حياة الإنسان وفق قواعد النواميس الشرعية، التي تحكي عن الميتمات الفعلية المسيّرة لدواليب الحياة وصناعة الحضارة والخيرية في هذا الوجود: لا يمكن فهم الأزمنة قديمها وحديثها، بوصفها أزمنة فحسب بل لكونها صنعت الإرث الثقافي والمعرفي والعقدي للأجيال. هكذا يقول أهل المعرفة والحكمة والدراية.

ما جعل المفكر الغربي هيرماس « HIRMAS » يذهب هذا المذهب أيضاً، حين يتحدث عن التحولات الإنسانية إزاء قواعد العصور وصناعة الأيام والظروف؛ لكن شريطة المحافظة على الأصل والمُنبت والمعتقد، يقول: لا ينكشف التوافق الأزلي في اتجاه الأبعاد المعاشة قديماً وحديثاً، إلا حين تتوافق ألبسة العصور في خاماتها، وإن اختلفت في ألوانها ودعواتها.⁽²⁾

وكأنه في هذه الحالة يؤصل للأصل والأصالة، فكلما حدث التجدد والتغيير، كلما اكتشفنا أن التشبث بالأصل فريضة حتمية لصناعة الأزمنة المختلفة (الماضي-الحاضر-المستقبل)

وهذه الصناعة تكمن دواليبها في المحافظة على ما اقتنع به العقل وهضمته الضمائر، وتجاوبت معه الأنفس؛ كما حدث للمسلمين حين اعتنقوا الإسلام وآمنوا بمبادئه وقيمه، وتأصلت عندهم المفاهيم، وثبتت كل الخيارات ومن ثمة جاء على لسانهم كما حدث عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ».⁽³⁾

¹ - سورة ص - الآية: 26

² - ينظر / محمد عبد الرؤوف عطية- التعليم وأزمة الهوية الثقافية- مؤسسة طيبة- القاهرة- ط1-2009م

³ - سورة فصلت - الآية 30

وهذا ممكن الرؤية الوجودية الأزلية الشاملة، التي يختلف بها المسلم عن غيره، في كونه هضم حقيقة الوجود، بمعنى حقيقة الدنيا بعيدا عن فكرة: (أرحام تدفع، وأرض تبلع). وبالتالي حقيقة النعيم المقيم: « وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ».⁽¹⁾

وهذه ميزة لا توجد عند غير المسلمين، من أهل الملل والنحل الأخرى قاطبة.

وبذلك تحققت عزة المعتقد، وعزة الانتماء، وعزة الوجود، يقول تعالى: « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ».⁽²⁾

-المجتمع الإنساني وأزمة المعتقد-

لقد كان الوضع الإنساني في عمومهم، يعيش حالة من الفوضى والدمار الأخلاقي والاجتماعي السائد، وذلك من أثر طغيان المادة والمنفعة واللذة على حياة الناس؛ حيث يُعَدُّ ذلك مقصدهم في المبتغى... مما جعل العالم يحتكم للغة القوة والسطوة والجاه والسلطان والنفوذ...؟ حيث هُدرت المعاني الإنسانية السامية، وديست كرامة البشر، الذي كرمه الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات مجتمعة، يقول تعالى: « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ».⁽³⁾

وبالتالي قُسمت المجتمعات البشرية إلى مناطق نفوذ وقبائل، والكلمة الأولى والأخيرة للأكثر قوة ومادة وتلاعبا بالقيم والأهداف والمبادئ!! إنها لغة الغاب، ومنطق يتناغم مع الوصف الدال والمعبر نحو سلطة القوة، وقوة السلطة: « إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ».⁽⁴⁾ وقوله تعالى أيضا: « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ».⁽⁵⁾

وبالنظر إلى حال المجتمعات، يمكن القول أنها تعيش شتاتا وتقهقرا وتخلف وظلما كبيرا؟!.

وذلك لكون الجاهلية تعتمد المواصفات نفسها والمقاييس والميكانيزمات... التي أدارت شؤون الإنسان خارج دائرة التوحيد؟! إنها مفارقات لا تصنعها إلا الجاهلية؛ و لا يشتهيها إلا الجاهلي بكل ذوق وحرص وتلقائية!!

ولعل لذلك بعض الأسباب المتعددة، يأتي على رأسها: تخلي الناس عن الطريق القويم؛ حيث كانوا أذلةً تتنازعهم الأهواء.. فأعزهم الله بالإسلام.

¹ - سورة آل عمران - الآية 133

² - سورة المنافقون - الآية 8

³ - سورة الإسراء - الآية: 70

⁴ - سورة طه - الآية: 71

⁵ - سورة غافر - الآية: 29

ومن مظاهر السطوة في تلك العهود، أن الفرس والروم كانا يتقاسمان النفوذ على كل البلاد، حيث كان العرب - مثلاً - يدفعون الإتاوات مقابل حمايتهم، وهم يعتقدون أنهم أحراراً لا يمكن لأحد أن يستعبدهم؟ لكن منطق القوة فوق كل ذلك وبكل تأكيد! وحين ارتبطوا بالذكر الحكيم، والرسالة السامية العظيمة؛ التي جاءت لإخراج الناس من جاهلية الجاهليات، إلى نور الإسلام والتشريع الحكيم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. قوله تعالى: « وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ». ⁽¹⁾ وقوله أيضاً: « وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ». ⁽²⁾ أناب الناس بعربهم وعجمهم إلى هذا الحق، الذي استبدل الجاهلية بالعلم والنور الذي هو التوحيد. والطيش والحقق بالسماحة والاعتدال، والفخر والتكبر بالتواضع وحسن العشرة والعفو الذي لا يصدر إلا عن الكريم. قوله تعالى: « وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ». ⁽³⁾

إنه الإسلام المشتق من السلام أصلاً... حيث كان ولا يزال هو الخير الذي لا ينضب، والبركة التي لا تُرهَبُ، والتحصُّر الذي لا يُزَابُ، والخُلُق الذي لا يُجَدِّبُ... وحَقُّ له صلى الله عليه وسلم أن يقول عن نفسه واصفاً رسالته التي تحمل كل هذه المعاني: « إنما أنا رحمة مهداة ». وقوله صلى الله عليه وسلم: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». ⁽⁴⁾

وعليه بدأت البشرية ترى النور المبين، حين وجد الناس أنهم مدعوون لعبادة إله واحد سبحانه وتعالى، وأن نبيهم الكريم عليه الصلاة والسلام، جاء برسالة جامعة شاملة لكل ما جاء به الرسل (عليهم السلام) من قبله... حتى أن الناس وعلى مختلف أعراقهم وألوانهم دخلوا أفواجا في هذا الدين القويم، الذي وجدوا فيه ضالتهم التي ينشدونها، وهويتهم التي يفتخرون بها - هوية اللغة والدين - والتي تسوي بين الناس في الجاه والمال والسلطان، والأفضلية فيها للتقوى والعمل الصالح، يقول تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ». ⁽⁵⁾

ثم إن الناس أدركوا أن أوضاعهم قبل الإسلام، لم تكن بمنأى عن الأخطاء الفادحة، التي كانت تدير شؤون حياتهم، ومنها ما كان يجبرهم على التعاطي مع العرقية والاحتكام للهوى... إلخ. ومن هذه المعطيات الجاهلية ما يلي:

1- الاحتكام للأعراف والتقاليد المستمدة من تجاربهم.

¹ - سورة آل عمران - الآية: 159

² - سورة المائدة - الآية: 16

³ - سورة آل عمران - الآية: 134

⁴ - ينظر/ مكارم الأخلاق - الشيخ رضي الدين أبي نصر - دار المرتضى - ط1 - 1424هـ - 2003م - ص 5

⁵ - سورة الحجرات - الآية 13

2-الاحتكام إلى العرافين والكهان، وإدارة مصائرهم عن طريق أحكامهم الظنية والتخمينية الجوفاء.

3-الاحتكام بالقرعة والكهنوت، يقول فيهم الشاعر العربي الحكيم:

لا تدري الطوارق بالحصى*** ولا زاجرات الطير ما الله صانع

4-النظر من خلال رئيس القبيلة، وما يتبع ذلك من مظالم⁽¹⁾، وأحكام عشوائية لا صلة لها بشرع ولا بدين.

ووجدوا أن الإسلام يعتمد وظيفة الخيرية والاتجاه إلى قِوامة الإنسان في كل شؤونهم وضروبه، عدلا وتسامحا ومع الجميع ودون استثناء: "من خصائص الإسلام، الحرص على إبلاغ الفرد والمجتمع أعلى مستوى ممكن من الكمال والسمو والارتقاء... وهذه هي مثالية الإسلام، ولكنه في الوقت نفسه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، ومقدار استعداده وتفاوت الأفراد في الملكات والقدرات والنشاط".⁽²⁾ وهذه هي واقعية الإسلام التي جعلت الناس يتعلقون به أكثر، ويحرصون عليه بما أوتوا من صبر وثبات وطمأنينة نفس، ورجاحة عقل.

- الإسلام وتشكيل الهوية

يتميز هذا الدين الحنيف بكونه ينبوع الذي سطع للبشرية، لإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؛ توحيدا وإخلاصا قولاً وعملاً... لأن سنن الكون تقتضي أن: لكل شيء طبيعة تخصه.⁽³⁾

وتعاليمه تنبع من حاجات الناس في مختلف الأمصار والبلدان، وعلى تنوع الألسنة والأعراق والألوان، وتتحرك وفق هوية واحدة صنعتها لفظة التوحيد حيث: "تتحرك الهوية على ثلاث دوائر ذات مركز واحد، وهذه طبيعة الهوية الإسلامية:

1-الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوية متميزة، لأن الإسلام يؤصله أولاً، ويمنح له الحرية ثانياً، والانطلاق نحو آفاق العلم والمعرفة ثالثاً.

2-الجماعات داخل الأمة، هوية ذات سقف واحد؛ لكنها متنوعة حسب الثقافة والجغرافيا والأهداف. { كحال العرب مثلاً وأهل إفريقيا }.

3-الأمة الواحدة، وهي أوسع نطاقاً وأكثر قابلية للتنوع والتعدد وحتى الاختلاف (وليس الخلاف)، مع أن الهوية في الأصل واحدة، وهي الهوية الإسلامية.⁽⁴⁾

¹ - بتصرف/ د. رحيم كاظم محمد الهاشمي وآخرون- الحضارة العربية الإسلامية (دراسة في تاريخ النظم) الدار المصرية للكتاب- القاهرة- المكتبة الجامعية- غريان- ليبيا- ط2-2008- ص 55

² - أ.د. زياد أبو حماد- معالم في الثقافة الإسلامية- دار النفائس- بيروت- ص 76

³ - محمود أمين العالم- حول مفهوم الهوية- العربي (الكويت)- العدد 437 إبريل 1995م- ص 26

⁴ - بتصرف/ د. سعيد إسماعيل علي- الهوية والتعليم- عالم الكتب بيروت- ط1- 1425هـ-2005م- ص 28

مع جعل الأفضلية في كل ذلك للتقوى والعمل الصالح المثمر للجماعة والأمة، وهذه من الخيرية التي يتسم بها المسلم في كل مجال من مجالات الحياة؛ حيث تنعدم العرقية المتطرفة وتمحي الأفكار المسبقة حول الآخر، وينشأ الأصل الطيب والانتماء الخيري المحبوب: فالولاء (الهوية) إخلاص وحب يوجههما الفرد إلى وطن معين أو دين معين أو فكرة معينة، يضحى من أجل ذلك بكل مصالحه إن اقتضت الضرورة، دفاعاً عن الانتماء والهوية⁽¹⁾. بمعنى أن الهوية الدينية تتشكل وفق قواعد الإيمان والعمل من أجله، ولا فرق في ذلك كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام في معنى حديثه الشريف: (لا فرق لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح).

إنها دعوة السماء لأهل الأرض، أن تكون الأخوة والمحبة بينهم في الإسلام ولا شيء دونه ولا سواه، يقول تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»⁽²⁾. وبذلك تتشكل قوامه الأمة، التي تهدف إلى بعث هوية متلاحمة، لا ينطبق عليها تفسير الغرب للهوية؛ لكونهم ينظرون إليها على أنها سعي مادي وهيمنة ربحية كما يقول هيجل **HIGEL**، أبرز المنظرين للهوية فلسفياً، وهي لديه: لا تنفصل عن الاختلاف والهوية الصورية المجردة؛ هي هوية الفهم أو علاقة الماهية بالظواهر!!⁽³⁾.

ولعل هذه النظرة تجاه الهوية، لا تجعلها أكثر قرباً لما تهدف إليه الدعوة الإسلامية في تشكيل ثقافة الفرد ومفاهيمه ومعارفه، وبالتالي صقل الهوية لديه بما يتلاءم ومفاهيم العقيدة وأبجديات السلوك القويم، الذي يشعر به الفرد تجاه إخوانه من أهل العقيدة والتوحيد: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه ببعض (وشبك بين أصابعه))، كما ورد عنه في معنى حديثه عليه الصلاة والسلام.

يقول في هذا المعنى والاتجاه الدكتور محمد سعيد بن أحمدو: « ننظر إلى الهوية باعتبارها وافية بدراسة ذات الفرد وتفاعله مع الآخرين، من خلال دور معين يقوم به أهل جماعة لها هويتها الثقافية والدينية، وفي ظل سلطة عامة تحدد مجموعة من الأهداف التي تسير من خلالها حياة هذا المجتمع بكافة أبعادها⁽⁴⁾.

وهذا ما يجعل مسؤولية الفرد المسلم داخل المجتمع، مسؤولية مشتركة تتعاقد حولها مجموعة أهداف ومبادئ قلما نجد نظيراً لها في فلسفة من الفلسفات أو في ملة من الملل، لأنها: تشمل جميع العلاقات

¹ - د. محمد عبد الرؤوف عطية - التعليم وأزمة الهوية الثقافية (مرجع سابق) - ص 31-32

² - سورة الحجرات - الآية 10

³ - ينظر/ د. محمد بن سعيد أحمدو - موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي (دراسة في إشكالية الهوية السياسية) - مركز دراسات الوحدة

العربية - بيروت - ط 1 - 2003م - ص 27

⁴ - المرجع السابق - ص 26

الإنسانية، وهي ثابتة لا تتغير بتغير المكان والزمان، وتشكل قاعدة أساسية للسلوك الأخلاقي والمعرفي، كالمبادئ وحل المشكلات ... إلخ⁽¹⁾.

يقول تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»⁽²⁾

لكون الإسلام يحفظ هوية الإنسان وكرامته، ويبعد عنه عوامل الذل والمهانة والانحلال.

وجعل سبحانه وتعالى لسانا بينا واضحا لهذه الرسالة، التي أعجزت بقرآنها أهل الفصاحة واللغة والبيان، من عرب الجزيرة العربية الذين كانوا آية في البلاغة وحجة في البيان والفصاحة. اللغة العربية هي لسان الوحي وترجمان الرسالة إلى البشر كافة. ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في معنى قوله: (من تكلم العربية فهو عربي). بمعنى أن اللغة العربية، هي لغة كل مسلم من أي عرق أو جنس أو موطن أو بلد: إن انتماء الدول الإفريقية مثلا، لا يقل أهمية عن انتمائها والتزامها بالعمل لوحدة الشعوب العربية والثقافة العربية الإفريقية؛ بل إن بعضا من الدول العربية يغلب عليها الانتماء الإفريقي⁽³⁾. ومن ذلك قديما الاشتراك اللغوي، حيث كانت العربية لغة الدين والعلم في كل أصقاع بلاد المسلمين: «الولاء في اللغة يعني المحبة والصدقة والقرب والقرابة والنصرة»⁽⁴⁾. هكذا كان حال المسلمين إلى أن دخل الاستعمار واحتل الأرض والعقل، فحول الناس على الأقل عن ألسنتهم العربية المهيمنة وأدخلهم في دائرة لغاته وكياناته الثقافية: إن الاستعمار متمثلا في أدواته الثقافية، كان يعي خطورة هذه الحقائق ودورها في توحيد شعوب إفريقيا خارج أرض الخلافة بشعوب أرض الخلافة في إفريقيا وخارجها، توحيدا يقود الشعوب المستعمرة في دروب التحرر خارج أداة الهوية الإسلامية الواحدة، للإبقاء على حالة الاستعمار بعد جلاء جيوشه⁽⁵⁾.

ولذلك فإن المجتمعات الإفريقية وكذلك العربية بطبيعة الحال، لم تواجه مشاكل تُعيق سيرها نحو تشكيل الوحدة والهوية مع كل من آمن بالتوحيد واعتنقه وتعلق بلغة القرآن الكريم، الذي جاء بلسان عربي مبين؛ بل إن ذلك زاد من عزة الأمة قاطبة وجعلها بدين واحد ولغة مشتركة، بالرغم من تعدد الأعراق والألسن... ولذلك لم تواجه مشاكل أعاق هذه الأخوة ولا هذه الوحدة أبدا، بل بقيت القلوب تنبض بحب بعضها في أدنى الأرض وأقصاها، دون إلفاتة للون ولا لعرق: لم تواجه المجتمعات الإسلامية فيما

¹ - المرجع نفسه - ص 13-167

² - سورة الأعراف - الآية 10

³ - المرجع السابق (موريتانيا والانتماء العربي) ص 58

⁴ - التعليم وأزمة الهوية الثقافية (مرجع سابق) - ص 31

⁵ - عبد الملك عودة وآخرون - العرب وإفريقيا - مركز دراسات الوحدة العربية - منتدى الفكر العربي - ط 1-1984 - ص 86

مضى شيئاً من مشكلات الشيخوخة، ولم تظهر هذه المشكلات بارزة في مجتمعاتنا إلا بعد أن أصيبت المجتمعات الإسلامية بأمراض المجتمعات الأخرى وتقاليدها ونظمها⁽¹⁾.

وإذا كانت منظومة الهوية تتوزع وفق هذه المدارك، وتتنوع حسب المعتقدات والأيدولوجيات، فإن فهمها بالتالي يعني كنهها الأساسي الذي بواسطتها تعرف، فهي إذاً ظاهرة تاريخية تجد تفسيراً لها أو قاعدة، أو أنها العملية التي بواسطتها تنتقي جماعة من الناس سمات معينة من ذخيرتها الثقافية والدينية في فترة من الفترات، ثم تلبس تلك السمات رداءً من الرموز والطقوس⁽²⁾.

ولذلك نجد نوعيات من الهوية، أكثرها حصناً وتقبلاً ودواماً؛ هي الهوية التي يصنعها الدين المشترك وخصوصاً إذا كان في منزلة هذا الدين القويم الذي هو الإسلام: إن الهوية القومية لمعظم الشعوب، هي محصلة لعملية طويلة من التطور التاريخي، تتضمن المفاهيم المشتركة والخبرات المشتركة واللغة المشتركة والثقافة المشتركة، والدين المشترك⁽³⁾.

ولعل مفهوم الهوية يتحقق أكثر، حينما تندمج شعوب مع بعضها من خلال مرحلة من مراحل التاريخ أخذاً بعبء الدين والهوية: لأن الهوية هي مجموعة من السمات العامة التي تميز شعباً أو أمة أو شعوباً وأما في مرحلة تاريخية معينة بمقوم أساسي يُكوّن شخصيتها ولسانها⁽⁴⁾.

وتأتي الهوية على مستويات فكرية ووظيفية ولسانية وعقدية، وكلما اجتمعت هذه الوظائف بإحكام وتقبل ووعي... كلما شكلت الهوية الأكثر تماسكاً وديمومة وعراقية: مستويات الهوية أربعة وهي:

- 1- مستوى الفرد كفاعل.

- 2- مستوى وظيفة الهوية بالنسبة للفرد.

- 3- الهوية كعنصر للجماعة.

- 4- الهوية كشعار وانتماء⁽⁵⁾.

ولهذا يجب على الخطاب الإسلامي، أن يركز على العناوين التي صنعت هذه الأمة الواحدة وشكلت هويتها العقيدية واللغوية، وحُبَّتْه عند كل مقتنع به ومؤمن بالعقيدة التي صقلته ورسخته في العقول والأفئدة والنفوس، كما هو الحال بالنسبة للأخوة التي تشكلت مع الشعوب والأعراق في جنوب الصحراء الكبرى، حيث يمكن القول: إننا ننسب إلى القارة الإفريقية وإليها تشدنا جملة من المصالح

¹ - أ.د. حسن شحاتة - من قضايا الثقافة المعاصرة - دار العالم العربي القاهرة - ط1-1430 هـ - 2009م - ص 149

outlook, 2- Khalil nakhleh (cultural de terminant of pales tian collective identity- new 47 vol.18, N°7 (1975) p.23

³ - س - ث - إيزليتا - الهوية الأمريكية - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (اليونسكو) - العدد 134 - ص 141

⁴ - بتصرف/ ندتم البيطار - مفهوم الهوية القومية - السنة الثالثة - العدد 1 - (13) سبتمبر أكتوبر 1980م ص 10

⁵ - للمزيد ينظر/ موريتانيا بين الانتماء العربي والإفريقي (مرجع سابق) - ص 26

وجملة من الروابط الثقافية والروحية (الدينية)، فالتضامن والمصير بيننا وبين القارة ينبغي أن يبقى دوماً مركز اهتماماتنا السياسية والاقتصادية والحضارية وقبلها جميعاً الدينية⁽¹⁾.

بمعنى نزاع فتيل التصادم مع الملل والنحل الأخرى، كي لا نقع فيما يناقض ويشوش على الهوية الواحدة، لأن النص القرآني يوجب التحاور والجدال بالتي هي أحسن مع الآخر، ورفض مبدأ الصدام والجدال العقيم: «يجب أن يبرز الخطاب الديني العلاقة التي كان الإسلام يقيمها بينه وبين الديانات السماوية الأخرى... فهي علاقة تقوم على المغايرة لا على الضدية»⁽²⁾.

إنها عظمة دين وصل إلى حدود منابت شروق الشمس، ومنابت غروبها. يعتز أهله بقرآنهم، وبلغه قرآنهم، وبتعاليم قرآنهم... لا فرق بين أبيضهم ولا أسودهم، ولا بين غنيهم وفقيرهم إلا بقوة القرى من الله تبارك وتعالى قولاً وعملاً، صدقاً وإحساناً، وعقلاً وعلماً وتميزاً وحضارة، وفقها واجتهاداً، آخذين بقوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»⁽³⁾. وقوله تعالى أيضاً: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۚ»⁽⁴⁾.

وبهذه التعاليم والقيم السمحة النبيلة، وصل الإسلام إلى إفريقيا وبقية أقطار الأرض، عن طريق علماء أجلاء كالعالم الشيخ آدم عبد الله الإلوري (رحمه الله) الذين أسهموا بما أوتوا من علم وحكمة وتبصر لتبليغ الناس وإفهامهم قضايا دينهم القويم ولغته السمحة المعطاءة؛ حتى يعيشوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة المقيم، يذكر الأستاذ عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم عن أعمال الشيخ الإلوري فيقول مثبته دوره كمصلح وأستاذ في بلده: «لقد أسهم الشيخ آدم عبد الله الإلوري، مؤسس مركز التعليم العربي الإسلامي باغيغي، إسهاماً فعالاً في تطور اللغة العربية وأدبها، كما لعب دوراً ملموساً في إعداد الأئمة والعلماء الهداة والخطباء والشعراء الفحول والكتاب النحارير، الذين لا يستهان بمشاركتهم في رفع الثقافة العربية وأدبها إلى أوج المجد الذي هي عليه حالياً في نيجيريا وخارجها»⁽⁵⁾. هذه الثلة من العلماء كأهم آخذين بقوله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»⁽⁶⁾. وهم يدعون الناس إلى خير الإسلام وبركاته قوله سبحانه وتعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

outlook, 1- Khalil nakhleh (cultural de terminates of pales tian collective identity- new 47 vol.18, N°7 (1975) p.23

² - أ.د. حسن شحاتة- من قضايا الثقافة المعاصرة- دار العالم العربي القاهرة- ط1-1430 هـ- 2009م- ص 85

³ - سورة القصص- الآية 56

⁴ - سورة آل عمران- الآية 159

⁵ - عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم- نظام الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تعليم التأليف باللغة العربية في نيجيريا- جامعة إلورن- موقع أنترنت

⁶ - سورة النحل- الآية 125

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»⁽¹⁾.
وشعارهم الأساسي في دعوتهم قوله تعالى: « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ »⁽²⁾.

- خطوات العلماء في الدعوة وتشكيل الهوية

حين التطرق إلى الخطوات الواجب إتباعها في مسار الدعوة إلى الله، وتشكيل أبعاد الأمة المنشودة؛ كما حدث في العهد الأول (النبوي والراشدي). يجب الذكر على أن عمل الدعاة إلى الله يتوزع على أكثر من صعيد عملي وعلمي وتربوي وإرشادي... وأيضاً على أكثر من مساحة وقطر وشعب وأمة... إلخ. لكون الدعاة إلى الله، يعملون وفق وصية: « بلغوا عني ولو آية ». وهذا التبليغ، هو الذي يشكل في الأساس مرحلة التقبل عند الآخر، والنضج عند المعتنقين أساساً لمبادئ الدين في أركانه ونظمه.

ثم إن الدعوة هي التي تحافظ على جرعات الإيمان الدائمة والمتواصلة؛ لكون القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وعليه فهي في حاجة إلى ترويض وتنقيف وتعريف بالمبادئ والأهداف والعبادات. وعند الحديث عن إفريقيا كنموذج، نجد أن دور العلماء الأوائل، هو إيصال الدعوة إلى الناس كافة، مع تمكينهم من معرفة القواعد الأولى التي بواسطتها تتم العلاقات البينية بين الإنسان وربه من خلال دينه. ويمكن استعراض هذه القواعد والأهداف من خلال المحاور العملية التالية:

- 1- التفقه في الدين أساساً، لمعرفة الأسس و المبادئ والأركان التي تقوم عليها العقيدة السمحة.
- 2- التنوع في مختلف العلوم، لأن ديننا يبنى أساساً على فهم: (اقرأ) فهما واعياً ودقيقاً، حتى يتبحر العالم في الثقافات والمعارف ليقتنع غيره نقلاً وعقلاً.
- 3- الاتصال بالجامعات والمشايخ المتخصصة وحلقات الدرس والعلم، حيث التنوع في الأفكار والتفاسير، ومعرفة المذاهب وقواعد كل مذهب بما يخدم مصلحة المسلم في دينه ولغته.
- 4- حضور المؤتمرات والندوات العلمية، لمجالسة أهل التخصص حتى يحصل الشايف العلمي والمعرفي، للوصول إلى تكوين علماء يتعدى علمهم حدود الحلال والحرام إلى حدود: « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ »⁽³⁾.

¹ - سورة آل عمران - الآية 164

² - سورة محمد - الآية 11

³ - سورة الرحمن - الآية 33

- 5- معرفة لغة الإسلام معرفة جيدة (العربية)، حتى يحصل الفهم الحق والتأويل الراجح مخافة الوقوع في المحذور الذي يُقْتَن ولا يُقْنع.
- 6- حضور الإمكانيات والمساهمات الخيرية قصد إعانة أهل الدعوة على دعوتهم، في نشر العقيدة السمحة؛ لأن الانطلاقات السليمة والفعلية لا بد لها من إيرادات تُحَفِّز المدارس والمساجد ودور الدعوة والعلم والمعرفة.
- 7- الصبر والصدق في الدعوة، لأنهما أساس الانطلاقة ومبعث التضحية والعزة والفخر، كون الداعية في طريق الله وفي رحابه، يتعرض للكثير من المخاطر ولا يخاف في الله لومة لائم، إذ لا يتوانى عن قول الحق في كل مكان وعلى مختلف الظروف والأصعدة؛ إلا إذا خشي أن يزيل منكر، ويأتي بمنكر أكثر منه، فهنا لا بد من الحكمة والصبر والدعاء...
- 8- التواصل مع قطاعات المعرفة اللغوية، حتى يتم التلاقح الإيجابي وفق معايير المعرفة والنقل والحفظ والفهم.
- 9- يتعدى نطاق تحقيق الذات في مجال الهوية، من مجتمع المساحة الضيقة إلى مجتمع المساحة الواسعة، عن طريق البرامج والحلقات والدروس التي تُثَبِّت جانب الإدراك والثقافة.
- 10- التوسع مع كل ما يحقق إدراكات التوصيل المعاري للجانب الذي يحقق هوية الأنا، وفعل التواصل مع الأزمنة والأمكنة، حتى يتم التعميم وفق تراكيب الدلالات ومجالاتها المتعددة.
- 11- وضع برامج خاصة لتحقيق الأهداف التربوية، التي ترسخ فكرة المجموع و طموح الأنا، إن على مستوى اللغة أو التصور العقدي المتجاوب مع الواقع والضرورات الحتمية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- 1- محمد عبد الرؤوف عطية- التعليم وأزمة الهوية الثقافية- مؤسسة طيبة- القاهرة- ط1-2009م
- 2- مكارم الأخلاق- الشيخ رضي الدين أبي نصر - دار المرتضى- ط1- 1424هـ- 2003م
- 3 - د. رحيم كاظم محمد الهاشمي وآخرون- الحضارة العربية الإسلامية (دراسة في تاريخ النظم) الدار المصرية للكتاب- القاهرة- المكتبة الجامعية- غريان- ليبيا- ط2-2008
- 4- أ.د. زياد أبو حماد- معالم في الثقافة الإسلامية- دار النفائس- بيروت-
- 5 - محمود أمين العالم- حول مفهوم الهوية- العربي (الكويت)- العدد 437 إبريل 1995م
- 6- د. سعيد إسماعيل علي-الهوية والتعليم- عالم الكتب بيروت- ط1- 1425هـ-2005م-

- 7- د. محمد بن سعيد أحمدو- موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي (دراسة في إشكالية الهوية السياسية)- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ط1- 2003م
- 8 - عبد الملك عودة وآخرون- العرب وإفريقيا- مركز دراسات الوحدة العربية- منتدى الفكر العربي- ط1-1984
- 9- أ.د. حسن شحاتة- من قضايا الثقافة المعاصرة- دار العالم العربي القاهرة- ط1-1430 هـ- 2009م
- 10 - Khalil nakhleh (cultural de terminant of pales tian collective outlook, vol.18, N°7 (1975) identity- new 47
- 11- سـ ثـ إيزليتا - الهوية الأمريكية- المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (اليونسكو)- العدد 134
- 12- ندسم البيطار- مفهوم الهوية القومية- السنة الثالثة - العدد 1- (13) سبتمبر أكتوبر 1980م
- 13- عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم- نظام الشيخ آدم عبد الله الإلوري في تعليم التأليف باللغة العربية في نيجيريا- جامعة إلورن- موقع أنترنت.

تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية

الأستاذ شليحي الطاهر - جامعة الجلفة

المقدمة:

لقد ترافق تطور إدارة الموارد البشرية في الفكر التقليدي مع تطور النظام الرأسمالي، فالاهتمام بالعنصر البشري جاء من حيث كونه يلعب دورا أساسيا في عمليات الإنتاج، وبالتالي فهو يمثل مورد فعال من موارد المؤسسة لزيادة حجم إنتاجها.

إن تحسين أداء المؤسسة مرتبط بتحسين أداء الأفراد العاملين بها، وبلوغ الأهداف المسطرة لكل مؤسسة فلا بد من العمل على تنمية قدرات ومهارات ومواهب الفرد وتوفير المناخ الملائم للإبداع والتحكم في قواعد العمل داخل المؤسسة مهما كان نوع نشاطها.

إن إدارة الموارد البشرية في الفكر التقليدي الحديث تركز على البناء المادي للإنسان أكثر منها على البناء الفكري، فتم الاهتمام بقضايا الأجور والحوافز المالية وتحسين البيئة المادية كوسيلة للوصول إلى تنمية المهارات الفكرية.¹

وإذا كان مردود المؤسسة يتأثر بصفة مباشرة بأداء عاملاتها، فإن المؤسسات الاقتصادية تتأثر بمتغيرات أخرى خارجية، كالتقدم التكنولوجي، انفتاح السوق، تحرير التجارة الدولية، التحولات السياسية، تطور المعارف، نمو الأسواق المصرفية المحلية، الإقليمية والدولية، انتشار الأزمات المالية..... الخ.

لقد تأثرت المؤسسات الاقتصادية سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة بهذه المتغيرات، فبعد أزمة الرهن العقاري 2008 وما تبعها من آثار سلبية في مختلف القطاعات والمجالات ظهرت العديد من الانتقادات للنظام الرأسمالي، ونادى الكثير من المحللين إلى تبني نظام اقتصادي إسلامي والتخلي عن المعاملات الربوية في البنوك التقليدية.

إن قيام نظام اقتصادي إسلامي يتطلب مجموعة من المقومات والتي يمكن من خلالها تحقيق النتائج المرجوة وتجنب أزمات وسلبات الأنظمة الاقتصادية الأخرى.

ولعل الموارد البشرية تعتبر أحد المقومات الأساسية لنجاح نظام اقتصادي إسلامي، وتأهيلها يمثل خطوة ضرورية لمنافسة المؤسسات المالية في الأنظمة الاقتصادية الأخرى.

فكيف يساهم تأهيل الموارد البشرية داخل المؤسسات المالية الإسلامية في فعالية النظام الاقتصادي الإسلامي؟

¹ - علي السلمي، إدارة الموارد البشرية الإستراتيجية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2001، ص 45.

سنحاول الإجابة على الإشكالية الرئيسية من خلال النقاط التالية:

- مفهوم تأهيل الموارد البشرية.
- واقع إدارة الموارد البشرية في الاقتصاد الإسلامي.
- مواصفات الموارد البشرية للعمل في المؤسسات المالية الإسلامية.
- دور المؤسسات الدولية في تأهيل العاملين بالمؤسسات المالية الإسلامية.
- التحديات والعوائق التي تواجه الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية.
- النتائج والتوصيات (الخاتمة)

1- مفهوم تأهيل الموارد البشرية.

يعتبر تسيير الموارد البشرية من أهم العوامل التي تؤثر على نجاعة و فعالية عمل أي مؤسسة، إذ يعتبر العنصر البشري أساس أي عمل يراد له النجاح، فهو المكلف بتقديم الخدمة العمومية و تحسين نوعيتها، وعليه فإن أي هيئة ومهما كانت طبيعتها لا يمكن أن تصل إلى تحقيق أهدافها إلا بالاعتماد على قاعدة بشرية تتمتع بالمؤهلات العلمية والمهنية التي تمكنها من أداء مهامها بصفة فعالة.

فالدولة الحديثة أصبحت لا تساوى أكثر مما يساويه الموظف العام، وإذا كانت هناك عناصر عديدة يجب توفرها من أجل الوصول إلى إدارة فعالة ورشيدة، فإن أهم هذه العناصر وفي مقدمتها وجود أفراد على درجة عالية من المهارة والكفاءة،

ونظرا لهذه الأهمية التي يكتسيها العنصر البشري أصبح من الضروري استغلاله بصفة عقلانية من أجل توظيف كل الطاقات الموجودة، وهذا يتطلب تنظيما متلائما مع الإمكانيات البشرية المتوفرة، ومع المهام المسندة إلى المؤسسة باستعمال وسائل تسيير تساهم في تثمين الموارد البشرية وتنميتها.

إن تأهيل الموارد البشرية يعتبر بمثابة عملية تدريب لزيادة المعرفة والمهارات والقدرات للقوى العاملة في مختلف المجالات، والتي يتم انتقاؤها واختيارها على ضوء ما اجري من اختبارات بغية رفع مستوى الكفاءة الإنتاجية. وقد أصبح تأهيل الموارد البشرية ضرورة حتمية في مختلف القطاعات في الكثير من دول العالم، باعتباره احد السبل المهمة للوصول إلى إدارة فعالة. كما يهدف هذا النوع من التأهيل إلى الرفع من الناتج الداخلي الخام والدخل الفردي وتحسين المستوى المعيشي وإدماج الطاقات البشرية في الأنشطة الإنتاجية الاقتصادية وغيرها وتحفيزها على المثابرة والإبداع وتوفير الظروف الضرورية لتكوين الموارد البشرية المؤهلة من حرية وتعليم متطور وحوافز مادية وذلك بالاهتمام بالبحث العلمي وجعله

مسايرا للمستجدات الاقتصادية والاجتماعية والتكوين والتحديث المستمر للكفاءات والمهارات والقدرات والتخطيط العقلاني وتشكيل أجهزة متخصصة لبرامج التأهيل وفي مختلف القطاعات.

2- واقع إدارة الموارد البشرية في الاقتصاد الإسلامي.

تشهد الساحة الاقتصادية والمالية على المستوى الإقليمي والدولي تطورا ملحوظا في الصناعة المصرفية الإسلامية، سواء من خلال إنشاء بنوك إسلامية أو في شكل فتح شبائيك لتقديم منتجات مصرفية إسلامية على مستوى البنوك التقليدية، أو تحول بعض البنوك التقليدية بالكامل إلى العمل المصرفي الإسلامي.

إن هذا الاهتمام المتزايد بالصناعة المصرفية الإسلامية جاء بعد انتشار آثار الأزمة المالية العالمية (2008) والتي أثرت بشكل كبير على الأسواق المالية العالمية، حيث نجحت المصارف الإسلامية إلى حد كبير من النجاة من آثار تلك الأزمة. ويتوقع أن يبلغ حجم الصناعة المصرفية الإسلامية عام 2015 مبلغ 2,8 ترليون دولار حسب تقرير البنك الإسلامي للتنمية، والمتعلق بصناعة الخدمات المالية الإسلامية لسنة 2006. ومن جهة أخرى فإن ازدهار هذا النوع من الصناعة المصرفية في الكثير من الدول جاء نظرا لتزايد الطلب من بعض شرائح المجتمع مما دفع البنوك إلى الاستحواذ على هذه الشرائح وتوفير المنتجات والخدمات المطلوبة.

إن ما يميز الصناعة المصرفية ما يلي:¹

- الالتزام بالضوابط الشرعية في جميع المعاملات.
- البنوك الإسلامية هي بمثابة مؤسسات تمويل بالمشاركة.
- البنوك الإسلامية لها طبيعة استثمارية.

جاء في مشروع خطة الصناعة المالية الإسلامية للبنك الإسلامي للتنمية مجموعة من التوصيات تهدف أساسا إلى تطوير صناعة الخدمات المالية الإسلامية من خلال تعزيز تطوير المنتجات المصرفية الإسلامية وتطوير الموارد البشرية المتخصصة في الصناعة المصرفية الإسلامية.

من خلال توصيات البنك الإسلامي للتنمية نجد أن عملية تنمية وتطوير الموارد البشرية تمثل خطوة أساسية لنجاح الصناعة المصرفية الإسلامية. وعلى هذا الأساس فإن إدارة الموارد البشرية تكسب

¹ - محمد البلتاجي، تنمية الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية، مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثاني، طرابلس ليبيا، 27-28 أبريل 2010، ص 04.

البنوك الإسلامية أو المؤسسات المالية الإسلامية بصفة عامة ميزة تنافسية من خلال تخطيط وتنظيم وتوظيف وقيادة ورقابة الأفراد العاملين في المؤسسة.

الموارد البشرية في أي مؤسسة مسؤوله عن تمكين المؤسسة من بناء مزاياها الإستراتيجية والمحافظة عليها وتطويرها.¹

إن المؤسسات المالية الإسلامية في واقعنا الحالي تشهد بعض القصور في الموارد البشرية المؤهلة علميا وشرعيا لتسيير قواعد الصناعة المصرفية الإسلامية، فلاحظ افتقاد المقومات الشرعية المصرفية لدى العاملين بالبنوك الإسلامية، ونقص الكفاءات المصرفية المتخصصة التي من شأنها تكوين العاملين بالمؤسسات المالية الإسلامية.

لذلك فان عدم إعطاء أهمية للتدريب المصرفي الإسلامي يؤثر سلبا على أداء المصارف الإسلامية وعلى قدرتها التنافسية في نظام اقتصادي إسلامي.

إن تطوير الموارد البشرية أصبح ضرورة ملحة، الهدف من ورائها تنمية المهارات وزيادة المعارف لدى العاملين في البنوك التقليدية أولا حتى يصبح لديهم القدرة على التمييز بين العمل المصرفي الإسلامي والعمل المصرفي التقليدي،² ثم نشر المعرفة الخاصة بقواعد ومبادئ الاقتصاد الإسلامي لدى مختلف العاملين من خلال الطرق المتنوعة لنشر المعرفة.

كما يجب الاهتمام بالتعرف على الضوابط الشرعية للعمل المصرفي الإسلامي، فالموظف في المصارف الإسلامية عليه أن يكون ملما بالجوانب الشرعية والعملية لأحدث المنتجات المصرفية وتوضيحها للمتعاملين. لان المصارف الإسلامية تهدف إلى تلبية احتياجات المتعاملين من النواحي المصرفية والتمويلية والاستثمارية بعيدا عن استخدام الفائدة.

3- مواصفات الموارد البشرية للعمل في المؤسسات المالية الإسلامية.

تساهم إدارة الموارد البشرية بدور أساسي في تحقيق أهداف النظام المالي الإسلامي عن طريق توفير الاحتياجات من القوى العاملة وضمان الاستخدام الأمثل لها وتكوينها وتأهيلها وفق قواعد ومبادئ نجاح هذه المؤسسات المكونة للنظام المالي الإسلامي.

¹ - ز عباط عز الدين، تخطيط الموارد البشرية في المؤسسة، رسالة ماجستير في العلوم التجارية تخصص تسويق، جامعة الجزائر 2004- 2005، ص 02.

² - محمد البلتاجي، الموارد البشرية أهم تحديات المصارف الإسلامية، الموقع الإلكتروني الخاص بالدكتور محمد البلتاجي

www.bltagi.com

فالنشاطات التمويلية والاستثمارية والخدمية في المؤسسات المالية الإسلامية تعتمد على مبادئ وضوابط شرعية لفقه المعاملات، وهذا ما يتطلب مواصفات خاصة من حيث المهارات والقدرات التي يجب أن تتوفر في العاملين لديها.

ولذلك تحتاج المؤسسات المالية الإسلامية وخاصة البنوك الإسلامية إلى:1

- موارد بشرية قادرة على جذب المودعين، وفهم طبيعة العلاقة التي تربط المودع بالبنك الإسلامي.
- عمالة قادرة على تقديم الخدمة المصرفية بالسرعة والجودة الملائمتان وفقا للمتطلبات الشرعية.
- نوعية من الموارد البشرية قادرة على البحث عن الفرص الاستثمارية الملائمة، ودراسة جدواها وتقييمها وتنفيذها ومتابعتها في إطار الضوابط الشرعية.

أ- توظيف وانتقاء العاملين في المؤسسات المالية الإسلامية:

تعتبر عملية التوظيف من أهم أنشطة إدارة الموارد البشرية لأنها تهدف إلى توفير أفضل العناصر من ذوي الكفاءات والمؤهلات. وتتقتضي عملية تعيين الأشخاص إلى دراسة مسبقة ودقيقة للوصف الوظيفي.

فالصناعة المصرفية تحتاج إلى موارد بشرية مدربة وملمة بشؤون التمويل والصيرفة الإسلامية وفقه المعاملات بصفة عامة

ولكي يتم الاختيار السليم لهذه العمالة، يتحتم على إدارة الموارد البشرية بهذه المؤسسات المالية الإسلامية القيام بما يلي:²

- تحليل الوظيفة المطلوب شغلها وتحديد وصفها ومتطلبات أدائها بدقة.
 - تحليل مواصفات الشخص الذي سيشغل هذه الوظيفة بدقة.
 - الموازنة بين وصف ومتطلبات الوظيفة، وبين مواصفات الشخص الذي يشغل الوظيفة.
- إن العامل في المؤسسات المالية الإسلامية يجب أن يكون ملتزماً بالقيم الإسلامية والتأهيل العلمي المتطور الحديث والقائم على الأصول الإسلامية، وأن تكون مجالات التدريب واكتساب خبرات الممارسة العلمية ميسرة، باعتبار أن تلك المؤسسات المالية الإسلامية هي بمثابة مختبر لتطبيق قواعد الشريعة الإسلامية في مجال المال والصيرفة. وكلما كان العامل بها يجمع القيم والكفاءة الفنية، كلما حققت مقاصدها بكفاءة وتميز.

¹ - د. عبد الحليم غربي، الموارد البشرية في البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، مجلة الباحث عدد 06 / 2008، ص 50.

² - د. نادية أمين محمد علي، تأهيل الكوادر البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية، مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي 06/03-05/31 / 2009، ص 16.

ولكن مع الأسف أنه توجد العديد من البنوك الإسلامية، تسرب إليها العديد من العاملين ممن يفتقدون التأهيل المعنوي والعلمي، والقيم والأخلاق الإسلامية، ولم يحصلوا على الثقافة والتكوين في المبادئ الإسلامية لتسيير العمل المالي والمصرفي الإسلامي. وهذا مايؤدي إلى تراجع الخدمة المقدمة من طرف هاته المؤسسات المالية الإسلامية. لقد أكدت مؤتمرات المصارف الإسلامية على أهمية انتقاء وإعداد العاملين بالبنوك الإسلامية، حتى يتمكنوا من القيام بدورهم كدعاة في مجال فقه المعاملات قبل أن يكونوا موظفين في جهاز مالي.

إن حسن انتقاء العاملين بالمؤسسات المالية الإسلامية يعتبر من الأمور الأساسية لضمان مسيرة البنوك الإسلامية في الطريق المستقيم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية.

ومن أهم الأسس التي يجب أن يعتمد عليها في انتقاء العاملين مايلي:¹

1. أساس القيم والمثل والأخلاق: وهو أن يتحلى الموظف في المؤسسات المالية الإسلامية بالحد الأدنى من القيم الإيمانية والأخلاق الفاضلة، وهذا الأساس لا مفاضلة بينه وبين الأسس الأخرى،

2. أساس السلوك السوي: يجب أن يتوفر في المتقدم للعمل بالمؤسسات المالية الإسلامية السلوك الاجتماعي الأخوي المتعاون الحريص على مصالح المسلمين، والتعامل بالحسنى مع الموظفين والمتعاملين، وأساس ذلك قوله تعالى " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا " (البقرة 83)، وقوله صلى الله عليه وسلم " الكلمة الطيبة صدقة " وقوله عليه الصلاة والسلام " لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " وقوله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " (رواه البخاري ومسلم)

3. أساس الاختصاص: يلزم توصيف الوظائف توصيفا دقيقا ووضع العامل المناسب في المكان المناسب بعيدا عن المحاملات والصدقة الشخصية، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم " من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين " (أخرجه الحاكم)، فلا يجوز إرضاء الناس على حساب شرع الله، قال صلى الله عليه وسلم " من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس " (أخرجه الترمذي)

4. أساس الكفاءة الفنية: ويقصد بها القدرة والخبرة على إتقان العمل والأخذ بأحدث الأساليب العلمية والعملية في أداء العمل ولاسيما في المواقع التي تتطلب مستوى متخصص، ولقد كانت

¹ - د. حسين حسين شحاتة، المصارف الإسلامية بين الفكر والتطبيق، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2009، ص134.

القوة (الخبرة والكفاءة والقدرة) من احد معايير اختيار سيدنا موسى عليه السلام للعمل عند سيدنا شعيب، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ " (سورة القصص: 26).

5. أساس الثبات والاستمرارية والوفاء: ويقصد به التأكد من حيث المبدأ بالاستمرار في العمل متحملاً في هذا المجال ما يصادفه من عقبات ومشاكل وصعوبات. يقول الله تبارك وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (آل عمران: 200)

6. أساس العلم والمعرفة: أن يكون لدى المتقدم للعمل في المؤسسات المالية الإسلامية قدر مناسب من الثقافة الإسلامية والثقافة الاقتصادية والمالية والمصرفية، وأن يكون لديه الاستعداد لتنميتها. إن تطبيق هذه الأسس عند انتقاء العاملين بالمؤسسات المالية الإسلامية يضمن اختيار مجموعة متكاملة يتوفر فيها صحة العقيدة واستقامة السلوك وارتفاع الكفاءة ومن ثم تحسين الأداء للمؤسسة، وتعزيز مكانتها.

ب- مجالات تأهيل الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية:

إن المقصود بتأهيل الموارد البشرية هنا هو تدريب الأشخاص العاملين بالمؤسسات المالية الإسلامية على إدارة النشاط المالي والمصرفي الإسلامي.

والتدريب من الناحية الاصطلاحية نقصد به تعديل ايجابي لسلوك الفرد من الناحية المهنية أو الوظيفية وذلك لإكسابه المعارف والخبرات التي يحتاج لها من اجل رفع مستوى كفاءته في الأداء وزيادته في الإنتاجية. والتأهيل في المؤسسات المالية الإسلامية يعتبر أحد أهم الآليات لنجاعة النظام المالي الإسلامي، وهو يتطلب مايلي:¹

- التأهيل الفني: يشتمل على العمل المصرفي والمالي التقليدي مع استبعاد كل ما هو مخالف للشريعة الإسلامية.
 - التأهيل الشرعي: يتعلق بصيغ التمويل والاستثمار ومختلف المنتجات المصرفية الإسلامية.
 - التأهيل الأخلاقي والمهني: ويشتمل على قواعد السلوك الذاتية المؤثرة في الأداء الوظيفي.
- فالتأهيل يجعل من الشخص أهلاً لمزاولة نشاطه في المؤسسة. والتأهيل الشرعي يجب أن يكون تاماً وشاملاً، إذ أن الموظف بالمؤسسة المالية الإسلامية لا بد أن يكون على علم تام بمختلف أحكام المعاملات المصرفية التي يقوم بها وهو ما ينعكس على أداء المؤسسة.

¹ - د. عبد الحليم غربي، مرجع سابق، ص 50.

إن برامج التأهيل التي تقوم بها المؤسسات الإسلامية لفائدة مواردها البشرية تتطلب جهوداً معتبرة وإستراتيجية فعالة لبلوغ الأهداف المرجوة، من خلال توفير الموارد المالية لتحقيق هذه البرامج.

ولقد بذلت جهوداً عديدة في مجال تأهيل الموارد البشرية للمؤسسات المالية الإسلامية بمختلف أصنافها، كإنشاء مراكز التدريب على الأعمال المصرفية الإسلامية وإنشاء معاهد المصارف الإسلامية وإدخال موضوعات الاقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية في الجامعات وعقد الندوات العلمية وحلقات البحث والدراسة في مجال الاقتصاد الإسلامي. وذلك بهدف مشاركة العاملين بتلك المؤسسات لتنمية معلوماتهم ومعارفهم والإلمام بأحدث المستجدات العلمية والعملية عن المؤسسات المالية الإسلامية. شكل رقم (1) اهتمام البنوك الإسلامية بتدريب الموارد البشرية

مركز التدريب	المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب	مراكز تدريب داخلية	معاهد التدريب المصرفي	شركات ومكاتب تدريب
--------------	---------------------------------	--------------------	-----------------------	--------------------

الإسلامية، 2007، ص 12.

4- دور المؤسسات الدولية في تأهيل العاملين بالمؤسسات المالية الإسلامية.

أصدرت الهيئات الدولية العديد من القرارات والمعايير والتوصيات الخاصة بأهمية تأهيل الإطارات البشرية العاملة بالمؤسسات المالية الإسلامية ومن أهم هذه الهيئات نجد:¹

أ- هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية:

التي أكدت على ضرورة إعداد برنامج خاص لتهيئة الطاقات البشرية وتأهيلها لتطبيق العمل المصرفي الإسلامي في إطار تحول البنوك التقليدية إلى بنوك إسلامية. وقد أصدرت الهيئة العديد من الموثائق الخاصة بالمحاسب والمراجع الخارجي للمؤسسات المالية المصرفية وكذا أخلاقيات العاملين في المؤسسات المالية الإسلامية.

¹ - د. محمد البلتاجي، تنمية الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية، مرجع سابق، ص 15.

ب- المجلس العام للبنوك الإسلامية:

تأسس الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية عام 1987 بهدف التنسيق بين البنوك الإسلامية، وتحول إلى المجلس العام للبنوك الإسلامية ومقره البحرين. وقد قام المجلس بإنشاء شهادة المصرفي الإسلامي المعتمد عام 2009 بهدف إعداد موارد بشرية مؤهلة للعمل في الصناعة المصرفية الإسلامية.

ت- مجمع الفقه الإسلامي الدولي: أصدر مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة توصية رقم 67 بشأن مشاكل البنوك الإسلامية تنوّه بأهمية التأهيل لكل من القيادات والعاملين بالخبرات المنسجمة مع طبيعة العمل المصرفي الإسلامي فنياً وشرعياً.

كما صدرت عديد التوصيات عن مؤتمرات وندوات عدة تهدف في مجملها إلى ترشيد مسيرة البنوك الإسلامية بوسائل مختلفة من بينها تقديم برامج لتدريب العمالة في البنوك الإسلامية على أحدث نظم الإدارة وغرس المفاهيم الإسلامية للعقيدة في الشريعة الإسلامية وكيفية ممارستها عملياً.¹

5-التحديات والعوائق التي تواجه الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية.

يمكن أن نبرز أهم العوائق والتحديات التي تواجه المؤسسات المالية الإسلامية بصفة عامة والبنوك الإسلامية بصفة خاصة في النقاط التالية:

- تدني الكفاءة الشرعية والمصرفية للعاملين.
- ضعف التنمية المهنية للعاملين.
- غياب الآلية الموضوعية للاختيار والتعيين.
- قلة عدة المتخصصين في الصيرفة الإسلامية.
- تدني مستوى مشاركة العاملين وتفعيل دورهم في تطوير أداء البنوك الإسلامية.
- غياب الاستشاريين الذين يجمعون بين العلم الشرعي والمصرفي في آن واحد.
- الاعتماد الكلي للبنوك على العمالة القادمة من البنوك التقليدية دون الاهتمام بالنواحي المعرفية الشرعية، وهذا ما يؤدي إلى تدني الجانب الشرعي للبنوك الإسلامية.
- ضعف البنوك الإسلامية على التطوير والمنافسة.
- عدم وجود معايير موحدة لتعيين وتطوير العاملين بالبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية.
- عدم كفاية وملاءمة البرامج التدريبية والدورات التأهيلية للعاملين بالبنوك الإسلامية.
- غياب المؤسسات اللازمة لتأهيل العاملين بهذه المؤسسات المالية الإسلامية.

¹ - د. عبد الستار أبو غدة، إعداد العاملين بالبنوك الإسلامية، الندوة الدولية "ترشيد مسيرة البنوك الإسلامية" دبي، 3-5 سبتمبر 2005، ص 14.

- عدم الاهتمام بأنظمة تقييم أداء العاملين.
- غياب مناهج الاقتصاد الإسلامي في أغلب الجامعات.
- غياب الثقافة الاقتصادية الإسلامية لدى أغلب شرائح المجتمع وهو ما يفسره عدم استيعاب الناس للكثير من المصطلحات في فقه المعاملات.
- أن المعاملات المصرفية الإسلامية صغيرة الحجم مقارنة مع البنوك التقليدية في الكثير من الدول الإسلامية.

الخاتمة

تعتبر الموارد البشرية عنصرا أساسيا وفعالا في نجاح أي مؤسسة مهما كان نشاطها، وأداء المؤسسات المالية الإسلامية مرهون بأداء عاملاتها، فإذا كانت المؤسسات المالية الإسلامية لها أهداف تنموية فإن ذلك مرهون بمدى توفر رأسمال بشري ملائم ومؤهل اقتصاديا وشرعيا. وكلما ارتفعت درجة تأهيل العاملين بالمؤسسة المالية الإسلامية أدى ذلك إلى تحقيق الأهداف المرجوة على أحسن وجه، ومع التطور الذي تشهده الصناعة المصرفية الإسلامية والتي تتطلب إعداد وتنمية موارد بشرية مؤهلة علميا وعمليا.

يمكن أن ندرج بعض التوصيات في سبيل مواجهة التحديات المتوقعة:

- تبني أنظمة اختيار سليمة تقوم على الكفاءة والمهنية والمعرفة الشرعية للصيرفة الإسلامية ومختلف المعاملات الإسلامية.
- تبني أنظمة تقييم أداء سليمة وعادلة للعاملين وفرق العمل لتعزيز الأداء المؤسسي وتمكين العاملين وإشراكهم في عملية تحسين أداء المؤسسات المالية الإسلامية.
- الاهتمام بأنظمة التدريب والتنمية المهنية لإعداد موارد بشرية قادرة على فهم متطلبات العمل المصرفي الإسلامي للقيادات والعاملين.
- التنسيق مع الجامعات والمعاهد المتخصصة في مجال الاقتصاد الإسلامي لتنمية قدرات العاملين.
- رفع مستوى رضا العاملين سعيا في تحسين رضا العملاء والعمل على قياسها.
- تعزيز الثقافة المؤسسية ذات العلاقة بالصيرفة الإسلامية لدى جميع العاملين في البنوك الإسلامية.
- تعزيز الاتصال راسيا وأفقيا داخل المؤسسات المالية الإسلامية بما يحقق فرق عمل فعالة وتطوير أداء العاملين بشكل أكثر اتساعا وتعزيز عملية التمكين للعاملين.

- تطوير أنظمة حوافز للعاملين وأسلوب التعامل من قبل المسؤولين وأنظمة الاتصال وتشجيع المبادرات ومن ثم تحسين مناخ العمل من كل الجوانب.

قائمة المراجع:

- 1- علي السلمي، إدارة الموارد البشرية الإستراتيجية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2001.
- 2- محمد البلتاجي، تنمية الموارد البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية، مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثاني، طرابلس ليبيا، 27-28 ابريل 2010.
- 3- حسين حسين شحاتة، المصارف الإسلامية بين الفكر والتطبيق، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2009.
- 4- عبد الستار أبو غدة، إعداد العاملين بالبنوك الإسلامية، الندوة الدولية "ترشيد مسيرة البنوك الإسلامية" دبي، 3-5 سبتمبر 2005.
- 5- نادية أمين محمد علي، تأهيل الكوادر البشرية في المؤسسات المالية الإسلامية، مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي 31/05-06/03/2009.
- 6- عز الدين خوجة، "الرؤية المستقبلية للمصارف الإسلامية"، المجلس العام للبنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، 2007.
- 7- عبد الحليم غربي، الموارد البشرية في البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، مجلة الباحث عدد 06 / 2008.
- 8- زعباط عزالدين، تخطيط الموارد البشرية في المؤسسة، رسالة ماجستير في العلوم التجارية تخصص تسويق، جامعة الجزائر 2004-2005.
- 9- محمد البلتاجي، الموارد البشرية أهم تحديات المصارف الإسلامية، الموقع الإلكتروني الخاص بالدكتور محمد البلتاجي www.bltagi.com

أنماط تقويم أداء المدارس الأهلية (بالمملكة العربية السعودية)

الدكتورة ناهد عبد الله الموسى
أستاذ مساعد الإدارة التعليمية
كلية التربية - جامعة الملك فيصل الأحساء
المملكة العربية السعودية

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استكشاف أسس وأساليب تقويم جودة مدارس التعليم الأهلي و مداخله الحديثة, واستعراض أفضل الممارسات والنماذج المتنوعة في العديد من الدول سواء الأجنبية أو العربية, هذا بالإضافة إلى الوقوف على واقع مدارس التعليم الأهلي بالمملكة والممارسات السائدة في تقويم جودة أدائه والمعوقات التي تواجه تحسين جودة مخرجاته.

وفي ضوء ذلك تناولت الدراسة عدة محاور لمعالجة ظاهرة البحث تضمنت: أبعاد الجودة بالتعليم الأهلي وأهميتها, الجودة ومؤشرات الأداء وتحقيق الميزة التنافسية, أهمية معايير الجودة بالتعليم الأهلي, دواعي تقويم الأداء ومتطلباته التي ارتكزت على تحليل الأدبيات المعاصرة في الجودة وتقويم الأداء المؤسسي.

واعتمدت الدراسة في تناولها على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي يتيح تحليل العوامل الثقافية والاجتماعية المؤثرة على ظاهرة البحث والمتعلقة بجودة أداء مدارس التعليم الأهلي و أساليب تقويمه بهدف دعمه وتحسين جودة مخرجاته, وعلى ضوء ذلك تناولت الدراسة العديد من الخبرات الدولية في تقويم الأداء و تحسين جودة التعليم الأهلي, حيث اشتملت تلك الخبرات على دول غربية هي إنجلترا وهولندا والولايات المتحدة وكندا, ودول أسيوية هي كوريا الجنوبية و سنغافورة , هذا بالإضافة إلى استراليا ونيوزيلاندا وبعض الخبرات العربية هي مصر والكويت وقطر, بما يحقق الشراء والتنوع في تلك الخبرات واستخلاص العديد من الدروس المستفادة التي يمكن من خلالها تطوير ممارسات التقويم الحالية بالتعليم الأهلي في المملكة.

ثم تناولت الدراسة بالتحليل الوضع الراهن لممارسات تقويم الأداء السائدة بمدارس التعليم الأهلي, وذلك للوقوف على جوانب القوة و عناصر الضعف التي تحول دون تحقيق الكفاءة والفعالية. وانتهت الدراسة

بطرح أهم التوصيات والمقترحات التي يمكن من خلالها تطوير ممارسات وأساليب تقويم الأداء المدرسي بالمملكة وتحسين جودة المخرجات والمتطلبات البشرية والتنظيمية المحققة لذلك

مشكلة الدراسة:

يمكن القول بأن عملية تقويم التعليم في العالم العربي ليست موجودة بالشكل الصحيح ولا تحقق أهدافها المرجوة , وإذا تأملنا في تجربة تقويم التعليم العربية، نجد أنها تعتمد بشكل رئيسي على التقويم الوزاري الإداري الذي يفتقر بطبيعته إلى النظرة الموضوعية، ويقع أسيراً لنظرة المسؤولين في مؤسسات التعليم الذين ينحازون عادة بشكل تلقائي لسياسات وبرامج التعليم التي يشرفون على وضعها وتنفيذها، أما في شأن الطرق المتبعة في تقويم التعليم العام سواء الحكومي أو الأهلي، فيمكن القول إن عمليات تقويم التعليم في الدول العربية تواجه ثلاث مشاكل رئيسية: (الحكمي, 1428 , 7)

1. عدم الاهتمام بتقويم نتائج برامج التطوير.
2. أن عملية تقويم أهداف وسياسات ومناهج وبرامج التعليم لا تهتم بمعرفة مدى النجاح في نشر وتجسيد ثقافة التنمية بين الطلبة.
3. تقتصر عمليات التقويم غالباً على دراسة علاقة المنجزات بالأهداف وتفتقر إلى المقارنة مع الآخر فيما يتعلق بأهداف وسياسات ومناهج التعليم .

ولقد أضحت المدارس الأهلية إشكالية كبيرة في واقعها اليوم إذا لم تقنن بنظام محدد وواضح المعالم والأسس والأهداف، فالتعليم الأهلي ومنذ تأسيسه وهو لم يستكمل ثورته التعليمية المأمولة في ظل الضعف القائم في الرقابة والإشراف من قبل وزارة التربية والتعليم في ظل غياب المعايير المنظمة وغياب الجودة، فلا بد للمدارس الأهلية أن تواكب المرحلة وأن تكون مؤهلة تربوياً وتعليمياً وتقنياً وعلى قدر كبير من الكفاية والجودة العالية في التعليم والتعلم وفق رؤية معلنة وواضحة المعالم والأهداف والمنطلقات، وذلك من خلال تطبيق معايير جودة للمدارس الأهلية على مختلف مراحلها من قبل وزارة التربية والتعليم.

ومن جهة أخرى فإن التعليم الحكومي والأهلي يعاني في الكثير من الدول العربية من عدم وجود سياسات وآليات مؤسسية لتقويم نواتجه بشكل عام، وخاصة في نهاية مراحل التعليم العام، فتقويم مخرجات التعليم يتم عن طريق بيانات غير دقيقة، ومثل هذه البيانات لا يمكن الاعتماد عليها لتقويم مخرجات التعليم، ولا يمكن كذلك استخدامها كأداة للمساءلة أو المحاسبة سواء لأجهزة التعليم التنفيذية أو للمدرسة أو للمعلم.

وتأسيساً على ما أبرزته الدراسات من نتائج من حيث الاهتمام الواضح بالتقويم المؤسسي في الفكر الإداري التربوي المعاصر، وما أبرزته من سبلات تتعلق بأسلوب التقويم ، يمكن القول أن أسلوب

تقويم الأداء المتبع يعاني من مشكلات عديدة ويحتاج إلى نظام شامل ومتكامل يهتم بتقويم جميع ميادين ومجالات المؤسسة التعليمية سواء الحكومية أو الأهلية. وفي ضوء ما سبق يمكن أن تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

كيف يمكن تطوير ممارسات تقويم جودة مدارس التعليم الأهلي بالمملكة العربية السعودية في ضوء بعض الخبرات الأجنبية؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

- 1- ما الأسس الفكرية والتنظيمية المرتبطة بتقويم جودة أداء مدارس التعليم الأهلي ؟
- 2- ما أوجه المقارنة والدروس المستفادة من الخبرات الدولية في تقويم أداء مدارس التعليم الأهلي؟
- 3- ما واقع أداء مدارس التعليم الأهلي بالمملكة العربية السعودية ؟
- 4- ما أهم التوصيات و المقترحات لتطوير ممارسات تقويم جودة التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية ؟

مقدمة:

تشهد المؤسسات التعليمية تقدماً مستمراً في كل مجال من مجالاتها المختلفة، ومن ثم فلا بد من التوقف والتأمل والتدبر بهدف التعرف على الأعمال الإيجابية وتعزيزها والتعرف على أسباب السلبات التي تعوق الأعمال وتهدر الجهود والطاقات والأموال التي يجب أن توظف في تحقيق الأهداف التي يتطلع إليها واضعو الخطط والبرامج التعليمية والتربوية.

ومن الوسائل المعينة على تحقيق ذلك استخدام مدخل تقويم جودة الأداء المدرسي الذي يهتم بجميع عناصر العملية التربوية والتعليمية التي تحدث داخل المدرسة بدءاً من الإدارة المدرسية والمعلم والطالب إلى آخر منظومة العناصر التربوية والتعليمية ويهدف التقويم إلى الكشف عن مواطن القوة ومواطن الضعف في المدارس، والارتقاء بمستويات كافة عناصر العملية التعليمية والتربوية، وإشعار المجتمع بكافة فئاته بمستوى التعليم الذي تقدمه المدارس، وتقديم معلومات للسلطات التعليمية العليا عن مستوى التعليم مما يساعد على رسم وتوجيه خطط التعليم وفق أسس قوية قوامها الإحصاءات الدقيقة والمعلومات الصادقة.

لقد تزايد اهتمام صناع السياسة بجودة الأداء المدرسي، بما استدعى إصلاح نظام التقويم حتى يمكن تفعيل دوره، كما تم دعم نظم التقويم الذاتي للمدارس School Self Evaluation. ويبدو أن التقويم المدرسي في كثير من الدول في الوضع الراهن لا يؤدي بالضرورة إلى تحسين الأداء، حيث تحتاج المدارس ما هو أكثر من المعلومات الناجمة عن التقويم، فهي تحتاج إلى إرشاد أو توجيه

guidance ودعم فني Technical Support حول كيفية إجراء التحسينات الضرورية، ومن ثم يمكن القول أن التقويم هو في قلب كل استراتيجيات وسياسات تحسين جودة التعليم في جميع الدول في الوقت الحاضر، ومن ثم تزايدت المطالبات بالحاجة إلى تطوير نظم تقويم الأداء المدرسي بهدف دعم المحاسبية والفعالية التنظيمية ومتابعة ومراقبة وضمان جودة التعليم. (Grauwe, Niadoo,2004,53)

إن تحسين جودة التعليم يمثل قضية واهتمام مستمر لصناع السياسة على المستوى الوطني، وتقويم التعليم المقدم للتلاميذ هو أحد وسائل تحقيق ذلك الهدف، ويتخذ هذا التقويم صوراً عدة ومهام يفترض أن تقوم بها المدرسة والسلطات المحلية، والهيئات المستقلة على المستوى الوطني. وقد ركز البرلمان الأوروبي في 12 فبراير 2001م على تلك القضية بالتعاون مع مجلس الاتحاد الأوروبي، وكان أحد التوصيات هو التأكيد على العلاقة التبادلية بين التقويم على المستوى الداخلي internal evaluation أو ما يطلق عليه التقويم الذاتي، والتقويم من قبل مؤسسات خارجية مستقلة عن المؤسسات التعليمية external evaluation. (EUROICE,2001)

ويساعد التقويم على كشف جوانب القصور والضعف في كافة ميادين ومجالات العمل المدرسي وعلاجها، وكشف جوانب القوة وتدعيمها وذلك لتحقيق جودة الأداء حيث يهتم بالإدارة المدرسية وفعاليتها في استخدام الموارد، وأداء المعلمين في أنشطة التعليم والتعلم، والمناهج الدراسية وما يلزمها من أنشطة وبرامج ودورات، وعلاقات المدرسة مع الآباء وأعضاء المجتمع المحلي، والمناخ المدرسي وما يرتبط به من علاقات إنسانية. (Iosifescu,2002,p.1)

ولقد دعم الاجتماع الثالث لوزراء التعليم في آسيا ومنطقة المحيط الهادي أولوية الإصلاح المنهجي للتعليم System reform، وكان أحد أهم الأبعاد هو تحقيق الشفافية Transparency، والمحاسبية Accountability تجاه الخدمة التعليمية المقدمة، بما يعني أن صانعي السياسات والإدارات التنفيذية تحتاج معلومات للإجابة عن الأسئلة الخاصة بفاعلية وملاءمة وكفاءة وتأثير وفائدة أو العائد من تكلفة المشروعات والبرامج التعليمية التي يتم تنفيذها لتطوير التعليم، وبالتالي يأتي هنا دور تقويم أداء المؤسسات التعليمية، وتقويم أثر المشروعات والبرامج التعليمية. (APEC Conference, 2006,126)

ولقد أصبح التقويم ركناً أساسياً من أركان العملية التربوية لأنه عملية تصدر عنها أحكام تستخدم كأساس للتخطيط والمراجعة الأساليب والأهداف ولذا فقد أمتد إلى كل عنصر من عناصر العملية التربوية بهدف تحقيق الجودة الشاملة في المجال التربوي بناء على ضبط العملية التربوية لمعايير محددة. (ascd.org,2005) ومن ثم يعتبر التقويم التربوي أحد أهم العناصر المطلوبة لضمان الجودة

في التعليم، فضمان الجودة، وتحسين مستويات تعلم الطلاب، لا يمكن تحقيقه إلا من خلال عملية إصلاح شاملة للتقويم، تتناول فلسفته وأغراضه وأساليبه وتقنياته، ومدى تكامله مع عناصر العملية التعليمية الأخرى. (Kluth, Straut , 2001,4,5).

ونتيجة لعدة مبررات مثل: ضعف قدرة الجهات الرسمية على تولي كافة أنشطة التعليم من ممارسة وإشراف، أو زيادة في تقديم خدمات تعليمية وتربوية ذات معايير جودة عالية، أو لخلق مناخ تنافسي إيجابي في تقديم الخدمة التربوية والتعليمية فقد نشأ الملمح الأهلي للنشاط التعليمي، والتعليم الأهلي هو تعليم موازي يهدف إلى تقديم خدمات تعليمية قد تكون جودتها راقية، وذلك لمنافسة الخدمة التعليمية الرسمية، أو ذات جودة متوسطة لتناسب بيئات اجتماعية ذات ظروف اقتصادية واجتماعية وثقافية معينة. وللتعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية جذور عميقة في التاريخ ولاقى المساعدة والمعاونة والدعم من المجتمع السعودي سواء من الحكومة أو من الشعب على حد سواء، وقد شهد هذا النوع من التعليم مظاهر نمو عديدة سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف وجودة الخدمة المقدمة.

الإطار النظري للدراسة:

أولاً: جودة التعليم بالمدارس الأهلية

لا تتحقق الجودة من خلال فحص المخرجات، بل من خلال التحسين المستمر للعمليات، ففحص المخرجات في النظام التعليمي يجعل التقويم منصباً على الأفراد في صورة فحص يتم في نهاية العام الدراسي مع العلم أن الفترة المتبقية لا تسعف في عملية الإصلاح، بينما التحسين المستمر للعمليات يعمل على توظيف التقويم بشكل مستمر في تحسين العملية التعليمية بكافة عناصرها كالمناهج وطرائق التدريس والوسائل التعليمية ونحو ذلك، وبهذا يمكن ضمان الترابط الوثيق والمستمر بين عمليتي التقويم والتعلم.

ومن المسلم به أن التقويم يعتمد على التقييم، والتقييم يعتمد على القياس، ومن المناسب أن تضع الممارسات التقييمية للتعليم في اعتبارها ممارسة التقويم التربوي من منظور الجودة التي تهتم بمدى مقدرة المنتج التعليمي على تلبية متطلبات الطالب، وسوق العمل، والمجتمع، وكافة الجهات الداخلية والخارجية المستفيدة، ويمكن القول إن الهدف الرئيس لتقويم التعليم، هو التأكد من جودة العملية التربوية ومخرجاتها وتأثيراتها وينبثق من هذا الهدف مجموعة من الأهداف الفرعية منها : (Quality.nist.gov)

1- تحسين مستوى أداء المدرسة من خلال الاستناد إلى المعلومات التي يوفرها التقويم الذي يكشف العوامل ذات العلاقة بفاعلية أداء المدرسة والمؤثرة فيه. والكشف كذلك عن المشكلات ومواطن الضعف للتعامل معها بفاعلية.

2- التحقق من أن متطلبات واحتياجات الجهات ذات العلاقة بالتعليم مثل الطالب والأسرة والمجتمع المحلي والوطن قد تحققت.

3- تحديد المعايير والأهداف ومستويات الإنجازات المتوقع تحقيقها، من قبل القائمين على العملية التربوية.

4- المساءلة (المحاسبية) Accountability من خلال التقويم النهائي (Summative Evaluation)

5 - جمع المؤشرات التربوية عن النظام التعليمي بشكل شامل للمساعدة في التخطيط ووضع برامج التحسين المستمر.

6- تحديد المشكلات التي تعترض تحقيق الجودة للعملية التعليمية ومخرجاتها.

7- توفير المبررات للموارد المالية والبشرية التي تركز للتعليم.

8- توفير تغذية راجعة تساهم في تحسين مستوى عناصر العملية التعليمية ونواتجها.

وتتكون العناصر المكونة لجوانب الأداء المدرسي من المدخلات، والعمليات الداخلة، والمخرجات المكونة لمنظومة المدرسة. ومن أمثلة المدخلات: الأهداف العامة للمدرسة، الطلاب، المعلمون، المبنى المدرسي، المرافق والتجهيزات، الإيرادات المالية، القوى البشرية، ونحو ذلك. ومن أمثلة العمليات الداخلة: طرائق التدريس، العلاقات بين الطلاب والمعلمين، طبيعة الإدارة المدرسية، الإجراءات والأساليب المتبعة في تشغيل المدرسة، النشاط الطلابي، أساليب التقويم، البرامج والفعاليات التي تنفذ من خلال التشغيل اليومي للمدرسة، تفاعل المدرسة مع محيطها الخارجي، وغير ذلك. أما المخرجات فتتمثل في المعارف والمهارات والمواقف التي يتعلمها الطلاب من خلال عملية التعلم. (إسماعيل 2006، 22)

وتربط جودة أداء مدارس التعليم الأهلي بدعم القدرات التنافسية التي تحتاجها تلك المؤسسات، كما تعتمد الجودة بوجود معايير ومؤشرات واضحة لتقويم الأداء والوقوف على مجالات التحسين المطلوبة، ويمكن إيضاح ذلك في نطاق ما يلي:

1- الجودة ومؤشرات الأداء:

لبناء نظم حديثة للتقويم، تزايد الاهتمام بصياغة مؤشرات لقياس الأداء، حيث تهدف المؤشرات التربوية إلى وضع صورة كلية للنظام التربوي من خلال الوصف الصادق لهذا النظام ومختلف عناصره، بما يتيح وضع الحلول المناسبة لمعالجة نواحي الخلل والقصور. (الشرقاوي، 2003، 43) كما توفر المؤشرات التربوية المجال لعقد مقارنة للأوضاع التعليمية بالمناطق المختلفة بالدولة، وبالمثل تتيح المؤشرات التربوية الفرصة لمقارنة الأوضاع التعليمية بالدولة بغيرها من الدول وخاصة المتقدم منها بما يوضح مدى التطور والتحسين القائم وكذلك المرغوب تحقيقه. (eei.gov.eg)

2- الجودة والرقابة المدرسية:

تؤدي الرقابة المدرسية على الجودة دوراً حيوياً في تحديد وقياس جودة التعليم بهدف دعم وتطوير مسيرة التعليم. (ماض, 2002, 72) والطريقة المثالية لتحقيق أقصى درجات الفائدة من إطار عمل الرقابة المدرسية، هو أن تبادر المدارس إلى استخدام إطار العمل كوسيلة تستطيع من خلالها أن تنفذ وبشكل منتظم عمليات تقييم ذاتي حول مدى تأثير عمل المدرسة في نجاح عملية تعلم الطلبة. (khda.gov.ae) وينصرف مفهوم الرقابة إلى مجموعة العمليات والأساليب التي يتم بمقتضاها التحقق من أن الأداء يتم على النحو الذي حددته الأهداف والمعايير الموضوعية، فالرقابة بهذا المعنى تتضمن عمليات تسبق الأداء وتخلله ثم تعقبه بعد حدوثه، فالرقابة تتضمن إذا مجموعة من العمليات التي تستهدف توجيه الأداء نحو تحقيق ما رسم له من أهداف ومعايير وقياس درجة نجاح الأداء الفعلي في تحقيق الأهداف والمعايير بغرض تقويمه وتصحيحه. (acc4arab.com)

3- الجودة وتحقيق الميزة التنافسية:

تنشأ الميزة التنافسية نتيجة لعوامل داخلية أو عوامل خارجية، حيث تتضمن العوامل الخارجية تغير احتياجات، التغيرات التكنولوجية أو الاقتصادية أو القانونية قد تخلق ميزة تنافسية لبعض المؤسسات نتيجة لسرعة رد فعلهم على التغيرات. من هنا تظهر أهمية قدرة المؤسسة على سرعة الاستجابة للمتغيرات الخارجية وهذا يعتمد على مرونة المؤسسة و قدرتها على متابعة المتغيرات عن طريق تحليل المعلومات و توقع التغيرات . أما العوامل الداخلية هي قدرة المؤسسة على امتلاك موارد و بناء قدرات لا تكون متوفرة لدى المنافسين الآخرين . و لا ينحصر الإبداع هنا في تطوير المنتج أو الخدمة و لكنه يشمل الإبداع في الإستراتيجية و الإبداع في أسلوب العمل أو التكنولوجيا المستخدمة (stocksforlife.com)

4- أهمية معايير جودة التعليم الأهلي:

هناك تنوع كبير في "المعايير"، "والقيم" التي يتحدد في ضوءها ما إذا كانت تلك المدرسة فعالة أم لا، أو ما إذا كانت أكثر فاعلية من مدرسة أخرى : فهذه القيم وهذه المعايير تختلف لدى الآباء عنها لدى التلاميذ، فضلاً عن تلك التي يفرضها السوق، وتلك التي تتبناها وسائل الإعلام (creamers 1996, p 40). وهناك تكامل بين بُعدي : الجودة Quality، والعدالة Equity في مفهوم الفاعلية Effectiveness، حيث تقاس فاعلية المدرسة بمدى ما تحققه من قيمة مضافة Value added في مخرجاتها تتمثل في جودتها، وتقاس في ذات الوقت بمقدار نجاحها في أداء الدور التعويضي

Compensatory Power تجاه تلاميذها، لعلاج أوجه الاختلال وعدم الإنصاف في خصائصهم، والتي ترجع غالباً إلى عوامل مجتمعية لا دخل لهم فيها، كالمستوى الاقتصادي. (carter,1998,pp 4,5)

وتحقق معايير جودة التعليم عديداً من الفوائد للمدارس الحكومية والأهلية، والتي من أهمها ما يلي:

أ- استخدام معايير الجودة كإطار لمدخل التقويم المؤسسي للمدرسة:

تعتمد عمليات التقويم المؤسسي للمدارس على استخدام معايير لجودة الأداء المدرسي وذلك للحكم على الإنجاز و الأداء، (Communications Unit, 2005,p.14)، والتعرف على الجوانب الإيجابية في الأنشطة والممارسات المدرسية وفي إنجاز وتحصيل التلاميذ ومدى تمكنهم من مهارات القراءة والكتابة، بالإضافة إلى باقي جوانب العملية التعليمية، كما يتم تحديد نقاط الضعف والجوانب السلبية في مجالات العمل المدرسي فتظهر بعض الفجوات وهي جوانب قصور وضعف، (Woodhead,2005,p.9) ومن ثم يتم معالجة هذه السلبيات وجوانب القصور والضعف من خلال التغذية الراجعة وعمليات التحسين والتطوير المدرسي المنظمة للوصول إلى معايير للأداء (Quality Texas Foundation2005,,p.1)

ب- استخدام معايير الجودة كدليل المراجعة الخارجية للمدارس:

يتم استخدام معايير الجودة كإطار ودليل في عمليات التفتيش والمراجعة من قبل السلطات التعليمية العليا، حيث يقوم المفتشون والمراجعون بزيارات متعددة للمدارس ويقومون أدائها من خلال معايير محددة للجودة، وهذا ما يقوم به مكتب معايير التعليم في إنجلترا Office for Standards in Education (OFSTED, 2003,p.8-9).

ج- استخدام معايير الجودة في الاعتماد الأكاديمي للمدارس:

ترتكز هيئات الاعتماد الأكاديمي على معايير للجودة في اعتمادها للمدارس وإقرار صلاحيتها في مختلف ميادين ومجالات العمل المدرسي وهي الإدارة المدرسية والمعلمين والمناهج الدراسية وما يرتبط بها من برامج وأنشطة، والموارد المدرسية، والشراكات المجتمعية. (El- Khawas, 2001, pp. 59-60)

د- استخدام معايير الجودة كإطار للترخيص بمزاولة المهنة للمديرين و المعلمين

تُعتبر معايير الجودة إطار ودليل أساسي تستخدمه الهيئات التعليمية المسؤولة عن إعطاء الرخصة بمزاولة مهنة التدريس أو تجديد تلك الرخصة لمديري المدارس والمعلمين (Adams, Copland,2005,33-35).

هـ- استخدام معايير الجودة في تصميم المناهج والأنشطة الدراسية :

تعتمد المناهج الدراسية المعاصرة وما يرتبط بها من برامج وأنشطة على معايير لجودة التعليم في تصميمها وفي تنفيذها حيث يُراعى فيها أن تكون شاملة لجميع جوانب المعرفة وتتكامل في تخصصاتها المتنوعة، كما أنها تساهم في أحدث التطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة، وتُلبي احتياجات جميع التلاميذ وتراعي تنوعهم في العوامل الثقافية والاجتماعية كما تُراعي أهداف المجتمع في تربية أبنائه (Rabionwitz, et.al, 2006, pp. 2-4)

و- استخدام معايير الجودة للارتقاء بعمليات التنمية المهنية للعاملين بالمدارس:

تُحدد معايير الجودة المعارف والمهارات والقدرات والسمات في كافة ميادين ومجالات العمل المدرسي، كما تُحدد الأداء الأمثل الذي ينبغي أن يصل إليه الأفراد، ولذلك تعتبر معايير إطاراً ودليلاً مرشداً أمام إدارة المدرسة والعاملين يتم مقارنة الأداء الفعلي بها باستمرار. (Rout, 1998, pp. 1-3)

ز- استخدام معايير الجودة في تفعيل دور المشاركة المجتمعية في التعليم:

يتم وضع معايير لجودة التعليم من خلال مشاركة كافة المهتمين والمعنيين بالعملية التعليمية من تلاميذ ومعلمين وإداريين وإدارة مدرسية وموجهين والسلطات التعليمية المحلية والرسومية وأولياء الأمور والمجتمع المحيط بالمدرسة بمؤسساته الخدمية والتعليمية. (Hansche, et al , 1998, pp. 11-12)

ح- استخدام معايير الجودة في تعديل المسار الوظيفي للأفراد:

يتم استخدام معايير للجودة كإطار للمدرسة لاختيار الأفراد ضمن هيئة العاملين بالمدرسة، وكمشرد في إسناد المهام والمسئوليات والأدوار إلى الأفراد العاملين، كما تستخدم كمحرك أساسي في عمليات الترقية والحصول على الحوافز والمكافآت، أما الأفراد الذين لا يحققون تلك المستويات فبعد استنفاد فرص تغيير وتعديل الأداء في ضوء هذه المستويات فيتم إنهاء خدماتهم. (Peach, 1997, p.3)

ثانيا: دواعي تقويم الأداء المدرسي ومتطلباته:

لقد شهد الحقل التربوي تحولاً في مجال التقويم بما يؤكد أهميته في تحقيق التطوير والجودة ويمكن إجمال أبرز تلك التحولات في الجدول التالي: (الحكمي, 2005 , 18)

م	مجال التحول	التحول من	التحول إلى
1	أغراض التقويم التربوي	الاقتصار على التقويم	التقويم للتعليم

		للمحاسبية	
2	علاقة التقويم بالواقع (context)	التقويم البعيد عن السياق الواقعي	التقويم الحقيقي والتركيز على استخدام المهارات في سياق واقعي
3	التحول في عدد المقاييس ونوعها	من مقياس منفرد (الاختبار مثلاً)	مقاييس متعددة تشمل الاختبارات والتقويم البديل (مثل تقويم الأداء وملفات أعمال الطلاب)
4	أبعاد التعليم ومعايير	بعد مفرد واحد	أبعاد تعلم متعددة ومتداخلة
5	أبعاد الذكاء	أبعاد قليلة (مهارات عديدة ونقطية)	أبعاد متعددة (الذكاء المتعدد)

وبناءً على تلك التحولات تتطلب عمليات التقويم استخدام أسلوبيين من أساليب التقويم , هما الأسلوب النوعي و الأسلوب الكمي.

و لإضفاء الطابع المؤسسي على التقويم, هناك عدد من العناصر الضرورية التي تشمل: (stufflebeam,1997,p.143)

- 1- تقييم جميع المكونات التي تؤثر على النجاح التنظيمي .
- 2- الحفاظ على الاستمرارية والمرونة
- 3- تقييم أداء الأفراد والجماعات والمنظمة ككل
- 4- يعزز التحسين المستمر والتميز
- 5- الاعتماد على المعايير ذات الصلة بالتقويم
- 6- تلبية المتطلبات المهنية للتقويم الصحيح.

كما ينبغي على المؤسسة أن تقوم بتقويم جميع الجوانب التي لها تأثير على الخدمات التي تقدمها للعملاء مثل : (Mississippi Department of Education,2006)

- خلفية وحاجات وتحصيل الطلاب.
- مشاركة أولياء الأمور.
- كفاءة وأداء المعلمين والإدارة.
- الخدمات المساعدة والأنشطة اللاصفية.

وهناك عدة نقاط تبرز من خلالها أهمية التقويم، وخطورة الأدوار التي يلعبها في المجال التربوي ويمكن إجمالها فيما يلي: (جمعة، 2006، 52)

- يساعد القائمين على أمر التعليم على رؤية الميدان بوضوح وموضعية.
- يشخص للمدرسة والقائمين عليها مدى تحقيقهم للأهداف التي وضعت لهم.
- يساعد التقويم القائمين على سياسة التعليم على أن يعيدوا النظر في الأهداف التربوية بحيث تكون أكثر ملاءمة للواقع الذي تعيشه المؤسسات التعليمية.
- وفيما يلي يمكن استعراض دواعي أو مبررات تقويم جودة الأداء، وأنماطه ومطلباته، بما يعكس تطور الفكر التربوي في هذا المجال.

1- دواعي تقويم مؤسسات التعليم الأهلي ما يلي:

أ- التعرف على نقاط القوة والضعف في كافة مجالات العمل المدرسي:

يتمخض عن عمليات التقويم التعرف على جوانب القصور والضعف في كافة ميادين ومجالات العمل، وكذلك العوامل التي أدت إلى وجود هذه الجوانب، كما يتم التعرف على جوانب القوة والإيجابيات والإنجازات التي حققتها المؤسسة.

Department of Education in Northern Ireland, 2001, pp. 1-)

(2

ب- تفعيل دور المشاركة المجتمعية في التعليم:

تؤدي المشاركة المجتمعية في عمليات التقويم إلى رؤى وتصورات أكثر خبرة في تطبيق وتنفيذ الحلول لأنها نتاج مجموعة متنوعة، كما أنها توفر عمليات التغذية الراجعة لمواجهة أي نوع من القصور في الأداء. (Brodie 2004, pp. 2-3)

ج- إعداد المدرسة وتجهيزها لعمليات المراجعة الخارجية:

يعتبر التقويم مدخلاً مهماً وحيوياً لإعداد المدرسة وتجهيزها لعمليات التفتيش والمراجعة الخارجية، "فمن خلال التقويم الذاتي تضع المدرسة يدها على جوانب الضعف ونواحي القصور وتحاول وضع حلول لها. (MacBeath, 2001, p. 5)

د- استخدام معلومات القيمة المضافة في تقويم الأداء المدرسي:

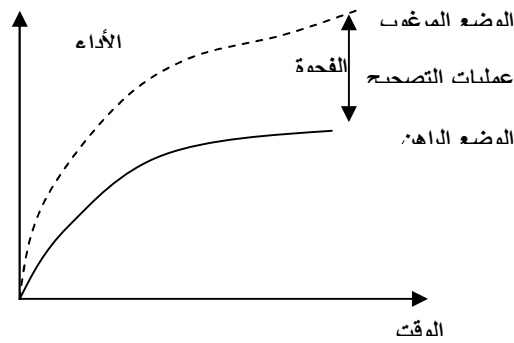
تعد معلومات القيمة المضافة معلومات رسمية للتعرف على ما الذي أضافته المدرسة للتلاميذ والمعلمين وهيئة العاملين بالمدرسة، ويتم من خلالها مقارنة الإنجازات والمستويات السابقة بالإنجازات والمستويات الحالية. (Meas,2003,P.6)

كما تُعتبر أيضاً معلومات القيمة المضافة دليلاً على صدق الأداء المدرسي والإنتاجية المدرسية في البرامج والسياسات التربوية وتركز تركيزاً كبيراً على النمو والتقدم في الإنجاز والتحصيل والمهارات وذلك من خلال نموذج إحصائي يجمع كل المعلومات عن التلاميذ. (H. Meyer,2002, PP.1-2)

هـ- تحليل فجوات الأداء المدرسي Gap Analysis :

تمثل الفجوة تلك الفروق الناجمة عن المقارنة بين الأداء في الوضع الراهن والأداء المرغوب أو المستهدف، والغرض من ذلك هو ترتيب الأولويات على أساس الموارد المتاحة والقدرات التنظيمية القائمة، ويوضح الشكل التالي فجوة الأداء. (حامد, 1998, ص23)

فجوة الأداء



يتبين من الشكل السابق أن فجوة الأداء تتمثل في تلك المسافة الفاصلة بين مستوى الأداء في الوضع الراهن ومستوى الأداء المستهدف تحقيقه والذي يتم التخطيط للوصول إليه، وهناك مساران لمعالجة تلك الفجوات (العارف, 2000, 135)

- الحل التبادلي ويرتكز على تعديل مستوى الأهداف حتى تلائم الإمكانيات الفعلية المتاحة
 - الحل التحويلي ويتمثل في معالجة المعوقات المسببة للفجوة .
- وبنظرة تحليلية على ما سبق يتضح أن هناك اهتماماً متزايداً بتقويم الأداء المدرسي نتيجة للعديد من الدواعي، أهمها تحسين ذلك الأداء ومعالجة جوانب الضعف أو القصور، وغلق فجوات الأداء، بالإضافة إلى دعم دور المشاركة المجتمعية.

2- أنماط تقويم أداء مدارس التعليم الأهلي :

النمط الأول: التقويم الذاتي المستقل استقلالاً تاماً عن عمليات التفتيش والمراجعة الخارجية

حيث لا توجد علاقة بين التقويم الذاتي والتفتيش والمراجعة الداخلية، فالمدرسة في هذا النمط تقوم بعمليات التقويم الذاتي ثم عمليات التحسين والتطوير المدرسي وتسترشد المدرسة بالمستويات المعيارية لجودة التعليم لقياس الممارسات والخبرات والأنشطة المدرسية (MacBeath, 2001, P.29)

النمط الثاني: التقويم الذاتي للمدرسة كبديل للإشراف الخارجي:

وفي هذا النمط من التقويم يلغي تماماً عملية الإشراف والتفتيش والمراجعة الخارجية، وتتم عمليات التفتيش والمراجعة والإشراف في إطار لا مركزي على مستوى المدرسة والمجتمع، وفي هذا النمط تقوم المدرسة بعقد مقارنات بينها وبين المدارس المشابهة لها في نفس البيئة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ويشارك المجتمع مشاركة كاملة في إعداد هذه الأدوات (De Grauwe, Op.Cit, P.77)

النمط الثالث: التقويم الذاتي كإعداد للمراجعة الخارجية:

حيث تتم عمليات التقويم الذاتي والمراجعة الداخلية أولاً ثم يليها التقويم والمراجعة الخارجية وذلك توكيداً لجودة عمليات التقويم الذاتي للمدرسة (Macbeath, Op. Cit, P.29) ويشيع هذا النمط من التقويم في البلدان التي تتبع لا مركزية التعليم والإدارة الذاتية للمدارس، حيث تُعطى استقلالية للمدارس في التصرف وحرية كاملة في اتخاذ القرارات والقيام بعمليات التحسين (De Grauwe, Op. Cit, P.78)

النمط الرابع: المراجعة والتفتيش الخارجي باعتباره تصديقاً للتقويم الذاتي:

وفي هذا النمط يكون هناك اندماج بين عمليات التقويم الذاتي للمدرسة والمراجعة والتفتيش الخارجي، ولكن عمليات التقويم الذاتي تتميز باستقلالية أكثر من النمط الثالث، حيث إن عمليات المراجعة والتفتيش الخارجي تكون تصديقاً لإجراءات التقويم الذاتي وفحصاً لصدقه. (De Grauwe, Op. Cit, P.80)

النمط الخامس: الإشراف الخارجي يدعم التقويم الذاتي للمدرسة :

ويُعرف هذا النوع من التقويم الذاتي للمدرسة بالنمط المتعاون Co-operative Mode وفيه يتم التعاون التام بين المدرسة والمستويات الإدارية العليا والإشراف والمراجعة والتفتيش الخارجي لتنمية وتطوير مدخل عام ومفهوم مشترك لعمليات التقويم الذاتي للمدرسة. (Macbeath, Op. Cit, P.29)

من خلال ما سبق، يتضح أن هناك العديد من أنماط تقويم جودة الأداء، ويتوقف ذلك على الغرض من التقويم وأهدافه والقائمين عليه، حيث يتركز ذلك على نوعين أساسيين هما التقويم الذاتي أو الداخلي internal or self evaluation والتقويم الخارجي external evaluation

3-متطلبات التقويم الفعال لأداء مدارس التعليم الأهلي:

أ- تطوير آليات المحاسبة التعليمية:

تهدف المحاسبة إلى مساعدة قادة المدارس على إدارة أداء مدارسهم بكفاءة وفعالية، والتركيز على أولويات عمليات التحسين والتطوير المدرسي وتنمية الإبداع والابتكار في العمل، وتطوير العمل الإداري في المدارس، والانتقال بالمدرسة إلى نظام محاسبي واحد موثوق به ويجمع حوله الأفراد، ويحظى بمصداقية ودعم المهتمين بالعملية التعليمية داخل المدرسة (State of Victoria, 2005, p. 2) وتعتمد المحاسبة على إعطاء المدارس استقلالية وتفويض السلطات في تحمل المسؤوليات والمهام والقيام بالأعمال (Dunford, 2003, P.8)، وأن تكون المدرسة مسئولة مسئولية كاملة أمام أولياء الأمور والمجتمع والسلطات التعليمية عن جودة الخدمة التعليمية التي تقدمها للتلاميذ (Davis A and White J, 2001, P.667)، في ضوء الالتزام بالتعليمات والتشريعات والقوانين المحلية أو الإقليمية أو القومية والتمسك بمعايير والمؤشرات المهنية للأداء (Anderson, 2005, P.1)

ب- بناء معايير ومؤشرات واضحة لتقويم الأداء:

تُستخدم المعايير في عمليات التقويم المؤسسي ومقارنة أداء المدرسة بالمدارس الأخرى (Daft, 2000, P.642)، وكل معيار يتضمن مؤشرات Indicators، وتُستخدم تلك المؤشرات كمحك لمقارنة الأداء الحالي بما لخلق معايير جديدة وتحسين العمليات الموجودة حالياً. (Have, Et. Al, 2003, P.22)

ويتعدد ويتنوع الإطار العام للتقويم المؤسسي بين كثير من دول العالم ففي هولندا يشتمل الإطار العام للتقويم المؤسسي للمدرسة على ثمانية مجالات (Misiak, 2002-2004, PP.49-50) أما في البرتغال يشتمل الإطار العام للتقويم المؤسسي للمدرسة على ثلاثة مجالات (Climaco, 1995, P.152) وفي أستراليا يشتمل الإطار العام للتقويم المؤسسي للمدرسة في ولاية فيكتوريا على خمسة مجالات هي تعليم وتعلم التلاميذ، والمناهج الدراسية، والبيئة والمناخ المدرسي، والإدارة المدرسية، والمعلمين، والموارد والتمويل (State of Victoria, 1997, P.19)، وفي النمسا يشتمل الإطار العام للتقويم المؤسسي للمدرسة على اثني عشر مجالاً (Hopes and Schirp, 1999, P.145).

ج- إعداد قواعد بيانات ومعلومات متطورة:

هناك نوعان من المعلومات يحتاجها التقويم المؤسسي للمدرسة، النوع الأول هو المعلومات الكمية Quantitative Information وهي تشمل إجراءات عددية واتجاهات، إحصائيات من سجلات الحضور، إحصاءات سكان، أما النوع الثاني فهو المعلومات النوعية Qualitative Information (Jehl, 2001, P. 5.)

وهناك عديد من الاعتبارات يجب على المدرسة الأخذ بها في عملية جمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها، وهذه الاعتبارات مثل الموضوعية أي أن القائمين بالتقويم لديهم موضوعية شديدة في الملاحظة وتسجيل البيانات، وجمع المعلومات من مصادرها الأصلية (Lakerveld, 2002, p.1.)، كما يتميزون بالمصداقية في إظهار السلبيات والأخطاء، (Office for Standards in Education in England, 2001, P.29)

• استخدام الأدوات المناسبة لجمع البيانات والمعلومات:

إن استخدام الأدوات والمقاييس غير المناسبة قد تؤدي إلى بيانات غير حقيقية وتفتقد إلى المصداقية ولا تعكس الواقع الفعلي للمجال الذي يتم تقويمه، كما لابد من تدريب المقومين على استخدام هذه الأدوات وأن يكون لديهم المهارة في استخدامها وتطبيقها (State of New South Wales, 2003, P.7)

د- القيام بعمليات التحسين والتطوير المدرسي وتحديد أولوياته:

فالمدرسة لا تستطيع أن تقوم بعمليات التحسين والتطوير المدرسي بدون تقويم ذاتي منظم لسياسات وبرامج المدرسة، والعائق الأساسي في عمليات الإصلاح والتحسين والتطوير في المدارس قلة المعلومات حول ما تم فعله وما لم يتم، والتقويم المؤسسي للمدرسة يقدم معلومات ذات قيمة حقيقية تحظى بمصداقية وقبول القائمين بأنشطته وهذا يساعد كثيراً في القيام بعمليات التحسين والتطوير المدرسي ورفع كفاءة العملية التعليمية (Hanushek, 2005, P.23)

هـ- إعداد وإصدار التقرير السنوي للأداء المدرسي:

لابد أن يتميز هذا التقرير بعدد من السمات والخصائص المهمة التي تتضمن ما يلي: (Narayana and Krishna, 2004, P. 225.)

الثقة: أي يزودنا بمعلومات تتميز بالدقة والثقة.

الموضوعية: أي أن المعلومات تُعطى نفس والحكم والقياس من قبل أي شخص عقلائي.

المطابقة: أي أنه يصف الواقع الفعلي للأداء المدرسي.

الشمولية: أي أنه شامل لكافة مجالات العمل المدرسي.

المصدقية: أي أنه يحظى بقبول أعضاء المدرسة والآباء والمجتمع.

الإقناع: أي أن المعلومات والنتائج ستكون متوفرة لدى الأفراد والمجموعات المشاركة.

الكفاءة: أي أنه يتميز بالجودة في إعداداته وصياغته وكتابته.

وفيد تقرير التقويم المؤسسي للمدرسة أو ما يعرف بتقرير الأداء السنوي للمدرسة في إعطاء صورة حقيقية للأداء المدرسي في كافة ميادين ومجالات العمل المدرسي ويكون دليلاً لأولياء الأمور وأعضاء المجتمع والمستويات الإدارية العليا في عمليات الرقابة والتفتيش على المدرسة (Kopi, 2003, p.4)، كما أنه يسمح للمدرسة بالتعبير عن وجهات نظرها ويشجعها على تنمية وتطوير استراتيجيات لتوكيد الجودة، وتحديد أولويات التغيير والقيام بعمليات التحسين والتطوير المدرسي (Department of Education in Northern Ireland, 2000, P.13.)

ويتضمن تقرير التقويم المؤسسي للمدرسة معلومات عامة عن المدرسة (The International Association for Management Education, 2001, p.8)، كما يتضمن وصف البيئة التي توجد بها المدرسة والموقع الجغرافي ومشاركة الآباء والمجتمع (State of Victoria, Department of Education and Training, 2005, pp.4-5)، والخدمات المدرسية المختلفة مثل وجبات الغذاء المجانية التي تعطى للتلاميذ، والخدمات الصحية واللقاحات والأمصال، وتعليم الأبناء المشردين والمهاجرين، وغياب التلاميذ وإعادة قيدهم (Stevenson and Zigler , 1999, p.144.)

بتحليل ماسبق يتضح أن هناك عددا من متطلبات تقويم جودة أداء المدارس الأهلية بما يضمن البعد المنظومي الشامل على ممارسات التقويم وتحقيق الأهداف، حيث يتضمن ذلك وجود قاعدة بيانات شاملة، وصياغة معايير ومؤشرات ملائمة نقي بقياس وتقويم جميع الجوانب، وذلك بالإضافة إلى الاعتماد على فنيات كتابة وتحليل التقارير التي يعدها القائمون على عمليات التقويم.

ثالثا: بعض التجارب الدولية في تقويم جودة التعليم الأهلي:

تختلف درجة مشاركة القطاع الأهلي في توفير التعليم من دولة لأخرى، من 1.5% في النرويج إلى 48.5% في شيلي، ويبين الجدول التالي (Blass, 2007) نسب مشاركة القطاع الأهلي والأهلي في الإنفاق الكلي على التعليم في بعض الدول.

م	الدولة	درجة مشاركة القطاع الأهلي في توفير التعليم
1	النرويج	1.5 %
2	البرتغال	1.7 %
3	تركيا	2.7 %
4	فرنسا	7.8 %
5	بريطانيا	16.4 %
6	ألمانيا	17 %
7	أستراليا	25.9 %
8	أمريكا	28 %
9	شيلي	48.5 %
10	هولندا	65 %

ولقد تزايد تداول مصطلح شراكة القطاع العام مع الأهلي وهو مصطلح عام يتضمن عدداً من السياسات والبرامج المختلفة، فالخصخصة تعني نقل الأنشطة والأصول والمسؤوليات من الحكومة والمؤسسات العامة إلى هيئات خاصة أو أفراد. كما تعني الخصخصة تسويق الخدمات العامة وتحريرها من الإجراءات والقيود الحكومية. (Blass, 2007)

ومن الملاحظ على المستوى العالمي تزايد التوجه نحو مشاركة القطاع الأهلي في التعليم بشكل قوي في دول كثيرة وفي مختلف القطاعات الاقتصادية، ففي قطاع التعليم يعد التزايد المستمر لبند الإنفاق عاملاً يؤدي إلى ضغوط نحو زيادة المشاركة والتي تتمثل في: (Belfield, Levin, 2002.)

- تقديم الخدمة, يمكن تقديم الخدمة التعليمية من خلال هيئات خاصة وليس مؤسسات حكومية، حيث يفضل بعض الأهالي خيار التعليم الأهلي.
- تمويل الخدمة, يمكن تمويل الخدمات التعليمية من خلال أفراد أو هيئات وليس من خلال الدعم والتمويل الحكومي، حيث أن المؤسسات الأهلية تعتمد على المصروفات التي يرفعها الطلاب، ولكن في حالات كثيرة يتم التمويل بمشاركة الأهالي والحكومة.
- ويشير تقرير البنك الدولي إلى تزايد مشاركة القطاع الأهلي في توفير أو تقديم التعليم خلال العقدين الماضيين بشكل دراماتيكي في كل المجتمعات سواء ذات الدخل المرتفع أو الدخل المنخفض،

وعلى الرغم من أن الحكومات مازالت هي العنصر الأساس في توفير التعليم خاصة قبل الجامعي، إلا أن مشاركة مؤسسات التعليم الأهلي قد تزايدت. (Patrinis, 2009.)

ولقد تزايدت خلال العقد الماضي أعداد منظمات الإدارة التعليمية (EMOs) وهي مؤسسات ربحية تقدم خدمات تشغيل وإدارة المدارس والهيئات التعليمية، وهي تختلف عن الإدارات والمناطق التعليمية في بنيتها وهيكلها وأساليب عملها حيث أنها قائمة على تحقيق الربح. (Hentschke, Others, 2004.)

كما كان هناك تواز بين زيادة عدد هذه المنظمات وزيادة أعداد مدارس الميثاق والمدارس الأهلية، ووصل عددها الآن في الولايات المتحدة 36 منظمة تقوم بتشغيل 368 مدرسة في 24 ولاية. وتتأثر مداخل التقييم للأداء المدرسي والمحاسبية بالأجندة الوطنية للدول في إطار حرصها على مراجعة وتقييم أنظمتها وأداء مؤسساتها، وتشهد ساحة التربية والتعليم الدولية والعديد من النظم التي أنشأت نماذج للتقييم والمراجعة الخارجية external models مثل إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا، وأخرى طبقت هذه النماذج للتقييم الخارجي مؤخراً مثل نيوزيلندا وهولندا وبعض الولايات الأسترالية. وفيما يلي يمكن عرض أهم التجارب والخبرات الدولية لاستكشاف أفضل الممارسات best practices في تقييم أداء مؤسسات التعليم الأهلي وتحسين جودة خدماته:

1- الولايات المتحدة الأمريكية:

يوجد بالولايات المتحدة مؤسستان كبيرتان لدعم وتنظيم المدارس الأهلية وهما: (greatschools.net)

- الاتحاد الوطني للمدارس المستقلة The National Association of Independent Schools.

- مجلس التعليم الأهلي الأمريكي The Council for American Private Education (CAPE).

وهذا المجلس يمثل تجمعاً أو اتحاداً للهيئات المقدمة للتعليم الأهلي، حيث إن هناك 34000 مدرسة خاصة بالولايات المتحدة، بمعدل مدرسة خاصة واحدة في مقابل أربع مدارس حكومية (1:4 مدرسة) وتلك المدارس تقد خدماتها لما يقارب 6 مليون تلميذ. (voxeu.org/indexphp)

- مجلس التعليم الأمريكي الأهلي Council for American Private

Education (capenet.org) وهو اتحاد للمنظمات الوطنية والمؤسسات على

مستوى الولايات والتي تخدم المدارس الأهلية الابتدائية والثانوية. حيث يوجد 29,000

مدرسة خاصة بالولايات المتحدة تخدم 11 مليوناً من الطلاب , ويضم هذا المجلس 80% من مؤسسات التعليم الأهلي على المستوى الوطني.

– إدارة التعليم الأهلي **ed.gov Office of Non-public Education**

()

و هو المسئول عن مؤسسات التعليم الأهلي بالولايات المتحدة، وهو احد المكاتب الموجودة بإدارة التعليم الفيدرالية , وترتكز رسالته على دعم المشاركة القصوى للمدارس الأهلية وطلابها ومعلميها في مبادرات التعليم على المستوى الفيدرالي كما أن هناك مجلس الترخيص للمدارس (إدارة التعليم بولاية بنسلفانيا State Board of private licensed schools الأهلية) ويتواجد في كل ولاية أمريكية مجلس Pennsylvania Department of Education يختص بإعطاء الترخيص للمدارس الأهلية، حيث تنظم اللوائح سبل ومعايير وشروط الحصول على الرخصة.

ومن خلال تقرير مؤسسة فريدمان للاختيار التعليمي (Friedman Foundation for Educational Choice) friedmanfoundation.org والتي تقوم بتقويم كيفية تنظيم كل ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية للمدارس الأهلية الموجودة بها، اتضح أن هناك كثيراً من القيود والأعباء التي تفرضها كل ولاية على المدارس الأهلية، ويؤدي ذلك إلى وجود معوقات تباه استقطاب الطلاب وإعاقة التنافس بما يقلل بدوره من جودة كل من المدارس الحكومية والأهلية، وبما يحد من حرية الآباء في اختيار المدرسة الملائمة لأبنائهم.

وفي عام 1991م، أوصى الكونجرس الأمريكي بإنشاء المجلس القومي للاختبارات والمعايير التعليمية National Council on Educational standards and Testing والذي قام بدور كبير في صياغة معايير جودة تسير التطورات المجتمعية المتسارعة محلياً ودولياً. وبناء على ذلك تركزت حركة الإصلاح خلال التسعينات بالولايات المتحدة حول تشجيع المدارس خاصة الثانوية لإشراك الطلاب في تعلم محتوى تعليمي واكتساب مهارات تتسم بالتحدي كإعداد للمستقبل حيث الحاجة لمواطنة نشطة ووظائف تتطلب معرفة ومهارات أساسية ومتقدمة. وبناء على ذلك فإن التشريعات الإصلاحية للتعليم بالولايات المتحدة يتم صياغتها وإصدارها من خلال مجالس الولايات من خلال اللجان المحلية وفق ظروف واحتياجات كل ولاية. (Bingeli, 2001, pp 17-20)

وتعتمد ممارسات تقويم جودة المدارس بالولايات المتحدة على عدد من نماذج الجودة منها نموذج مركز بحوث التقويم و المعايير والاختبارات, حيث يهدف هذا النموذج إلى تمكين المدرسة من تقويم

أدائها بصورة شاملة متكاملة في ضوء معايير ومؤشرات جودة محددة تستخدم كمؤشرات معيارية يمكن القياس عليه (Theodore R. Mitchell, 2000, P.1)

ويتكون هذا النموذج من ستة مجالات أساسية هي: (Theodore R. Mitchell, 2000, P.2-10)

(أ) الإدارة المدرسية

(ب) المعلمين

(ج) المناهج الدراسية

(د) المناخ المدرسي

(هـ) التقويم المستمر

(و) مشاركة الآباء والمجتمع

2- كوريا الجنوبية South Korea:

(School Accountability Framework, 2006)

يتميز نظام التعليم في كوريا بدعم الإدارة الذاتية واستقلالية المدارس إلى حد كبير، حيث تم تطبيق نظام اللجان المدرسية School Committees لتفويض سلطات كبيرة للمدارس بما يتوافق مع احتياجاتها المحلية، حيث أصبح على جميع المدارس أن تنشئ تلك اللجان التي تتشكل من الطلاب وأولياء الأمور والمعلمين وممثلين من المجتمع المحلي.

ويلاحظ أنه على الرغم من تفويض السلطة الكبيرة للمدارس، إلا أن هناك لجنة تقويم خارجية external evaluation committee للتأكيد على المحاسبية المدرسية، وتتشكل تلك اللجان على مستوى المناطق والمحافظات وكل إدارة مسؤولة عن تحديد مجالات التقويم وصياغة المعايير والمؤشرات لقياس الأداء وتشكيل لجنة التقويم التي تضم بين أعضائها مديري مدارس ونوابهم ومعلمين وأساتذة جامعات وباحثين وممثلين عن أولياء الأمور، وذلك إضافة إلى وجود التقييم الوطني للتحصيل والإنجاز التعليمي National Assessment of Educational Achievement الذي يمثل مصدراً موثقاً لتشخيص ودعم رقابة الجودة بجوانب التعليم والتعلم من خلال قياس مستوى إنجاز الطلاب وفق المنهج الوطني.

ويوجد قسم التقويم المدرسي بوزارة التعليم School Appraisal Branch وهو المسؤول عن تنفيذ نموذج التميز Excellence Model، ويقوم بالتقويم والمراجعة الخارجية للمدارس external validation، ويقدم المعلومات حول التحسين المدرسي المستمر بما يدعم جودة التعليم.

وقد تم إطلاق مبادرة المدارس المستقلة Autonomous Schools بهدف تقديم تعليم متميز ذي جودة عالية مع إعطاء المدارس مزيداً من السلطات والصلاحيات، ويهدف نموذج التميز إلى توجيه المدارس وبناء قدراتها في التقويم الذاتي وإعدادها للتغيير وإجراء التحسينات الضرورية من خلال إطار شامل ومنهجي systematic framework، ويسمح النموذج بإجراء المقارنات المرجعية benchmarking لمقارنة أداء المدارس بهدف تحقيق التحسين المستمر.

ويتم إجراء التقويم الخارجي للمدارس كل خمس سنوات، ويعتمد نموذج التقويم الذاتي على أبعاد أساسية تتمثل في (القيادة المدرسية الفعالة، الأولوية للطلاب، المعلمين كعنصر محوري في تحقيق الجودة، دعم النظم، العمل مع الشركاء والتعاون معهم، الإدارة بالمعرفة، التحسين المستمر)، كما يتضمن النموذج معايير محددة للحكم على أداء المدرسة، وتقدم وزارة التعليم جوائز التفوق Master plan Awards للاعتراف بنجاح المدرسة وتميزها. School) Accountability Framework (2006

تحليل الخبرات الدولية ومدى الاستفادة منها:

من خلال استعراض التجارب والخبرات الدولية في مجال تقويم الأداء التعليمي، يتضح تنوع تلك الخبرات وذلك وفق فلسفة النظام التعليمي والسياق السياسي والبيئة الاجتماعية الحاضنة لتلك النظم، ومن ثم فمن الطبيعي أن يكون هناك تنوع واختلاف، وذلك أيضاً نتيجة سعي جميع الدول لتحسين جودة التعليم الأهلي وتحقيق مستوى مرتفع من القدرة التنافسية التي تتسم بها النظم التعليمية في الوقت المعاصر.

ويلاحظ من خلال مقارنة الخبرات لاستخلاص الدروس المستفادة أن هناك توجهاً عاماً للاعتماد على هيئات مستقلة لتقويم الأداء وفق مدخل التقويم الخارجي external evaluation بما يدعم جوانب الشفافية والمساواة والعدالة، ومن هذه الدول إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا وبعض الولايات الاسترالية وكوريا الجنوبية.

ومن ناحية أخرى هناك اهتمام بالتقويم الذاتي أو الداخلي internal evaluation كخطوة أساسية أو حلقة محورية للاستعداد للتقويم الخارجي، كما أن ذلك يتوافق مع التوجه المتزايد نحو اللامركزية وإعطاء المؤسسات التعليمية قدر كبير من السلطة والحرية في إدارة وتسيير شئونها. ومن الملاحظ أيضاً أن هناك استفادة كبيرة من إدارات وأقسام التقويم بوزارات التعليم في تقديم الدعم الفني للمدارس بهدف الاستعداد للتقويم الخارجي، بالإضافة إلى توفير قواعد البيانات الشاملة والمتجددة عن جوانب العملية التعليمية بالمدارس.

وتشير الخبرات العالمية إلى أن التقييم يشكل محورا مفصليا في كل عمليات وممارسات التعليم مهما للتعليم العام , كما أن هناك ثلاث استراتيجيات تستخدم لتقييم البرامج التعليمية مع احتمال استمرارية استخدامها والاستراتيجيات الثلاث هي : تقييم المخرجات ؛ قياس وتقييم الأداء وتقييم القيمة المضافة.

أوجه الاختلاف بين مدارس المملكة وبعض المدارس الأجنبية:

- اهتمت خبرة إنجلترا وفق نموذج التميز الأوروبي بالموارد البشرية ،ويرجع هذا إلى أهمية توفير الموارد البشرية اللازمة لعمليات التقييم ، كما أن مكتب معايير جودة التعليم بإنجلترا يلعب دورا محوريا في هذا المجال. كما اعتمدت تلك الممارسات على مدخل النظم حيث تناول المدخلات والعمليات والنتائج، وهذا يدل على أن التقييم نظام شامل متكامل له مدخلات مثل القائمين بالتقويم، ثم عمليات مثل جمع المعلومات والبيانات وبرامج التحسين والتطوير، ثم النتائج مثل تقارير التقييم الذاتي.

- اهتم (نموذج مكتب معايير جودة التعليم) بذكر تفاصيل دقيقة عن المدرسة مثل اسم المدرسة، الرقم الكودي، الفاكس، البريد الإلكتروني، التليفون، نوع المدرسة، اسم المدير، عنوان المدرسة، مستوى أعمار التلاميذ، الويب، الصفحة الرئيسية على الإنترنت، ويرجع ذلك على طبيعة عمل هذا المكتب حيث إنه المسئول عن التفتيش والرقابة على العملية التعليمية في إنجلترا وإصدار تقارير المتابعة الدورية للمدارس التي تتضمن هذه العناصر والتفاصيل الدقيقة السابق ذكرها.

- اعتمدت الخبرة الكورية على وجود لجنة تقويم خارجية external evaluation committee للتأكيد على المحاسبية المدرسية، وتشكل تلك اللجان على مستوى المناطق والمحافظات وكل إدارة مسؤولة عن تحديد مجالات التقييم وصياغة المعايير والمؤشرات لقياس الأداء وتشكيل لجنة التقييم التي تضم بين أعضائها مديري مدارس ونوابهم ومعلمين وأساتذة جامعات وباحثين وممثلين عن أولياء الأمور.

- اهتم الممارسات الأمريكية بثقافة المدرسة ، وهذا يدل على أن مدخل التقييم لابد أن يكون ثقافة منظمة للعمل المدرسي ، ويعيها ويدركها ويمارسها جميع العاملين بالمدرسة بما تتضمنه من المعاني والافتراضات الأساسية ، والمعايير، والقيم، والاعتقادات، والاعتراضات، والرموز والشعارات والطقوس وغيرها.

- كما اهتمت تلك الممارسات بالمناخ المدرسي، بما يدل على أن مدخل التقييم لا يمكن أن يحقق أهدافاً إلا من خلال وجود مناخ مدرسي ملائم يدعم قيم الأمن والأمان والتعاون والاحترام والالتزام.

- اعتمدت ممارسات التقويم في استراليا ونيوزيلاندا على وجود إدارة التقويم والمراجعة New Zealand Education Review Office (ERO) كهيئة مستقلة عن وزارة التعليم تختص بمراجعة وتقويم أداء المدارس الحكومية والأهلية، بالإضافة إلى مكتب المراجعة Office of Review وهو تابع لوزارة التربية، وتركز هذه المراجعة على أنشطة ومراجعة التقويم المؤسسي للمدارس الأدوات المستخدمة لجمع التحسين والتطوير، وتقارير التقويم المؤسسي.

وهناك عدد من الدروس المستفادة من الخبرات الدولية السابقة في تحسين ممارسات وأساليب التقويم وهي :

- استقلالية التقويم لتحقيق الحيادية ودعم الجودة.
- الالتزام بإجراء تقييمات عالية الجودة.
- تطوير قدرات التقويم لدى الأفراد.
- دعم الفهم الواعي لرسالة التقويم والتركيز على المستفيدين واحتياجاتهم والنتائج المرجوة من عمليات التعليم على المستوى الفرد والمجتمع.
- بناء علاقات وثيقة بين مقاييس الأداء والمخرجات التي تقومها.
- تركيز البرامج والجهود على عدد محدد من المخرجات التي يتم تطبيق المساءلة عليها
- يجب على البرامج تناول المخرجات صعبة القياس والسعي لإيجاد الأساليب والأدوات المناسبة لتقييمها .
- تقوية النظم والعمليات اللازمة لإيجاد واستخدام الموارد المالية والمعلومات الأهلية بالبرنامج عند إجراء تقويم للبرامج .
- بذل الجهد نحو مزيد من التجديد والابتكار في تطوير أساليب التقويم والمحاسبية
- تطوير آليات تقويم وتقييم ذات كفاءة وكلفة وفعالية .
- إضفاء الصبغة التربوية والاجتماعية على عملية التقويم وعلى أنه جزء من بناء الإنسان يجب أن تتوافر فيه الحيدة والحكمة والنفع.

رابعا: واقع مدارس التعليم الأهلي بالمملكة:

من الملاحظ أن قطاع التعليم الأهلي بالذات - وعلى الرغم من المساهمات القيمة التي قدمها للمجتمع- إلا أن الدراسات والشواهد العديدة تشير إلى وجود تباينات كبيرة في مستويات الخدمة والأداء التعليمي لمدارس هذا القطاع، وثمة نقص كبير في المؤشرات التي تصنف على أساسها تلك المدارس، والمعايير التي يتم في ضوئها منح تراخيص المدارس ومزاولة المهنة. كما يعاني التنظيم المختص

وخلاصة القول فإن التوسع في التعليم بهذه الدرجة الكبيرة لا يوازيه تطوير حقيقي قائم على تفعيل التقويم بثقافته ومفهومه وآلياته.

أ- تقرير التقويم الشامل للتعليم في المملكة العربية السعودية: (اللجنة العليا لسياسات التعليم، 1422)

وقد تم ذلك التقويم في عام 1422هـ بهدف تقويم كافة الجوانب في العملية التعليمية بالمملكة في قطاعات التعليم المختلفة ومستوياتها المتعددة (تعليم عام - تعليم جامعي) ، حيث توصل إلي السلبات التالية:

- 1- اقتصار جهود التقويم على جانب واحد من العملية التعليمية، وهو التحصيل الدراسي.
- 2- محدودية الأدوات المستخدمة لتقويم التحصيل الدراسي .
- 3- ضعف البنى الإدارية والتنظيمية المسؤولة عن التقويم.
- 4- عدم توفر نظام شامل وفعال للتقويم.

ب- خطة التنمية الثامنة بالمملكة ونظرتها نحو كفاءة التعليم: (وزارة التخطيط، 1425)

فيما يتعلق بالتعليم الأهلي، أشارت الخطة إلى أنه يتعين توفير البيئة الملائمة والعوامل المحفزة لاضطلاع القطاع الخاص بدور متزايد في توفير التعليم العام مع وضع آليات مناسبة لضمان جودة التعليم الأهلي والحكومي على حد سواء، وزيادة قدرته على التجديد والتطوير في عملية التعليم من خلال الانفتاح على التجارب العالمية الرائدة، ونقل الأساليب والتقنيات الملائمة، والتعاون مع المؤسسات والهيئات العالمية المماثلة.

ج- تقرير المعرفة العربي لعام 2009: (تقرير المعرفة العربي للعام 2009م)

يشير التقرير إلى أن الإمكانيات المادية للمملكة العربية السعودية تفوق الإنجازات المرتقبة في تكوين رأس المال المعرفي الأساسي عند ولعل ما أشار إليه هذا التقرير يؤكد ضرورة الارتقاء بالتعليم في المملكة وتحسين كفايته ومخرجاته.

د- المحضر النهائي للجنة التخصيص: (محضر لجنة التخصيص، 1428)

تناولت اللجنة الأنشطة والمجالات الأساسية والمساندة التي يقوم بها القطاع الخاص حالياً في مجال التعليم العام ، أوصت اللجنة بالآتي:

1. دعم التعليم الأهلي (بما في ذلك رياض الأطفال) بما يتماشى والأهداف المحددة بخطة التنمية، وبما يكفل رفع جودته

2. مراجعة الإعانة المالية السنوية للمدارس الأهلية، وآليات تقويمها وفق معايير مالية وفنية لرفع كفاءتها وجودة مخرجاتها من قبل الجهات ذات العلاقة.

3. توسيع مشاركة القطاع الخاص في تقديم الخدمات المساندة والبنية التحتية المطلوبة للتعليم العام الحكومي من قبل القطاع الخاص

هـ- تقرير البنك الدولي (2002م): ((World bank (2002)

لقد ركز هذا التقرير على تحليل سوق التعليم والمدارس الأهلية في المملكة العربية السعودية، وقام بتحليل المستويات الحالية لقطاع التعليم الأهلي وتكويناته، وفحص الإطار التنظيمي الذي يحكم قطاع التعليم الأهلي ووضع عدداً من المبادرات التي يمكن النظر فيها لزيادة مشاركة القطاع الخاص في التعليم. و يقترح التقرير طريقة جديدة يتم بموجبها وضع الطموحات والمواصفات الخاصة بأداء هذا القطاع بصورة واضحة وإشراك القطاع الخاص في ذلك، وتخفيف النظم واللوائح التي تحكمه حتى يتوفر للمؤسسات التعليمية مزيد من الاستقلال الذاتي والحرية في الابتكار، مع زيادة قدر المحاسبة عن الأداء وتقييمه بصورة أشد انتظاماً

وبعد استعراض الوضع الراهن لمدارس التعليم الأهلي كما ورد في التقارير المحلية والدولية، هناك مجموعة من الدراسات التي تناولت بالتحليل واقع التعليم الأهلي بالمملكة، حيث يمكن إيجاز أهم الدلالات والمؤشرات التي تساعد في الوقوف على جوانب تطور التعليم الأهلي والمشكلات التي تعوق تحسين جودة أدائه والارتقاء بكفاءة مخرجاته، ويتضح ذلك في سياق ما يلي:

من الملاحظ أن تقويم التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية لم يحظ بالاهتمام الكافي من خلال سياسات وإجراءات مؤسسية، مما أدى إلى غياب المعلومة التي يمكن الاعتماد عليها للوصول إلى أحكام صحيحة حول جودة مخرجات التعليم وكفاءته الداخلية (نسب الرسوب والتسرب والسنوات اللازمة لإنهاء المرحلة الدراسية) والكفاءة الخارجية (المواءمة والتوافق بين مخرجات النظام التعليمي ومتطلبات التنمية واحتياجات سوق العمل).

ولا يوجد في المملكة -حتى الآن- تنظيم مؤسسي وبنية تنظيمية مستقلة عن أجهزة التعليم (جهاز مركزي) يقوم بتقويم المدخلات والعمليات والمخرجات التعليمية في المملكة بشكل مستمر ويقدم تقارير دورية.

في ضوء ذلك، لا يكفي أن يكون لدينا منظومة متكاملة لتقويم التعليم بل لابد أن يصاحب التقويم نظام للمحاسبية أو المساءلة، وذلك من خلال تحديد المسؤوليات والالتزامات على مختلف قطاعات المجتمع ومؤسساته المعنية بالتعليم. (الحكمي، 1427، 23)

وتشير دراسة الحكمي (1423، 16) إلى بعض جوانب الضعف وفرص التطور المتاحة أمام تقويم التعليم بالمملكة، ويتضمن ذلك عدم وجود بنية تنظيمية مستقلة عن أجهزة التعليم (جهاز مركزي) تقوم بتقويم المدخلات والعمليات ومخرجات التعليم في المملكة بشكل مستمر، وفي حالة وجود برامج للتقويم التربوي فإن كل جهة مسؤولة تقوم بذلك منفردة، مما قد يؤدي إلى تكرار العمل وإهدار الجهود.

وتشير دراسة أخرى إلى أن النموذج التنموي المنشود له متطلبات جديدة لا بد من توافرها حتى تتحقق الأهداف التنموية للمملكة، أهم هذه المتطلبات: الخبرات الوطنية المؤهلة، التي اكتسبت معارف ومهارات واتجاهات وقيماً معينة، وتقع المسؤولية هنا على المؤسسات التعليمية التي لابد أن تركز في هذه المرحلة على جودة التعليم، بعد أن كان التركيز في مراحل سابقة من السيرة التعليمية في المملكة على انتشار التعليم والقضاء على الأمية. (الحكمي، 2005، 34)

وفي ضوء التحديات التي تواجه التعليم العام سواء كانت رفع الكفاءة الداخلية والخارجية أو توفير الطاقة الاستيعابية للأفواج المتوقع التحاقها في نظام التعليم العام، خاصة في مرحلة رياض الأطفال، فإن القطاع الخاص ينبغي أن يقوم بدور أكبر في هذا المجال، كما هو الحال في العديد من الدول المتقدمة والنامية. (القحطاني، 1427، 65)

وقد بلغ عدد المدارس الأهلية في العام 1427هـ (1048) مدرسة ويتمثل مجموع المدارس الابتدائية منها ما مجموعه (417) مدرسة في حيث يتمثل عدد المدارس المتوسطة منها (360) أما المدارس الثانوية فقد بلغ (217) مدرسة موزعة على جميع مناطق المملكة (وزارة التربية والتعليم 1427هـ، 56). وتؤكد وزارة التربية والتعليم أن مشاركة القطاع الأهلي في المدارس الأهلية بنسبة ضعيفة مقارنة بالمشاركة الحكومية في التعليم العام، حيث تتركز في مناطق قليلة في المملكة. لذا يتعين توفير البيئة الملائمة والعوامل المحفزة لاضطلاع القطاع الخاص بدور متزايد في توفير التعليم العام مع وضع آليات مناسبة لضمان جودة التعليم الأهلي والحكومي على حد سواء، وزيادة قدرته على التجديد والتطوير في عملية التعليم من خلال الانفتاح على التجارب العالمية الرائدة ونقل الأساليب والتقنيات الملائمة، والتعاون مع المؤسسات والهيئات العالمية المماثلة" (وزارة الاقتصاد والتخطيط 1426هـ).

ومازال التعليم يواجه العديد من المعوقات والصعوبات والمشكلات. فيؤكد (الغامدي وعبدالجواد، 1420) أنه رغم أن الدولة تشجع التعليم الأهلي ورغم توفر رغبة لدى عديد من الأسر لإلحاق أبنائهم بمدارس التعليم الأهلي، ورغم توفر أعداد كبيرة من الذين يقبلون على إلحاق أبنائهم بهذه المدارس، ورغم

ذلك كله فهناك عدة مشكلات تتعلق بمدارس العليم الأهلي في المملكة من أهمها انخفاض الكفاءة الداخلية : حيث توضح دراسة ميدانية أن معدل الكفاءة الداخلية للمدارس الأهلية أقل بكثير من المدارس الحكومية. وتوضح الدراسة أيضا أن التعليم الأهلي يعاني من مشكلة التسرب في شتى التعليم العام (الابتدائي، المتوسط، الثانوي) وأن نسبة التسرب تتصاعد بتصاعد المراحل، وأنها تبلغ نحو 18.4% في المتوسط و24% في الثانوي (الغرفة التجارية الصناعية بالرياض، 2007 ص 22).

وفي ضوء ما أسفرت عنها الدراسات والتقارير التي تناولت التعليم الأهلي في المملكة يمكن استخلاص بعض نواحي الضعف والقصور التي يجب العمل على معالجتها بما يحقق تحسين أداء المدارس الأهلية ورفع كفاءتها، ويشمل ذلك ما يلي:

- غياب معايير متفق عليها ومعلنة للعمل في المدارس يمكن من خلالها الحكم على جودة الخدمة المقدمة وتقييمها في المدارس الأهلية.
- سيطرة العناصر غير المؤهلة تربوياً - بالشكل الصحيح - على العمل بالمدارس الأهلية في حالات كثيرة؛ وذلك لعدم وجود مواصفات ومعايير واضحة للعناصر البشرية العاملة في المدارس.
- القصور في جودة اللوائح والنظم المنظمة لعمل تلك المدارس؛ مثل: لوائح المقررات الدراسية، لوائح التوظيف، لوائح الاختبارات.. الخ .
- غلبة النزعة نحو تفعيل الجوانب الاقتصادية المحققة للربح، واستهداف الربحية العالية في المشروع التعليمي.
- عدم توافر آلية تحدد مستوى الخدمة المقدمة في المدرسة يطمئن إليها ولي أمر الطالب عن اتخاذ قرار إلحاقه بالمدرسة.
- ضعف مؤسسية التقويم وغياب البنية التنظيمية المستقلة، مع عدم وجود أنظمة للترخيص للعاملين في التعليم وتقييم التعليم.
- غياب معايير وطنية لقياس /تقويم التعليم وتشتت الجهود المحلية المختصة و غياب ثقافة التقويم في المجتمع بشكل عام، كما أنه لا يوجد ربط بين التقويم والتطوير.
- غياب الارتباط بين نتائج التقويم وتحقيق رؤية الوزارة، مع الحاجة لتطوير نظام واضح للمحاسبية لإلزام الممارسات الفعلية من بعض الجهات في الوزارة وربطها بإستراتيجية الوزارة لتطوير التعليم.
- ضعف التأهيل الإداري والقيادي للمديرين والمديرات وخاصة فيما يتعلق بالتقويم الذاتي للأداء المدرسي.

- ضعف التنسيق مع المؤسسات التربوية ذات الصلة بالوزارة للاستفادة، مع عدم توفر أدوات تقويم صادقة وموضوعية و السلبية في توظيف نتائج التقويم الحالية، بالإضافة إلى نقص الآليات والدورية في برامج التقويم.

مراجع الدراسة

المراجع العربية:

1. إسماعيل , حنان (2006): المحاسبية وعلاقتها بتقويم جودة الأداء المدرسي من منظور تخطيطي، مجلة مستقبل التربية العربية، العدد 42، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة، ص22
2. آل شارع، عبدالله وآخرون (1420هـ) الدراسة التقويمية الشاملة ونظام الاعتماد التربوي للمدارس الأهلية للبنين في المملكة العربية السعودية، الرياض، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية.
3. جمعة، أشرف فضيل (2006) فريق التحسين المستمر في نظم الجودة الشاملة – اللجنة الوطنية السعودية للبحوث
4. حامد، محمد رؤوف(1998) التقدم الأسّي : إدارة العبور من التخلف إلى التقدم، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ص23.
5. الحكمي، علي بن صديق (1428) ، التقويم التربوي وضمان الجودة في التعليم، ورقة مقدمة للقاء السنوي الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، 28 – 29 / 4 / 1428 هـ، القصيم.
6. الحكمي، علي بن صديق (2005) إصلاح التقويم لتحسين نوعية التعلم: نموذج تكاملي مقترح – ورقة مقدمة للندوة الإقليمية حول تطوير التعليم ما بعد الأساسي بالدول العربية. مسقط- عمان 24-26 أبريل 2005.
7. الحكمي، علي بن صديق (1423) تقويم التعليم العام في المملكة العربية السعودية، دراسة للواقع ورؤية لإستراتيجية مستقبلية، ورقة مقدمة لندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي (2020) الرياض 13 – 17 شعبان 1423هـ.
8. حنا، رمزي كامل وجرجس، ميشيل تكلا (1998)، معجم المصطلحات التربوية، ط1، مكتبة لبنان :ناشرون، بيروت،، ص 174.
9. الدوسري، إبراهيم (2002): إطار مرجعي للتقويم التربوي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ص 58

10. رحمة، أنطوان (2002م) استثمار القطاع الخاص في المجال التربوي لدول الخليج، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
11. الرشيدى، بشير صالح (2001)، مناهج البحث التربوي: رؤية تطبيقية مبسطة، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2001، ص59 .
12. زيتون، حسن حسين (2001)، تصميم التدريس : رؤية منظومية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص474.
13. السيف، خالد (1423هـ) الدور المستقبلي للقطاع الأهلي في توفير الخدمات التعليمية في المملكة العربية السعودية، ورقة عمل ندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي الرياض، وزارة التخطيط.
14. الشرقاوي، مريم محمد (2003) إدارة المدارس بالجودة الشاملة – الرياض، مكتبة العبيكان 0
15. الشمراني، عبدالله (1429هـ) أبرز مشكلات الإدارة المدرسية في المدارس الأهلية للبنين بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
16. الشمري، عبادة عبدالله (1420هـ) اتجاهات أولياء أمور الطلاب نحو التعليم الأهلي، رسالة ماجستير غير منشورة الرياض، جامعة الملك سعود.
17. الطوق، سناء عبدالعزيز (1427هـ)، استثمار القطاع الخاص في التعليم العام في المملكة العربية السعودية، هدف استراتيجي لتنويع مصادر التمويل. رسالة دكتوراه غير منشورة الرياض، جامعة الملك سعود.
18. العارف، نادية (2000) الإدارة الاستراتيجية: إدارة الألفية الثالثة، الإسكندرية، الدار الجامعية، ص 135.
19. عبد الحميد، فاطمة فتحي (2006)، تفعيل دور مجالس الآباء والمعلمين في إدارة مدارس التعليم العام والخاص مع التطبيق على محافظة الشرقية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية المقارنة وإدارة التعليمية بكلية التربية جامعة الزقازيق
20. العتيبي، فهد (1425هـ) إسهام القطاع الخاص في تمويل التعليم العام بالمملكة العربية السعودية. رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض، جامعة الملك سعود.
21. عساس، أم سعد وأخريات (1430هـ) تطبيق معايير الجودة ومؤشراتها للمدارس الأهلية، ورقة عمل اللقاء الرابع لمديرات ومسؤولات التعليم الأهلي والأجنبي، مكة المكرمة، وزارة التربية والتعليم.

22. الغامدي، عبدالمجيد (1420هـ) العولمة ومستقبل التعليم في المملكة العربية السعودية، ورقة عمل، اللقاء السنوي الخامس للتعليم الأهلي - جدة وزارة التربية والتعليم.
23. الغرفة التجارية الصناعية (1428هـ) دراسة المدارس الأهلية، الرياض، سلسلة إصدارات بنك المعلومات الاقتصادية، الرياض.
24. القحطاني، نوف بنت دغش بن سعيد (1427هـ) الإعلام التربوي ودوره في تفعيل مجالات العمل المدرسي في المملكة العربية السعودية، دراسة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
25. اللجنة العليا لسياسات التعليم(1422) التقويم الشامل للتعليم في المملكة العربية السعودية، الرياض.
26. ماض، محمد توفيق (2002) تطبيقات إدارة الجودة الشاملة في المنظمات الخدمية في مجال التعليم والصحة - الرياض، مكتبة العبيكان
27. محضر لجنة التخصيص، اللجنة المشكلة بالأمر السامي الكريم 6478/م ب بتاريخ 1428/7/22هـ، القاضي بتشكيل " لجنة لدراسة تخصيص التعليم العام،.
28. محمود، نصر محمد (2007)، دور مجالس الأمناء والآباء والمعلمين في تحقيق بعض متطلبات الجودة بمدارس التعليم الأساسي:دراسة تحليلية ميدانية، مجلة كلية التربية جامعة أسيوط، المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني.
29. مرسى، محمد منير (2003) البحث التربوي وكيف نفهمه، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2003 ص 245
30. الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد (2008): وثيقة معايير ضمان الجودة والاعتماد لمؤسسات التعليم قبل الجامعي، القاهرة.
31. وزارة التخطيط، خطة التنمية الثامنة 1425/1426 هـ - 1429/1430 هـ (2005-2009م) الرياض.
32. اليونسكو(2006) التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع: القرائية من أجل الحياة، الملحق الإحصائي (جدول 3)، باريس، ص 296.

المراجع الأجنبية:

33. Adams E., Jacob, Jr. & A. Copland, Michael,(2005) When Learning Counts: Rethinking Licenses for School Leaders, University of Washington, Seattle, , pp. 33–35.
34. Anderson, Jo Anne,(2005) Accountability in Education, International Institute for Educational Planning (IIEP), Paris, , p.1.
35. Anthony, patrinos Harry,(2002) private education provision and public fiancé: the Netherlands as a possible model , occasional paper , national center for the study of privatization in education, teachers college, Columbia university, November.
36. Anthony Patrinos Harry,(2009) The Role and Impact of Public– Private partnerships in Education, The world Bank,.
37. Grauwe , Anton De and Niadoo, Jordan P. (eds) (2004) School Evaluation for Quality Improvement UNESCO, iiep, Paris,p.53.
38. APEC Conference on Evaluation as a Tool in Educational Planning' Best Practices in Evaluation of Educational Programs Asia – Pacific Economic Cooperation,2006,p.126
39. Association for Supervision and Curriculum Development. (2005) lexicon of learning. <http://www.ascd.org/>
40. Australian Capital Territory Education and Training. (2004). School Improvement Framework for achieving high standards in student learning, innovation and best practice in ACT government schools.
41. Baldrige National Quality program. Education Criteria for Performance Excellence. www.Quality.nist.gov

42. Belfield R. Clieve,(2002) Henry M. Levin, Education Privatization: Consequences and Planning Implications UNESCO, International Institute for Educational Planning, Paris,.
43. **Creemers , Bert (1996) "The School effectiveness Knowledge Base", in: David Renyolds, et. al, : Making Good Schools ; New York, Routledg, p. 40.**
44. Blass, Wolfgang,(2007) Privatization of Education: a framework paper prepared for The PRESOM workshop on education privatization, 29 June, Slovenia.
45. Binggeli, Brian T.(2001) An Analysis of Issues That Helped Shape Florida Public School Accountability Legislation: 1989 – 2000, Ph.D Dissertation Submitted to the Faculty of Virginia Polytechnic Institute and State university, April 2001,pp 17–20
46. Brodie, Lorraine,(2004) Schools Speak for Themselves, Paper Presented at the International Conference of Self– Evaluation, Self– Evaluation is a Dialogue, Graz, Austria, 22–26 Sept., pp. 2–3.
47. Chris Woodhead, The Standards of Today, Adam Smith Research Institute, London, 2002, p.9.
48. Climaco Carmo,(1995) The Use of Performance Indicators in School Improvement and in Accountability, Organization for Economic Co– Operation and Development (OECD), Paris, , p. 152.
49. Clive Hopes and Heinz Schirp,(1999) The Evaluation of the Quality of the Self–Assessment of School ,Report on the Workshop in the Standing International Conference of

- Central and General Inspectorates of Education (SICI), 8–9 April, Landes Institut für Schule und Weiter Bildung Soest, Germany, p.145.
50. Commonwealth of Australia, Department of Family and Community Services, (2000–2001) Annual Report, Canberra, 2001. p. 259.
 51. Council of Chief State School Officers, (2001) Model Standards for Beginning Teacher Licensing Assessment and Development: A Resource for State Dialogue, Washington, pp. 5–8.
 52. Daft L Richard, (2003) Management, Horcourt, Inc, Orlando, 2000, p. 642.
 53. Daniel L. Stufflebeam (1997) Strategies for Institutionalizing Evaluation, The Evaluation Center, Western Michigan University.
 54. Daris Andrew, (2001) John White, Accountability and School Inspection: In Defense of Audited Self-Review, Journal of philosophy of Education, Vol. 35, No. 4, ,p.675
 55. De Grauwe Anton, School Self- Evaluation and External Inspection: A Complex Couple, p.80.
 56. Department of Education in Northern Ireland, (2001) The Educational and Training Inspectorate, School Self-Evaluation and the Role of the Inspectorate, Bangor, Report 2001, pp. 1–2.
 57. Department of Education in Northern Ireland, (2000) the Educational and Training Inspectorate, Raising School Standards Initiative, Crown Copyright, Bangor, , p.13.

58. Directorate General of Education and Culture(EURYOICE)
59. Dunford ,John;(2003) Accountability of School Leaders;
Education Journal, No. 69, April, p.8.
60. European Foundation for Quality Management (EFQM),(2003) The EFQM Excellence Model, Bursse Representative Office, Brussels, Belgium, , p.9.
61. Fergusson, Val(1998) Supervision for the Self-Managing School: the New Zealand Experience, International Institute for Educational Planning (IIEP), Paris, , p.150.
62. Finn, Matia Stevenson and Zigler, Edward,(1999) School of the 21 century: Linking Child Care and Education, Westview press, Oxford, , p.144.
63. Gurr, David(1999) From Supervision to Quality Assurance: the Case Study of the State of Victoria (Australia),International Institute for Educational Planning (IIEP), Paris, , , p. 56.
64. Hansche, N Linda(1998) (et al), Handbook for the Development of Performance Standards, the Council of Chief State School Officers (CCSSO), Washington, pp. 11–12.
65. Hanushek, A. Eric,(2005) Economic Outcomes and School Quality, International Institute for Educational Planning (IIEP) Paris, , p. 23.
66. Heery, Edmund and Noon,Mike (2001) Dictionary of Human Resource Management, Oxford University Press,Oxford,p.7.

67. Hentschke ,C.Gailbert,(2004) Others, Education Management organizations: Growing a For profit Education Industry with choice, competition, and, Innovation ,policy Brief vol.21,.
68. Her Majesty's Inspectorate of Education, Communications Unit(2005), How Well are Children and young People Protected and their Needs met? Self- Evaluation Using Quality Indicators, Crown Copyright, Edinburgh, p.14.
69. Human Development ,Report 2009, Overcoming barriers :Human mobility and development Published for the United Nations Development Program (UNDP).
70. Jehl Jeanne,(2001) Putting the Pieces Together: Comprehensive School- Linked Strategies for Children and Families, U.S. Department of Education, Regional Educational Laboratory Network, New York, , p. 5.
71. **Karen Carter, “School effectiveness and School improvement” in: Rob Halsall (ed),: Teacher Research and school improvement, Opening doors from the inside’ , Buckingham, Open Univ. press, 1998, pp. 4–5.**
72. Kluth, P. and Straut , D. (2001) standards for Diverse Learners, Educational Leadership, Vo. 59, No 1,pp4,5.
73. kopi Vester,(2003) Guidelines for Self-Evaluation, The Danish Evaluation Institute, Stbanegade, Copenhagen , , p.4.
74. MacBeath John,(2001) School Self-Evaluation :Background, Principles and Key Learning, National College for School Leadership (NCSL), Nottingham, p. 5.

75. Ministry of Education in New Zealand,(2000) Educational Review Office, a Review of the Roles and Responsibilities of the Education Review Office, Report to the Minister of Education, Wellington December, p.26.
76. Misiak Jalanta,(2002–2004) Self- Evaluation in Education: Guidelines for Educators, Kuratorium Oswiaty Lublinie, Lublinie, Poland, , pp. 49–50.
77. **Mississippi Department of Education (2006)**
Mississippi Public School Accountability,
Commission on School Accreditation.
78. National Board of Education, (2005) Helsinki, Models of Self-Evaluation, [http://www. oph. Fi/ English / txtpage. Asp? Path, 1/12](http://www.oph.fi/English/txtpage.Asp?Path,1/12), p.1
79. North, B. R. Standard, J. R. & Fitzpatrick, J. L. (1997), Program Evaluation: Alternative Approaches and Practical Guidelines (2nd Edition), New York, Longman
80. Office for Standards in Education in England, Inspection Quality Division,(2003) Inspecting schools: The framework for inspecting schools in England, Crown Copyright, London, pp. 8–9.
81. Office for Standards in Education in England, Making it Better: Improving School Governance, A Report from the Office of Her Majesty's Chief Inspector of Schools, Crown Copyright, 2001, London, p. 29.
82. Office for Standards in Education in England2005,() Self-Evaluation form for Primary Schools and Middle Schools,London, Report: 04 October, pp. 5–16.

83. P.V.V. Satya Narayana and G. Krishna,(2004) School Administration and Management, Sonali Publications, New Delhi, , p. 225.
84. Peach Frank,(1997) Standards Framework for Leaders, Queensland Department of Education, Brisbane, July, p.3.
85. Quality Texas Foundation, Texas Award for Performance Excellence: Education Criteria for Performance Excellence, Dallas, June 2005, p.1.
86. Rabionwitz Stanley, (et.al),(2006) Creating Aligned Standards and Assessment Systems, The Council of Chief State School Officers (CCSSO), Washington, January, pp. 2-4.
87. Rout Brian, (1998)Standards for the Development and Delivery of Professional Development and Training, Queensland Department of Education, Brisbane , pp. 1-3.
88. School Accountability Framework Review National and International Perspectives and Approaches Research Papers – Detailed Ofsted – BACKGROUND,(2006) PREVIOUS, CURRENT, STRENGTHS and WEAKNESSES (May)
89. School Accountability Framework Review National and International Perspectives and Approaches Research Papers – Detailed SOUTH KOE PUBLIC OF KOREA) July 2006)
90. School Accountability Framework Review National and International Perspectives and Approaches Research Papers – Summaries , (2006) Summary Of Approaches To Government School

Accountability In Australian States And Territories
(October)

91. Serban Iosifescu, School Development and Quality Assurance, Workshop, the International Conference of Self- Evaluation, Create A Mirror for your School, Sibiu, Romania, 25–29 September 2002, p. 1.
92. State of New South Wales, New South Wales Department of Education,
(2003) the School Self- Evaluation Toolkit ,Report _ , p.7.
93. State of Victoria,(1997) Department of Education, Office of Review, Quality Assurance in Victorian Schools: The Accountability Framework: Report, p.19.
94. State of Victoria,(2003) Department of Education and Training, Report on Review of School Governance in Victorian Schools: Discussion Paper, Melbourne , , p.4.
95. State of Victoria,(2005) Department of Education and Training, School Development Division, Office of School Education, Overview of the Accountability and Improvement Framework for Victorian Government Schools, Melbourne , , p. 2.
96. State of Victoria,(2005), Step-by-step Guide to Completing the School Self-Evaluation Report: Supporting the Implementation of the Accountability and Improvement Framework for Victorian Government Schools, Melbourne , , pp.4–5.
97. State Regulation of Private Schools :The Good, The Bad and The Ugly ,

98. Steven Ten Have, (et. Al), Key Management Models, Pearson Education Limited, London,. p.22.
99. The International Association for Management Education,(2001) Standards for Business Accreditation , South Harbour, Florida, , p.8.
100. Theodore R. Mitchell Dean,(2000) What Makes a Good School? A Guide Parents Seeking Excellence in Education, the Center for Research on Evaluation, Standards & Student Testing (CRESST), Los Angeles, , p.1.
101. White A and Davis J;(2001) Accountability and School Inspection: in Defense of Audited Self Review, Journal of Philosophy of Education, Vol. 35, No 4, , p. 667.
102. World bank (2002) Private sector participation in education in kingdom of Saudi Arabia ,
103. Wylie Cathy,(2002) the Local and Systemic Roles of School Trustees, Paper Presented at the NZARE Conference 'lay governance of New Zealand's Schools: an Educational, Democratic, or Managerialist Experiment?', Palmerston North, 5-8 December, p.9.

الجودة الشاملة في التعليم العالي : مبررات التبرير و معوقات التطبيق

أ.الكر محمد جامعة الجلفة

مقدمة:

حظيت إدارة الجودة الشاملة بالاهتمام الكبير من قبل المفكرين حتى بات يطلقون على هذا العصر عصر الجودة باعتبارها إحدى الركائز الأساسية لأنموذج الإدارة الجديدة التي تولد لمسايرة التغيرات الدولية والمحلية ومحاولة التكيف معها.

و في ظل التغيرات المتسارعة اضحى على المؤسسات التعليمية الأخذ بتجويد مخرجاتها و تبني نظام ادارة الجودة الشاملة لتلبية حاجات المجتمع و المستفيدين من خدماتها و نشر ثقافة الجودة لدى جميع العاملين في المؤسسة و استخدام أساليب علمية لتنمية الموارد التعليمية و المناهج و تقنيات التعليم قصد الأداء السليم دون أخطاء من المرة الأولى مما يقلل من الفاقد و يخفض كلفة التعليم.

ويترجم كل هذا من خلال الاهتمام العالمي الرسمي بجودة التعليم و ما اجتماع المائدة المستديرة عن التعليم الجيد الذي انعقد في باريس يومي 04/03 أكتوبر 2003 بحضور وزراء التعليم اثناء الدورة الثانية و الثلاثين للمؤتمر العام لليونسكو .

إن مسألة الإصلاح و التطوير التربوي شغلت فكر و اهتمام رجالات التربية و صناع القرار السياسي في الساحتين الدولية و العربية مند عقود خلت و جاءت مسألة الاصلاح غالبا كردة فعل لمواجهة الازمات و الاشكاليات الكبرى التي واجهتها بعض المجتمعات الانسانية اين تطوير النظام التربوي لتحديثه و تجويده ليست مسألة تقنية صرفا بقدر ما هي مسألة حضارية شاملة أي اجتماعية و ثقافية و سياسية إذ أننا نؤمن أن التعليم ليس إلا منظومة من بين منظومات عديدة أخرى قد تكون أقوى منها أثرا و أن الاصلاح التعليمي و تجويده لا بد أن يتزامن معه إصلاح مجتمعي يشمل الجوانب السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية .

كل هذا يحيلنا إلى إحدى الإشكالات الهامة التي يعيشها واقع التعليم العالي في وقتنا الحالي من أهمية و ضرورة تبني إدارة الجودة الشاملة على ما تنطويه عملية التبنى من صعوبات و عراقيل في التطبيق و لذلك كانت الإشكالية المطروحة:

ما هي مبررات الأخذ بنظام إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي ؟ و ما هي أهم المعوقات و الصعوبات التي تواجه عملية تبني و تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مختلف مؤسسات التعليم العالي ؟

وقصد الإمام بالموضوع فإننا سنحاول التطرق الى الموضوع من خلال المحاور التالية :

المحور الأول : ماهية الجودة الشاملة التعليمية

المحور الثاني : مبادئ إدارة الجودة الشاملة التعليمية

المحور الثالث : فوائد و أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة التعليمية

المحور الرابع : مبررات و دوافع الاهتمام بتطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي

المحور الخامس : صعوبات ومعوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي

المحور الأول: ماهية الجودة الشاملة التعليمية

قبل الخوض في تحديد مفهوم الجودة الشاملة التعليمية كان لزاما الحديث عن أصل الكلمة "جود" و الجيد نقيض الرديء و جاد الشيء جودة أي صار جيدا ، و أحدث الشيء فجاء و التجويد مثله¹

ان مفهوم الجودة لم يكن مقتصرًا على العصر الحديث بل عرفته البشرية منذ القدم ، فكانت دائمة البحث عن الأمور و الأشياء الأفضل لحياتها ومن هنا واصلت تقدمها و تطورها بشكل مستمر و دائم فالجذور التاريخية للمفهوم تعود الى العصور القديمة حوالي عام 2000 ق.م بوضع و تطوير مقاييس في المساحة و الأطوال لاستخدامها كمقاييس معيارية .

أما في الدولة الاسلامية فحضيت الجودة باهتمام خاص على المستوى الأخلاقي و على المستوى العملي

يقول الله تعالى "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " التوبة 105

وفي آية أخرى يقول الله تعالى "صنع الله الذي اتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون " سورة النمل 88

و أما في السنة النبوية فورد في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "

فالجودة في الاسلام تعني الأداء على أكمل وجه و في الوقت المناسب و في اقل الموارد المتاحة² إن مفهوم الجودة الشاملة في التعليم لكي يصبح جزءا فاعلا في حياتنا التربوية لا بد أن يستدعي جميع المفاهيم الاسلامية المتعلقة بهذا المفهوم و التي مثلت عبر عصورنا التاريخية دوافع للعمل التربوي على مستوى التنظير و التطبيق معا و لعل من أهم تلك المفاهيم الاسلامية نجد مفهوم الاحسان ، الاصلاح ، الاتقان ، الشورى ، الاخلاص في العمل ، احترام الوقت إلخ³

لقد ظهر مفهوم ادارة الجودة الشاملة TQM بعد الازمة التي حدثت في الاقتصاد الياباني بعد الحرب العالمية الثانية مما اضطر زعماء الصناعة اليابانية إلى إحداث الجودة بمساعدة ديمينج و الذي قام بتعليم اليابانيين بذلك ، حيث سأل ديمينج عن سبب نجاح ادارة الجودة الشاملة في اليابان بدرجة أكبر من الولايات المتحدة الامريكية حيث قال : ان الفرق هو بعملية التنفيذ أي تجسيد ادارة الجودة الشاملة و تطبيقاتها⁴

فالجودة : هي درجة التميز الذي يمكن التنبؤ به من خلال استعمال معايير أكثر ملاءمة و اقل تكلفة و هذه المعايير تنبثق من المستهلك و ينطبق ذلك المبدأ على عملية الإنتاج و المنتج النهائي في نفس الوقت⁵

في حين هناك من يرى أن الجودة : هي درجة استيفاء المتطلبات التي يتوقعها المستفيد من الخدمة أو تلك المتفق عليها معه⁶

في حين عرف معهد الجودة الفيدرالي ادارة الجودة الشاملة بأنها : تأدية العمل الصحيح على نحو صحيح من الوهلة الأولى مع الاعتماد على الاستفادة بتقويم المستفيد في معرفة مدى تحسن الأداء أما معهد المقاييس البريطاني فعرف ادارة الجودة الشاملة انها : فلسفة ادارية تشمل كافة نشاطات المنظمة التي من خلالها يتم تحقيق احتياجات و توقعات العميل و المجتمع و تحقيق أهداف المنظمة بأكفأ الطرق و اقلها تكلفة عن طريق الاستخدام الأمثل لطاقت جميع العاملين بدافع مستمر للتطوير⁷ و في الواقع تمثل ادارة الجودة الشاملة نظاما اداريا ذا أبعاد متكاملة للوصول الى ميزة تنافسية أفضل و يركز هذا المفهوم على فلسفة اجرائية تهدف الى تحقيق التميز في جودة الأداء⁸

وقد انتقل مفهوم الجودة الشاملة الى مجال التعليم في الولايات المتحدة على يد **مالكوم بالدريج** الذي شغل منصب وزير التجارة في حكومة **ريغن** عام 1981 وظل هذا الرجل بتطبيق مفهوم الجودة الشاملة حتى و فاته عام 1987 و مد اهتمامه الى التعليم و أصبح تطبيق الجودة في التعليم حقيقة واقعة حيث أعلن **رونالد براون** عام 1993 أن جائزة مالكوم في الجودة قد امتدت لتشمل قطاع التعليم الى جانب الشركات الامريكية العملاقة⁹

إن جودة التعليم تعني مقدرة مجموع خصائص و مميزات المنتج التعليمي على تلبية متطلبات الطالب و سوق العمل و المجتمع و كافة الجهات الداخلية و الخارجية المنتفعة ، إننا نعرف جيدا أن تحقيق جودة التعليم تتطلب توجيه كل الموارد البشرية و السياسات و النظم و المناهج و العمليات و البنية التحتية من أجل خلق ظروف مواتية للابتكار و الابداع في ضمان تلبية المنتج التعليمي للمتطلبات التي تهيئ الطالب لبلوغ المستوى الذي نسعى جميعا لبلوغه¹⁰

أما في القطاع التربوي فإن ادارة الجودة الشاملة عرفت :عملية استراتيجية ادارية تركز على مجموعة من القيم و تستمد طاقة حركاتها من المعلومات التي تتمكن في إطارها من توظيف مواهب العاملين و استثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو ابداعي لتحقيق التحسن المستمر للمنظمة¹¹

أما النجار فيعرف ادارة الجودة الشاملة في التعليم بأنها : أسلوب متكامل يطبق في جميع فروع ومستويات المنظمة التعليمية ليوفر للعاملين و فرق العمل الفرصة لإشباع حاجات الطلاب و المستفيدين من عملية التعلم أو هي فاعلية تحقيق أفضل خدمات تعليمية بحثية و استشارية بأكفأ أساليب و أقل

التكاليف و أعلى جودة ممكنة كما أنها استراتيجية للتغيير تبدأ من البيئة و تنتهي ببرنامج تحسينات مستمرة لإرضاء الطلاب و المجتمع¹²

كما يمكن النظر الى ادارة الجودة الشاملة في التعليم على أنها نظام يتم من خلاله تفاعل المدخلات و هي الأفراد و الأساليب و الأجهزة لتحقيق مستوى عال من الجودة حيث يقوم العاملون بالاشتراك بصورة فعالة في العملية التعليمية و التركيز على التحسين المستمر لجودة المخرجات لإرضاء المستفيدين أما المدخلات فتتكون من المناهج الدراسية المستلزمات المادية و الأفراد سواء كانوا طلبة أو موظفين أو أعضاء هيئة تدريس أو إدارة و أما المخرجات فتتمثل في الكوادر المتخصصة من الخريجين و المستفيد من نظام التعليم فهي مختلف مؤسسات المجتمع التي تقوم بتوظيف هؤلاء الخريجين¹³

كما عرفها الموسوي بأنها فلسفة إدارية شاملة للحياة و العمل في المؤسسات التعليمية تحدد أسلوب في الممارسة الادارية بهدف الوصول إلى التحسين المستمر لعمليات التعليم و تطوير مخرجات التعليم على أساس العمل الجماعي بما يضمن رضا الأساتذة و الطلبة و أولياء الأمور و سوق العمل¹⁴ و يمكن تحديد أهم المفاهيم في ادارة الجودة الشاملة في الجامعات بما يلي :

1. **النظام :** و هو مجموعة من العلاقات المتبادلة من الخطط و السياسات و العمليات و الأساليب و الأفراد و الأجهزة اللازمة لتحقيق أهداف الجامعة .

2. **العملية التعليمية :** و تشمل سياسات و المناهج و المراحل و الحاجات الذاتية التي تستخدم في تحقيق العمليات العلمية و البحث بصورة متميزة داخل الجامعة و خارجها .

3. **الهيكل الجامعي :** و يشمل البناء الاداري و التنظيمي للجامعة الذي يخدم أهداف الجامعة و وظائفها .

4. **الأساليب :** وهي مجموعة المناهج النظامية و الأساليب المعرفية و التكنولوجيا المتعلقة بها الضرورية للوظيفة التعليمية¹⁵ .

ان كل هذه التعاريف تهتم و تشترك في التأكيد على ما يلي :

1. التحسين المستمر في التطوير لجني النتائج طويلة المدى.

2. العمل الجماعي مع عدة أفراد بخبرات مختلفة .

3. المراجعة و الاستجابة لمتطلبات العملاء.

و وردت تعاريف الجودة في التربية في خمسة محاور هي :

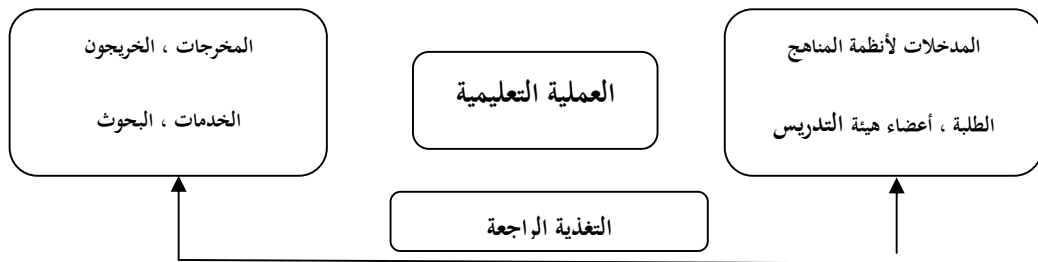
1. ربط تعريفات الجودة بالأهداف

2. ربط تعريفات الجودة بالمخرجات و العمليات الوصفية

3. الجودة كمصطلح معياري و ربما يجمع بين الوصفية و المعيارية

4. الجودة في مقابل الكم فالتربية الجيدة هي التي توازن بين الكم و الكيف
5. الجودة و الاتجاهات (التكنوقراطي)و الشامل ،و يتطلب ذلك معرفة شاملة في مختلف العلوم¹⁶

كما يجب على مؤسسات التعليم العالي و المتمثلة في الجامعات خصوصاً أن تعمل على التحقق من أن حاجات المستفيدين قد تتم تلبيتها أو تجاوزها من خلا عمليات التصميم للنظام التعليمي و عملية التعليم ذاتها¹⁷. و الشكل التالي يوضح مدخلات و مخرجات العملية التعليمية :



المحور الثاني : مبادئ إدارة الجودة الشاملة التعليمية
المصدر : محمد عوض الترتوري ، أغادير عرفات جويحان ، مرجع سابق ، ص78
لقد تعدد الشاملة في مجال التربية و التعليم لكنها تتكامل مع بعضها لتعكس صورة واحدة و في هذا الاطار سنحاول ذكر بعضها :

1. التخطيط الاستراتيجية طويل الأمد لإحداث التغيير و التطوير المستمر في كل الأنشطة يشمل كل مجالات الخدمة .
2. تقديم السياسات المتكاملة لتحقيق الجودة و تقديم كل الخدمات المتميزة القائمة على الأداء السليم بعيد عن الخطأ
3. الدعم الكامل من قيادات المؤسسة التعليمية لقيم و ثقافة و اليات الجودة الشاملة .
4. تحديد المهام من كل الافراد داخل المؤسسة التعليمية
5. التحسين المستمر للعمليات و الجودة و يقصد بذلك التحسين الإضافي و التحسين المعرفي الابداعي .
6. استحداث و تطبيق نظام الحوافز الذي تراعى فيه العدالة التنظيمية¹⁸
7. الوعي بمفهوم الجودة الشاملة في التعليم الجامعي لدى جميع المؤسسات الادارية
8. وجود أهداف محددة و واضحة للجامعة و يشارك في صنعها جميع العمال .
9. توفر القيادة الفعالة

10. الالتزام بالموضوعية و الصدق في عرض البيانات و المعلومات المتعلقة بمجالات العمل المختلفة بالجامعة.

11. الاستخدام الأمثل و الذكي لتكنولوجيا المعلومات

12. انفتاح الجامعة على البيئة المحيطة و مؤسساتها المختلفة

13. التركيز على العمل الجماعي

14. تقليل التكلفة بقدر الامكان .

15. الاعتماد على الرقابة الذاتية

16. وجود دليل موثق يتضمن كل ما يتعلق بمقومات الجودة و أسس ادارتها¹⁹

17. التدريب الأولي هام جدا لإدارة الجودة و لكل فرد في المؤسسة يجب أن يدرب من أجل الجودة

18. ضرورة الاتفاق عل معايير و اضحة تحدد سنويا جودة العمليات و المخرجات²⁰

19. التخلص من الخوف

20. مساعدة الطلبة على النجاح ،الالتزام و المسؤولية²¹

وفي هذا الاطار يمكن القول أن إدارة الجودة الشاملة هي تجميع لكل الجهود الفردية في المؤسسة مع التركيز على تحقيق الجودة في كل مراحل تقديم السلع و الخدمات في المؤسسة و ليس التركيز فقط على عملية الانتاج ،حيث أن كثير من مبادئ الجودة الشاملة ليست جديدة و لكنها موجودة و تستعمل منذ عقود بيذا أن ما هو مختلف هو الطريقة التي تبلورت فيها كل المبادئ و الأساليب الادارية معا لتكون إطار عمل مشجع تم تجميعه بناء على بعض المعتقدات الأساسية المتفق عليها .²²

المحور الثالث : فوائد و أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية

إن ظهور التقنيات الادارية و إدارة الجودة الشاملة انما لتؤدي دورا رئيسيا في نجاح المنظمة و لكي تدار العمليات بنجاح فعلى المديرين أن ينظروا إلى وظيفة إدارة الجودة الشاملة على أساس احتياجات المنظمة ،فلا توجد إدارة الجودة الشاملة في المنظمة ما لم تؤثر في جميع الناس و في كل المنتجات ،إذا أخذت المؤسسة التعليمية أسلوب الجودة في إنجاز مهامها ،فان ذلك سيؤدي الى تحسين الجودة ،تقليل الأخطاء ،وجود مناخ علمي أفضل ، تشجيع و تنمية مهارات العاملين ،تطوير المهارات القيادية لمديري المؤسسات التعليمية ،الرؤية الواضحة و الواعية لكل جزء من أجزاء المؤسسة ،التركيز على تطوير العمليات أكثر من تحديد المسؤوليات و العمل المستمر لتقليل الفاقد في التعليم²³

1. أهمية إدارة الجودة الشاملة في التعليم :

إن أهم ما يميز إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي هو تحسين مستويات الجودة في المؤسسة ،و قد أصبحت في هذا العصر أساسا للاتصالات بين الدول و هي التي تحدد فشل أو نجاح المؤسسات على حد سواء و يمكن اجمال أهميتها بما يلي :

- تنمية العديد من القيم التي تتعلق بالعمل الجماعي و عمل الفريق
- تحسين سمعة المؤسسة التعليمية في نظر المعلمين و الطلبة و افراد المجتمع ، وتنمية روح التنافس .
- الاسهام في حل الكثير من المشكلات التي تعيق العملية التعليمية
- تحقيق الرقابة الفعالة و المستمرة لعملية التعلم و التعليم ²⁴.
- تغيير سلوكيات أفراد المؤسسة التعليمية تجاه مفهوم الجودة
- القيام بعملية مراجعة و تقييم للأداء بشكل مستمر ²⁵
- زيادة الكفاءة التعليمية و رفع مستوى الأداء لجميع الإداريين و المدرسين و العاملين في المؤسسة التعليمية

■ تساعد على تطوير المهارات القيادية

بالإضافة الى الكثير من الحلول لعديد المشكلات و على كل يمكننا القول أن هذا النظام يعمل على منع حدوث المشكلات و يسعى الى الاهتمام بالأمر الصغير و الكبير ،و الالتزام ،و المطابقة للمعايير و التغلغل في كل الأجزاء ،و تحسين المنتج باستمرار ،و تماشي برامج الجودة مع الأهداف التنظيمية و خطط الانتاج و لذا كان من المهم الاهتمام بالجودة ²⁶

2. فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية :

إن تطبيق و استخدام مبادئ و مفاهيم ادارية معنية لا يمكن أن يحظى باهتمام الادارة العليا إلا إذا ترتب على تطبيق و استخدام هذه المبادئ فوائد معينة و التي من أهمها ما يلي :

1. ضبط و تطوير النظام الاداري في أي مؤسسة تعليمية نتيجة لوضوح الأدوار و تحديد المسؤوليات بدقة
2. الارتقاء بمستوى الطلاب في جميع الجوانب الجسمية و العقلية و الاجتماعية و النفسية و الروحية .
3. زيادة كفايات الاداريين و المعلمين و العاملين بالمؤسسات التعليمية و رفع مستوى أدائهم
4. زيادة الثقة و التعاون بين المؤسسات التعليمية و المجتمع ²⁷
5. تماثل جميع العاملين لأهداف المؤسسة التعليمية.
6. حل الصراعات و المشكلات بشكل متواصل بطرق علمية
7. تحسين مستوى الاتصالات و الياتها

8. زيادة الاستثمار الامثل للموارد البشرية²⁸

9. تطبيق نظام الجودة الشاملة يمنح المؤسسة المزيد من الاحترام و التقدير المحلي و الاعتراف العالمي

كل هذا يدفعنا الى الحديث عن أهم المبررات و الدوافع لتبني هذا النظام بعد أن بينا أهمية و فوائد تطبيقه

المحور الرابع: مبررات و دوافع الاهتمام بتطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي

إن إدارة الجودة الشاملة قد أثبتت نتائجها الايجابية في تحقيق المركز التنافسي لعدد من الشركات الصناعية و مؤسسات التعليم العالي لها مسؤولية مشتركة في تعلم وممارسة إدارة الجودة الشاملة. إذ أن هذا النظام يمكن أن يساعد و بشكل منظم إدارات المناطق و المؤسسات التعليمية على إحداث عملية التغيير و التحديث في النظام التعليمي، وذلك لأن نظرية الجودة الشاملة هي نظرية منظمة وطريقة متكاملة التطبيق، يتم استخدامها أو توظيفها كآلية أو نظام أثناء عملية تحليل المعلومات واتخاذ القرارات²⁹

ان تطبيق إدارة الجودة الشاملة في العديد من الدول المتقدمة كأمریکا و اليابان و العديد من الدول الأوربية و بعض الدول النامية و ما تلى هذا التطبيق من نجاحات للمؤسسات التي تبنت هذا الأسلوب على مستوى تحسين المنتج و زيادة الطلب على هذه المنتجات في المجال الاقتصادي و الصناعي و التكنولوجي أوجد مبررا قويا و ميلا شديدا لتطبيق هذا الأسلوب بالنظام و المؤسسات التعليمية في العديد من الدول، وذلك لتفوق الكبير الذي أحرزه هذا المفهوم في هذه المؤسسات، حيث تزايد عدد المؤسسات التربوية التي تخضع لنظام الجودة الشاملة فقد تزايدت مؤسسات التعليم العالي التي تبني إدارة الجودة الشاملة في أمريكا من 78 مؤسسة عام 1980 الى 2196 مؤسسة عام 1991 بالإضافة الى الكثير من المؤسسات في الدول المتقدمة و بعض الدول النامية التي ظهرت تزايد عددها ازديادا مطردا ونظرا للنجاحات الهائلة التي حققتها المدارس الثانوية و الاعدادية في العديد من الولايات و المناطق بأمريكا بعد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في كل من مدينة نيوتان بولاية كاناتييك الامريكية عام 1990 بناء على مفاهيم الجودة الشاملة لديمنغ، وكذلك تجربة مدينة ديترويت التعليمية عام 1993 بعد تدريب الكوادر الادارية المناسبة في مدارسها و مدارس مت جيکوب الثانوية في مدينة شيكا بولاية ألاسكا عام 1998 والتي أصبح نظام الجودة الشاملة نظاما و طرق حياة لكل الطلبة و المعلمين في الكثير من المدارس الأمريكية و الاوربية، فان هذا أوجد مبررا لتطبيق هذا النهج الجديد في مجال التعليم³⁰

ان الاختلاف في تحديد دوافع و مبررات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي بدا جليا ،و لكن بالرغم من ذلك نلاحظ أن هناك إجماع على العديد من الأسباب و الدوافع التي نذكر من أهمها:

- المستجديات و التحديات التي تواجه التعليم العالي من تعقد للبيئة التي تتواجد فيها مؤسسات التعليم الجامعي .
- الزيادة الكبيرة في اعداد الطلاب الملتحقين لمؤسسات التعليم الجامعي و خاصة في الدول النامية
- قناعة المسؤولين بان النجاح الاقتصادي يتطلب قوى عاملة ذات كفاءة و مستوى تعليمي جيد.
- مطالبة المنظمات المحلية و الدولية بتحسين المستوى و الخدمات المقدمة للمواطنين مع تجاوب الحكومات لذلك.
- زيادة التنافس بين مؤسسات التعليم العالي الجامعي على استقطاب الطلاب و الحصول على الدعم المالي من الحكومات و الشركات و الوكالات الدولية ضف الى ذلك مختلف المستجديات العالمية و الاقليمية فرضت تحديات و أدوار جديدة على الجامعات فأوجب هذا إعادة النظر في هيكله و بنىوية الجامعات³¹
- ضغوط العولمة اتجه الأسواق العالمية للتداخل و انهيار الحواجز و الموانع التي تحول دون تدفق المنتجات و الخدمات بين الأسواق العالمية بحرية و سهولة مما جعل مؤسسات التعليم العالي ملتزمة بمسايرة المعايير الدولية و العالمية .
- بروز الكثير من المظاهر السلبية على مستوى الجامعات من بينها :
 - تدني مستوى الطلبة
 - استهلاك الكثير من الوقت
 - تخلي الكفاءات عن العمل لحساب بعض منظمات التعليم
 - عدم رضا العميل
- العجز التعليمي أي وجود استثمار في التعليم دون عائد لأن المخرجات التعليمية و النواتج التربوية لا تسد الطلب الفعال في الأسواق .
- معدلات البطالة المرتفعة لإشباع الهوة بين الانتاج و التعليم و عدم ملائمة مخرجات التعليم مع متطلبات السوق
- ارتفاع تكلفة التعليم و انخفاض العائد على الاستثمار في التعليم³²

■ التحديات العلمية و التكنولوجيا :وذلك بظهور وسائط جديدة في التعليم عن طريق استخدام التكنولوجيا مثل تزايد استخدام الانترنت ، ظهور المكتبات الرقمية ، ظهور نظم جديدة للتعليم الجامعي عن بعد كالجامعات الافتراضية .

■ التحديات السياسية :ظهور ديمقراطية التعليم الجامعي و التوسع في الفرص التعليمية و دعم الاستقلال الجامعي و ضمان الحريات الاكاديمية لكل الفئات الجامعية

■ التحديات الاقتصادية :كخصخصة التعليم الجامعي ، و اهتمام الشركات متعددة الجنسيات بالجامعات و تطبيق المعايير الاقتصادية و ظهور نماذج جديدة في ادخال البعد الاقتصادي في عملية التعليم الجامعي كالجامعة بالإضافة الى محاولات البحث عن مصادر جديدة للتمويل

■ التحديات الاعلامية و الثقافية :تزايد التقارب بين الجامعات و وسائل الاعلام وزيادة الاهتمام بوسائط الاعلام التربوي و التقارب الثقافي و السلام العالمي و ضرورة الحفاظ على الهوية و القيم

■ بالإضافة الى التحديات البيئية من تزايد الاهتمام بالتعليم البيئي و التنمية المستدامة هذا ما ظهر في اطار التكنولوجيا الأنظب و التخطيط البيئي³³ كما تتجسد في ظهور معايير الايزو الخاصة بالمعيار البيئي

في حين يرى آخرون أن تزايد الاهتمام بالجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي يأتي كنتيجة حتمية لتزايد السلبات و التأخر الذي يعيشه التعليم العالي و الجامعي خاصة في العالم العربي و في ظل التوجه نحو تدويل التعليم العالي و ظهور المنظمات و المعايير و المقاييس الدولية الخاصة بالتعليم العالي و جودته بالإضافة الى مختلف التصنيفات الصادرة عن مختلف المراكز و المنظمات المختصة و ذلك وفقا لمعايير و شروط لا تستجيب إلا لمعيار الجودة

وعليه فان هناك الكثير من المبررات التي تدفع بمؤسسات التعليم العالي الى تبني نظام ادارة الجودة الشاملة و تجاوز السلبات و مواجهة التحديات التي سنأتي على ذكرها في محورنا الأخير

المحور الخامس : صعوبات و معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي

على الرغم من ان إدارة الجودة الشاملة تستخدم في مجالات عديدة خارج نطاق التعليم العالي بالإضافة الى تحقيق نجاحات ملحوظة خاصة في المنظمات الانتاجية إلا ان التجارب التطبيقية تثبت ان تأثير إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي ما زال محدودا³⁴

فعند تبني الجامعة لنظام وظيفي لضمان الجودة يسعى لتحقيق متطلبات الجودة في المؤسسة ففي هذه الحالة فان المؤسسة تواجه العديد من الصعوبات و التحديات في التكيف و الاندماج مع هذا الواقع ومن أهم هذه الصعوبات نجد ما يلي :

1. حادثة موضع إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي و خاصة في البلدان النامية
2. عدم توفر الكفاءات البشرية المؤهلة و القادرة في هذا المجال
3. مقاومة التغيير لدى بعض العاملين بسبب طبيعتهم المقاومة للتغيير أو بسبب الخوف من تأثيرات التغيير عليهم أو تغير واقعهم نحو الأسوأ
4. عدم وجود نظام فعال للاتصالات و التغذية العكسية
5. عدم وجود الانسجام و التناغم سواء بين أعضاء فرق العمل او بين فرق العمل ذاتها³⁵
6. المركزية في اتخاذ القرارات التربوية و التعليمية فإدارة الجودة الشاملة تتطلب المرونة و السرعة مما يستوجب تطبيق اسلوب اللامركزية
7. عدم استقرار الادارة و تغيرها الدائم
8. التركيز على الاهداف قصيرة المدى
9. التركيز على تقييم الأداء و ليس على القيادة الواعية التي تساعد على جودة أعلى
10. ندرة وقلة المعلومات و البيانات على نحو سريع و دقيق عن النظام التعليمي
11. تسبب العاملين
12. اعتماد نظام المعلومات في مجال التعليم العالي على الاساليب التقليدية
13. عجز في التمويل المالي و في الميزانية
14. عدم تحويل التزام الادارة لتطبيق البرنامج لتدريب العاملين فيها الى حيز الواقع³⁶
15. استعجال النتائج
16. ضعف العمل الجماعي
17. التعقيد في بعض اجراءات العمل القائمة³⁷
18. ان برامج إدارة الجودة الشاملة لم تتمكن من تحقيق اهدافها الاساسية
19. حاجة الجودة الشاملة الى الكثير من المقابلات و اتخاذ القرارات الحاسمة
20. الفشل في التركيز على الاجابة عن التساؤلات الهامة و الموضوعات الجوهرية
21. ان طبيعة البيئة الجامعية قد لا تتقبل افكار إدارة الجودة الشاملة و خاصة في بلدان العالم الثالث
22. الفشل في تحديد التحديات التي تواجه إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي و إيجاد الحلول المناسبة لها
23. صعوبة تحديد المنتجات و المخرجات الجامعية بدقة³⁸

ضف الى كل هذا ان هناك بعض الاشكاليات التي تدور حول تحديد و تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي و التي من بينها :

- ان الجودة التعليمية او الاكاديمية نسبية غير محددة المعايير فمفهوم الجودة من أكثر المفاهيم التي يختلف ادراك ما تعنيه من سياق الى سياق
- تحديد عملاء الجودة في التعليم الجامعي حيث ان مصطلح العميل قد يحتوي على خليط معقد من الاطراف المشاركة و التي لها مصلحة في التعليم الجامعي مثل الطالب ،المجتمع ،مؤسسات الانتاج و العاملين و اعضاء هيئة التدريس
- منتج التعليم الجامعي وهذا يعني :من العميل في التعليم الجامعي ؟هل هو الطالب ام البرامج الاكاديمية ؟

- الجودة كملائمة للأهداف حيث ان تعريف جودة التعليم العالي بمدى ملاءمته للأهداف الموضوعية يتجنب قضايا تحديد من هم عملاء التعليم الجامعي و ذلك بالعودة الى اهداف المؤسسة بحيث يصبح احراز الجودة مقرونا بمدى فاعلية المؤسسة في انجاز الاهداف
- مدى امكانية تعميم الجودة الجامعية و هذا يتوقف على مدى امكانية قياس الاداء الجامعي بدقة و على مدى امكانية استخدام مؤشرات الاداء لتحقيق ذلك القياس الدقيق³⁹

و على كل ومما سبق يمكن تصنيف جميع المعوقات التي تواجه مؤسسات التعليم العالي و التي تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة الى خمسة اقسام رئيسية وهي :

- أ. معوقات الجوانب القيادية
- ب. معوقات الجوانب التنظيمية
- ج. معوقات الجوانب التعليمية و المعرفية
- د. معوقات جوانب البحث العلمي
- هـ. معوقات جوانب خدمة المجتمع⁴⁰

ضف الى ذلك جملة المعوقات المالية و المادية و الهيكلية في مؤسسات التعليم العالي لذلك يجب على الجامعة ان تضع هذه المعوقات قيد الدراسة و التحليل لمعالجتها و تذليل الصعوبات التي تواجهها في عملية تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة خاصة وان لتطبيقه فوائد عديدة

الخاتمة :

إن الاصلاح الجذري المنشود في تعليمنا العالي لن ينطلق الا من خلال اصلاح عميق متجذر في ذواتنا و في محيطنا و في كل المنظومات الرئيسية و الفرعية منها و هذا لن يكون بين عشية و ضحاها بل سيستغرق منا سنوات بل عقود من الاصلاح و الترميم

ان تبني إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي لن يكون مجرد شعر و افكارا نرددها و لكنها اعمال و قرارات و سياسات علينا ان نتبناها فما يحققه الغرب اليوم في مؤسساتهم الجامعية نابع من يقينهم و رسوخ ذواتهم على فكرة التغيير و احداث التنمية في مجتمعاتهم لكن يجب علينا ان نتأكد ان تبني هذا الطريق و المنهج سيصادف الكثير من العقبات و الصعوبات التي علينا تخطيها و ان نعمل جاهدين في بناء سرح مؤسساتنا التعليمية و هذا لن يكون الا من خلال جملة من الخطوات و التي نورد بعضها منها :

- نشر ثقافة الجودة في البيئة الجامعية
 - اقناع القيادات و تطويرها بشكل متماشيا مع المتغيرات
 - الحرية في ابداء الرأي من ديمقراطية للتعليم العالي
 - اصلاح مرحلة ما قبل التعليم الجامعي لأنها مدخلات التعليم العالي
 - منح اعضاء الهيئة الاكاديمية فرصة المشاركة في اتخاذ القرار
 - تبني منهج اللامركزية
 - توفير الوسائل و تنويع مصادر التمويل
 - الاهتمام بكل محاور الجودة و محاولة تحسينها
- هذه التوصيات و غيرها قد تكون قادرة على تجاوز عقبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي
- الهوامش المرجعية :**

-
- ¹ مابن منظور، لسان العرب، ج2. القاهرة: دار المعارف، 1984، ص 72
- ² خالد أحمد الصرايرة، ليلي العساف ، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي بين النظرية و التطبيق . المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي ، العدد الأول ، المجلد الأول ، 2008، ص8
- ³ . حسن حسين البيللاوي و آخرون ، الجودة الشاملة في التعليم الأسس و التطبيقات ، الطبعة الثانية . عمان : دار المسيرة ، 2008، ص188
- ⁴ . سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات ، إدارة الجودة الشاملة تطبيقات في الصناعة و التعليم . عمان : دار الصفاء للنشر و التوزيع ، 2007، ص24
- ⁵ . حسن حسين البيللاوي و آخرون ، مرجع سابق ، ص26
- ⁶ . هيئة ضمان الجودة و الاعتماد في التعليم ، اللجنة القومية لضمان الجودة و الاعتماد ، أفريل 2004
- ⁷ . سوسن شاكر مجيد ، محمد عواد الزيادات ، مرجع سابق ، ص24

8 . سلامة عبد العظيم حسين ، الجودة الشاملة و الاعتماد التربوي . القاهرة : دار الجامعة الجديدة ،2008،ص70

9 . حسن الحسين البيلاوي و آخرون ، مرجع سابق ، ص 27

10 . سمير الجسري ، ورقة عمل قدمت لورشة العمل حول : إعادة تنظيم التعليم الخاص و التي عقدتها وزارة التربية و التعليم العالي في الفترة 10 الى 24 فيفري 2004 المديرية العامة للتعليم العالي ، بيروت ، لبنان ، 2004 نقلا عن يوسف حجيم الطائي و آخرون ، في كتابهم إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي . عمان : مؤسسة الوراق ،2007،ص135

11 . سوسن شاكر مجيد ، محمد عواد الزيادات ، مرجع سابق ، ص 25

12 . فريد النجار ، إدارة الجامعات بالجودة الشاملة رؤى التنمية المتواصلة ، الطبعة الثانية . القاهرة : ايتراك للنشر و التوزيع ،2002،ص73

13 . عبد الستار محمد علي ، تطوير التعليم الجامعي باستخدام ادارة الجودة الشاملة ، ورقة قدمت في المؤتمر الأول للتعليم الجامعي الاداري و التجاري في العالم العربي ، جامعة الامارات العربية المتحدة ، العين ، الامارات العربية المتحدة ، 14.12، مارس ،ص14

14 . نعمان محمد الموسوي ، تطوير أداة القياس إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي . المجلة التربوية ، المجلد 17، العدد 67 ، جامعة الكويت ، الكويت ، ص 960

15 . محمد عوض الترتوري ، أغادير عرفات جويحان . إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي و المكتبات و مراكز المعلومات . الطبعة الثانية . عمان : دار المسيرة ،2009،ص77

16 . سوسن شاكر مجيد ، محمد عواد الزيادات ، مرجع سابق ، ص 26

17 . محمد عوض الترتوري ، أغادير عرفات جويحان ، مرجع سابق ، ص 26

18 . رافدة عمر الحريري ، القيادة و إدارة الجودة في التعليم العالي . عمان : دار الثقافة للنشر و التوزيع ،2010،ص61

19 Balderstone.FE. managing today's university jossey bass Publishers.San Francisco ,1995,pp(112-119)

20 . حسن حسين البيلاوي و آخرون ، مرجع سابق ، ص 27

21 . رافدة عمر الحريري ، مرجع سابق ، ص 64

22 . محمد عوض الترتوري ، أغادير عرفات جويحان ، مرجع سابق ، ص 36

23 . رافدة عمر الحريري ، مرجع سابق ، ص 32

24 . يوسف حجيم الطائي و آخرون ، إدارة الجودة الشاملة . عمان : مؤسسة الوراق ،2007،ص195

25 . محمد عوض الترتوري ، أغادير عرفات جويحان ، مرجع سابق ، ص 38

26 . رافدة عمر الحريري ، مرجع سابق ، ص 34

27 . سوسن شاكر مجيد ، محمد عواد الزيادات ، مرجع سابق ، ص 176

-
- ²⁸ خالد أحمد الصرايرة ،ليلي العساف، مرجع سابق، ص 17
- ²⁹ محمد عوض التزتوري ،أغادير عرفات جويحان ،مرجع سابق، ص ص 79-80
- ³⁰ يوسف حجيم الطائي و آخرون ،مرجع سابق، ص ص 83-84
- ³¹ أشرف محمود أحمد ،ضمان جودة مؤسسات التعليم العالي في ضوء معيير هيئات الاعتماد الدولية . القاهرة :عالم الكتاب،2009، ص 19
- ³² رافدة عمر الحريري ،مرجع سابق ، ص ص 30-31
- ³³ أشرف محمود أحمد، مرجع سابق، ص ص 20-22
- ³⁴ سيد محمد جاد الرب ، ادارة الجامعات و مؤسسات التعليم العالي استراتيجيات التطور و مناهج التحسين . القاهرة : دار الكتب المصرية، 2010، ص 140
- ³⁵ . سوسن شاكر مجيد ،محمد عواد الزيادات ،مرجع سابق ، ص 53
- ³⁶ رافدة عمر الحريري ،مرجع سابق ، ص ص 73-74
- ³⁷ يوسف حجيم الطائي و آخرون ،مرجع سابق، ص 87
- ³⁸ سيد محمد جاد الرب ،مرجع سابق، ص ص 143-150
- ³⁹ رافدة عمر الحريري ،مرجع سابق ، ص 75
- ⁴⁰ سعيد بن علي العضاضي ،معوقات تطبيق ادارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي دراسة ميدانية ،المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي ،العدد 9، المجلد الخامس، 2012، ص 81